



الجامعة الإسلامية بمبني سوفا

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية



مجلة الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية

مجلة علمية محكمة - نصف سنوية

العدد السابع

رجب ١٤٤٦ هـ - يناير ٢٠٢٥ م

الإشراف الأكاديمي

أ.د : خالد فوزي عبدالحميد حمزة

الجامعة الإسلامية
منيسوتا

مجلة الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية

دورية علمية محكمة

العدد السابع

رجب ١٤٤٦ هـ
يناير ٢٠٢٥ م

الإشراف الأكاديمي

أ.د/ خالد بن فوزي حمزة
الأستاذ بجامعة العلاء ومنيسوتا



افتتاحية العدد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (*) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد..

فبحمد الله تعالى تم صدور هذا العدد السابع من مجلة (الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية) بكلية علوم الوحيين والفرع الثالث (فرع مكة) بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا.

وجاءت بحوث هذا العدد متنوعة ما بين العقيدة والتفسير وعلوم القرآن والحديث والفقه وأصوله، والقانون، واللغة وكذلك تحقيق مخطوط مشاركة. ومنتظر من الباحثين مراسلة المجلة بالبحوث التي يودون نشرها في مختلف فروع العلم وفنونه، وفي الموضوعات الأخرى في القراءات والعقيدة والاقتصاد وغيرها.

ودوماً نذكر بحديث أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)، [رواه مسلم] قال العلماء: "معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له؛ إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها؛ فإن الولد من كسبه وكذلك العلم الذي خلفه من تعليم أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف.

واستمراراً في العطاء، فنشر أن هذه المجلة كانت سبباً في اكتساب العديد من الباحثين الدرجات العلمية المطلوبة في الترقية، من درجة المشارك ودرجة الأستاذية. وأكثر ما نشر فيها الآن هو مقدمة كذلك لمنح أصحابها الدرجة بعد استيفاء مطلوبات الجامعة إن شاء الله تعالى.

ونكرر أن المجلة تتكفل برسوم الأبحاث الخمسة الأولى المقبولة في هذا العدد.

ثم إن رسوم النشر في الجملة أقل من غيرها من المجالات، ولاسيما لدكاترة وطلاب كلية علوم الوحيين، والفرع الثالث (فرع مكة) بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا، فإن الرسوم المستحصلة قد تقل عن تكلفة النشر بعد التحكيم.

والمجلة تؤكد على ما كررته مراراً من أن البحوث تعبر عن وجهة كاتبها، وأن المجلة حسبها أن تكون وسيطة بين الباحث والمحكمين.

ونكرر أيضاً ما أشرنا إليه سابقاً أن ثمة بحوث قد تم ردها، بسبب عدم استيفائها للصورة الأكاديمية المطلوبة في البحث، أو ليس فيها الإضافة الجديدة، فنحب الاهتمام بصورة البحث وشروط المجلة قبل الإرسال، فالمطلوب هو أن يكون البحث في أفضل صورته. كما ننبه أيضاً أن عنوان البحث لا بد يكون مناسباً للبحث مع تجنب العناوين المسجوعة، إلا ما كان في تحقيق مخطوط أو ما شابه.

ونعيد على الإخوة الباحثين أن المجلة ترحب كذلك بنشر الإخوة الباحثين **مختصرات لبعض كتبهم المنشورة** إذا كانت في صورة البحث الأكاديمي، وكأنها بحث جديد، لكن يكون البحث مستوفياً لكل شروط البحث وفيه الجودة والإضافة للمكتبة الإسلامية، لتعم الفائدة.

كما نرحب أيضاً بنشر **المقالات العلمية** المفيدة، والتي لا تخضع لرسوم التحكيم، ولكن لا يمنح كاتبها خطاب القبول، فلا تدخل في تعداد بحوث الدرجات العلمية.

ونسأل الله تعالى القبول وأن تكون المجلة من باب نشر العلم النافع.

وصل الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قواعد النشر بالمجلة

- ١- مجلة الدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية هي مجلة علمية محكمة بصفة دورية (نصف سنوية) تنشر فيها الأبحاث المقدمة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية والعربية والإسلامية.
- ٢- تقبل المجلة للنشر بها البحوث (المقدمة بالصيغة الأكاديمية) التي تتعلق بالدراسات الإسلامية والعربية والإنسانية وذلك بعد تحكيمها من قبل المحكمين أعضاء اللجان العلمية الدائمة ولجان الترقيات بالأزهر والمجلس الأعلى للجامعات وتقبل المجلة البحوث باللغات العربية والإنجليزية.
- ٣- يقر الباحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخرى للنشر.
- ٤- لا ترد أصول البحث لصاحبه سواء قبل نشره أو لم يقبل.
- ٥- يلتزم الباحث بدفع الرسوم المقررة والمصاريف الإدارية والمصروفات المتبقية من الحساب وفقاً للائحة المجلة.
- ٦- يكون لهيئة تحرير المجلة الموقرة رفض أية أبحاث لا تراها مناسبة لرؤية أو رسالة الكلية أو المعهد دون إبداء الأسباب لأصحابها.
- ٧- لمجلس الإدارة وهيئة التحرير الحق في نشر البحوث ورقياً أو إلكترونياً بمقابل مالي أو بدون مقابل دون أدنى اعتراض من الباحث.
- ٨- لا يجوز الجمع بين بحثين لباحث واحد في العدد الواحد إلا بعد موافقة اللجنة العلمية.
- ٩- يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد كل ملخص عن ١٠٠ كلمة.
- ١٠- يخطر الباحث بخطاب رسمي بقبول النشر في حالة إجازة البحث للنشر.
- ١١- تعبر البحوث المنشورة بالمجلة عن رأي أصحابها فقط.

١٢- تنشر الأبحاث في المجلة بحسب أسبقية ورودها بعد مراجعتها في صورتها النهائية للنشر أو حسب ما تراه المجلة.

١٣- جميع الحقوق محفوظة للمجلة، ولا يجوز النقل أو الاقتباس منها إلا بالإشارة إليها.

١٤- ألا يزيد عدد صفحات البحث المقبول للنشر بالمجلة عن (٤٠) صفحة.

يراعى في طريقة كتابة البحث ومقاس وسمك الخط القواعد التالية:

أن يكتب البحث على الكمبيوتر ببرنامج Microsoft Word، ويراعى

عند الكتابة إعداد الورقة كما يلي:

العناوين الرئيسية: تكتب بحجم ١٦ Bold	حجم الورق ١٧.٥ × ٢٥ سم
العناوين الفرعية: تكتب بحجم ١٤ Bold	الهامش العلوي: ٢.٥
متن البحث: تكتب بحجم ١٤ عادي	الهامش السفلي: ٢.٥
هوامش البحث: تكتب بحجم ١٢ عادي	الهامش الأيمن: ٢.٥
نوع الخط العربي: Simplified Arabic	الهامش الأيسر: ٢.٥
نوع الخط الإنجليزي: Times New Roman	



محتويات

العدد

الفهرس

الصفحة	الموضوع	م
٦٠-١	أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين فرقة المعتزلة أنموذجاً إعداد الدكتور/ سمير مثنى علي الأبارة	١
١١٤-٦١	أسس الإصلاح الاجتماعي في حديث أم زرع مقارنة سيميائية إعداد الدكتور/ محمد عبد المولى محمد سليمان	٢
١٦٤-١١٥	عموم المشترك وأثره على الأحكام إعداد الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن حسين الموجان	٣
٢٢٢-١٦٥	الجنايات وعلاقتها بسد الذرائع إعداد الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن حسين الموجان	٤
٣٦٣-٢٢٣	نظرية "الفصاحة العلمية" وتطبيقاتها القانونية (دراسة تأسيسية تأصيلية في الوضوح العلمي" وتطبيقاته) إعداد الدكتور/ محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم الحسيني	٥

٣٦٤ - ٤٠٤	شبهه الجملة في مقامات الحريري إعداد الدكتور/ خلف محمد كمال	٦
٤٠٥ - ٤٩٤	كتاب الحجر من التطريز في شرح التعجيز للإمام تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس الموصلبي رحمه الله (ت ٦٧١هـ) (دراسة وتحقيق) إعداد الدكتور/ محمد أحمد عبد القادر إعداد الباحثة/ سهر علي أحمد عبد "رب" الرسول	٧
٤٩٥ - ٥١٦	الرد على ما أثاره بعضهم حول تفسير رشيد رضا إعداد الأستاذ الدكتور/ خالد فوزي عبد الحميد حمزة	٨

**أثر ظهور البدع
على عبارات المفسرين
فرقة المعتزلة أنموذجاً**

إعرابو

د. سمير مثنى علي الأبارة
أستاذ مساعد بكلية الدراسات الإسلامية
قسم القرآن الكريم وعلومه
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص باللغة العربية:

يتلخص البحث في حصر اثر ظهور الأقوال التفسيرية التي تضمنت على بعض بدع التفاسير الخاطئة التي يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، و البعد به عن أن تكون من جملة معانيه، ولمخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة ونحو ذلك، وسميته - أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين.

فبينت في البحث مصطلح (البدعة) بأنها تطلق على الأمر المذموم وجاءت الدراسة لبيان السبب الذي من أجله وضعت هذه الأقوال بالبدع من التفاسير، وتبين أنها في مجملها تخالف الأشهر من أقوال السلف وكذلك تخالف جماع الحجة من أهل العربية وليس هذا فحسب بل تجاوزه إلى القراءات القرآنية وأن منها بدع في التفاسير لمخالفتها جماع الحجة من القراء.

ولم أقصد بهذا البحث استيعاب كل البدع الموجودة في كتب التفاسير فإن ذلك غير متيسر لي الآن، ولكن ان شاء الله في عدة أبحاث ان يسر الله لي ذلك، ولكني حصرت في فرقة المعتزلة فقط.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب، تذكرة لأولى الألباب، ووفق لفهم ما أودع فيه من دقائق الخطاب، وأبقاه برهانا على صحة دينه إلى يوم الحساب.

وأشهد أن لا إله إلا هو، شهادة عبد مخلص أواب، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، خيرته من خلقه وأمينه على وحيه، أرسله بالهدى ودين الحق، مؤيدا بالدلائل القاطعة للشك والارتياب صلى الله عليه وسلم، ما طلع نجم وغاب، ورضى عن آله الكرام، وصحابته العظام، ومن تبع هديهم إلى يوم المآب.

أما بعد.

يستمد علم التفسير من الطريق المعتاد نقلا كان من القرآن نفسه، أو من السنة، أو من كلام الصحابة، أو التابعين، أو كان رأيا واجتهادا. أو من غير هذا الطريق بأن يكون بطريق الإلهام والفيض، فالتفسير ينقسم بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية، ويسمى التفسير بالمأثور. تفسير بالدراية، ويسمى التفسير بالرأي.

فاستغل أهل البدع والفرق الضالة فأدخلوا فيه من المعتقدات الضالة التي تؤيد مذهبهم ومعتقداتهم فكان سبباً في اختلاط الصحيح من هذه الروايات بالسقيم منها، وجعل بعض من ينظر فيها وليس عنده القدرة على التمييز بين الصحيح والعليل، ينظر إلى جميع ما روي بعين واحدة، فيحكم على الجميع بالصحة، وربما وجد من ذلك روايتين متناقضتين عن مفسر واحد فيتهمه بالتناقض في قوله، ويتهم المسلمين بقبول هذه الروايات المتناقضة المتضاربة.

وهنا يأتي دور علماء الأمة فدرسوا هذه البدع وبينوا للناس حكم الله فيها وبناء الأصول العامة والقواعد التفسيرية، ويأتي بعد ذلك دور الباحثين وطلبة العلم المهتمين بنهضة الأمة وسيادتها للعالمين، وقد وفقتي الله للبحث عن هذه البدع وتوضيحها للامة واخترت هذا البحث في هذا الموضوع لبيان مقاصد الشارع الحكيم وإظهار زيغ الضالين.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

أولاً: في تبيين دسائس أهل الزيغ والبدع في تحريف كلام الله تعالى حسب أهوائهم ومذاهبهم ومعتقداتهم وتبيين الحق وكتب الحق التي يرجع إليها عند الاشتباه بها.

ثانياً: تحذير الامة من الوقوع في حبالهم وكتبهم التي دس فيها السم في العسل.

أسباب اختيار البحث

الأول: التقرب بهذا البحث إلى الله عز وجل.

ثانياً : خدمة كتاب الله في دراسة هذا الموضوع.

ثالثاً: جدة هذا الموضوع حيث إن أصحابها جراء على القول في التفسير بالرأي، لا تردعهم هيبة القرآن، ولا خشية من منزلته، وإذا عورضوا بحديث صح في آية خلاف ما فسروه بها سارعوا إلى الطعن فيه و انكار صحته، كحديث صهيب في صحيح مسلم - عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [سورة يونس: ٢٦]. أن ((الزيادة : النظر إلى الله تعالى))، فقد طعنوا فيه، و نسبوه إلى المشبهة والمجبرة يعنون أهل

السنة، لأنه خالف تفسيرهم بأن الزيادة هي التفضل الزائد على الثواب، مع أن النظر تفضل بل هو أعلى أنواعه^(١).

فكم من حديث متفق على صحته، أو مستفيض، أو متواتر، كان نصيبه عندهم الرفض المطلق، لمجيئه بخلاف ما رأوه وقرروه.

الرابع: أنهم جعلوا قواعد مذهبهم في العدل وخلق القرآن، وخلق المكلف أفعاله، ونفى الكلام النفسي، ونفى تعلق المشيئة الإلهية بالمعاصي والمباحات واستحالة رؤية الله تعالى، وخلود العاصي في النار مثل الكافر.

أهداف البحث:

دراسة الأقوال الموصوفة (بالبدع من التفاسير) واثرها على المجتمع وذلك بالنظر إلى أقوال السلف ومدى اتفاقها مع أئمة المفسرين.

إشكالية البحث:

انتشار بعض بدع التفاسير في كتب بعض المفسرين وعدم التنبيه عليها، وأثر ظهورها على المجتمع المسلم وغير المسلم، فأثر هذا الوضع في التفسير وما دس فيه من بدع، فكان سببا في ضياع كثير من هذا التراث العظيم الذي خلفه لنا أعلام المفسرين من السلف، لأن ما أحاط به من شكوك، أفقدنا الثقة به، وجعلنا نرد كل رواية تطرق إليها شئ من الضعف، وربما كانت صحيحة في ذاتها.

(١) رواه مسلم في صحيحه (266).

الدراسات السابقة

من الدراسات السابقة لموضوع البحث:

١. البدع وتأثيرها على التفسير: دراسة تحليلية" المؤلف: د. محمد بن عبد الله آل زيد.
- ملخص: تتناول هذه الدراسة كيفية تأثير البدع على تفسيرات المفسرين عبر العصور، مع التركيز على الآراء الفقهية والفلسفية المختلفة.
٢. "موقف المفسرين من البدع وأثرها على التفسير" المؤلف: د. أحمد بن سعيد السديري
- ملخص: تستعرض هذه الدراسة مواقف عدد من المفسرين من البدع، وكيفية تصديهم لها في تفاسيرهم.
٣. "التفسير في ضوء المدارس الفكرية: دراسة في تأثير البدع" المؤلف: د. فاطمة بنت عبد الله العنزي
- ملخص: تركز هذه الدراسة على تأثير المدارس الفكرية المختلفة مثل المعتزلة والأشاعرة على التفسير وكيف ساهمت في ظهور بعض البدع.
٤. "تحليل نصوص مفسرين في سياق البدع" المؤلف: د. يوسف بن محمد العثيمين
- ملخص: تقوم هذه الدراسة بتحليل نصوص من تفاسير مفسرين مختلفين، مع تسليط الضوء على كيف أثرت البدع في عباراتهم.
٥. "البدع والتفسير: دراسة مقارنة بين المفسرين القدماء والمحدثين" المؤلف: د. سلمان بن محمد العبدلي
- ملخص: تتناول هذه الدراسة مقارنة بين تفاسير المفسرين القدماء والمحدثين، وكيف تأثرت آراؤهم بالبدع.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث مناهج عدة منها:

أولاً: المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع أقوال المفسرين في الآية.

ثانياً: نهجت المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تتبع البدعة؛ محل الدراسة، وتحليل شواهدا بالرجوع إلى أئمة المفسرين.

ثالثاً: المنهج الاستنباطي في إخراج الأقوال التفسيرية المبتدعة وتبيين اثرها على المجتمع المسلم.

إجراءات البحث

تتضح الإجراءات التي قمت بها عند كتابة البحث في النقاط التالية:

١- قمت بتعريف المصطلحات الواردة في البحث من حيث اللغة والاصطلاح.

٢- حررت تفسير الآيات تحريراً دقيقاً.

٣- شرحت الكلمات الغريبة وبينت معانيها في معاجم اللغة

٤- عزوت التفسيرات إلى مؤلفيها.

٥- وعزوت الآيات الى سورها.

٦- وعزوت الاحاديث النبوية الى كتب السنة المطهرة مع تخريجه.

٧- عزوت الأقوال والأحكام والآيات والاحاديث.

٨- ترجمت لأعلام الوارد ذكرهم.

٩- ذكرت المراجع والمصادر والحواشي مبتدئاً بعنوان الكتاب ثم

المؤلف ثم رقم الجزء والصفحة ورقم الترجمة أن كان المرجع للتراجع.

١٠- ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها اهم النتائج التي احسب اني وقفت عليها ببحث هذا الموضوع.

١١- فهرست قائمة المصادر والمراجع العناوين التي استفدت منها في هذا البحث.

خطة البحث:

ولدراسة هذا الموضوع قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

المقدمة : وفيها بيان الموضوع المراد بحثه ومنهج البحث واهميته والدراسات السابقة له واسباب اختياره وأهدافه والمشكلة التي دعت للبحث والاجراءات المتبعة فيه وخطته.

التمهيد في بيان نشأة البدع في التفسير:

المبحث الاول: تعريف البدعة وفيه خمسة مطالب

المطلب الاول : تعريف البدعة لغة.

المطلب الثاني: البدعة في لسان الشارع.

المطلب الثالث: أنواع البدع.

المطلب الرابع: حكم البدعة في الدين.

المطلب الخامس: ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها.

المبحث الثاني المعتزلة وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

وتحتة خمسة مطالب

- المطلب الأول: كلمة إجمالية عن المعتزلة وأصولهم المذهبية

- الفرع الأول: نشأة المعتزلة.
- الفرع الثاني: أصول المعتزلة.

- **المطلب الثاني: موقف المعتزلة من تفسير القرآن الكريم**
- الفرع الأول: إقامة تفسيرهم على أصولهم الخمسة.
 - الفرع الثاني: إنكار المعتزلة لما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة.
 - الفرع الثالث: ادعائهم أن كل محاولاتهم في التفسير مرادة لله.
- **المطلب الثالث: المبدأ اللغوي في التفسير وأهميته لدى المعتزلة:**
- الفرع الأول: تصرف المعتزلة في القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم.
 - الفرع الثاني: نقد ابن قتيبة لهذا المسلك الاعتزالي في التفسير.
 - الفرع الثالث: تذرع المعتزلة بالفروض المجازية إذا بدا ظاهر القرآن غريباً.
- **المطلب الرابع: تفسيرهم للقرآن على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينية:**
- الفرع الأول: حكم الإمام أبي الحسن الأشعري على تفسير المعتزلة.
 - الفرع الثاني: حكم ابن تيمية (٧٢٨ هـ) على تفسير المعتزلة.
 - الفرع الثالث: حكم ابن القيم (٧٥١ هـ) على تفسير المعتزلة.
- **المطلب الخامس: أهم كتب التفسير الاعتزالي**

الخاتمة

المصادر والمراجع.

تمهيد فى بيان نشأة البدع فى التفسير:

جرى التفسير منذ زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين^(١)، على طريقة تكاد تكون واحدة، فخلّف كل عصر يحمل التفسير عمّن سلف بطريق الرواية والسماع، وفى كل عصر من هذه العصور، وتتجدد نظرات تفسيرية، لم يكن لها وجود قبل ذلك، وهذا راجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة ازدادت نواحي الغموض فى التفسير. فكان لا بد للتفسير من أن يتضخم كلما مرّت عليه السنون.

لم يكن هذا التضخم فى الحقيقة إلا محاولات عقلية، ونظرات اجتهادية، قام بها أفراد ممن لهم عناية بهذه الناحية. غير أن هذه الناحية العقلية فى التفسير لم تخرج عن قانون اللغة، ولم تتخط حدود الشريعة، بل ظلّت محتفظة بصبغتها العقلية والدينية، فلم تتجاوز دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشرع.

ظلّ الأمر على ذلك إلى أن قامت الفرق المختلفة، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووجد من العلماء من يحاول نُصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة. وكان القرآن هو هدفهم الأول الذى يقصدون إليه جميعاً، كلٌّ يبحث فى القرآن ليجد فيه ما يُقوّى رأيه

(١) عصر تابعي التابعين هو العصر الذي يلي عصر التابعين، وهو يبدأ من سنة مائة وسبعين تقريباً، قال السيوطي: «والأصح أنه - يعنى القرن - لا ينضب بمدة، فقرنه عليه صلّى الله هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة، وقرن التابعين من مائة سنة إلى نحو سبعين، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين (عصر أتباع التابعين وأشهرهم إسلام ويب مركز الفتاوى. وصل لهذا المسار فى ١٣ سبتمبر ٢٠١٦ نسخة محفوظة ١٩ سبتمبر ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

ويؤيد مذهبه، وكلّ واجد ما يبحث عنه ولو بطريق إخضاع الآيات القرآنية لمذهبه، والميل بها مع رأيه وهواه، وتأويل ما يصادمه منها تأويلاً يجعلها غير منافية لمذهبه ولا متعارضة معه^(١).

ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأي المحمود إلى دائرة الرأي المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يتسعون في حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم، بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم!!

بدأ الخلاف بين المسلمين أول ما بدأ، في أمور اجتهادية لا تصل بأحد منهم إلى درجة الابتداع والكفر، كماختلفهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنتوني بقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدى" حتى قال عمر: إن النبي قد غيبه الوجد، حسبنا كتاب الله، وكثر اللغط في ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قوموا عنى، لا ينبغى عندي التنازع"^(٢).

وكاختلفهم في موضع دفنه - صلى الله عليه وسلم - أيُدفن بمكة، لأنها مولده وبها قبّلتَه ومشاعر الحج؟ أم يُدفن بالمدينة، لأنها موضع هجرته، وموطن أهل نصرته؟ أم يُدفن ببيت المقدس، لأن بها تربة الأنبياء ومشاهدتهم؟^(٣)

وكالخلاف الذي وقع بينهم في سقيفة بنى ساعدة في تولية من يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وفاته^(٤)، وغير ذلك من

(١) كتاب التفسير والمفسرون - التفسير بالرأى المذموم أو تفسير الفرقة المبتدعة ص ٢٥٨.

(٢) صحيح البخاري (ج ٣ / ص ١١٥٥).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ص ١٣٨ - ج ٨).

(٤) صحيح البخاري رقم (٢٤٦٢).

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

الخلافت التي وقعت بينهم، ولم يكن لها خطرهما الذي ينجم عنه التفرق ووقوع الفتنة والبغضاء بين المسلمين.

ظل الأمر على ذلك إلى زمن عثمان رضى الله عنه، وكان ما كان من خروج بعض المسلمين عليه، ومحاصرتهم لداره، وقتلهم له، فعرى المسلمين من ذلك الوقت رجة فكرية عنيفة، طاحت بالروية، وذهبت بكثير من الأفكار مذاهب شتى، فقام قوم يطالبون بدم عثمان، ثم نشبت الحرب بين عليّ ومعاوية رضى الله عنهما من أجل الخلافة، وكان لكل منهم شيعة وأنصار يشدون أزره، ويقوون عزمه، وتبع ذلك انشقاق جماعة عليّ كرم الله وجهه، بعد مسألة التحكيم فى الخلاف الذى بينه وبين معاوية، فى السنة السابعة والثلاثين من الهجرة، وظهرت من ذلك الوقت فرقة الشيعة، وفرقة الخوارج، وفرقة المرجئة، وفرقة أخرى تنحاز لمعاوية، وتؤيد الأمويين على وجه العموم.^(١)

ثم أخذ هذا الخلاف والتفرق، يتدرج شيئاً فشيئاً، ويترقى حيناً بعد حين، إلى أن ظهر فى أيام المتأخرين من الصحابة خلاف القدرية، وكان أول من جهر بهذا المذهب ووضع الحجر الأساسى لقيام هذه الفرقة، معبد الجهني^(٢) الذى أخذ عنه مذهبه غيلان الدمشقى ومن شاكله، وكان

^(١) بدأ تأثيرهم خلال الفتنة الأولى (661-656)، حيث كان الخوارج الأوائل هم من ثاروا على عثمان بن عفان ثم صاروا من شيعة علي بن أبي طالب وقد تمردوا علي علي لاحقاً لقبوله لمعادنات التحكيم لتسوية الصراع مع منافسه معاوية فى معركة صفين عام ٦٥٧. وأكدوا أن "الحكم لله وحده" وهو ما أصبح شعارهم. هزم علي الخوارج فى معركة النهروان عام ٦٥٨، لكن تمردهم استمر.

^(٢) معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني أول من تكلم بالقدر فى زمن الصحابة. ومن نشأت على رأيه فرقة القدرية. حدث عن مجموعة من الصحابة: عمران بن حصين ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وحمزان بن أبان وطائفة. وكان من علماء وقته على الرغم من بدعته التي قال بها فى القدر. سير اعلام النبلاء (ج ٤ - ص ١٨٥).

ينكر عليهم مذهبهم هذا من بقى من الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، وأنس، وأبي هريرة، وغيرهم.

ثم ظهر بعد هؤلاء - وفي زمن الحسن البصرى بالبصرة - خلاف مع واصل ابن عطاء^(١) فى القدر، وفى القول بالمنزلة بين المنزلتين، ومجادلته للحسن البصرى فى ذلك، واعتزاله مجلسه، ومن ذلك الوقت ظهرت فرقة المعتزلة.

ثم كان من أصحاب الديانات المختلفة كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية، والصابئة.. إلى آخر من تزيوا بزى الإسلام وأبطن الكيد له، حيناً إلى ملَّتْهم الأولى، كعبد الله بن سبأ اليهودى، فأوضعوا خلال المسلمين يبعونهم الفتنة، ويرجون لهم الفرقة، فأفلحوا فيما قصدوا إليه من تحزب المسلمين وتفرقهم.

وفى خلال ذلك غلا بعض الطوائف التى ولدها الخلاف، فابتدعوا أقوالاً خرجت بهم عن دائرة الإسلام كالقائلين بالحلول والتناسخ من السبئية^(٢)، وكالباطنية^(٣) الذين لا يُعدون من فرق الإسلام، وإنما هم فى الحقيقة على دين المجوس.

(١) واصل بن عطاء، متكلم ومفكر (٧٠٠ - ٧٤٨ م)، (٨٠ هـ - ١٣١ هـ) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي، الملقب بالغزال الألتغ، كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية ولزم حلقة الحسن البصرى، أسس فرقة المعتزلة عندما حصل الخلاف بينه وبين الحسن فى حكم مرتكب الكبيرة، فاعتزل حلقة الحسن، فقال الحسن «اعتزلنا واصل» فتسمت فرقته بالمعتزلة وهي فرقة كلامية اشتهرت بالجدال والمناظرة وانضم إليه عمرو بن عبيد. كانت زوجته هي أخت عمرو بن عبيد. سير اعلام النبلاء (ج ٥ - ص ٤٦٤).

(٢) السبئية هي فرقة أسست على يد اليهودي عبد الله بن سبأ، وتقول الروايات أن السبئية يعتقدون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وذكروا عن عبد الله بن سبأ أنه قال لعلي: أنت أنت، والسبئية يقولون بالرجعة وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا.

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

لم يزل الخلاف يتشعب، والآراء تتفرق، حتى تفرّق أهل الإسلام وأرباب المقالات، إلى ثلاث وسبعين فرقة كما قال صاحب المواقف، وكما عدّهم وبينهم الإمام الكبير، أبو المظفر الإسفراييني، في كتابه "التبصير في الدين"، وليس هذا موضع ذكرها واستقصائها.

والذي اشتهر من هذه الفِرَق خمس: أهل السُنَّة، والمعتزلة^(١)، والمرجئة^(٢)، والشيعية^(٣)، والخوارج^(٤)، وما وراء ذلك من الفرق كالجبرية^(٥).

(١) الباطنية هو وصف يطلق للفئة التي تقول: «إن النصوص الدينية لها معنيان: أحدهما ظاهر يفهمه الناس بواسطة اللغة، ومعرفة أساليب الكلام، والثاني باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وهم يصلّون إلى إدراك هذه المعاني المحجوبة عن عامة الناس بتعليم الله لهم مباشرة.

(٢) الْمُعْتَزِلَةُ : هي فرقة كلامية ظهرت في أواخر العصر الأموي بداية القرن الثاني الهجري في البصرة وازدهرت في العصر العباسي لعبت المعتزلة دوراً رئيسياً على المستوى الديني والسياسي. غلبت على المعتزلة النزعة العقلية فاعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث، وقالوا بوجود معرفة الله بالعقل ولو لم يرد شرع بذلك.

(٣) المرجئة هي فرقة تخالف رأي الخوارج وكذلك أهل السنة في مرتكب الكبيرة وغيرها من الأمور العقديّة، وقالوا بأن كل من آمن بوحداية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب التي اقترفها، والعقيدة الأساسية عندهم عدم تكفير أي إنسان، أي كان، ما دام قد اعتنق الإسلام ونطق بالشهادتين، مهما ارتكب من المعاصي، تاركين الفصل في أمره إلى الله تعالى وحده، لذلك كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(٤) الشيعيّة عرّفوا تاريخياً بـ«شيعيّة عليّغالباً ما يشير مصطلح الشيعيّة إلى الشيعيّة الاثنا عشرية لأنها الفرقة الأكثر عدداً ولكنها تُطلق كذلك على فرق شيعيّة أخرى كالإسماعيلية والزيدية. يرى الشيعيّة الاثنا عشرية أن عليّاً بن أبي طالب هو واحد عشر إماماً.

والباطنية^(٣)، والمشبهة^(٤)، وغيرها، فمعظمها مشتق من هذه الفرق الخمس الرئيسية.

نحن نعلم هذا التفرق الذي أصاب المسلمين في وحدتهم الدينية والسياسية، ونعلم أيضاً، أن الناس كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وبعده يقرأون القرآن أو يسمعون فيغنون بتفهم روحه، فإن عنى علماؤهم بشئ وراء ذلك، فما يوضح الآية من سبب للنزول، واستشهاد بأبيات من أشعار العرب تُفسّر لفظاً عربياً، أو أسلوباً غامضاً. ولكننا لا نعلم في هذا العصر الأول، انحياز الصحابة إلى مذاهب دينية وآراء في الملل والنحل، فلما وقع هذا التفرق الذي أشرنا إليه وأجملنا مبدأه وتطوره، رأينا كل فرقة من هذه الفرق تنظر إلى القرآن من خلال عقيدتها، وتفسّره بما يتلاءم مع مذهبها، فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه في الاختيار، والصفات، والتحسين والتقبيح العقلين.. ويؤوّل ما لا يتفق ومذهبه، وكذلك يفعل الشيعي، وكذلك يفعل كل صاحب مذهب حتى يسلم له مذهبه^(٥).

(١) الخوارج، يُطلق عليهم أيضاً الشراة أو المكفرة أو المارقة، هي أقدم فرقة حيث ظهرت خلال عهد النبي محمد صلى الله عليه و سلم على يد ذو الخويصرة التميمي الذي أتهم النبي محمد صلى الله عليه و سلم بالظلم في توزيع الغنائم بعد إحدى الغزوات. وأهم عقائدهم التكفير بالذنوب والمعاصي، وإستحلال السيف على المسلمين.

(٢) الجبرية أو المجبرة هي فرقة كلامية تنتسب إلى الإسلام، وجوهر عقيدتها هو أنها تؤمن بأن الإنسان مسير وليس مخير لأنه لا قدرة له على اختيار أعماله، ولذلك فقد اعتبرها علماء أهل السنة والجماعة^[١] من الفرق الضالة المخالفة لمنهج وعقيدة الإسلام الحق.

(٣) الباطنية: فرقة غير إسلامية تهدف لهدم الإسلام. ظهرت في القرن الثاني الهجري، وتعرف بعدة أسماء منها القرامطة والإسماعيلية.

(٤) المشبهة أو المجسمة هي مصطلح إسلامي يُطلق على من يقول بأن الله جسم، أو من يشبه الله بالمخلوقات، ويُطلق عليهم أيضاً الحشوية^[١] ومن أشهر الفرق التي تُوصف بالتجسيم والتشبيه فرق الكرامية نسبة إلى ابن كرام.

(٥) «التفسير والمفسرون» (١ / ٢٦١).

المبحث الأول: تعريف البدعة

المطلب الأول: تعريف البدع لغة

البدعة في اللغة:

من بدع: الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ومنه قيل: ركية بديع: أي جديدة الحفر^(١)، وقال في الصحاح^(٢) أبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والله تعالى بديع السماوات والأرض، والبدعة: الحدث في الدين بعد الإكمال.

وقال في المصباح المنير^(٣): أبدع الله تعالى الخلق إبداعاً: خلقهم لا على مثال وأبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثته. ومنه قيل للحالة المخالفة (بدعة) وهي اسم من الابتداء كالرفعة من الارتفاع، ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة. وفلان بدع في هذا الأمر: أي هو أول من فعله فيكون اسم فاعل بمعنى مبتدع. والبديع فعيل من هذا فكأن معناه هو منفرد بذلك من بين نظائره. وفيه معنى التعجب ومن قوله تعالى: {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنِّي أَنبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ} [سورة الأحقاف: ٩]. أي ما أنا أول من جاء بالوحي من عند الله تعالى وتشريع الشرائع بل أرسل الله تعالى الرسل قبلي مبشرين ومنذرين فأنا على هداهم^(٤) من هذا يظهر أن البدعة في اللغة: هي الأمر المحدث على غير مثال: محمودا كان الأمر أم مذموماً.

(١) مسند الامام احمد بن حنبل (ج ٤ - ص ١٢٦).

(٢) باب العين ج ٣.

(٣) المصباح المنير في عريب الشرح الكبير (١: ٣٨).

(٤) المصباح المنير ٤٣ / ١.

المطلب الثاني: البدعة في لسان الشارع

البدعة: تطلق ويراد بها في الشرع: ما أحدث وليس له أصل في الشرع. أما ما كان له أصل يدل عليه في الشرع فليس ببدعه. قال الراغب^(١) رحمه الله: البدعة في المذهب: إيراد قول لم يستن قائلها فيه بصاحب الشريعة وأماثلها المتقدمة وأصولها المتقنة وروي: كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار^(٢). اهـ. وقال في فتح الباري^(٣): المحدثات جمع محدثة والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع بدعة. فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما. اهـ.

(١) الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِي (ولد بأصفهان في رجب ٣٤٣ هـ / نوفمبر ٩٥٤م - توفي ٥٠٢ هـ / ١١٠٨م) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب وعالم، وأحد علماء مسلمين في القرن الحادي عشر في التفسير السائد للقرآن باللغة العربية. أصله من أصفهان، وعاش ببغداد ولا يُعرف الكثير عن حياته. ألّف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة. (معجم المفسرين ج ١ - ص ١٧٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن ٣٨.

(٣) فتح الباري (٢٥٣ / ١٣).

المطلب الثالث: أنواع البدع

البدعة في الدين نوعان^(١):

النوع الأول: بدعة قولية اعتقادية؛ كمقالات الجهمية، والمعتزلة، والرافضة، وسائر الفرق الضالة واعتقاداتهم، وهذا موضوع بحثي إن شاء الله.

النوع الثاني: بدعة في العبادات؛ كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وهي أنواع:

النوع الأول: ما يكون في أصل العبادة؛ بأن يحدث عبادة ليس لها أصل في الشرع؛ كأن صلاة غير مشروعة، أو صياما غير مشروع، أو أعياداً غير مشروعة؛ كأعياد الموالد وغيرها.

النوع الثاني: ما يكون في الزيادة على العبادة المشروعة؛ كما لو زاد ركعة خامسة في صلاة الظهر أو العصر مثلاً.

النوع الثالث: ما يكون في صفة أداء العبادة؛ بأن يؤديها على صفة غير مشروعة، وذلك كأداء الأذكار المشروعة بأصوات جماعية مطربة، وكالتشديد على النفس في العبادات إلى حد يخرج عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

النوع الرابع: ما يكون بتخصيص وقت للعبادة المشروعة لم يخصصه الشرع؛ كتخصيص يوم النصف من شعبان وليلته بصيام وقيام؛ فإن أصل الصيام والقيام مشروع، ولكن تخصيصه بوقت من الأوقات يحتاج إلى دليل.

(١) الكتاب: عقيدة التوحيد وبيان ما يصادها من الشرك الأكبر والأصغر المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (ج ١ - ص ١٧٧).

المطلب الرابع: حكم البدعة في الدين

كل بدعة في الدين - من أي نوع كانت - فهي محرمة وضلالة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة))^(١)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد))^(٢).

وفي رواية: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد"؛ فدل الحديث على أن كل محدث في الدين؛ فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة^(٣).

ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة.

ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة؛ فمنها ما هو كفر صراح؛ كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور لها، ودعاء أصحابها، والاستغاثة بهم، ومقالات غلاة الجهمية والمعتزلة. ومنها ما هو فسق اعتقادي؛ كبدعة الخوارج والقدرية والمرجئة في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية. ومنها ما هو معصية كبدعة التبتل، والصيام قائماً في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع^(٤).

(١) رواه أبو داود والترمذي (ج ٤ - ص ٢٠٠) كتاب السنن قال الشيخ الالباني صحيح.

(٢) رواه مسلم (٣/١٣٤٣) كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، ح(١٧١٨).

(٣) (جامع العلوم والحكم) (ص ٢٣٣).

(٤) انظر: (الأعتصام) للشاطبي (٢/٣٧).

المطلب الخامس

ظهور البدع في حياة المسلمين والأسباب التي أدت إليها

١ - ظهور البدع في حياة المسلمين، وتحتة مسألتان:

المسألة الأولى: وقت ظهور البدع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١) (٧٢٨ هـ) رحمه الله واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر عهد الخلفاء الراشدين، كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: عن العرياض بن سارية السلمي ((أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور كل محدثة بدعة كل بدعة ضلالة))^(٢).

وأول بدعة ظهرت: بدعة القدر، وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج، ولما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصر ابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة رضي الله عنهم وحدثت المرجئة قريباً من ذلك، وأما الجهمية فإنما حدثوا في أواخر عصر التابعين بعد

(١) تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ النُّمَيْرِيُّ الحَرَّانِيُّ (هـ - هـ / ١٢٦٣م - ١٣٢٨م) المشهور باسم إِبْنِ تَيْمِيَّةَ. هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد من علماء أهل السنة والجماعة. وهو أحد أبرز العلماء المسلمين خلال النصف الثاني من القرن السابع والثالث الأول من القرن الثامن الهجري. (كتاب الإعلام ج ١ - ص ١٤٤).

(٢) مسند أحمد بن حنبل (أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)) حديث رقم (١٦٨١٤).

موت عمر بن عبد العزيز، وقد روي أنه أنذر بهم، وكان ظهور جهم بخراسان في خلافة هشام بن عبد الملك^(١).

هذه البدع ظهرت في القرن الثاني، والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت.

المسألة الثانية: مكان ظهور البدع:

تختلف البلدان الإسلامية في ظهور البدع فيها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨ هـ):^(٢) "فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان، والعراقان، والشام، منها خرج القرآن والحديث، والفقه والعبادة، وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية، غير المدينة النبوية، فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد، وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، وأما التجهم فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع، وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية فكانت سليمة من ظهور هذه

(١) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل (للشيخ : صالح

الفوزان ص ٣٢٥)

(٢) كتاب التوحيد (ج ١ - ص ١٤٧).

البدع، وإن كان بها من هو مضمّر لذلك، فكان عندهم مهاناً مذمومًا، إذ كان بها قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين، بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام، فإنه كان ظاهرًا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدَجَالَ لا يدخلها، ولم يزل العلم والإيمان ظاهرًا إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع".

فأما العصور الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة البتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين البتة، كما خرج من سائر الأمصار.

٢- الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة فيه منجاة من الوقوع في البدع والضلال، قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [سورة الأنعام: ١٥٣].

وقد وضح ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ((قال: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا فَقَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ، ثُمَّ خَطَّ خَطْوَةً عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ))، ثم تلا: قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣]. فمن أعرَضَ عن الكتاب والسنة؛ تنازعتَه الطرق المضللة، والبدع المحدثَّة^(١).

فالأَسباب التي أدَّت إلى ظهور البدع تتلخَّص في الأمور التالية: الجهلُ بأحكام الدين، اتباع الهوى، التعصب لآراء والأشخاص، التشبه بالكفار وتقليدهم، ونبتال هذه الأسباب بشيء من التفصيل:

أ - الجهل بأحكام الدين:

كلما امتد الزمن، وبَعَدَ الناس عن آثار الرسالة؛ قَلَّ العلمُ وفشا الجهل، كما أخبرَ بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: ((من يَعِش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا))^(٢) وقوله: عن عبد الله بن عمرو السهمي ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا مِنْ أَهْلِهِ، وَلَكِنْ يَذْهَبُ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَالًا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا))^(٣) فلا يُقاومُ البدعَ إلا العلم والعلماء، فإذا قُفِدَ العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر، ولأهلها أن ينشطوا.

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١١١٧٤)، والدارمي (202).
(٢) رواه ابن ماجه (١٦/١) كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ح (٤٣)، قال الشيخ الألباني: صحيح. ورواه الإمام أحمد بن حنبل (١٢٦/٤) حديث العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ح (١٧١٨٢)، تعليق شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهدة وهذا إسناد حسن.
(٣) الراوي: عبدالله بن عمرو المحدث: الألباني المصدر: صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم 2652: خلاصة حكم المحدث: صحيح التخريج: أخرجه الترمذي (٢٦٥٢) واللفظ له، وأخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (2673).

ب - اتباع الهوى:

من أعرض عن الكتاب والسنة اتبع هواه، كما في قوله تعالى: {فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾} [سورة القصص: ٥٠] وقوله تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة الجاثية: ٢٣]. والبدع إنما هي نسيج الهوى المتبع.

ج - التعصب للآراء والرجال:

التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل، ومعرفة الحق، قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾} [سورة البقرة: ١٧٠].

وهذا هو الشأن في المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب الصوفية والقبوريين، إذا دُعوا إلى اتباع الكتاب والسنة، ونبذ ما هم عليه مما يُخالفهما؛ احتجوا بمذاهبهم، ومشائخهم وآبائهم وأجدادهم.

د - التشبه بالكفار:

وهو من أشد ما يوقع في البدع، كما في حديث أبي واقد الليثي قال: ((خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، إنها السنن))!! قلت - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى في قوله تعالى: {قَالُوا يَمُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾} [سورة الأعراف: ١٣٨] (١)

((التركيبن سنن من قبلكم)) (٢) ففي هذا الحديث: أن التشبه بالكفار هو الذي حمل بني إسرائيل أن يطلبوا هذا الطلب القبيح، وهو أن يجعل لهم آلهة يعبدونها، وهو الذي حمل بعض أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يسألوه أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها من دون الله، وهذا نفس الواقع اليوم، فإن غالب الناس من المسلمين قلدوا الكفار في عمل البدع والشركيات، كأعياد الموالد، وإقامة الأيام والأسابيع لأعمال مخصصة، والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات، وإقامة التماثيل، والنصب التذكارية، وإقامة المآتم، وبدع الجنائز، والبناء على القبور، وغير ذلك.

(١) الراوي : أبو واقد الليثي | المحدث : ابن باز | المصدر : مجموع فتاوى ابن باز الصفحة أو الرقم 3/337 : خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح، أورده الواحدي عن حارث بن عوف الليثي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد، حديث رقم (٣٦٢).

(٢) أورده محمد بن إسماعيل البخاري عن حارث بن عوف الليثي في التاريخ الكبير للبخاري، حديث رقم (٧٤٦)، وأورده هشام بن عمار (٢٤٥ هـ) عن أبي هريرة الدوسي في حديث هشام بن عمار (٢٤٥ هـ)، حديث رقم (٨٧)، وأورده أبو حاتم بن حبان عن حارث بن عوف الليثي في صحيح ابن حبان (٣٥٤ هـ)، حديث رقم (٦٨٥٧)، وأورده ابن قانع (٣٥١ هـ) البغدادي عن حارث بن عوف الليثي في معجم الصحابة لابن قانع (٣٥١ هـ)، حديث رقم (٢٨٦).

المبحث الثاني المعتزلة.. وموقفهم من تفسير القرآن الكريم

المطلب الأول

كلمة إجمالية عن المعتزلة وأصولهم المذهبية - نشأة المعتزلة:

نشأت هذه الفرقة في العصر الأموي، ولكنها شغلت الفكر الإسلامي في العصر العباسي ربحاً طويلاً من الزمان. وأصل هذه الفرقة هو واصل بن عطاء الملقب بالغزال المولود سنة ٨٠ هـ (ثمانين)، والمتوفى سنة ١٣١ هـ (إحدى وثلاثين ومائة)، في خلافة هشام بن عبد الملك^(١)، وذلك أنه دخل على الحسن البصري رجل فقال: يا إمام الدين؛ ظهر في زماننا جماعة يُكفِّرون صاحب الكبيرة - يريد وعيدية الخوارج - وجماعة أخرى يُرجئون الكبائر، ويقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فكيف لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكر الحسن، وقبل أن يجيب قال واصل: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ثم قام إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وأخذ يقرر على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين، قائلاً: إن المؤمن اسم مدح، والفاسق لا يستحق المدح فلا يكون مؤمناً، وليس بكافر أيضاً، لإقراره بالشهادتين، ولوجود سائر أعمال الخير فيه، فإذا مات بلا

(١) هشام بن عبد الملك ابن مروان الخليفة أبو الوليد القرشي الأموي الدمشقي . ولد بعد السبعين . واستخلف بعهد معقود له من أخيه يزيد ، ثم من بعده لولد يزيد ، وهو الوليد . وكانت داره عند باب الخواصين ، واليوم بعضها هي المدرسة والترية النورية. استخلف في شعبان سنة خمس ومائة إلى أن مات في ربيع الآخر وله أربع وخمسون سنة . (ج ٥ - ص ٣٥٢) .

توبة خُلِدَ في النار، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان، فريق من الجنة، وفريق في السعير، لكن يُخَفَّفُ عنه، وتكون دركته فوق دركات الكفار، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فذلك سُمي هو وأصحابه معتزلة. ويُلقَّب المعتزلة بالقدرية تارة، وبالمُعْطَلَّة تارة أخرى، أما تلقيبهم بالقدرية، فلأنهم يسندون أفعال العباد إلى قدرتهم، وينكرون القَدْر فيها. وأما تلقيبهم بالمُعْطَلَّة فلأنهم يقولون بنفى صفات المعاني فيقولون: الله عالم بذاته، قادر بذاته.. وهكذا.

فأنت ترى مما تقدم، أن الاعتزال نشأ في البصرة، ولكن سرعان ما انتشر في العراق، واعتنقه من خلفاء بني أمية يزيد بن الوليد، ومروان بن محمد، وفي العصر العباسي، استفحل أمر المعتزلة، واحتلت أفكارهم وعقائدهم من عقول الناس وجدل العلماء مكاناً عظيماً، وما لبث أن تكوّنت للاعتزال مدرستان كبيرتان: مدرسة البصرة وعلى رأسها واصل بن عطاء.

ومدرسة بغداد، وعلى رأسها بشر بن المعتمر، وكان بين معتزلي البصرة ومعتزلي بغداد جدال وخلاف في كثير من المسائل.

المطلب الثاني: أصول المعتزلة:

أما أصول المعتزلة فهي خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأصول الخمسة يجمع الكل عليها، ومن لم يقل بها جميعاً فليس معتزلياً بالمعنى الصحيح.

أما التوحيد: فهو لبّ مذهبهم، ورأس نحلّتهم، وقد بنوا على هذا الأصل: استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأن الصفات ليست شيئاً غير الذات، وأن القرآن مخلوق لله تعالى.

وأما العدل: فقد بنوا عليه: أن الله تعالى لم يشأ جميع الكائنات، ولا خلقها ولا هو قادر عليها، بل عندهم أن أفعال العباد لم يخلقها الله تعالى، لا خيرها ولا شرها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعاً، وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته.

وأما الوعد والوعيد: فمضمونه، أن الله يجازي مَنْ أحسن بالإحسان، ومَنْ أساء بالسوء، لا يغفر لمرتكب الكبيرة ما لم يتب، ولا يقبل في أهل الكبائر شفاعاة، ولا يُخرج أحداً منهم من النار. وأوضح من هذا أنهم يقولون: إنه يجب على الله أن يُثيب المطيع ويُعاقب مرتكب الكبيرة، فصاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب لا يجوز أن يعفو الله عنه، لأنه أُوعد بالعقاب على الكبائر وأُخبر به، فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده. وهم يعنون بذلك أن الثواب على الطاعات، والعقاب على المعاصي قانون حتمى التزم الله به، كما قالوا: إن مرتكب الكبيرة مُخَلَّدٌ في النار ولو صدَّق بوحداية الله وآمن برسله، قوله تعالى: {بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ حَاطَّتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (سورة البقرة: ٨١).

وأما المنزلة بين المنزلتين: فقد سبق أن بيّناها في مناظرة واصل بن عطاء^(١) للحسن البصرى^(٢).

(١) واصل بن عطاء: سبق تعريفه سير اعلام النبلاء (ج ٥ - ص ٤٦٤).

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو مبدأ مقرر عندهم، وواجب على المسلمين لنشر الدعوة الإسلامية، وهداية الضالين وإرشاد الغاوين، ولكنهم بالغوا في هذا الأصل، وخالفوا ما عليه الجمهور، فقالوا: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يغنيا، وبالسيف إن لم تكف اليد، لقوله تعالى: {وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (سورة الحجرات: ٩) ... وهم في ذلك لا يفرقون بين صاحب السلطان وغيره، كما أنهم لم يفرقوا بين الأصول الدينية المجمع عليها وعقائدهم الاعتزالية.

وهناك مبادئ أخرى للمعتزلة، لا يشتركون فيها، بل هي مبادئ خاصة لكل فرقة من فرقهم المتعددة، التي بلغت العشرين أو تزيد، ولا أطيل بذكر هذه الفرق وبيان خصائص كل فرقة، إذ ليس هذا موضع التفصيل.

وبعد.. فقد عرفنا نشأة المعتزلة، وعرفنا أصولهم التي أجمعوا عليها، وما علينا بعد ذلك إلا أن نتكلم عن موقفهم الذي وقفوه من تفسير القرآن، ثم بعد ذلك نتكلم عن أهم من عرفناه من مفسري المعتزلة. وعن كتبهم التي ألفوها في التفسير، ونسأل الله التوفيق والسداد.

(١) الحسن بن يسار البصري (٢١ - ١١٠) إمام وقاضٍ ومحدث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم (سير اعلام النبلاء (ج ٩ - ص ١٠).

المطلب الثالث: موقف المعتزلة من تفسير القرآن الكريم

أولاً: إقامة تفسيرهم على أصولهم الخمسة:

أقام المعتزلة مذهبهم على الأصول الخمسة التي ذكرناها آنفاً، ومن المعلوم أن هذه الأصول لا تتفق ومذهب أهل السنة والجماعة، الذين يعتبرون أهم خصومهم، لهذا كان من الضروري لهذه الفرقة - فرقة المعتزلة - في سبيل مكافحة خصومها، أن تُقيم مذهبها وتُدعم تعاليمها على أسس دينية من القرآن، وكان لا بد لها أيضاً أن ترد الحجج القرآنية لهؤلاء الخصوم، وتضعف من قوتها، وسبيل ذلك كله هو النظر إلى القرآن أولاً من خلال عقيدتهم، ثم إخضاعهم عبارات القرآن لأرائهم التي يقولون بها، وتفسيرهم لها تفسيراً يتفق مع نحلّتهم وعقيدتهم.

ولا شك أن مثل هذا التفسير الذي يخضع للعقيدة، يحتاج إلى مهارة كبيرة، واعتماد على العقل أكثر من الاعتماد على النقل، حتى يستطيع المفسر الذي هذا حاله، أن يلوى العبارة إلى جانبه، ويصرف ما يعارضه عن معارضته له وتصادمه معه.

والذي يقرأ تفسير المعتزلة، يجد أنهم بنوا تفسيرهم على أسسهم من التنزيه المطلق، والعدل وحرية الإرادة، وفعل الأصلاح.. ونحو ذلك، ووضعوا أسساً للآيات التي ظاهرها التعارض فَحَكَّمُوا العقل، ليكون الفيصل بين المتشابهات وقد كان من قبلهم يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة أو التابعين، فإذا جاءوا المتشابهات سكتوا وفوّضوا العلم لله.

ثانياً: إنكار المعتزلة لما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة:

ثم إن هذا السلطان العقلي المطلق، قد جرَّ المعتزلة إلى إنكار ما صح من الأحاديث التي تناقض أسسهم وقواعدهم المذهبية، كما أنه نقل التفسير الذي كان يعتمد أولاً وقبل كل شيء على الشعور الحي، والإحساس الدقيق، والبساطة في الفهم وعدم التكلف والتعمق، إلى مجموعة من القضايا العقلية، والبراهين المنطقية، مما يشهد للمعتزلة - رغم اعتزالهم - بقوة العقل وجودة التفكير.

ومع أن هذا السلطان العقلي المطلق، كان له الأثر الأكبر في تفسير المعتزلة للقرآن، حتى اضطروهم في بعض الأحيان إلى رد ما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة، فإنَّنا لا نستطيع أن نقول أن نقول إن المعتزلة كانوا يقصدون الخروج على الحديث أو عدم الاعتراف بالتفسير المأثور، وذلك لأنَّ حالهم بإزاء التفسير المأثور وتصديقهم له، يظهر بأجلى وضوح من حكم النظام على استرسال المفسرين من معاصريه.

وكان "النظام"^(١) معتبراً في مدرسة المعتزلة من الرؤوس الحرة الواسعة الحرية وقد ذكر لنا تلميذه الجاحظ^(٢) قوله الذي قاله في شأن

(١) النظام أبو إسحاق إبراهيم بن سيار شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد، الضبيعي، البصري، المتكلم. تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادراً، لكننا لا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم. «سير أعلام النبلاء» (١٠ / ٥٤١ ط الرسالة).

(٢) «الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر العلامة، المتبحر، ذو الفنون، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، صاحب التصانيف. أخذ عن: النظام. وروى عن: أبي يوسف القاضي، وثمامة بن أشريس. وكان أحد الأذكياء» (١٥٩ أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٥٢٦ ط الرسالة).

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

هؤلاء المفسرين، وهذا نصه: قال الجاحظ: "كان أبو إسحاق^(١) يقول: لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين وإن نصبوا أنفسهم للعامّة وأجابوا في كل مسألة، فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحب إليهم، وليكن عندكم عكرمة، والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر الأصبم في سبيل واحدة، وكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم وقد قالوا في قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (سورة الجن: ١٨). إن الله عزّ وجلّ، لم يعن بهذا الكلام مساجدنا التي نصلى فيها، بل إنما عنى الجباه، وكل ما سجد الناس عليه من يد وجبهة وأنف ودقنة.

وقالوا في قوله تعالى: {أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} (سورة الغاشية: ١٧). إنه ليس يعنى الجمال والنوق، وإنما يعنى السحاب.

وإذا سئلوا عن قوله تعالى: {وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ} (سورة الواقعة: ٢٩). قالوا: الطلح هو الموز.

وجعلوا الدليل على أن شهر رمضان قد كان فرضاً على جميع الأمم وأن الناس غيروه وذلك في قوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) «إبراهيم بن أبي طالب أبو إسحاق النيسابوري الإمام، الحافظ، المجود، الزاهد، شيخ نيسابور، وإمام المحدثين في زمانه، أبو إسحاق بن أبي طالب محمد بن نوح بن عبد الله بن خالد النيسابوري المزكي» «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٥٤٧ ط الرسالة).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {١٨٣} (سورة البقرة: ١٨٣).

وقالوا فى قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} (سورة طه: ١٢٥).. قالوا: إنه حشره بلا حجة.

قوله تعالى: { } {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} [سورة المطففين: ١]. الويل واد فى جهنم، ثم قعدوا يصفون ذلك الوادى. ومعنى الويل فى كلام العرب معروف، وكيف كان فى الجاهلية قبل الإسلام، وهو من أشهر كلامهم.

وسئلوا عن قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [سورة الفلق: ١]. قالوا: الفلق واد فى جهنم. ثم قعدوا يصفونه، وقال آخرون: الفلق: المقطرة بلغة اليمن.. إلى آخر ما ذكره من تفسيراتهم الغريبة.

هذا.. وإن الزمخشري^(١) - وهو أهم من عرفنا من مفسرى المعتزلة - نجده كثيراً ما يذكر ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن السلف من التفسير ويعتمد على ما يذكر من ذلك فى تفسيره، فمثلاً عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين [٤١-٤٢]

(١) أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري. من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد فى رَمَخْشَر يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة هـ / ١٠٧٤ م فى تركمانستان، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً فللقب بجار الله، وتوفى ليلة عرفة سنة هـ / ١١٤٣ م فى جرجانية خوارزم، بعد رجوعه من مكة كان الزمخشري معتزلياً فى الأصول (العقيدة)، حنفياً فى الفروع (الفقه)، وكان يجاهر بمذهبه (الاعتزال)، ويدونه فى كتبه، ويصرح به فى مجالسه. «سير أعلام النبلاء» (٢٠ / ١٥١ ط الرسالة).

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾} [سورة الأحزاب: ٤١]. وقوله تعالى: {وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [سورة الأحزاب: ٤٢]. يقول ما نصه: {اذكروا الله} اثنوا عليه بضروب الثناء، من التقديس، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وما هو أهله، وأكثروا ذلك {بُكْرَةً وَأَصِيلًا} أى كافة الأوقات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ذكر الله على فم كل مسلم)) - ورؤى: ((فى قلب كل مسلم)) وعن قتادة: ((قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم)) وعن مجاهد: "هذه كلمات يقولها الظاهر والجُنب والغفلان" أعنى: اذكروا وسبِّحوا موجهاً إلى البكرة والأصيل، كقولك: صُمْ وصلِّ يوم الجمعة^(١).

ثالثاً: ادعائهم أن كل محاولاتهم فى التفسير مرادة لله:

ثم إن المعتزلة - بناء على رأيهم فى الاجتهاد، من أن الحكم ما أدى إليه اجتهاد كل مجتهد، فإذا اجتهدوا فى حادثة فالحكم عند الله تعالى فى حق كل واحد مجتهد - رفضوا أن يكون للآية التى تحتل أوجهها تفسيراً واحداً لا خطأ فيه، وحكموا على جميع محاولاتهم التى حاولوها فى حل المسائل الموجودة فى القرآن، بأنها مرادة لله تعالى، وغاية ما قطعوا به هو عدم إمكان التفسير المخالف لمبادئهم وآرائهم.

ويدهى أن هذا الذى ذهب إليه المعتزلة، يخالف مذهب أهل السنة من أن لكل آية من القرآن معنى واحداً مراداً لله تعالى، وما عداه من المعانى المحتملة، فهى محاولات واجتهادات، يُراد منها الوصول إلى مُراد الله بدون قطع، غاية الأمر أن المفسر يقول باجتهاده، والمجتهد قد يُخطئ وقد يُصيب، وهو مأجور فى الحالتين وإن كان الأجر على تفاوت.

(١) تفسير الزمخشري (٣ / ٥٤٥).

رابعاً: المبدأ اللغوي في التفسير وأهميته لدى المعتزلة:

كذلك نجد المعتزلة قد حرصوا كل الحرص على الطريقة اللغوية التي تعتبر عندهم المبدأ الأعلى لتفسير القرآن، وهذا المبدأ اللغوي، يظهر أثره واضحاً في تفسيرهم للعبارات القرآنية التي لا يليق ظاهرها عندهم بمقام الألوهية، أو العبارات التي تحتوى على التشبيه، أو العبارات التي تصادم بعض أصولهم، فتراهم يحاولون أولاً إبطال المعنى الذي يرونه مشتبهاً في اللفظ القرآني، ثم يثبتون لهذا اللفظ معنى موجوداً في اللغة يُزيل هذا الاشتباه ويتفق مع مذهبهم، ويستشهدون على ما يذهبون إليه من المعاني التي يحملون ألفاظ القرآن عليهم بأدلة من اللغة والشعر العربي القديم.

١- فمثلاً الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى كقوله سبحانه في الآيتين [٢٢]، [٢٣] من سورة القيامة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [سورة القيامة: ٢٣].

١- وقوله تعالى في الآية [٢٣] من سورة المطففين: {عَلَىٰ الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾} [سورة المطففين: ٢٣]. نجد المعتزلة ينظرون إليها بعين غير العين التي ينظر بها أهل السنة، ويحاولون بكل ما يستطيعون أن يطبقوا مبادئهم اللغوي، حتى يتخلصوا من الورطة التي أوقعهم فيها ظاهر اللفظ الكريم، فإذا بهم يقولون: إن النظر إلى الله معناه الرجاء والتوقع للنعمة والكرامة^(١)، واستدلوا على ذلك بأن النظر إلى الشيء في العربية ليس مختصاً بالرؤية المادية، واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر:

(١) الكشاف (٤/٦٦٢).

وإذ نظرتُ إليك من ملك... والبحر دونك زدتنى نعماً
ومثلاً عندما يقرأ المعتزلي قوله تعالى فى الآية [٣١] من سورة
الفرقان: قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ^{٣١}
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا^{٣١}} [سورة الفرقان: ٣١]. تجد أن
مذهبه الذى يقول بوجوب الصلاح والأصلح على الله لا يتفق وهذا
الظاهر من معنى الجعل، ولكن سرعان ما يتخلص من هذه الضائقة
العالم المعتزلي الكبير أبو عليّ الجبائي فيفسّر: "جعل" بمعنى "بَيَّن" لا
بمعنى خلق، ويستدل على ذلك بقول الشاعر:

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا ... على ثبت من أمرهم حين يمموا
فيكون المعنى على هذا: أن الله سبحانه بيَّن لكل نبيّ عدوه حتى يأخذ
حذره منه^(١).

خامساً: تصرف المعتزلة فى القراءات المتواترة المنافية لمذهبهم:

وأحياناً يحاول المعتزلة تحويل النص القرآنى من أجل عقيدتهم إلى
ما لا يتفق وما تواتر من القراءات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
فمثلاً ينظر بعض المعتزلة إلى قوله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا^{١٦٤}} [سورة النساء: ١٦٤]... فيرى أن مذهبه لا يتفق وهذا اللفظ
القرآنى حيث جاء المصدر مؤكداً للفعل، رافعاً لاحتمال المجاز، فيبادر إلى تحويل
هذا النص إلى ما يتفق مع مذهبه فيقرؤه هكذا: "وكلم الله موسى تكليماً" بنصب
لفظ الجلالة على أنه مفعول، ورفع موسى على أنه فاعل. وبعض المعتزلة يُبقى

(١) التفسير والمفسرون (١/٢٦٧).

اللفظ القرآني على وضعه المتواتر، ولكنه يحمله على معنى بعيد حتى لا يبقى مصادماً لمذهبه فيقول: إن "كلم" من الكلم بمعنى الجرح، فالمعنى: وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن، وهذا ليفر من ظاهر النظم الذي يصادم عقيدته ويخالف هواه.

هذا الذي ذكرناه، تعرّض له الزمخشري في كشافه، فرواه عن قال به عندما تكلم عن هذه الآية فقال: وعن إبراهيم ويحيى بن وثاب أنهما قرءا "وكلم الله" بالنصب، ثم قال مندداً بالرأى الثاني: "ومن بدع التفاسير أنه من الكلم، وأن معناه: جرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن"^(١).

ومن الأمثلة التي يظهر فيها هذا التصرف من أجل أغراضهم المذهبية، قوله تعالى في الآية [٨٨] من سورة البقرة: قوله تعالى: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ [سورة البقرة: ٨٨].

.. فبعض المعتزلة أحس من هذه الآية أنها لا تتفق ومذهبه، لأنها تُشعر بأن الله خلق قلوبهم على طبيعة وحالة لا تقبل معها الإسلام، فيكون هو الذي منعهم عن الهدى وأجأهم إلى الضلال فقرأها هذا المعتزلي: "غُفٌ" .. جمع غلاف بمعنى الوعاء، أي قلوبنا أوعية حاوية للعلم، فهم مستغنون بما عندهم عما جاءهم به محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا الوجه يتمشى مع القراءة المعروفة: {غُفٌ} على أنه مخفف "غلف"، وبطبيعة الحال يكون هذا القول من اليهود افتخاراً منهم بأن قلوبهم أوعية للعلم، فلا حاجة لهم بما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام، وليس اعتذاراً منهم وتبريراً لكفرهم بأن الله خلق قلوبهم

(١) الكشاف (١/٥٩١).

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

فى أكنة مما يدعوهم إليه، ومغشاة بأغطية تمنع وصول دعوة الرسول إليها^(١).

وهذا الذى ذكرنا من قراءة "غُلف" بدون تخفيف تعرض لذكره الزمخشري فقال: "وقيل غُلف: تخفيف غُلف، جمع غلاف أى قلوبنا أوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره، ورؤى عن أبى عمرو: 'قلوبنا غُلف'.. بضمّتين".

كما ذكره أيضاً الإمام فخر الدين الرازى^(٢) فى تفسيره لهذه الآية فقال: "... وثانيها - أى ثانى الأوجه - روى الأصم عن بعضهم أن قلوبهم غُلف بالعلم، ومملوؤة بالحكمة، فلا حاجة معها بهم إلى شرع محمد عليه السلام"^(٣).

وهكذا نجد شيوخ المعتزلة، يحاولون التوفيق بين مذهبهم والقرآن، بكل ما يستطيعون من وسائل التوفيق، تارة بتطبيق مبدئهم اللغوى على كثير من آيات القرآن الكريم، حتى يتمشى النص القرآنى مع قواعد

(١) لكشاف (١/١٦٤).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي، الطبرستاني المولد، القرشي، التيمي البكري النسب، الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي وابن خطيب الري وسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. هو إمام مفسر فقيه أصولي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية إلى العلوم البحتة في: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك. ولد في الريّ. قرشي النسب، أصله من طبرستان. رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. وأقبل الناس على كتبه يدرسونها، وكان يحسن اللغة الفارسية. «سير أعلام النبلاء» (٧/٣٤٦ ط الرسالة).

(٣) تفسير الرازي (٣: ٥٩٧)

مذهبهم أو يتلخصوا من معارضته ومصادمته لهم على الأقل، وتارة بتحويل النص القرآني والتصرف فيه، بما يجعله في جانبهم لا في جانب خصومهم.

* نقد ابن قتيبة^(١) لهذا المسلك الاعتزالي في التفسير:

غير أن هذا المسلك قد أغضب العلامة ابن قتيبة وأهاجه عليهم فانتقدهم انتقاداً مراراً لادعاً في كتابه "تأويل مختلف الحديث"^(٢)، وإليك ما قاله بنصه لتقف على ما كان بين الفريقين - فريق أهل السنة وفريق المعتزلة - من جدال ومحاورة، وليتبين لك مقدار الميل بالعبارات القرآنية إلى ناحية المذهب والعقيدة من كبار شيوخ المذهب الاعتزالي.

قال أبو محمد: "وفسروا - أي المعتزلة - القرآن بأعجب تفسير، يريدون أن يردوه إلى مذهبهم، ويحملوا التأويل على نحلهم، فقال فريق منهم في قوله تعالى: { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } [سورة البقرة: ٢٥٥]. أي علمه"^(٣)، وجاءوا على ذلك بشاهد لا يُعرف، وهذا قول الشاعر: ولا بكرسى علم الله مخلوق كانه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوق. والكرسى غير مهموز، وبكرسى مهموز، يستوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيًا أو سريراً، ويجعلون العرش شيئاً

(١) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ رجب ٢٧٦ م - ١٣ نوفمبر ٨٨٩ م أديب لغوي فقيه محدث مؤرخ مسلم. عاش في زمن دولة بني العباس. وكان يعد خطيب أهل السنة والجماعة. فقد سخر قلمه؛ لإعلاء منزلة السنة،. تُوفي في شهر رجب سنة ست وسبعين ومائتين. «سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٢٩٦ ط الرسالة).

(٢) كتاب تأويل مختلف الحديث (ص ١١٩)

(٣) الكشاف (٣٠١/١).

آخر، والعرب لا تعرف من العرش إلا السرير وما عرش من السقف والآبار، يقول الله تعالى: قوله تعالى: {وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ} [سورة يوسف: ١٠٠].

أى السرير، وأمّية بن أبى الصلت يقول:

مَجَّدُوا اللَّهَ، وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ... رَبَّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا
شَرَّ جَعًا مَا يِنَالَهُ الْعَيْنُ تَرَى دُونَهُ الْمَلَائِكَةَ صُورًا
وَقَالَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِءٌ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَزَا
بُرْهَانَ رَبِّهِءٌ} [سورة يوسف: ٢٤]: إنها هَمَّتْ بِالْفَاحِشَةِ، وَهَمَّ هُوَ
بِالْفِرَارِ مِنْهَا أَوْ الضَّرْبِ لَهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {لَوْلَا أَنْ رَزَا بُرْهَانَ
رَبِّهِءٌ} (سورة يوسف ٢٤). افتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها، فلما
رأى البرهان أقام عندها؟ وليس يجوز في اللغة أن تقول: هممتُ بفلان
وهمَّ بى، وأنت تريد اختلاف الهممين حتى تكون أنت تهم بإهانتهم ويهم
هو بإكرامك، وإنما يجوز هذا الكلام إذا اتفق الهمان^(١).

وقال فريق منهم فى قوله تعالى: {وَعَصَى - عَادَمُ رَبَّهُ وَفَعَوَى} [سورة طه: ١٣٦]. إنه أتخم من أكل الشجرة، فذهبوا إلى قول العرب: عَوَى الفصيل يَعْوَى عَوًى، إذا أكثر من شرب اللبن حتى يبشم. وذلك عَوَى يَعْوَى عِيًا، وهو من البشم: عَوَى يَعْوَى عَوًى. وهي لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألفا فيقول في «فنى، وبقي»: «فنا، وبقا» وهم بنو طى - تفسير خبيث^(٢).

(١) التفسير والمفسرون (١/٢٧٠).

(٢) الكشاف (٣/٩٤).

وقال فريق منهم فى قوله تعالى: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٧٦﴾} [سورة الأعراف: ٧٦]. أى ألقينا فيها، فيذهب إلى قول الناس: ذرته الريح. ولا يجوز أن يكون ذرأنا من ذرته الريح، لأن ذرأنا مهموز، وذرته الريح تذروه غير مهموز. ولا يجوز أيضاً أن نجعله من أذرته الدابة عن ظهرها أى ألقته، لأن ذلك من "ذرات" تقدير فعلت بالهمز، وهذا من "أذريت" تقدير أفلتت بلا همز، واحتج بقول المثقب العبدى:

تقول إذا ذرأت لها وضيئى ... أهذا دينه أبداً ودينى؟

١- وهذا تصحيف، لأنه قال: تقول إذا ذرأت، أى دفعت، بالدال غير معجمة.

وقالوا فى قوله عزَّ وجلَّ: {وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٧].

إنه ذهب مغاضباً لقومه، استيحاشاً من أن يجعلوه مغاضباً لربه مع عصمة الله، فجعلوه مغاضباً لقومه حين آمنوا، ففروا إلى مثل ما استنقبحوا، وكيف يجوز أن يغضب نبي الله صلى الله عليه وسلم على قومه حين آمنوا وبذلك بُعثَ وبه أمر؟، وما الفرق بينه وبين عدو الله إن كان يغضب من إيمان مائة ألف أو يزيدون ولم يخرج مغاضباً لربه ولا لقومه؟ - وهذا مبين فى كتاب المؤلف فى مشكل القرآن، ولم يكن القصد الإخبار عن هذه الحروف وأشباهاها، وإنما كان القصد به الإخبار عن

جهلهم وجراتهم على الله بصرف الكتاب إلى ما يستحسنون، وحمل التأويل على ما ينتحلون.

١- وقالوا في قوله تعالى: {وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾} [سورة النساء: ١٢٥].

أى فقيراً إلى رحمته، وجعلوه من الخلّة بفتح الخاء، استيحاشاً أن يكون الله تعالى خليلاً لأحد من خلقه، واحتجوا بقول زهير:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة... يقول لا غائب مالى ولا حرم

أى إن أتاه فقير، فأية فضيلة فى هذا القول لإبراهيم صلى الله عليه وسلم؟ أما تعلمون أن الناس جميعاً فقراء إلى الله تعالى، وهل إبراهيم خليل الله إلا كما قيل، وموسى كليم الله، وعيسى روح الله؟

وقالوا فى قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ} [سورة المائدة: ٦٤].

إن اليد ههنا النعمة، لقول العرب: لى عند فلان يد، أى نعمة ومعروف. وليس يجوز أن تكون اليد ههنا النعمة، لأنه قال تعالى: {غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعِنُوا بِمَا قَالُوا}. معارضة عما قالوه فيها، ثم قال: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ}... ولا يجوز أن يكون أراد غلّت نعمهم بل نعمته مبسوطتان، لأن النعم لا تغل، ولأن المعروف لا يُكْنَى عنه باليدين كما يُكْنَى عنه باليد، إلا أن يريد جنسين من المعروف فيقول: لى عنده يدان. ونعم الله تعالى أكثر من أن يُحاط بها^(١).

(١) كتاب تأويل مختلف الحديث - (ج ١ - ص ١٢٢).

كذلك تدرع المعتزلة بالفروض المجازية إذا بدا ظاهر القرآن غريباً، هذا.. وإن المعتزلة في كثير من الأحيان، يعتمدون في طريقتهم التفسيرية على الفروض المجازية، فمثلاً إذا مروا بآية من الآيات التي تبدو في ظاهرها غريبة مستبعدة، كقوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾} [سورة الأعراف: ١٧٢].

وقوله تعالى في الآية [٧٢] من سورة الأحزاب: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } (سورة الأحزاب: ٧٢) نجدهم يحملون الكلام على التمثيل أو التخييل، ولا يقولون بالظاهر ولا يحومون عليه، اللهم إلا للرد على من يقول به ويجوز حصوله.. نعم إن القرآن يمثل القمة العالية في كمال الأسلوب وبراعة النظم، وهو في نفسه يقبل ما يقوله المعتزلة من المجازات والاستعارات، ولكن ما الذي يمنع من إرادة الحقيقة؟ وأي صارف يصرف اللفظ عن الظاهر إلى غيره من التمثيل أو التخييل بعد ما تقرر من أن اللفظ إذا أمكن حمله على الظاهر وجب حمله عليه وقبح صرفه إلى غير ما يتبادر منه؟؟.. اللهم لا شئ يمنع من إرادة المعنى الظاهر إلا استبعاد ذلك على قدرة الله تعالى، ولسنا في شك من صلاحية القدرة لمثل ما جاء في الآيات التي أشرنا إليها، غاية الأمر، أن كيفية أخذ الله ذرية بنى آدم من ظهورهم، ومخاطبته لتلك الذرية، وكيفية عرض الأمانة على ما ذكر من السماوات والأرض والجبال وإبائها عن حملها، أمر لا نستطيع أن نخوض فيه، بل يجب علينا أن نفوض علمه وحقيقته إلى الله سبحانه.

*** تفسيرهم للقرآن على ضوء ما أنكروه من الحقائق الدينية:**

وكذلك نجد المعتزلة قد وقفوا تجاه بعض الحقائق الدينية الثابتة عند جمهور أهل السُّنَّة موقف المعارضة والكفاح، فأهل السُّنَّة يقولون بحقيقة السحر، ويعترفون بما له من تأثير فى المسحور، ويقولون بوجود الجن، ويعترفون بما لهم من قوة التأثير فى الإنسان حتى ينشأ عن ذلك المس والصرع، ويقولون بكرامات الأولياء.. وما إلى ذلك، ولكن المعتزلة الذين ربطوا التفسير بما شرطوه من جعل العقل مقياساً للحقائق الدينية وقفوا ضد هذا كله وجعلوه من قبيل الخرافات، والتصورات المخالفة لطبيعة الأشياء، وكان من وراء ذلك أن تمرد المعتزلة - فى حرية مطلقة من كل قيد - على الاعتقاد بالسحر والسحرة، وما يدور حول ذلك، وبلغ بهم الأمر أن أنكروا أو تأولوا ما صح من الأحاديث التى تُصَرِّح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد سحر، ولم يقفوا طويلاً أمام ما يعارضهم من سورة الفلق، بل تخلَّصوا بتأويلات ثلاث ذكرها الزمخشري فى كشافه^(١).

كذلك تمرد بعض أعلام المعتزلة كالنظام على الاعتقاد بوجود الجن، وثار بعضهم كالزمخشري ضد من يقول بأن الجن لها قوة التأثير فى الإنسان مع الاعتراف منه بوجودها فى نفسها، فأولوا ما يصادمهم من الآيات القرآنية، وأنكروا أو تأولوا ما صح من الأحاديث النبوية، كالحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى، وفيه: ((أن شيطاناً من الجن

(١) الكشاف الجزء الثانى ص ٥٦٨.

عرض للنبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة يريد أن يشغله عنها فأمكنه الله منه))^(١).

وكالحديث الصحيح الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو: ((ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسّه حين يُولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها))^(٢)

كذلك تمرّد المعتزلة على الاعتقاد بكرامات الأولياء، واعتمدوا فى تمردهم هذا على قول الله تعالى فى الآيتين [٢٦، ٢٧] من سورة الجن: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) (سورة الجن: ٢٦). (إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَاتَهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (سورة الجن: ٢٧).

ونرى الزمخشري يستنتج من هذه الآية: "أنه تعالى لا يطلع على الغيب إلا المرتضى، الذى هو مصطفى للنبوة خاصة، لا كل مرتضى، وفى هذا إبطال الكرامات، لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين، فليسوا برسول، وقد خصّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وإبطال الكهانة والتنجيم، لأن أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط".

ويعد.. فإن المعتزلة لم يقفوا هذا الموقف الذى لا يتفق مع معتقدات أهل السُنّة، ولم يعطوا العقل هذا السلطان الواسع فى التفسير،

(١) صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم | 1210 : خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

الراوي: أبو هريرة .

(٢) رواه البخاري (١٦٥٥/٤) كتاب التفسير، باب لو اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ح(٤٢٧٤).

إلا من أجل أن يبعدوا - كما يزعمون - كل الأساطير الخرافية عن محيط الحقائق الدينية، وليربطوا بين القرآن وبين عقيدتهم التي قامت على التوحيد الخالص من كل شائبة.

ولكن هل وقف أهل السُّنة حيال هذه المحاولات الاعتزالية في فهم نصوص القرآن الكريم موقف التسليم لها والرضا بها؟ أو أغضبهم هذا التصرف من خصومهم المعتزلة؟. الحق أن هذا التصرف من المعتزلة أثار عليهم خصومهم أهل السُّنة واستعدهم عليهم فرموهم بالعبارات اللاذعة، واتهموهم بتحريك النصوص عن مواضعها تمشياً مع الهوى وميلاً مع العقيدة. وقد مرَّ بك آنفاً مقالة ابن قتيبة، وفيها يُشددُّ عليهم النكير من أجل مسلكهم اللغوي في التفسير.

* حكم الإمام أبي الحسن الأشعري على تفسير المعتزلة:

وهذا هو الإمام أبو الحسن الأشعري^(١)، يحكم على تفسير المعتزلة بأنه زيغ وضلال، وذلك حيث يقول في مقدمة تفسيره المسمى بالمختزن والذي لم يقع لنا: "أما بعد، فإن أهل الزيغ والتضليل تأولوا القرآن على آرائهم، وفسَّروه على أهوائهم، تفسيراً لم يُنزل الله به سلطاناً، ولا أوضح به برهاناً، ولا رووه عن رسول رب العالمين، ولا عن أهل بيته الطيبين،

(١) «الأشعري علي بن إسماعيل بن إسحاق العلامة، إمام المتكلمين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري، اليماني، البصري. مولده: سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين» أحد أعلام أهل السنة والجماعة، وإليه ينسب المذهب الأشعري. لقب بإمام أهل السنة والجماعة، وناصر الدين، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي موسى الأشعري. «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٨٥ ط الرسالة).

ولا عن السلف المتقدمين، من الصحابة والتابعين، افتراءً على الله، قد ضلُّوا وما كانوا مهتدين^(١).

وإنما أخذوا تفسيرهم عن أبي الهذيل بياع العلف ومتبعيه، وعن إبراهيم نظام الخرز ومقلديه، وعن الفوطى وناصره، وعن المنسوب إلى قرية جُبى ومنتحليه، وعن الأشج جعفر بن حرب ومجتيبيه، وعن جعفر بن مبشر القصبى ومتعصبيه، وعن الإسكافى الجاهل ومعظميه، وعن الفروى المنسوب إلى مدينة بلخ وذويه، فإنهم قادة الضلال، من المعتزلة الجهال، الذين قلدوهم فى دينهم، وجعلوهم معولهم الذى عليه يُعولون، وركنهم الذى إليه يستندون.

ورأيت الجبائى^(٢) أَلَفَ فى تفسير القرآن كتاباً أوله خلاف ما أنزل الله عزَّ وجلَّ، وعلى لغة أهل قريته المعروفة بجُبى، وليس من أهل اللسان الذى نزل به القرآن، وما روى فى كتاب حرفاً عن أحد من المفسرين. وإنما اعتمد على ما وسوس به صدره وشيطانه، ولولا أنه استغوى بكتابه كثيراً من العوام، واستنزل به عن الحق كثيراً من الطعام، لم يكن لتشاغلي به وجه".

(١) كتاب تبیین كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري (أبو القاسم ابن عساکر) ص ١٣٨

(٢) هو محمد بن عبد الوهَّاب بن سلام الجبائى البصرى، المعروف بأبي علي الجبائى. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام فى عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة ٢٣٥ م فى مدينة جُبى فى محافظة خوزستان، وتوفى فى البصرة سنة ٣٠٣ . (مُعجم المُفسِّرين: من صدر الإسلام وحَتَّى العصر الحاضر (ط. ٣)، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ج. الثاني، ص. ٥٧٠).

*** حكم ابن تيمية على تفسير المعتزلة:**

كذلك حكم ابن تيمية (٧٢٨ هـ) على تفسيرهم فقال: "إن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، لا فى رأيهم ولا فى تفسيرهم، وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا ويطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلاً على قولهم، أو جواباً على المعارض لهم، ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً ويدس البدع فى كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف، ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر فى كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التى يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدى لذلك" (١).

*** حكم ابن القيم (٢) على تفسير المعتزلة:**

كذلك نجد العلامة ابن القيم (٧٥١ هـ) يحكم على التفسير المعتزلة حكماً قاسياً فيقول: "إنه زبالة الأذهان، ونخالة الأفكار، وعفار الآراء، ووساوس الصدور، فملأوا به الأوراق سواداً، والقلوب شكوكاً،

(١) مجموع الفتاوى : (ابن تيمية) (١٣-٣٥٨)

(٢) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي (٦٩١-٧٥١ ١٢٩٢م - ١٣٥٠م) المعروف باسم «ابن قيم الجوزية». هو فقيه ومحدث ومفسر وعالم مسلم مجتهد وإمام من أبرز أئمة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري. (مُعْجَمُ الْمُفَسِّرِينَ: من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر (ط. ٣)، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، ج. الثاني، ص. ٥٠٣).

والعالم فساداً، وكل مَنْ له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل"^(١).

أهم كتب التفسير الاعتزالي:

صَنَّفَ كثير من شيوخ المعتزلة تفاسير للقرآن الكريم على أصول مذهبهم، ولم تكن هذه التفاسير أكثر حظاً من غيرها من كتب التفسير المختلفة، حيث امتدت إلى كثير منها يد الزمان، فضاعت بتقادم العهد عليها، وحرمت المكتبة الإسلامية العامة من معظم هذا التراث العلمي الذي لو بقي إلى يومنا هذا لألقى لنا ضوءاً واضحاً على مدى التفكير التفسيري، لشيوخ هذا المذهب الاعتزالي، ولكشف لنا عن حقيقة ما يُنسب لبعض شيوخهم من تفسيرات واسعة النطاق، نسمع بها من علمائنا المتقدمين، ونقف منها موقف الحائر بين الشك واليقين، لما يُذكر عنها من الاستفاضة والتضخم إلى حد يكاد يكون متخيلاً أو مبالغاً فيه.

فالقاضي عبد الجبار (٤١٥ هـ) بن أحمد الهمداني^(٢)، ألف كتابه "تنزيه القرآن عن المطاعن"^(٣) وهو بين أيدينا، ومتداول بين أهل العلم، ولكنه غير شامل لجميع آيات القرآن الكريم.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٢: ٢٧)

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن. المؤلف، القاضي عبد الجبار: أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد المعتزلي الأسدي (ت: ٤١٥ هـ).

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن المؤلف: القاضي عبد الجبار الهمداني (المتوفى: ٤١٥ هـ) الناشر: دار النهضة الحديثة الطبعة: الثانية ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م عدد الصفحات: ٤٩٦.

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

والشريف المرتضى، العالم الشيعي العلوي المتوفى سنة ٤٣٦ هـ، كتب بحثاً فيأضة في بعض آيات القرآن الكريم التي تصادم مذهب المعتزلة، ووفق بين ظاهر النظم الكريم والعقيدة الاعتزالية، ونجد هذه البحوث التفسيرية ضمن ما دونه في أماليه التي سماها: غرر الفوائد ودُرر القلائد^(١).

١- وعبد السلام القزويني^(٢) شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٤٨٣ هـ، فسّر القرآن تفسيراً واسعاً، فقد جاء في طبقات المفسرين، للسيوطي^(٣): "أنه جمع التفسير الكبير^(٤) الذي لم يرد في التفاسير أكبر منه ولا أجمع للفوائد، لولا أنه موجه بكلام المعتزلة وبث فيه معتقده وهو في ثلاثمائة مجلد، منها سبع مجلدات في

(٣) أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودُرر القلائد) المؤلف الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ)

المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) الطبعة الأولى، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

(٢) عبد السلام بن محمد بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة المتوفى سنة ٤٨٣ هـ (كتاب العبر في خبر من غبر - الإمام شمس الدين الذهبي). - الكويت - سلسلة التراث العربي ١٩٦٠م - (ج ٣/ ٣٢١).

(٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين بكر بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد ابن الشيخ همام الدين الخضير السيوطي المشهور باسم جلال الدين السيوطي، ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب (القاهرة ٨٤٩م - القاهرة ٩١١م - إمام حافظ، ومفسر، ومؤرخ، وأديب، وفقه شافعي. له نحو ٦٠٠ مصنف. (الأعلام للزركلي، ج ٣ ص ٣٠١)

(٤) التفسير الكبير للقزويني : قال في النجوم الزاهرة: قال ابن تغري بردي، أن هذا الكتاب كان وفقاً في مزار أبي حنيفة، وقيل أن أجزاء منه كانت موجودة في عصر ابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ، وقد نُكر بين المخطوطات التي ذكرها المباركوفي في (الخزانة الجرمنية) (ألمانيا الشرقية) نسخة كاملة ثلاثمائة مجلد. وقال: تفسير من أعجب التفاسير.

الفاحة". ونقل عن ابن النجار أنه قال في شأن القزويني هذا: "إنه كان طويل اللسان، ولم يكن محققاً إلا في التفسير، فإنه لهج بالتفاسير حتى جمع كتاباً بلغ خمسمائة مجلد حشى فيه العجائب، حتى رأيت منه مجلداً في آية واحدة، وهي قوله تعالى: (وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ) [سورة البقرة: ١٠٢].

وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ، فسّر القرآن الكريم تفسيراً عظيماً^(١) جداً لولا ما فيه من نزعات الاعتزال، وهو أشمل ما وصل إلينا من تفاسير المعتزلة. هؤلاء هم أشهر من عرفناهم من مفسري المعتزلة. وهذه هي تفاسيرهم التي نسمع عنها، ولم يصل إلينا منها إلا هذه المصنّفات الثلاثة: تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، وأمالى الشريف المرتضى^(٢)، والكشاف للزمخشري.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما "الزمخشري" فتفسيره محشو بالبدعة وعلى طريقة المعتزلة من إنكار الصفات والرؤية والقول بخلق القرآن، وأنكر أن الله مريد للكائنات وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة... وهذه الأصول حشا بها كتابه بعبارة لا يهتدي أكثر الناس إليها ولا لمقاصده فيها، مع ما فيه من الأحاديث الموضوععة، ومن قلة النقل عن الصحابة والتابعين" انتهى من "مجموع الفتاوى 13/386"، ٣٨٧.

وقال الذهبي رحمه الله - في ترجمة الزمخشري - : "صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال أجازنا الله، فكن حذراً من "كشّافه" انتهى من "ميزان الاعتدال. (4/78)"

(٢) أمالي المرتضى كتاب ديني شيعي للشريف المرتضى، وهو مرجع أعلى للشيعفة الإمامية في القرن الخامس الهجري. وهذا الكتاب حاوي على تفسير الآيات المشككة والمتشابهة، وكذلك بيان ألفاظ الأحاديث المبهمة، وكان هذا في ثمانين مجلس عقده الشريف المرتضى. ولهذا الكتاب أسماء أخرى أيضاً من جملتها الأمالي في التفسير، الغرر والدرر، غرر الفوائد ودرر القلائد. وقد قرر هذه الأبحاث أبو يعلى الجعفري أحد تلامذة الشريف المرتضى، وقد أكمل كتابته في سنة ٤١٣ هـ.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، "أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين"، نأمل أن نكون قد ألقينا الضوء على موضوع حساس ومهم في علوم الدين. فمن خلال هذا العمل، حاولنا استعراض تأثير البدع على تفسير القرآن الكريم، وأنواعها، وظهور البدع في حياة المسلمين وكيف يمكن أن تؤدي التأويلات غير الصحيحة إلى انحراف الفهم الديني.

وأخذنا أنموذجاً فرقة المعتزلة فبينت نشأتها، وأصولها في إقامة تفسيراتهم، وكيف انكروا الأحاديث الصحيحة، وكيف انكروا الحقائق الدينية لتتماشى مع عقائدهم الفاسدة.

أوضحنا كيف أن الالتزام بالمنهجية الصحيحة في التفسير هو السبيل الأوضح للحفاظ على نصوص القرآن من التشويه، وأهمية الرجوع إلى المصادر الأصلية المعتمدة والأئمة الموثوقين في فهم الدين. كما تناولنا في هذا السياق أمثلة تاريخية ومعاصرة لتوضيح خطورة الانحرافات التفسيرية وكيفية مواجهتها.

ونحن على يقين بأن هذا البحث ليس النهاية في هذا الموضوع، بل هو بداية لدعوة للتفكير النقدي والتدقيق في كل ما يُطرح من تفاسير وآراء دينية. ونشجع الباحثين والقراء على الاستمرار في البحث والتمحيص، والحرص على التمسك بالأسس الصحيحة للتفسير.

وفي النهاية، نسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين، ويكون لبنة في بناء الفهم الصحيح لكتاب الله. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع.

- ١ - تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٧٧٤ هـ)، مكتبة دار التراث، القاهرة.
- ٢ - تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين. لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط الأولى
- ٣ - تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي (٥٩٧ هـ)، ط الأولى.
- ٤ - تفسير عبد الرزاق، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى.
- ٥ - التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الرابعة.
- ٦ - تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، تحقيق: صغير أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى.
- ٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمود شاكر وأحمد شاكر (١٣٧٧ هـ)، دار المعارف، مصر
- ٨ - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- ٩ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ط الثانية
- ١٠ - شرح السنة، للإمام البغوي، تحقيق: زهير الشاويش، شعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

- ١١ - شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٧٩٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية
- ١٢ - صحيح البخاري، ضبطه: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير (٧٧٤ هـ)، دمشق، ط الخامسة
- ١٣ - صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الرابعة
- ١٤ - فضائل القرآن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، دار ابن كثير (٧٧٤ هـ)، دمشق، ط الأولى
- ١٥ - الفهرست، لابن النديم (٤٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.
- ١٦ - فهرسة أبي بكر محمد بن خير الإشبيلي فيما رواه عن شيوخه، المكتبة الأندلسية، ١٨٩٣ م.
- ١٧ - القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى.
- ١٨ - القول المسدد في الذب عن المسند، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
- ١٩ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، تحقيق: محمد عوامة وأحمد محمد الخطيب، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط الأولى.
- ٢٠ - الكامل، للمبرد، تحقيق: د. محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٨ هـ.
- ٢١ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢ هـ.

- ٢٢ - الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٣٦٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة.
- ٢٣ - (كتاب سيبويه) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة.
- ٢٤ - كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية
- ٢٥ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ)، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الرابعة.
- ٢٦ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى.
- ٢٧ - لسان العرب، لابن منظور (٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ط الأولى.
- ٢٨ - لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، مجلس دائرة المعارف، الهند، ط الثالثة.
- ٢٩ - المبسوط، للسرخسي، دار المعرفة، بيروت.
- ٣٠ - مجاز القرآن، لأبي عبيدة، علق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، مصر.
- ٣١ - المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمود بن إبراهيم الزايد، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

- ٣٢ - معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعه ضميريه وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، ط الأولى.
- ٣٣ - معالم السنن، للخطابي، حاشية على مختصر سنن أبي داود للمنذري، تحقيق: أحمد شاكر (١٣٧٧ هـ) ومحمد حامد الفقي (١٣٧٨ هـ).
- ٣٤ - معاني القرآن، لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني (معاصر)، ط الأولى، مطبوعات جامعة أم القرى.
- ٣٥ - معاني القرآن، للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور، بيروت.
- ٣٦ - معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي (معاصر)، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى.
- ٣٧ - معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار المستشرق، بيروت.
- ٣٨ - المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله (معاصر) بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ.
- ٣٩ - معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت.
- ٤٠ - معجم الصحابة، لابن قانع (٣٥١ هـ) - تحقيق: صلاح بن سالم المصري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط الأولى.
- ٤١ - المعجم الصغير، للطبراني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الأولى.
- ٤٢ - المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق، ط الثانية

- ٤٣ - معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة (١٤٠٨ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت.
- ٤٤ - معجم لغة الفقهاء، وضع: د. محمد رواس قلعه جي، د. حامد صادق قنبيبي (معاصر)، دار النفائس، بيروت، ط الثانية.
- ٤٥ - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبد الله البكري، حققه: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة.
- ٤٦ - معجم مصنفات القرآن الكريم، د. علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي، الرياض.
- ٤٧ - معرفة السنن والآثار، للبيهقي، تحقيق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوعي، سوريا، ط الأولى.
- ٤٨ - معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض، ط الأولى.
- ٤٩ - معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، للذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى.
- ٥٠ - المعرفة والتاريخ، ليعقوب بن سفيان الفسوي (٢٧٧ هـ)، تحقيق: خليل المنصور، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ
- ٥١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- ٥٢ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.
- ٥٣ - المفردات، للراغب الأصفهاني، دار الفكر، بيروت.

أثر ظهور البدع على عبارات المفسرين (فرقة المعتزلة أنموذجاً)

- ٥٤ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، مكتبة الخانجي، مصر.
- ٥٥ - مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى.

**أسس الإصلاح الاجتماعي في
حديث أم زرع مقارنة سيميائية**

إعداد

دكتور: محمد عبد المولى محمد سليمان

كلية الدراسات الإسلامية

بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا

قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة حديث أم زرع الذي يؤسس لعلاقة أسرية طيبة بين الأزواج من خلال الوقوف على المزايا والعيوب التي صرحت بها إحدى عشرة امرأة عن زوجها دون أن تخفي إحداهن من أمر زوجها شيئاً؛ ليتمثل كل رجل حال أحد الرجال المذكورين بالمدح أو الذم، فيسارع إلى التزيّد من مزاياه والتخلص من عيوبه، كم تمثّل النبي ﷺ حال أبي زرع في معاملته لأُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

وكان التحليل المتناول في الحديث الشريف تحليلاً سيميائياً ينفذ إلى جزئيات النص ودواخله، ويكشف عن العلاقات المتعددة بين عناصر النص، والعلامات المميزة لكل آلية من آليات السرد؛ فيتناول العنوان ودلالته، والعلاقة بين الشخصيات الواردة في الحديث من الرجال والنساء، وكيفية بناء الحدث، ودلالات الزمان والمكان التي تبني شبكة من العلاقات المتعددة بين الشخصيات والأحداث، فتتأثر بها وتؤثر فيها.

Abstract:

This study is in “Om Zarh” Hadith which makes a good and strong family relationship between the man and his wife through explaining the merits and demerits of the speech of eleven wives about their husbands treatment and life details ,and this to make every husband represent himself as a one of those husbands of wives above ,and then fixes himself ,and

devoids his merits,as prophet mohamed ,may allah bless him and grant him peace, has represented himself as “Abu Zarh” treatment with “Aisha”,may peace be upon him.

The analysis dealt with in the noble hadith was a semiology analysis that penetrates into the details and interiorities of the text, It reveals the multiple relationships between the elements of the text and the distinctive signs between the narrative mechanisms. It deals with the title and its connotations, the relationship between the characters mentioned in the hadith, men and women, how the event is constructed, and the connotations of time and place that build a network of multiple relationships between the characters and events, thus being influenced and affected by them.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً،
والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى
إن هو إلا وحي يوحى، وبعد؛ فإن البيان النبوي الشريف الذي جمع أطراف
البلاغة من أشاتاتها، وفتق جواهر الفصاحة من أكامها قد وضع الأسس
الإصلاحية لحياة الفرد والمجتمع، تلك الأسس التي جاء بها كتاب الله، وطبقها
رسول الله ﷺ تطبيقاً عملياً حياً في حياة الناس.

ومن ذلك البيان النبوي الشريف حديث أم زرع الذي يرسم أساساً
للإصلاح الاجتماعي ليس في المجتمع المسلم وحده، بل في سائر دنيا الناس
على اختلاف مشاربهم وعقائدهم؛ إذ كانت معالمه الإصلاحية لا تخص المؤمنين
وحدهم، فلم تنزع إلى علاقة الإنسان بربه فحسب، ولم تهدف إلى مثوبة أو
عقوبة أخروية فقط، بل كانت تهدف إلى إصلاح اجتماعي أساسه العلاقة الطيبة
بين الرجل وزوجه، فكانت أخرى أن يتمثلها كل الناس على اختلاف طرائقهم
الدينية والمذهبية.

وهذه العلاقة الطيبة بين الرجل وزوجه هي أساس الحياة الطيبة التي بها
يسعد أفراد الأسرة، فمتاع الدنيا لا يكتمل إلا بامرأة صالحة كما في الحديث
الشريف: "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:
الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ".^(١)، كما أن خيرية الرجل تقاس
تبدأ من تعامله مع أهل بيته، "فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
قَالَ: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي".^(٢) فإذا حسن خلق الزوج مع أهل

^١ صحيح مسلم، (١٠٩٠/٢)، ١٤٦٧

^٢ سنن ابن ماجه، (٦٣٦/١)، ١٩٧٧، وسنن الترمذي، (٧٠٩/٥)، ٣٨٩٥

بيته فحظيت به زوجته، وحسن خلق المرأة فسعد بها زوجها كان أفراد ذلك البيت -لا محالة- صالحين، وإذا بهم ينخرطون أفراداً سعداء أسوياء في المجتمع، حتى إذا شاعت تلك المبادئ وسادت في المجتمع سعد المجتمع وأبدع. ولا شيء يقيم صلب الأسرة والمجتمع ويقوم اعوجاجها مثل تعاليم الوحي؛ لذلك كانت تلك الدراسة لحديث من أحاديث صاحب الوحي الذي لا ينطق عن الهوى محاولة لرأب الصدع الأسري، ووأد التفسخ الاجتماعي الذي زاد ويزيد يوماً بعد آخر، والله الموفق والمستعان.

الدراسات السابقة

كثرت الدراسات قديماً وحديثاً حول حديث أم زرع، بيد أن أياً منها لم يتناوله بالمقاربة السيميائية التي تنفذ إلى داخل النص وتستبطن جواهره، ومن تلك الدراسات:

- ١- بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، للقاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: أيمن بن حامد بن نصير الدسوقي، دار الذخائر، ط١، ٢٠١٨م.
- ٢- درة الضرع لحديث أم زرع، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني الشافعي (المتوفى: ٦٢٣هـ)، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- ٣- جماليات العلاقة بين الجنسين في حديث أم زرع، دراسة في تحليل الخطاب، فوزية صالح الحبشي، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، ربيع، ٢٠١٤م.
- ٤- بلاغة النساء في حديث أم زرع في الصحيحين، عبد الله عبد الخالق دسوقي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مجلد ٢، عدد ٢٣، ٢٠٠٥م.

- ٥- حديث أم زرع دراسة بلاغية تحليلية، عبد العزيز بن صالح العماري، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد الأول محرم ١٤٣٠هـ.
- ٦- المضامين التربوية للعلاقات الزوجية في حديث أم زرع، محسن الصالحي، وبدر ملك، مجلة مستقبل التربية العربية، مصر، مجلد ١٣، عدد ٤٨، ٢٠٠٧م.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذا البحث في إطار السعي خلف أسرار البيان النبوي الشريف، ومحاولة البحث عن علاج اجتماعي ناجع لمشكلات الأسرة التي هي اللبنة الأولى في المجتمع، فإذا صلحت صلح المجتمع والأمة، وإذا فسدت فسدت المجتمع والأمة، وذلك من خلال حديث أم زرع الذي نطقت فيه المرأة كاشفة عما يعتمل في قلبها من أزمات وعقبات في سبيل سعادتها مع زوجها، أو من مزايا وحسنات تنشر السعادة في بيتها، وقد سلك الباحث في ذلك منهجاً سيميائياً يكشف عن الدلالات اللغوية، وغير اللغوية من حدث وشخصيات، وفضاء زمكاني، وكاشفاً عن الدلالات الإشارية في اللون والصوت والعنوان، محاولاً استنطاق النص عن كل ما يكمن فيه من جواهر وأصداف.

ومن ثم تأتي أهمية الدراسة السيميائية للحديث التي تكشف عن العلاقات المتعددة بين أطراف الحوار، فإن مهمة المحلل السيميائي تقوم على اكتشاف شبكة من العلاقات القائمة داخل النص السردي، ثم الربط بين مدلولات تلك العلامات، لتتجاوز بذلك الدلالة السطحية إلى الدلالة العميقة.

فليست السيميائية مجرد بحث في كيفية اشتغال النص وبنائه لتمثيلات إحالية تنزاح بالنص عن العالم الخارجي بما هو مجرد أحداث تاريخية، لتشير إلى إحالات ثوانٍ، يدور عليها الإبداع الدلالي للخطاب.

لكن التحليل السيميائي يبدأ من ظاهر النص ومن خارجه، ولا يتوقف عند دراسة هذا البناء الظاهري، بل يسري في تضاعيف النص، مكتشفاً إحالاته ورموزه، والتتبع للدلالات الناتجة عن تلك الرموز، ثم الربط بينها في علاقات متباينة.

ومن ثم، فإن السيميائية تبحث في كل أنواع العلامات، سواء أكانت وضعية أم طبيعية أو عقلية، بل قد تتجاوز ذلك إلى إنتاج دلالات جديدة من داخل الخطاب.

فالسيميائية هي بحث في الإبداع من حيث المعنى، أو توليد معنى، أو إنتاج الدلالات وتداولها، إنها دراسة للتمفصلات الممكنة للمعنى من حيث رصده وتحديد بؤره ومظانه وحالات تمنعه ودلالاته^(١).

ويعتبر كلاً من (بيرس) (ودو سوسير) مؤسسي هذا العلم النقدي الشامل: (علم السيميائيات)، وكلاهما أسس ذلك العلم من خلال الحديث عن علم العلامة وتصنيفاتها وميادين تنظيرها، وكلاهما أسهم في إنعاش الحركة النقدية والمعرفية.

تبرز الدراسات السيميائية قيمة النص، وتأثير الخطاب، فتفتح له آفاقاً لم يكن له عهد بها من قبل؛ إذ تبدأ بالتحليل مما قبل الكلمات، ولا تنتهي قبل أن تسبر غور ما وراء الكلمات.

نص الحديث الشريف:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَعَاهَدَنَ وَتَعَاقَدَنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَحْبَابِ أَرْوَاجِهِنَّ شَيْئًا، قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ: لَا سَهْلٌ فَيْرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيَنْتَقِلُ، قَالَتِ الثَّانِيَةُ: زَوْجِي لَا أَبْتُ خَبْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرَهُ، إِنَّ أَدْرَهُ أَدْرُهُ أَدْرُهُ، قَالَتِ الثَّلَاثَةُ: زَوْجِي الْعَشْتَقُ، إِنَّ أَنْطِقَ أَطْلُقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أَعْلَقُ، قَالَتِ الرَّابِعَةُ: زَوْجِي كَلِيلٌ تِهَامَةٌ، لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ، وَلَا

١. د. أسامة جاب الله، إنجاز النص، مقاربات في التنظير والتطبيق، عالم الكتب الحديث،

مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةً، قَالَتِ الْخَامِسَةُ: زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فِهْدَهُ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِيدَهُ، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهْدَهُ، قَالَتِ السَّادِسَةُ: زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفًّا، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ. قَالَتِ السَّابِعَةُ: زَوْجِي عَيَائًا - أَوْ عَيَائًا - طَبَاقًا، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكَ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ كُلًّا لَكَ، قَالَتِ الثَّامِنَةُ: زَوْجِي الْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْبٍ، قَالَتِ التَّاسِعَةُ: زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ، قَالَتِ الْعَاشِرَةُ: زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ، أَيْقَنَنَّ أَنَّهُنَّ هُوَالِكُ، قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أُنْدِيِّ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِي، وَيَجْحَنِي فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِيقٍ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطِ، وَدَانِسٍ وَمُنْقٍ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبِحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبِّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنِّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، عُكُومُهَا رِدَاخٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاخٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ، وَيُشْبَعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا، وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا، وَعَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْنِيئًا، وَلَا تُنْقِثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا، وَلَا تَمْلَأُ بَيْنَنَا تَعْشِيئًا، قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَكَوَّحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِيئًا، وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، وَقَالَ: كُلِّي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلِكَ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ أُنْيَةِ أَبِي زَرْعٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأُمَّ زَرْعٍ».^(١)

^١ صحيح البخاري، ٥١٨٩، (٢٧/٧)، وصحيح مسلم، ٢٤٤٨، (١٨٩٦/٤)

المبحث الأول: سيميائية العنوان

أدرج الإمام البخاري هذا الحديث الشريف تحت باب: باب حسن المعاشرة مع الأهل، وجعله الإمام مسلم تحت باب: ذُكر حديث أم زرع، وجعله النسائي تحت باب: شكر المرأة لزوجها، وجعله ابن حبان تحت باب: ذكر قول المصطفى صلى الله عليه وسلم للصديقة بنت الصديق إنه لها كأبي زرع لأم زرع، وجعله الطبراني تحت باب: طرق حديث أم زرع، وحسن عشرة النبي صلى الله عليه وسلم عائشة.

وكل باب من هذه الأبواب نظر إليه صاحبه بنظرة تختلف عن غيره، فقد رأى كل واحد من هؤلاء الأعلام ملمحًا خاصًا في الحديث الشريف كان مدار الكلام عليه، ومساق الحديث إليه، فقد نظر البخاري إلى وجوب معرفة الأزواج ما به تنقم زوجه عليه، وما به تحمده عليه؛ فيبادر إلى ترك مذماته، ويكثر من مدائحه وحسناته؛ فتحسن العشرة بين الزوجين، وهذا هو المقصد الأسمى من الحياة الزوجية؛ فبحسن العشرة تنعم الحياة الدنيا، وترتفع درجات الآخرة، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي".^(١)

وجعله الإمام مسلم تحت عنوان: حديث أم زرع لتسليط الضوء على تلك المرأة المحبة حتى ملك حبه عليها كل ما يتعلق به؛ فصارت تحب ولده، وتحب ابنته، وتحب أمه، حتى وصل الحب إلى جاريتها، وظل هذا الحب متأجبًا في قلبها رغم طلاقه لها، وزواجه بغيرها، وزواجها بغيره، ذلك الرجل الذي أكرمها، وأعطاه من كل راحة زوجًا، وأكرم أهلها، ومع ذلك بقي أصغر إناء لأبي زرع أفضل من كل ما أعطاه لها زوجها الثاني، فلما كان قلب أم زرع المفعم بالحب

^١ سنن ابن ماجة، (٦٣٢/١)، ١٩٧٧، وسنن الترمذي، (٧٠٩/٥)، ٣٨٩٥

هو السمة الأولى لهذا الحديث سمي الإمام مسلم الحديث باسمها وجعلها عنواناً عليه إبرازاً لصفتي الحب والوفاء فيها.

وجعله الإمام النسائي تحت باب: شكر المرأة لزوجها؛ لإبراز تلك الفضيلة في النساء لا سيما أم زرع التي خالفت فيها المرأة طبائع النساء من كفران عشير الزوج، عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط." (١)

لكنها شكرت لزوجها ما أكرمها به، وظلت على هذا الشكر بعد أن كسرها وطلقها، وتزوج بغيرها، وهذا الشكر لزوجها أبي زرع لم ينسها شكر زوجها الثاني الذي أكرمها، وأكرم أهلها، فكانت في الحالين شاكرة، ولحقوق زوجها عارفة؛ فكان العنوان الذي يحمل هذا المعنى ويبرزه هو الأجدر بالبيان.

أما ابن حبان فجعل هذا الحديث تحت باب: ذكر قول المصطفى ﷺ للصديقة بنت الصديق إنه لها كأبي زرع لأم زرع، وهذه هي الجملة الوحيدة التي وردت في هذا الحديث على لسان النبي ﷺ، فقد كان في سائر الحديث يستمع إلى عائشة رضي الله عنها وهي تذكر كلام هؤلاء النسوة عن أزواجهن، وقد أبرز ابن حبان هذا القول الذي ورد على اللسان الشريف، وجعله عنواناً لهذا الحديث الشريف إعلاء لفضل تلك الجملة عن سائر جمل الحديث، واصطفاء لكلامه ﷺ على سائر الكلام البشري الفصيح.

وأورد الطبراني هذا الحديث الشريف تحت باب: طرق حديث أم زرع، وحسن عشرة النبي ﷺ عائشة؛ فقد أسند الحديث إلى أم زرع إعلاء لشأنها على

^١ صحيح البخاري، (١٥/١)، ٢٩

سائر النساء اللاتي ورد ذكرهن في الحديث، كما فعل الإمام مسلم، لكنه زاد عليه بقوله: (وحسن عشرة النبي ﷺ عائشة)، وبذلك قرن بين فعل أبي زرع وبين النبي ﷺ في تلك الصفة (حسن العشرة)، غير أنه ﷺ زاد على أبي زرع في عدم طلاقه عائشة، كما فعل أبو زرع مع أم زرع.

وعند المقارنة بين تلك التسميات للأبواب التي ورد فيها هذا الحديث

الشريف ندرك ما يلي:

المحدث	نوع العنوان	بيانه
البخاري	عام	حسن العشرة بين الأزواج
مسلم	خاص	أم زرع
النسائي	عام	شكر المرأة لزوجها
ابن حبان	خاص	حسن عشرة النبي ﷺ
الطبراني	خاص عام	أم زرع حسن عشرة النبي ﷺ

كان عنوان البخاري أكثر عمومًا، فقد شمل حسن العشرة بين عموم الأزواج من الرجال والنساء، وكان عنوان النسائي أقل عمومًا حين قصره على شكر المرأة لزوجها، فلم يدخل فيه الرجال.

وكان عنوان (مسلم) أكثرها خصوصًا؛ لأنه خص (أم زرع) دون سائر النساء الواردات في الحديث، وكان (ابن حبان) أقل خصوصًا حين جعل عنوانه (حسن عشرة النبي ﷺ)؛ لأنه بذلك قد جمع بين المشبه والمشبه به وهو حاله مع عائشة رضي الله عنها كحال أبي زرع مع أم زرع.

وقد جمع الطبراني في عنوانه بين العنوان الخاص لمسلم: (طرق حديث أم زرع) وبين الأقل خصوصاً لابن حبان: (حسن عشرة النبي ﷺ عائشة)، ويلاحظ أنه قصر حُسن العشرة هنا على عائشة رضي الله عنها، فضيق بذلك واسعاً؛ فقد كانت حُسن عشرته ﷺ مضرب الأمثال، وحديث الركبان.

ومن ثم، فإن عنوان (ابن حبان) رحمه الله كان أكثر توفيقاً من غيره؛ لأنه ردَّ مساق الحديث إلى هدفه الأسمى، وغايته العظمى، وهو أنه ﷺ حسن العشرة كحُسن عشرة أبي زرع لأم زرع، ثم إنه ﷺ زاد على أبي زرع عدم طلاقه لعائشة؛ فيكون هو القدوة، لا أبو زرع، وعائشة رضي الله عنها هي من تشكر لزوجها أكثر من أم زرع، فقد جعلته ﷺ خير من أبي زرع، ولم يجعل ابن حبان العنوان عامّاً يشمل جميع الأزواج، كما فعل البخاري، أو يشمل جميع النساء، كما فعل النسائي.

وكانت تسمية الكتاب الذي أورد فيه المحدثون هذا الحديث متسقة مع الغاية الأسمى من هذا الحديث، فقد لمح كل من المحدثين معنى من الحديث فجعل عنوان الكتاب مناسباً لذلك المعنى، فلمعنى حسن العشرة مع الأهل ونحوه أوردته البخاري الحديث في (كتاب النكاح)، كما أوردته النسائي في كتاب (عشرة النساء)، ولإشعاره بفضل عائشة أوردته مسلم في (الفضائل)، وكذلك أوردته ابن حبان في كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، وذكر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولمعنى السمر أوردته أبو عيسى الترمذي في (أخلاق النبي ﷺ).^(١)

^١ ينظر: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني الشافعي (المتوفى: ٦٢٣هـ)، درة الضرع لحديث أم زرع، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١٩٩١م، ١٠٣ (٧٣)

المبحث الثاني: سيميائية الحدث

يتبع الحدث الذي يدور حوله هذا الحديث نسق التتابع الذي تقدم فيه الأحداث للسامع بترتيب الوقوع نفسه في السرد، وبالتتابع الزمني عينه؛ فقد بدأ الحدث باجتماع إحدى عشرة امرأة، وتعاقدهن ألا يكتمن من أمر أزواجهن شيئاً، وبدأت تتكلم كل منهن مادحة أو قاذحة في زوجها، حتى كانت الأخيرة منهن أم زرع التي أطالت الحديث في مدح زوجها أبي زرع؛ فلم تكتف بمدحه في نفسه، بل تعدى المدح إلى أمه، وابنه، وابنته، وجاريتته، عرفاناً منه بجميله عليها، وشكراناً منها إليه، فلما سمع النبي ﷺ ذلك شبه نفسه بأبي زرع في حسن عشرته لعائشة رضي الله عنها، فزادت عائشة في فضله ﷺ وحسن عشرته لها أكثر من أبي زرع.

وينفرد ذلك الحديث الشريف باشماله على قيمة عالية قد تفرد بها دون سائر النصوص السابقة عليه في الجاهلية أو في الإسلام؛ فللمرة الأولى منذ الجاهلية السحيقة نسمع صوت المرأة تتحدث عن زوجها بهذه الصراحة المطبقة، وتبرز عن شعورها نحوه بهذه الحرية المطلقة، فقد تعودنا قبل ذلك أن نسمع صوت الرجل يتغزل في امرأة ويشبب بها، أو يسعى بكل حيلة للوصول إليها، ويبدل كل ما يستطيع للحصول عليها، وقلما نسمع صوتها إلا في رثاء وبكاء على أخ أو حليل كما قالت الخنساء ترثي أباها:

وإن صخرًا لوالينا وسيدنا وإن صخرًا إذا نشتو لنحار

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار^(١)

أو كما قالت جلييلة بنت مرة في رثاء زوجها كليب الذي قتله أخوها (جساس):

^١ محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط ٣، ١٩٩٧ م، (٤/٤٠)

يا قتيلاً قوض الدهر به
ورماني فقده من كذب
سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته
رمية المصمي به المستأصل
مسنى فقد كليب بلظي
وسعى في هدم بيتي الأول
من ورائي ولظي مستقبلي^(١)
لكننا لم نسمع صوت المرأة قبل ذلك وهي تتحدث عن علاقتها بزوجها،
وما تشعر به نحوه، وما تقمه عليه، أو تحمده فيه، وهذا ما يضيف قيمة كبرى
للحدث في ذلك الحديث الشريف.

الخطاظة السردية للحدث:

وتعني تتبع الأحداث الجارية في النص، واكتشاف بواعثها وأسبابها،
وتتبع تغيراتها حتى تصل إلى النتيجة، وتتكون هذه الخطاظة من أربع مراحل:
"التحريك، الكفاءة، الإنجاز، التقويم"^(٢)، ويمكن تطبيق تلك المراحل الأربعة على
علاقة أم زرع بزوجها أبي زرع.

المرحلة الأولى: التحريك: كان الباعث الأول للحدث والمحرك له هو
اجتماع إحدى عشرة امرأة بهدف أن يتحادثن عن أزواجهن، ولا تكتم إحداهن من
أمر زوجها شيئاً، مما جعل كل واحدة منهن تصف زوجها وصفاً صادقاً بناء على
ما تعرفه من أحواله.

المرحلة الثانية: الكفاءة، إن أخبر الناس بالرجل وزوجه؛ فهي ألصق
الناس به، وأكثر الناس اطلاعاً على خبيئاته وكوامن نفسه؛ فشهادتها عليه
أحرى بالقبول، وأدعى للتصديق؛ فهي المطلعة على ما لم يطلع عليه سواها، وقد

^١ الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه،

المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط ٥، ١٩٨١ م، (١٥٤/٢)

^٢ فريدة ملوكي، سيميائية الحدث في النقد الروائي الجزائري، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية
واللغوية، الجزائر، ٢٠١٦، (٢٣٠/٧)، (٢٣١)

كان أصحاب النبي ﷺ يسألون أزواجه عما خفي عليهم مما يفعله في بيته. عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: "كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ." (١)

المرحلة الثالثة: الإنجاز، أقامت كل امرأة من النساء اللاتي حضرن عند عائشة رضي الله عنها الشهادة على زوجها، وأقرت بما تشعر به نحوه، وأعلنت أمام النسوة جميعها بما يمتاز به زوجها، وبما يعيبه.

المرحلة الرابعة: التقويم، بعدما بينت كل امرأة حقيقة زوجها، وما فيه من صفات تزينه أو تشينه عندها، كان لزاماً على كل رجل أن يتلف تلك الصفات، وينظر في نفسه ليرى ما كان منها ممدوحاً في نفسه فيستزيد منه، وما كان منها مذموماً في نفسه فينصرف عنه؛ وبذلك تأنس امرأته إليه، ويأنس إليها، فتسعد الحياة بينها، ويسعد المجتمع.

^١ صحيح البخاري، (١/١٣٦)، ٦٧٦

المبحث الثالث: سيميائية الشخصية

تنقسم الشخصيات في الحديث الشريف إلى جنسين، جنس من النساء متكلمات واصفات، وجنس آخر من الرجال غائبون موصوفون.

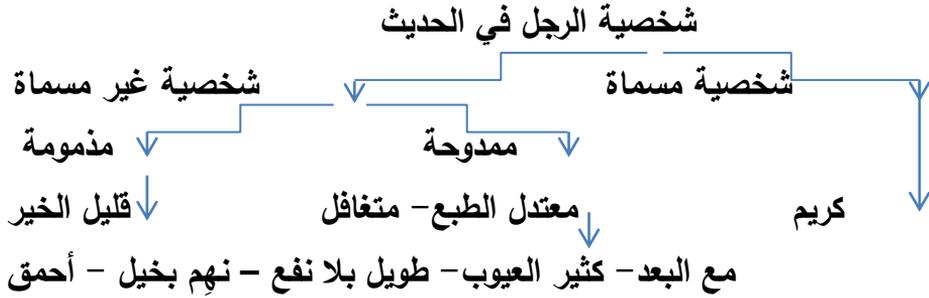
أما النساء فبعضهن لم تسم زوجها، وبعضهن ذكرته باسمه، وبعضهن ذكرته بكنيته، لكن لم يذكر اسم أي من النساء، بل إن المرأة التي كانت علمًا على ذلك الحديث الشريف (أم زرع) كانت غفلاً، لم يعرف لها اسم إلا ما فهم من كنية زوجها (أبو زرع)، فكانت كنية لها (أم زرع) تبعاً لزوجها.

كما لم تذكر أي امرأة منهن صفة تتعلق بها، بل كانت كل الصفات محصورة على أزواجهن ومقصورة عليهم؛ وقد يكون هذا الإغفال لصفاتهم لأن المقام مقام ذكر أمر أزواجهن، فلم تخرج أي منهن عن هذا الإطار، ولكن لا بد أن يكون هناك تداخل حتماً بين صفات المرأة وصفات زوجها، فقد تكون صفاته الذميمة - من وجهة نظرها - راجعة إلى قبورها، كما قد تكون صفات الآخر الممدوح راجعة إلى حسن زوجته، قال المدائني: عن ابن جعدية كان في قريش رجل في خلقه سوء وفي يده سماح وكان ذا مال، فكان لا يكاد يتزوج امرأة إلا فارقها لسوء خلقه وقلّة احتمالها، فخطب امرأة من قريش جليلة القدر، وبلغها عنه سوء خلقه، فلما انقطع ما بينهما من المهر قال لها: يا هذه إن فيّ سوء خلق يعود إلى احتمال وتكرم، فإن كان بك عليّ صبر، وإلا فلست أعرك مني. فقالت له: إن أسوأ خلقاً منك لمن يحوجك إلى سوء الخلق، وتزوجته، فما جرى بينهما كلمة حتى فرق بينهما الموت".^(١)

^١ أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨ م، (١٣٨)

وقد يتزوج الرجل بأكثر من امرأة فتذمه واحدة وتمدحه أخرى؛ لأن المادحة فيها من الصفات الطيبة التي يستحسنها زوجها؛ فيعاملها بالمعروف، (هل جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) (الرحمن: ٦٠)، والقادحة كذلك.

أما الجنس الآخر من الشخصيات المذكورة في الحديث الشريف فهم الرجال الغائبون الموصوفون، وينقسم هؤلاء الرجال إلى فئتين: فئة مسماة (مالك، أبو زرع)، وفئة غير مسماة، وكانت الفئة الأولى المسماة بمدوحة بالكرم، أما الفئة الأخرى غير المسماة، فبعضهم ممدوح، وبعضهم مذموم.



قليل الخير مع البعد: لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ: لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ.

كثير العيوب: لَا أَبْتُ خَيْرَهُ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَدْرَهُ، إِنْ أَذْكَرُهُ أَذْكَرُ عَجْرَهُ وَبِجْرَهُ.

طويل بلا نفع: الْعَشَنَقُ، إِنْ أَنْطِقَ أُطْلِقَ وَإِنْ أَسْكُتَ أُعْلَقُ.

معتدل الطبع: كَلِيلُ تِهَامَةَ، لَا حَرٌّ وَلَا قُرٌّ، وَلَا مَخَافَةٌ وَلَا سَامَةٌ.

متغافل: إِنْ دَخَلَ فَهَدَى، وَإِنْ خَرَجَ أَسَدَى، وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهَدَى.

نهم بخيل: إِنْ أَكَلَ لَفًّا، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وَإِنْ اضْطَجَعَ التَّفَّ، وَلَا يُوَلِّجُ

الكَفَّ لِيُعْلَمَ الْبَثُّ.

أحمق غليظ: غَيَايَاءُ - أَوْ عَيَايَاءُ - طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَهُ دَاءٌ، شَجَّكَ أَوْ فَلَكَ أَوْ جَمَعَ كَلًّا لَكَ.

لَيْنَ سَمَحٍ: الْمَسُّ مَسُّ أَرْزَبٍ، وَالرَّيْحُ رِيحُ زَرْزَبٍ.

كريم ماجد: رَفِيعُ الْعِمَادِ، طَوِيلُ النَّجَادِ، عَظِيمُ الرَّمَادِ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ.

كريم: مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ، مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ، قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ، وَإِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ، أَيَقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ.
كريم: أَبُو زَرْعٍ، وَمَا أَبُو زَرْعٍ، أَنَاسٌ مِنْ حُلِيِّ أُنْدَلِ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضُدِيَّ، وَبَجَجَنِي فَبَجَحَتْ.....

ومن ثم، نجد أن في التسمية عند الرضا إعجاب يفضي إلى مدح، وفي عدمها نفور يدعو إلى الذم، 'فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لِأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ.'^(١)

فكان ترك الاسم دليلاً لاحظه النبي ﷺ على غضب عائشة رضي الله عنها، وفيه أيضاً دليل على أن المرأة تتقلب أحوالها بين ذم ومدح، فهي ليست ذممة له أبداً، وليست مادحة له أبداً، لكن الملاحظ أن النساء الإحدى عشرة إما مادحات لكل ما في أزواجهن، وإما ذمات لكل ما يتعلق بهم، رغم أن من البديهي أن يحمل كل إنسان بعضاً من صفات القبح وبعضاً من صفات المدح، فالقلوب المتحجرة قد ترشح بالخير أحياناً، والأصابع الكرة قد تفيض بالخير أحياناً، فقد

^١ صحيح البخاري، (٣٦/٧)، ٥٢٢٨

وصف الله بعض المطرودين من رحمته فقال: ﴿أرأيت الذي تولى. وأعطى قليلاً وأكدي﴾ (النجم: ٣٢ ، ٣٣)، أليس في كل رجل من هؤلاء المذمومين صفة واحدة -على الأقل- ترضي زوجته؟ وفي المقابل، ألا يحمل كل رجل من الممدوحين في طياته بعض خصال اللؤم؟ بلى، وقد يرجع ذلك المدح المحض، أو الذم المحض لأسباب منها:

أولاً: أن المرأة من عاداتها أن تحكم على غيرها حكماً تأثرياً لحظياً، يختلف هذا الحكم تبعاً لحالتها النفسية، فقد يكون أحد المذمومين فيه من الخير الكثير، لكن اتفق أن يكون قد أغضب زوجته يوماً، فحكمت عليه في ذلك اليوم. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قياماً طويلاً نحواً من سورة البقرة، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم سجد، ثم قام فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع فقام قياماً طويلاً وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعاً طويلاً وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، ثم سجد، ثم انصرف وقد تجلت الشمس فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فانكروا الله. قالوا يا رسول الله: رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك تكعكت، فقال: إني رأيت الجنة، أو رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كالיום منظراً قط ورأيت أكثر أهلها النساء. قالوا لم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط." (١)

١ صحيح البخاري، (١٥/١)، ٢٩.

ثانياً: قد يكون السبب في هذا الحكم الواحد أنهم وصفن ما غلب على أزواجهن من الصفات، فمن غلبت عليه صفات الحسن مُدح، ومن غلبت عليه صفات القبح دُم.

ثالثاً: قد تكون كل واحدة منهن ذكّرت من صفات زوجها ما يتعلق بها، دون التعرض لباقي صفاته التي لا علاقة لها بها، فكان كل الوصف منصباً على تعامل الرجل مع زوجته داخل البيت.

فهو إما كريم معها يعطيها بلا حد، وإما أنه قاسٍ معها، يشجها أو يفلّها أو يجمع كلاً لها.

وإما أنه يرفع قدرها فيبجّجها، وإما أن تهون عليه (إن تنطق تطلق، وإن تسكت تعلق).

وإما أنه ينفقد أحوالها بلطف؛ (فيمسها مس الأرنب)، وإما أن يهملها تماماً حتى أنه (لا يولج الكف ليعلم البث).

وإما أن يرضيها بالمعاشرة كلما دخل البيت (إن دخل فهد)، وإما أن لا يعبأ بأمرها في ذلك حتى عند الخلود للنوم فهو (إن اضطجع التف).

وعندما تذكر إحداهن صفة لزوجها تتعلق به أثناء خروجه من البيت، كقول الخامسة: (وإن خرج أسد)، وقول التاسعة: (رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد)، فإن القول الأول كان "من باب الاحتراس، فكأنها جاءت بهذه الجملة لتزيل لبساً، أو فهماً خاطئاً قد يبدو للسامع من قولها: (إن دخل فهد) ثم تكتفي بهذا، وهو توكيد لمدحها إياه بتشبيهها له بالأسد، فهو وإن كان هيناً ليناً معها، فهو إذا خرج إلى الناس شبيه بالأسد الهصور، فلا يضيع حقه بينهم".^(١)

٢ د. عبد الرحمن فودة، في رحاب النص، دار المشرق العربي، ٢٠١٩م، ١٠٥.

وأما التاسعة فهي وإن ذكرت بعض أحوال زوجها خارج البيت، إلا أنها ربطت ذلك بالبيت فقالت: (قريب البيت من الناد).

ومع ذلك فهناك بعض الألفاظ التي تحتل المدح والذم كقول الخامسة: (زوجي إن دخل فهد)، فمن يرى أن قولها هذا مدح لزوجها، يذكر أن الغرض من تشبيهها له بالفهد أن تصفه بالغفلة عند دخول البيت، ويلين الجانب، وبالتغاضي؛ وذلك لأن الفهد موصوف بالحياء وقلة الشر^(١)، كما أنه مشهور كذلك بالقوة وبالكسب، وبه ضُرب المثل، فقيل: أكسب من فهد^(٢)، وهذه كلها نعوت كمال.

وأما من يرى أن قولها: (زوجي إن دخل فهد) ذم له، فقد أبرز وجه الشبه في كثرة النوم، وبه ضُرب المثل أيضاً فقيل: أنوم من فهد^(٣)، والعرب تذم الرجل كثير النوم، كما أنه موصوف كذلك بالشراسة، والاعتداء على الآخرين؛ بسبب قوته وسرعته، ويكون مرادها بذلك أن تذم زوجها بكثرة النوم، وعدم قيامه بمصالحها، وقضاء أمورها، ومن جهة أخرى بسبب ما فيه من القسوة والغلظة في تعامله معها.

١ الحافظ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ (٩ / ١٧٠).

٢ أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (٣ / ٧٢).

٣ أبو الفضل النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال، (٣ / ٤١١).

بيد أن الصحيح من ذلك أنه مدح له؛ وذلك للاحتراس الواقع بعده في قولها: (وإن خرج أسد) والاحتراس كما عرفه الخطيب القزويني (ت: ٥٧٣٩هـ): "هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه".^(١)

فقد أرادت أن تدفع عن زوجها أن لينه معها وتغافله عنها قد يكون عن ضعف منه أو ذلاً فيه، بل هو أسد هصور، وحسبك بالأسد شجاعة وفتكاً.^(٢) وكذلك مما يحتمل الوجهين قول السادسة: (ولا يولج الكف ليعلم البث)، فقد نقل ابن حجر كلا الرأيين، فمن يرى أنه مدح، قال: أحسبه كان بجسدها عيب أو داء كنت به؛ لأن البث (الحزن)، فكان لا يدخل يده في ثوبها ليمس ذلك فيشقى عليها، فوصفته بالمرودة وكرم الخلق.

ومن رأى أنه ذم قال: أرادت وإن اضطجع ورقد التف في ثيابه في ناحية، ولم يضاجعني ليعلم ما عندي من محبته، أرادت أنه لا يتفقد أموري ومصالحي.^(٣)

وقد يكون الرأي الثاني القائل بالذم هو الأقرب للصواب؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، فهي تذمه من أول الكلام: (إن أكل لف، وإن شرب اشتف، وإن نام التف)، ولو أرادت المدح لأوردت في الكلام ما يشير إلى انفصال تلك الصفة عما قبلها من الصفات، كأن تقول: (إلا أنه، لكنه، بيد أنه)، فكان الأقرب أن تكون الواو للعطف، وتريد بذلك اجتماع ذلك العيب إلى عيوبه السالفة الذكر.

٤ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط ٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م، (٣ / ٢٠٨)

٥ ينظر: عبد العزيز بن صالح العمار، حديث أم زرع دراسة بلاغية تحليلية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ١٤٧، ١٤٨

٦ الحافظ بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٩ / ١٧٠)

الصفة المقدمة على سائر صفات المدح:

من خلال تلك الصفات التي ذكرتها كل امرأة عن زوجها يفرض سؤال نفسه، ما الشيء الذي وجدته المادحات لأزواجهن فيهم فجعلتهن يمدحنهم، وعند فقدانه جعلتهن يذمنهم؟

أول من أشار إلى ذلك هو ابن القيم، وجعل مرد تعلق المرأة بالرجل: (التعظيم، والاهتمام، والمحبة) ثم أرجع الصفتين الأوليين إلى (المحبة)، وجعل عليها مدار العلاقة بين الرجل والمرأة.^(١)

لكن المحبة لا تصلح أن تكون هي أساس تلك العلاقة بين الرجل والمرأة، فقد تستمر الحياة حتى عند فقدان تلك المحبة، قال تعالى: (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: ١٩).

يدعو سبحانه وتعالى إلى التريث والمثابرة حتى في حالة الكراهية، ويفتح الأعين على العاقبة الحميدة: (وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا).

وعن عمر رضي الله عنه قال: "...إن أقل البيوت الذي يبني على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام، والإحسان".^(٢)

فقد أنكر عمر رضي الله عنه أن تبني كل البيوت على الحب وحده، لكن هناك بيوت قد تقوم على الرعاية والتذمم والإحسان ولولم يحب أحدهما الآخر. وأرجعت إحدى الباحثات أساس تعلق المرأة بالرجل إلى: (الاحتواء).^(١)

١ ينظر: ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت،

٢٠٠٣م، ١٦

٢ البخاري، التاريخ الكبير، (٤ / ١٥٢)، وابن جرير الطبري، تهذيب الآثار، مسند علي بن

أبي طالب، ٢٣٦

لكن هذه الصفة قد تحمل معنى يقلل من قيمة المرأة، وذلك بذويان شخصيتها التي أفردتها لها الإسلام في شخصية الرجل، ففي الاحتواء معنى الإحاطة والتقييد التام.

لكن الباحث يرى أن أساس التعلق يرجع إلى أمرين هما: (الموانسة، والكرم).

فأما الموانسة فهي الألفة، ويدور المعنى المحوري للكلمة حول "كون الشيء في وسط مجانس أو مشاكل له، ومنه إنسان العين وهو: المثال الذي يرى في السواد، وهو ناظرها، وإنسي القوس: ما ولي الرامي منها، ووحشيها: ما ولي الصيد. وإنسي القدم: الجانب الذي يلي جنسه أو أليفه. ومنه (الإنس، والإنسان)".^(٢)

ولعل من الملاحظ التقارب الصوتي والمعجمي بين مادتي: (أنس ، ونسو)، فإذا كانت الأولى تدور حول المجانسة والمشاكلية، فإن مادة: (نسو) تدور حول "غياب في الأثناء مع الامتداد فيها، كالعرق الذي يخرج من الورك والفخذين إلى الحافر، وكغياب الماء في اللبن، ومنه (النسيان) حيث يغيب ما كان محفوظاً في العقل ويخفى، ومنه (النسوة، والنساء) حيث يحملن في باطنهن الأجنة، ويحتبس الدم ثم يخرج هذا وهذا من باطنهن".^(٣)

وهذا الرجوع إلى المادة اللغوية للفظ (إنسان) ولفظ (نساء) يبين أن الإنسان تنبني مادة تكوينه على الأنس والألفة والمشاكلية والمجانسة لنظيره، فهو

٣ فوزية صالح الحبشي ، جماليات العلاقة بين الجنسين في حديث أم زرع، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، ٢٠١٤م.

٤ د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، (٤) / (٢١٨٧).

١ د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم ، (٤/٢١٨٤)

جُل ما يحتاج إليه بحيث إذا غابت عنه هذه الموانسة اهتم واغتم. كما أن المادة التكوينية للنساء هي الخفاء والغياب في مجاور وقرين، فهي لا تسعد إلا إذا أنست بهذا التخفي والاستتار في بعلمها، فإذا زالت هذه الموانسة أصبح هذا التخفي والاستتار أمر فيه إكراه، وهو ما يؤدي إلى التذمر والشقاء.

ومن الحقول الدلالية الصريحة لتلك الصفة في الحديث الشريف قول السادسة ذامة لزوجها لفقده تلك الموانسة: (ولا يولج الكف ليعلم البث) قيل معناه: "لا يدخل يده في أموري ليعرف ما أكرهه ويصلحه. وقيل معناه: أني إذا كنت عليلة لم يجئني، ولم يدخل يده تحت ثيابي ليعرف ما لي"،^(١) وقول الثامنة مادحة: (المس مس أرنب)؛ فإنها تريد بذلك لين جانبه، وحسن عِشْرته، والألفة بينهما، وقول أم زرع مادحة لزوجها: (أناس من حليّ أني)، فاخترت لفظة (أناس) ولم تأت بما يقوم مقامها مثل: (حرّك، أو ملأ).

وأما الصفة الثانية التي يمكن أن ترجع إليها النساء في مدحهن وذمهن لأزواجهن فهي الكرم.

والكرم: صفة جامعة لكثير من خصال الخير، وتدور ماته حول: "رقة الشيء المتجمع ونقاؤه، أو صفاؤه، مع قبول النفس له، كحب العنب، وفصوص الذهب والفضة، وهما من أرق الجواهر، وكالأرض المنتقاة من الحجارة مع صلوحها للزراعة، ومنه قوله تعالى: (أكرمي مشواه) (يوسف: ٢١)" كناية عن الإحسان إليه في مأكّل ومشرب وملبس.^(٢) وتكرّم الرجل: تنزّه عما يشينه.

٢ محمد بن عبد الكريم القزويني (٥٨٠هـ)، درة الدرر لحديث أم زرع، علق عليه: مشهور حسن سليمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩١م، ٤٢

٣ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، (٥/ ٢٩٣).

والكريم صفة تقتضي رفع المقام كقولهم: ثوب كريم، وحسب كريم. ومنه قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) (الإسراء: ٧٠) أي جعلناهم ذوي كرم، بمعنى الشرف، والمحاسن الجمّة. والكريم: الجواد وهو سمح النفس سهلها. وقيل إن الكرم: إفادة ما ينبغي، لا لغرض، فمن وهب المال لجمع منفعة أو جلب ضرر فليس بكريم.^(١)

ولعل هذه الصفة هي التي يميل إليها الباحث عند الترجيح بين كل الصفات التي أرجعها السابقون والمحدثون إلى سر مدح النساء لأزواجهن؛ لأن الكريم كما يفيض على زوجته من المال فإنه يفيض عليها كذلك بالتعظيم والاهتمام والاحتواء والمحبة، فهي صفة جامعة لكثير من صفات الخير.

قال رجل للحسن رضي الله عنه : "إن عندي ابنة لي وقد خُطبت إليّ فمن أزوجها ؟

قال : زوجها من يخاف الله؛ فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها".^(٢)

٤ د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، (٤ / ١٨٨٦) وما بعدها.
١ ابن أبي الدنيا، كتاب العيال، (١ / ٢٧٣)، والبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م، (١١/٩)، ٢٢٤٢

وجُل الصفات التي ذكرتها المواد في أزواجهن ترجع إلى هذه المادة:
(الكرم، والتكريم، والإكرام)، كما أن جُل الصفات التي ذكرتها الدَوَامُ ترجع إلى
أضدادها من (الخسة، واللؤم، والإهانة)، كما يلي:

صفات الكرم	صفات الكرم
أخاف ألا أذره	لا مخافة
إن أنطق أطلق	لا يسأل عما عهد
إن أسكت أعلق	قريب البيت من الناد
إن أكل لف	عظيم الرماد
إن شرب اشتف	له إبل كثيرات المبارك
شجك	إذا سمعن صوت المزهرة أيقن أنهن هوالك
فلك	أناس من حلي أذني
جمع كلاك	ملاً من شحم عضدي
	بجحني
	جعلني في أهل سهيل
	أقول فلا أقبح
	أرقد فأتصبح
	أشرب فأتقمح
	أراح عليّ نعماً ثريا
	أعطاني من كل رائحة زوجاً
	كلي أم زرع
	ميري أهلك

المبحث الرابع: سيميائية اللغة

المعجم اللغوي الوارد في الحديث:

المعجم اللغوي الوارد في الحديث الشريف معجم صعب اختار ألفاظاً تحتاج إلى الشرح والتفسير؛ وقد يكون ذلك مناسباً لحرص النساء على التستر والحياء، وعدم الظهور أمام الملاء، فكانت في كلماتها أقرب إلى البعد والغموض منه إلى الوضوح والظهور.

ويظهر ذلك فيما يلي: (غث): أي مهزول. (وغث): رمل، والمشى فيه يشد على صاحبه ويشق.

(لا أبتُّ خبره): أي لا أنشره وأشيعه. (إني أخاف ألا أذره): فيه تأويلان، أحدهما: أن الهاء عائدة على خبره، فالمعنى أن خبره طويل إن شرعت في تفصيله لا أقدر على إتمامه لكثرتة. والثاني: أن الهاء عائدة على الزوج، وتكون (لا) زائدة، ومعناه إني أخاف أن يطلقني فأذره. (عجره ويجره): المراد بهما عيوبه، وأصل العجر أن يعتقد العصب أو العروق حتى تراها ناتئة من الجسد، والبجر نحوها إلا أنها في البطن خاصة.

(العشيق): هو الطويل، ومعناه ليس فيه أكثر من طول بلا نفع.

(فهد): تصفه إذا دخل البيت بكثرة النوم، والغفلة في منزله عن تعهد ما ذهب من متاعه وما بقي من ماله.

(اللف في الطعام): الإكثار منه مع التخليط من صنوفه حتى لا يبقى منها شيء. (والاشتفاف في الشرب) أن يستوعب جميع ما في الإناء، مأخوذ من الشفافة، وهي ما بقي في الإناء من الشراب، فإذا شربها قيل: اشتفها، وشفافها.

(ولا يولج الكف ليعلم البث): أرادت وإن اضطجع ورقد التف في ثيابه في ناحية، ولم يضاجعني؛ ليعلم ما عندي من محبته.
 (غياياء، أو عياياء) وهي بالعين المهملة: الذي لا يلحق، أو هو العَيْن الذي تُعَيِّيه مُبَاضَعَةُ النساء، وغياياء بالمعجمة مأخوذ من الغياية، وهي الظلمة، وكل ما أظل الشخص، ومعناه لا يهتدي إلى سلك، أو أنها وصفته بنقل الرُّوح، وأنه كالظل المتكاثف المظلم الذي لا إشراق فيه، أو أنها أرادت أنه غُطيت عليه أموره. (طباقاء): المطبقة عليه أموره حمقاً، أو الذي يعجز عن الكلام، فتطبق شفاته، أو هو العيي الأحمق. (كل داء له داء) : أي جميع أدواء الناس مجتمعة فيه.

(شجك): أي جرحك في الرأس ، فالشجاج جراحات الرأس، والجراح فيه وفي الجسد. (فلك): الفل الكسر والضرب. ومعناه أنها معه بين شج رأس، وضرب، وكسر عضو، أو جمع بينهما.

(الزرنب) : نوع من الطيب معروف، أرادت طيب ريح جسده، أو طيب ثيابه في الناس، أو لين خلقه وحسن عشرته. (والمس مس أرنب) : كناية عن لين الجانب، وكرم الخلق.

(رفيع العماد): وصفته بالشرف، وسناء الذكر. (طويل النجاد): تصفه بطول القامة، والنجاد حمائل السيف ، فالطويل يحتاج إلى طول حمائل سيفه، والعرب تمدح بذلك. (عظيم الرماد) : تصفه بالجود وكثرة الضيافة من اللحوم والخبز، فيكثر وقوده، فيكثر رماده. أو لأن ناره لا تُطفأ بالليل لتتهدي بها الضيفان، والأجواد يعظمون النيران في ظلام الليل، ويوقدونها على التلال ومشارف الأرض، ويرفعون الأقباس على الأيدي لتتهدي بها الضيفان. (قريب البيت من النادي) : وصفته بالكرم والسؤدد، لأنه لا يقرب البيت من النادي إلا

من هذه صفته؛ لأن الضيفان يقصدون النادي، ولأن أصحاب النادي يأخذون ما يحتاجون إليه في مجلسهم من بيت قريب النادي، واللنام يتباعدون من النادي. (له إبل كثيرات المبارك) : أي أن له إبلاً كثيرات فهي باركة بفنائه، لا يوجهها تسرح إلا قليلاً قدر الضرورة، ومعظم أوقاتها تكون باركة بفنائه، فإذا نزل به الضيفان كانت الإبل حاضرة؛ فيقريهم من ألبانها ولحومها. (والمزهر): العود الذي يضرب، أرادت أن زوجها عود إبله إذا نزل به الضيفان نحر لهم منها، وأتاهم بالعيدان والمعازف والشراب، فإذا سمعت الإبل صوت المزهر علمن أنه قد جاءه الضيفان، وأنهن منحورات هوالك.

(أناس من حلبي): النوس: الحركة من كل شيء متدل، أي حلاني قرطة وشنوفاً، فهي تنوس أي تتحرك لكثرتها. (ملاً من شحم عضدي): أسمني، وملاً بدني شحماً، ولم ترد اختصاص العضدين، لكن إذا سَمِنَا سمن غيرهما. (وبجّحني فبجحت إلي نفسي): فبجحت (بكسر الجيم وفتحها)، أي فرحني وفرحت، أو عظمني فعظمت عند نفسي. يقال: فلان يتبجح بكذا: أي يتعظم ويفتخر. (في غنيمة): (تصغير الغنم)، أرادت أن أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل؛ لأن الصهيل أصوات الخيل، والأطيط أصوات الإبل وحنينها، والعرب لا تعد بأصحاب الغنم، وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل. (دانس): هو الذي يدوس الزرع في بيده.

(ومنق): قد يكون (بضم الميم) فهو من النقيق، وهو أصوات المواشي، تصفه بكثرة أمواله، ويكون منق من أنق إذا صار ذا نقيق، أو دخل في النقيق. وقد يكون (بفتح الميم) فيكون المراد به: الذي ينقي الطعام أي يخرج من بيته وقشوره، والمقصود أنه صاحب زرع، يدوسه وينقيه. (فغنده أقول فلا أقبح) معناه لا يقبح قولي فيرد، بل يقبل مني. (أتصّبح): أنام الصبحة، وهي بعد

الصباح، أي أنها مكفّية بمن يخدمها فتنام. (أتقنح) : (بالنون أو بالميم بعد القاف)، وكلاهما معناه: أروى حتى أدع الشراب من شدة الري.

(عكومها رداح): العكوم الأعدال والأوعية التي فيها الطعام والأمتعة، واحدها عكم. (ورداح): أي عظام كبيرة، ومنه قيل للمرأة : رداح إذا كانت عظيمة الأكفال. (وبيتها فسّاح): أي واسع، أرادت كثرة الخير والنعمة. (مسّل شطبة) : وهي ما شطب من جريد النخل أي شق، وهي السعفة؛ لأن الجريدة تشقق منها قضبان رقاق، مرادها أنه مهفهف خفيف اللحم كالشطبة، وهو مما يمدح به الرجل. (الجفرة) : هي الأنثى من أولاد المعز، أو من الضأن، وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها. والمراد أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به. (ملء كسانها): أي ممتلئة الجسم سمينة. (غيظ جارتها): المراد بجارتها ضررتها، يغيظها ما ترى من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها. وفي رواية أخرى: (وعقر جارتها) فيكون معناه تغيظها، فتصير كمعقور. وقيل: تدهشها من قولها عقر إذا دهش. (لا تبث حديثنا تبثيثا): أي لا تشيعه وتظهره، بل تكتم سرنا وحديثنا كله. (ولا تنقت ميرتنا تنقيثا): الميرة الطعام المجلوب، ومعناه لا تفسده، ولا تفرقه، ولا تذهب به ومعناه وصفها بالأمانة. (ولا تملأ بيتنا تعشيثا): أي لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر، بل هي مُصلحة للبيت، مُعتّيةً بتنظيفه.

(والأوطاب تُمخض): هو جمع وَطْب وهو سقية اللبن التي يمخض فيها. (يلعبان من تحت خصرها برمانتين): معناه أنها ذات كفل عظيم، فإذا استلقت على قفاها نتأ الكفل بها من الأرض حتى تصير تحتها فجوة يجري فيها الرمان. وقيل: المراد بالرمانتين هنا ثدياها، ومعناه أن لها نهدين حنينين صغيرين كالرمانتين.

(رجلاً سرياً) :سيداً شريفاً، أو سخيّاً. (ركب شرياً): وهو الفرس الذي يستشري في سيره أي يلح ويمضي بلا فتور، ولا انكسار.

(خطيا بفتح الخاء وكسرهما): الرمح منسوب إلى الخط من سيف البحر، أي ساحله عند عمان والبحرين، وسميت الرماح خطية لأنها تحمل إلى هذا الموضع، وتتقف فيه . (وأراح علي نعماً ثرياً): أي أتى بها إلى مراحها وهو موضع مبيتها. والنعم: الإبل والبقر والغنم. والثري: الكثير من المال وغيره ، ومنه الثروة في المال وهي كثرته. (وأعطاني من كل رائحة زوجاً): أي مما يروح من الإبل والبقر والغنم والعيبد. (وزوجاً) أي اثنين، ويحتمل أنها أرادت صنفاً. (ميري أهلك) : أي أعطيتهم وأفضلي عليهم وصليتهم.^(١)

التوازن بين الجمل في الحديث الشريف:

شاعت المحسنات البديعية في الحديث الشريف ما بين المحسنات اللفظية والمعنوية، فمن المحسنات اللفظية: السجع، ومن المحسنات المعنوية: الطباق، في إشارة إلى حرص هؤلاء النسوة على إثبات قدراتهن البيانية التي تضيف إلى جمال الإنسان الخارجي جمالاً داخلياً، قوامه اللسان، والقدرة على البيان، وقد يكون ذلك عوضاً عن غياب جمال الصورة التي تتميز بها النساء؛ فإن لجمال المرأة أثراً كبيراً على علاقتها بزوجها، ومعاملتها لها؛ فكأن كل واحدة منهن أرادت أن تدحض شبهة قد تدور في ذهن المتلقي، مضمونها: أن الفادحة في زوجها قد تكون هي المتسببة في ذلك لضعف حظها من الجمال، ويكون زوجها معذوراً في ذلك لفرط تعلقه بالجمال؛ فكانت طريقتها البارعة في التعبير قائمةً مقام حُسن الخِلقَة وبراعة التصوير.

١ ينظر: الحافظ بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، (٩/ ١٦٣ - ١٨٧) ، النووي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، (١٥/ ٣٠٥ - ٣١٨).

فمن السجع قول الثانية: (زوجي لا أبت خبره، إني أخاف أن لا أذره، إن أذكره أذكر عجره ويجره)، وقول الثالثة: (زوجي العشوق، إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق)، وقول الخامسة: (زوجي إن دخل فهد، وإن خرج أسد، ولا يسأل عما عهد)، وقول السادسة: (زوجي إن أكل لف، وإن شرب اشنف، وإن اضطجع التف)، وقول السابعة: (زوجي غيايا أو عيايا طباق، كل داء له داء)، وقول الثامنة: (زوجي الريح ريح زرنب، والمس مس أرنب)، وقول التاسعة: (زوجي رفيع العماد، طويل النجاد، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد)، وقول العاشرة: (زوجي مالك، وما مالك؟ مالك خير من ذلك، له إبل كثيرات المبارك)، وقول الحادية عشرة: (أناس من حلي أذني، وملا من شحم عضدي)، وقولها: (وجدني في أهل غنيمة بشق، فجعلني في أهل سهيل وأطيظ ودانس ومنق)، وقولها: (أقول فلا أقبح، وأرقد فأتصبح، وأشرب فأتقنح)، وقولها: (عكومها رداح، وبيتها فساح)، وقولها: (مضجعه كمسل شطبة ويشبعه ذراع الجفرة)، وقولها: (لا تبت حديثا تبثيثا، ولا تنقت ميرتنا تنقيثا)، وقولها: (فلقي امرأة معها ولدان لها كالفهدين، يلعبان من تحت خصرها برمانتين)، وقولها: (فنكحت بعده رجلا سريا، ركب شريا، وأخذ خطيا، وأراح علي نعم ثريا).

ومن الطباق قول الثانية: (عجره ويجره)، وقول الثالثة: (إن أنطق أطلق، وإن أسكت أعلق)، وقول الرابعة: (لا حر، ولا قر)، وقول الخامسة: (إن دخل فهد، وإن خرج أسد)، وقول العاشرة: (كثيرات المبارك، قليات المسارح)، وقول الحادية عشرة: (فطلقتي ونكحتها).

التقديم والتأخير:

تناول هذا الحديث الشريف صورًا جديدة من صور التقديم والتأخير، منها:
- تقديم المرأة على الرجل، وجعلها هي المتحدث لا الرجل.

- تقديم المادحات لأزواجهن على القادحات.

- تقديم صفة الكرم على غيرها من الصفات في أخلاق الأزواج.

أما تقديم المرأة على الرجل ففي غالب الأحوال تكون المرأة هي المحكي عنها، بيد أنها في هذا الحديث هي المتحدثة الحاكية، فقد حضرت صورة المرأة في الأدب الجاهلي حضوراً لافتاً للنظر، فنراه يقف على أطلالها، ويبدأ قصائده بذكرها والتغزل فيها، ويحارب من أجلها، فهي عرضة الذي يبذل دمه وماله رخيصاً من أجل حمايتها والدفاع عنها، وربما كان وأد بعض القبائل بناتهم دليلاً على رفعة مكانتها، وإكبار قيمتها، فهو يخاف عليها من الأسر والعار الذي لا تستطيع أن تدفعه عن نفسها، فيلومه الناس ويعيرونه، حتى إن هذا الخوف يقوده إلى طريق معوج، وفعل أهوج.

فكانت الصورة الحاضرة بقوة في الجاهلية عن المرأة هي غالباً صورة خرساء، يُتحدث عنها ولا تتحدث، تجيش المشاعر وتهيم النفوس حباً فيها دون أن يحاول أحد التخلل إلى شعورها وأمانيتها، وما تحب، وما تكره، 'فكل ما ننتلقاه من أدب وتراث عن المرأة هو نتاج لهذه الصورة الخرساء لذلك الجسد النائي، وهذه ليلي وعزة وبثينة من المعشوقات الهلاميات الخرس مثل اللات والعزى ومناة، ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نتصور وجودهن الفاعل، لأن اللغة لم تردهن للكلام، وإنما أرادت سكوتهن وتعليقهن في سماء الخيال المجنح.'^(١)

لكن هذا الحديث يرفع صوت المرأة عالياً، فتبث شكواها، وتلقي بشجونها بين يدي أترابها؛ فيثبت أنها كائن بشري شأنها شأن الرجل، لا مجرد مكان لقضاء الوطر، هن شقائق الرجال، خُلِقن للرجال، ولهن خُلِق الرجال، بل قد

١ عبد الله الغدامي، ثقافة الوهم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط. ٢٠٠٠، ص ٣٩

تتجاوزه في بعض الأوقات وتتقدم عليه إذا كان الأمر يتعلق بها، كما في هذا الحديث الشريف الذي كانت بدايته: جلس إحدى عشرة امرأة....
وأما تقديم القادحات في أزواجهن على المادحات فيتجلى فيه واضحاً براعة الراوي، ويقوم بدور الراوي في هذا الحديث الشريف: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويقوم بدور المروي له: زوجها رسول الله ﷺ، وقد ظهرت براعة الرواية في التقديم والتأخير، فمن ذلك:

-أنها بدأت بمن لا يُرجى من ورائه خير البتة، لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا يستطيعه أحد، ولا يرغب فيه إنسان، ولو رغب فيه أحد لكان ذلك ضرباً من المشقة البالغة، والجهد الجهد، وانتهت بأشدهن تعلقاً بزوجها، حتى بعد طلاقها منه، بل تعدى هذا التعلق والحب إلى حب كل ما اتصل به من ابنه وابنته وأمه وخادمتها، كما قال الشاعر وقد أحب جارية سوداء:

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب^(١)

وهذا من مهارات السارد؛ لأنه آخر ما يعلق في الذهن، فيترك المتلقي منشرج النفس منفرج الأسارير.

كما يظهر أيضاً ذكاء المتلقي وهو رسول الله ﷺ الذي علم أن زوجته - وكذلك كل امرأة لها بعل- ستمثل واقع إحدى النساء المذكورات مع زوجها، وتأخذ مكان إحداهن، فبادر إلى تمثيل شخصية أحد الرجال، وقال: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع"، وزاد عليه قائلاً: "إلا أن أبا زرع طلق وأنا لا أطلق."^(٢)

١ البيت غير معروف قائله، وقد ذكره النقاد شاهداً لحب كل ما يتصل بالمحبيب، اسماً ولوناً، وعلاقة قريبة أو بعيدة، ينظر شرح المفصل، (٩ / ٤٧)، وخزانة الأدب، (٧ / ٢٧٣)
٢ أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في المعجم الكبير، رقم ٢٦٥، وجلال الدين السيوطي في الفتح الكبير، رقم ٤٢

زاد في رواية الهيثم بن عدي: (في الألفة والوفاء لا في الفرقة والجلاء)، وزاد الزبير بن بكار في آخره: (إلا أنه طلقها وإني لا أطلقك). وزاد النسائي في رواية له والطبراني: قالت عائشة: يا رسول الله بل أنت خير من أبي زرع. وكأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك تطييباً لها وطمأنينة لقلبها ودفعاً لإيهاهم عموم التشبيه بجملة أحوال أبي زرع؛ إذ لم يكن فيه ما تدمه النساء سوى ذلك، وأجابت هي عن ذلك جواب مثلها في فضلها وعلمها.^(١)

بلاغة الإطناب:

تتعدد أساليب الإطناب في هذا الحديث الشريف، منها: الإيضاح بعد الإبهام في قول العاشرة: زوجي مالك، وما مالك، مالك خير من ذلك، فقد أبهمت في الجملة الأولى مكانة زوجها ومنزلته بأسلوب الاستفهام الذي يفيد التعظيم (وما مالك؟)، ثم وضحت هذا الإبهام في الجملة التالية (مالك خير من ذلك).

يقول ابن حجر: وقولها مالك خير من ذلك زيادة في الإعظام وتفسير لبعض الإبهام وأنه خير مما أشير إليه من ثناء وطيب ذكر وفوق ما اعتقد فيه من سؤدد وفخر وهو أجل ممن أصفه لشهرة فضله، وهذا بناء على أن الإشارة بقولها (ذلك) إلى ما تعتقده فيه من صفات المدح.^(٢)

فقولها (وما مالك؟) أي شيء عظيم هائل، أي ما أعظمه وما أكرمه، وتفسيرها لهذا الإبهام في قولها: (مالك خير من ذلك) زيادة في التعظيم، وتفسير لبعض الإبهام والمعنى مالك خير مما أقوله عنه من ثناء، أي هو خير مما سأقول عنه، ومدحي قاصر عن حقيقته وواقعه، ومهما قلت فلن أوفيه حقه، فالإشارة إلى ما ستقوله من مدح، وقيل: الإشارة إلى ما في ذهن المخاطب أي

١ ابن حجر، فتح الباري، (٩ / ٢٧٥).

٢ ابن حجر، فتح الباري، (٩ / ٢٦٦).

مالك خير مما يخطر ببالك من الثناء، ويحتمل أن تكون الإشارة إلى ما تقدم من الثناء على الذين قبله أي مالك أجمع من الذين قبله لخصال السيادة والفضل.^(١) وكذلك في قول أم زرع عن زوجها: زوجي أبو زرع، وما أبو زرع؟ بالاستفهام التعظيمي، ثم وضحت حيثيات هذا التعظيم بعد ذلك فقالت: أناس من حلي أذني...، وفي وصفها لأم زوجها: أم أبي زرع، وما أم أبي زرع؟ ثم وضحت هذا الإبهام فقالت: عكومها رداح...، وفي وصفها لابن أبي زرع: ابن أبي زرع، وما ابن أبي زرع؟ ثم وضحت هذا الإبهام في قولها: مضجعه كمثل شطبة...، وفي وصفها لابنة أبي زرع: ابنة أبي زرع، وما ابنة أبي زرع؟ ثم وضحت الإبهام في قولها: طوع أبيها، وطوع أمها...، وفي وصفها لجارية أبي زرع: جارية أبي زرع، وما جارية أبي زرع؟ ثم وضحت الإبهام فقالت: لا تبث حديثنا تبثياً....

يقول الخطيب القزويني: والإيضاح بعد الإبهام لون من ألوان الإطناب يرى به المعنى في صورتين مختلفتين؛ ليتمكن في النفس فضل تمكن؛ فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم، أو لتمكن اللذة بالعلم به؛ فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به أتم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم أو لتفخيم الأمر وتعظيمه.^(٢)

^١ د. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، (٤٠١/٩)

^٢ الخطيب القزويني، الإيضاح، (١٩٧/٣)

ويقول بهاء الدين السبكي: "إذا أردت أن تبهم ثم توضح فإنك تطنب، وفائدته: إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين بالإبهام والإيضاح، أو ليتمكن المعنى في النفس فضل تمكن أي تمكنا زائدا، أو لتكمل لذة العلم به، لأن الشيء إذا علم من وجه ما، تشوقت النفس للعلم به من باقي الوجوه دفعة واحدة."^(١)

ومن أساليب الإطناب في هذا الحديث الشريف الاحتراس أو التتميم في قول التاسعة: (وأنا أغلبه والناس يغلب)، ففي الجملة الأولى إيهام بأنه قد يكون ضعيفاً؛ فإن امرأته تغلبه، فلما جاءت الجملة الثانية (والناس يغلب) رفعت هذا الإيهام، وكانت احتراساً من أن يفهم غير المعنى المراد.

قال ابن حجر: قولها: (وأنا أغلبه والناس يغلب)، وصفته مع جميل عشرته لها، وصبره عليها بالشجاعة، وهو كما قال معاوية: يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام، قال عياض: هذا من التشبيه بغير أداة، وفيه حسن المناسبة والموازنة والتسجيع، وأما قولها (والناس يغلب) ففيه نوع من البديع يسمى التتميم؛ لأنها لو اقتصر على قولها وأنا أغلبه لظن أنه جبان ضعيف، فلما قالت: والناس يغلب دل على أن غلبها إياه إنما هو من كرم سجاياه، فتممت بهذه الكلمة المبالغة في حسن أوصافه."^(٢)

والتتميم: هو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضل تفيده نكتة، كالمبالغة في قوله تعالى: ﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾، أي مع حبه والضمير للطعام أي مع اشتهاؤه والحاجة إليه، ونحوه: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾،

^١ بهاء الدين السبكي عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د. عبد الحميد

هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣ م (٦٠٥/١)

^٢ ابن حجر، فتح الباري، (٢٦٥/٩)، وينظر: البحر المحيط الشجاع، محمد آدم الأثيوبي،

(١٤٠/٣٩)

وكذا: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وعن الفضل بن عياض: (على حب الله)، فلا يكون مما نحن فيه، وفي قول الشاعر:
إني على ما ترين من كبري ... أعرف من أين تؤكل الكتف.^(١)
فهو عبارة عن تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن، فهذا تقرير معناه في مراد علماء البلاغة، ثم يرد على أوجه ثلاثة، إما للمبالغة، وإما للصيانة، وإما لإقامة الزنة^(٢)، وهي في هذا المقام للصيانة عن فهم معنى غير المعنى المراد.

^١ الخطيب القزويني، الإيضاح، (٢١٢/٣، ٢١٣)

^٢ ينظر: يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، (٥٧/٣)

المبحث الخامس: سيميائية الفضاء

مصطلح الفضاء: (الزمان/ والمكان).

تدور مادة (فضى) حول "انفساح في شيء واتساع، ومن ذلك الفضاء: المكان الواسع."^(١) ويستعمل هذا المصطلح في علوم متعددة، لكن المراد به في النقد الأدبي الحديث هو الفضاء الروائي الذي يعرف بأنه: "الحيز الزمكاني الذي تتمظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبسة بالأحداث تبعاً لعوامل عدة تتصل بالرؤية الفلسفية، وبنوعية الجنس الأدبي، وبحساسية الكاتب."^(٢)

وهو مصطلح شامل يتسم بالتشابك، ويصل حد التعقيد؛ لأنه يكاد يستوعب العناصر والأبعاد والرؤى والأنساق والمفاهيم التي تشكل النص الشعري، وربما عدّه بعضهم "النص كله."^(٣) "فبدونه لا وجود للخط السردي القصصي؛ لأن عناصر القصة في سرديتها وحدة واحدة لا تنفصل عراها، ولا تنفرد مكوناتها لتعمل بمعزل عن بقية المكونات السردية."^(٤) ويعتبر هو المؤلف بين مكونات الرواية، "حيث يشمل الفضاء مجموع الرواية، بما فيها الأحداث المسرودة التي لا يمكننا تحديدها إلا في إطار استمرار المكان، الذي يلفها، ويظل موجوداً أثناء جريانها."^(٥)

^١ ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الجيل، ١٩٩٩م، كتاب الفاء (باب الفاء والضاد وما يتلثهما)، مادة: فضى

^٢ منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربية- الإطار والدلالة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣م، ص ٢١

^٣ السابق، ص ٥٢

^٤ د. أسامة جاب الله، جماليات السرد الزمكاني في قصة أصحاب الكهف، ص ٥

^٥ ينظر حميد لحداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١، ١٩٩١م، ص ٦٤.

وثمة خلط واضح في التعريف السابق بين (الفضاء) و(المكان)، فالفضاء لا يرادف المكان، لكن المكان جزء من الفضاء، فهو "سبب في وضع الفضاء، أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان".^(١)

ثم يأتي الزمان جزءاً متمماً للفضاء "فوظيفة المكان تتمثل في احتواء الزمن مكثفاً في مقصوراته المغلقة التي لا حصر لها".^(٢) كما يستحيل دراسة الزمان في أي عمل سردي دون أن ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره^(٣)، وهو ما يُطلق عليه (الزمان الروائي) الذي يعني "العلاقة المتبادلة الجوهرية بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعاباً فنياً".^(٤)

"وهذه العلاقة الجدلية بين الزمان والمكان هي ما تمنح الأحداث صفة الصيرورة والسيرورة معاً، تمنحها صفة التشكل والتغير"^(٥)، ومن ثم يتم استكشاف فضاء النص، أي المكان بترابطه مع الزمان، وما يتمخض عن هذه العلاقة؛ إذ يبرز الارتباط المتبادل بين العلاقات المكانية والزمانية في الكل المدرك الملموس، فالزمان يتكثف وينضج من الناحية الفنية ليشير إلى المكان، والمكان يمتد ويصبح قوياً؛ كي يصل بين حركة الزمان والمضمون والتاريخ.^(٦)

^١ محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر - الدار البيضاء، ط ٢، ٢٠٠١م، (٣/ ١١٢)

^٢ غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بغداد، ١٩٨٠م، ص ٥٥

^٣ ينظر: عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، ص ٢٢٧.

^٤ غاستون باشلار، جماليات المكان، ص ٤٤

^٥ د. أسامة جاب الله، جماليات السرد الزمكاني في قصة أصحاب الكهف، ص ٥

^٦ إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٣٧ بتصرف.

أما الزمان الذي قيل فيه الحديث الشريف فهو زمان الجاهلية، وقد ظهر ذلك في رواية النسائي: "عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: اجْتَمَعْنَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَتَعَاهَدْنَ أَنْ يَتَّصِدْنَ بَيْنَهُنَّ وَلَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا..."^(١) ولعل هذا التوضيح الزماني يفسر سر الفصاحة العالية التي تعالت بها أصوات تلك النسوة، فقد كان زمن الجاهلية أكثر العصور التاريخية التي أعلت من شأن الفصاحة، وأقامت سوقًا للكلمة، ونزل القرآن متحديًا لهم في ذلك المجال الذي برعوا فيه، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣)، وفي تحدي القرآن لهم شهادة ببلوغهم الغاية البشرية في هذا الشأن؛ إذ لا يتحدى إلا من بلغ شأواً عالياً في مجاله، وإلا كان عبثاً ينتزعه عن مثله كتاب الله.

أما الدلالة الأخرى للزمن الجاهلي الذي ورد فيه الحديث فهو تواضع النبي ﷺ وتمثله لحال أحد هؤلاء الرجال المذكورين طلباً للحكمة في مظانها كما في الحديث "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ الْمُؤْمِنِ، فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا"^(٢).

فلم يكن العهد الجاهلي الذي أرسل النبي ﷺ لهدم ما كان به من انحرافات عقديّة وأخلاقية مانعاً له أن يتمثل بحال رجل من ذلك العهد في حسن خلقه وإكرامه لزوجته، وفي ذلك إنصاف كبير منه ﷺ لصاحب ذلك الخلق الكريم، وتواضع منه ﷺ أن يتنزل من علياء أخلاقه الشمّاء ليجعل من نفسه مشبهاً بذلك الرجل المكرّم زوجته، المحسن إلى أهله.

^١ النسائي، السنن الكبرى، (٢٤٦/٨)، ٩٠٩٠.

^٢ النسائي، سنن الترمذي، (٣٤٨/٤)، ٢٦٨٧.

وقد ورد الزمن لدلالة خاصة في كلام بعض النساء، كما في قول الرابعة: (زوجي كليل تهامة، لا حر ولا قر، ولا مخافة ولا سامة)، فقد أرادت أن تصور طيب خلقه فشبهته بليل تهامة في اعتداله، وشعور الناس بالأمان فيه، قال ابن حجر: "ضربوا المثل بليل تهامة في الطيب؛ لأنها بلاد حارة في غالب الزمان وليس فيها رياح باردة، فإذا كان الليل كان وهج الحر ساكنًا، فيطيب الليل لأهلها بالنسبة لما كانوا فيه من أذى حر النهار، فوصفت زوجها بجميل العشرة، واعتدال الحال، وسلامة الباطن، فكأنها قالت: لا أذى عنده ولا مكروه، وأنا آمنة منه فلا أخاف من شره، ولا ملل عنده فيسأم من عشرتي، أو ليس بسوء الخلق فأسأم من عشرته، فأنا لذيدة العيش عنده كلذة أهل تهامة بليلهم المعتدل."^(١)

وقال النووي: "هذا مدح بليغ ومعناه ليس فيه أذى بل هو راحة ولذاذة عيش كليل تهامة لذيد معتدل ليس فيه حر ولا برد مفرط ولا أخاف له غائلة لكرم أخلاقه ولا يسأمني ويمل صحبتي."^(٢)

وكان للزمن دلالة أيضًا في قول أم زرع: (خرج والأوطاب تمخض)، فالأوطاب: "جمع وطب وهو وعاء اللبن"^(٣)، حيث حددت الوقت الذي خرج فيه أبو زرع حين رأى المرأة التي أعجبتة، ولعل في تعيين هذا الوقت دلالة على نشاط زوجها، وتبكيه بالخروج من بيته طلبًا للرزق، كما يحمل دلالة أخرى على كثرة ماله ووفرة نعمه التي تنتج له كثيرًا من الألبان لتمخض في وقت البكور،

^١ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٦١/٩)

^٢ النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (٢١٤/١٥)

^٣ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٧٣/٩)

ولهذا كان جمع الكثرة في (الأوطاب)، "فالصحيح أن (الأوطب) تستعمل في القلة، (والأوطاب) تستعمل في الكثرة".^(١)

قال ابن حجر: "أرادت أنه يبكر بخروجه من منزلها غدوة وقت قيام الخدم والعبيد لأشغالهم، وانطوى في خبرها كثرة خير داره وغزر لبنه وأن عندهم ما يكفيهم ويفضل حتى يمخضوه ويستخرجوا زبده، ويحتمل أن يكون أنها أرادت أن الوقت الذي خرج فيه كان في زمن الخصب وطيب الربيع، وكأن سبب ذكر ذلك توطئة للباعث على رؤية أبي زرع للمرأة على الحالة التي رآها عليها، أي أنها من مخض اللبن تعبت فاستلقت تستريح فرآها أبو زرع على ذلك".^(٢)

فكان اهتمام أم زرع بذكر الوقت الذي خرج فيه زوجها - كما قال ابن حجر - توطئة للباعث على رؤيته للمرأة التي أعجبه فتزوجها، لكنه قد يحمل كذلك ألمًا نفسيًا دفينا أرادت أم زرع أن تبثه للمستمتع من النساء المجتمعات، وهو أنه فضلَّ عليها امرأة من الخدم والعبيد من اللاتي يعملن في مثل هذا الوقت من النهار، وقد كُتت وتعبت من العمل حتى استلقت على ظهرها، وطلقها فتركها مكلومة وهي سيدتها المخدومة، وكانت في مثل هذا الوقت ناعمة الحال هانئة البال ترقد فتتصبح؛ فكان الزمن مصورًا لذلك الألم ومشيرًا له من طرف خفي.

أما المكان فإن أثره يظهر بجلاء ووضوح في مفردات الحديث الشريف، فالبيئة الصحراوية تفصح عن نفسها في مفردات: (الجمال - الجبل - تهامة - فهد - أسد - إبل - غنيمة - مسل شطبة - كالفهدين - ركب شريًا - أخذ خطيًا)، وربما يفسر هذا خشونة بعض الكلمات ووعورتها في كلام بعض النسوة مثل:

^١ ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٥٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط ٢، ٢٠٠٣م (٣٠٦/٧)

^٢ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٢٧٣/٩)

(عجره- ويجره- العشنق- غياياء- أطيظ- دائس- منق)، فكأنما كانت البيئة تنطق من بين ثنايا هؤلاء النسوة بجميع عناصرها من جبال ودواب وبيوادٍ، ومفترسات وفرائس.

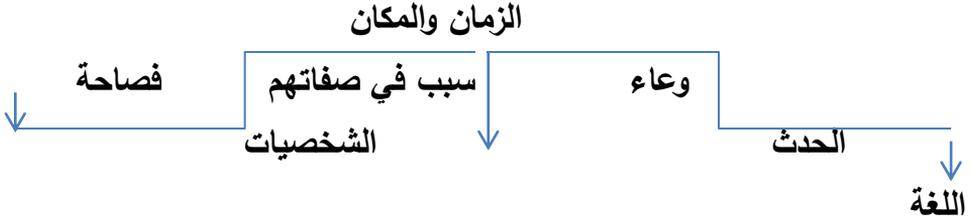
كما ذكرت بعض الأمكنة لتدل على أغراض سيق لها الكلام بعينها:

المكان	دلالاته
تهامة	الاعتدال
قريب البيت من الناد	الكرم
كثيرات المبارك	الكرم
قليلات المسارح	الكرم
وجدني في أهل غنيمة بشق	الفقر
جعلني في أهل سهيل...	الغنى
مضجعه كمسل شطبة	النحافة
بيتها فساح	الغنى
لا تملأ بيتنا تعيشاً	النظافة
يلعبان من تحت خصرها برمانتين	حُسن الكفلين أو النهدين

ومن ثم، تتلاقى العلاقات بين كل من الحدث والشخصية واللغة والزمان والمكان، فالزمان والمكان كانا وعاء للحدث، وأثرا على الشخصيات فانتجوا تلك اللغة الفصيحة العالية، كما أثر الزمان والمكان على الشخصيات، فكانوا بتلك الصفات الممدوحة حيناً والمذمومة أخرى، وصنعوا بذلك الحدث.

أسس الإصلاح الاجتماعي في حديث أم زرع مقارنة سيميائية

وقد أثر الزمان والمكان على اللغة كذلك، فقد أنتج الزمان الجاهلي،
والبيئة البدوية التي سكنوها تلك اللغة الفصيحة العالية ذات النسق العالي،
والجمال البياني.



الخاتمة

تناول هذا البحث -بحول الله- أسس الإصلاح الاجتماعي في حديث أم زرع الذي يُعد دستوراً للعلاقة بين الرجال والنساء، وقد خلص البحث إلى بعض النتائج، هي:

١- التحليل السيميائي يضيف جديداً في النصوص الشرعية، حيث يبدأ من ظاهر النص ومن خارجه، ولا يتوقف عند دراسة هذا البناء الظاهري، بل يسري في تضاعيف النص، مكتشفاً إحالاته ورموزه، والتتبع للدلالات الناتجة عن تلك الرموز، ثم الربط بينها في علاقات متباينة.

٢- اجتهد شراح الحديث في وضع عنوان الكتاب والباب الذي ورد فيه هذا الحديث، وكان (ابن حبان) رحمه الله كان أكثر توفيقاً من غيره؛ لأنه ردّ مساق الحديث إلى هدفه الأسمى، وغايته العظمى، وهو أنه ﷺ حسن العشرة كحسن عشرة أبي زرع لأم زرع.

٣- ينفرد ذلك الحديث الشريف باشماله على قيمة عالية قد تفرد بها دون سائر النصوص السابقة عليه في الجاهلية أو في الإسلام؛ فللمرة الأولى منذ الجاهلية السحيقة نسمع صوت المرأة تتحدث عن زوجها بهذه الصراحة المطبقة.

٤- صفة الكرم هي التي يميل إليها الباحث عند الترجيح بين كل الصفات التي أرجعها السابقون والمحدثون إلى سر مدح النساء لأزواجهن؛ لأن الكريم كما يفيض على زوجته من المال فإنه يفيض عليها كذلك بالتعظيم والاهتمام والاحتواء والمحبة، فهي صفة جامعة لكثير من صفات الخير.

٥- شاعت المحسنات البديعية في الحديث الشريف ما بين المحسنات اللفظية والمعنوية، في إشارة إلى حرص هؤلاء النسوة على إثبات قدراتهن البيانية التي تضيف إلى جمال الإنسان الخارجي جمالاً داخلياً،

قوامه اللسان، والقدرة على البيان، عوضاً عن غياب جمال الصورة التي تتميز بها النساء.

٦- حمل الزمن بعض الدلالات في الحديث الشريف، فقد أثر على ألفاظ الحديث فكانت في درجة البيان العالي، كما دل الزمن على تواضع النبي ﷺ الذي تمثل بحال أحد هؤلاء الرجال الذين عاشوا في الجاهلية.

٧- استخدمت عناصر البيئة بما تحويه للدلالة على بعض الصفات مثل الكرم والغنى والفقر، والاعتدال في الخلق.

المصادر والمراجع

- ١- إبراهيم جنداري ، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١٣م.
- ٢- ابن بطل أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ٣- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ٤- ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٥- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، دار الجيل ، ١٩٩٩م.
- ٦- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٧- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م.
- ٨- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، ١٤٢٠هـ.

- ٩- أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
- ١٠- د. أسامة جاب الله، إنجاز النص، مقاربات في التنظير والتطبيق، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٥م.
- ١١- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ١٢- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
- ١٣- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٢، ١٩٧٥م.
- ١٤- الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٩٨١م.
- ١٥- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.

- ١٦- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ط٣، ١٩٩٧ م.
- ١٧- النوي ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- ١٨- بهاء الدين السبكي عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ٢٠٠٣ م.
- ١٩- حميد لحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
- ٢٠- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني الشافعي (المتوفى: ٦٢٣هـ)، درة الضرع لحديث أم زرع، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١ م.
- ٢١- د. عبد الرحمن فودة، في رحاب النص، دار المشرق العربي، ٢٠١٩م.
- ٢٢- عبد الله الغدامي، ثقافة الوهم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢٠٠٠م.
- ٢٣- عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٥م.
- ٢٤- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بغداد، ١٩٨٠م.
- ٢٥- فوزية صالح الحبشي، جماليات العلاقة بين الجنسين في حديث أم زرع، مجلة التشريع الإسلامي والأخلاق، ٢٠١٤م.

- ٢٦- محمد آدم الأثيوبي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، ١٤٣٦ هـ.
- ٢٧- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر- الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١ م.
- ٢٨- د. محمد حسن جبل، المعجم الاشتقاقي لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة.
- ٢٩- محمد بن عبد الكريم القزويني (٥٨٠هـ)، درة الدرر لحديث أم زرع، علق عليه: مشهور حسن سليمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩١ م.
- ٣٠- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- ٣١- منيب محمد البوريمي، الفضاء الروائي في الغربية- الإطار والدلالة، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣ م.
- ٣٢- د. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢ م.
- ٣٣- يحيى بن حمزة العلوي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

المجلات والدوريات:

- ١- عبد العزيز بن صالح العمار، حديث أم زرع دراسة بلاغية تحليلية، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها.
- ٢- فريدة ملوكي، سيميائية الحدث في النقد الروائي الجزائري، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر، ٢٠١٦ م.

عموم المشترك وأثره على الأحكام

إعرابو

أ.د. عبد الله بن حسين الموحان
الأستاذ الدكتور في الفقه وأصوله
أستاذ دكتور الفقه المقارن
من جامعة أفريقيا الفرنسية العربية

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المخلص:

البحث يعني ببيان أن المشترك اللفظي ليس هو المجمل، وإنما هو أحد صوره. وقد تسنى لي بحث ذلك تحت عنوان: [عموم المشترك وأثره على الأحكام] في فصلين من خلال الخطة التالية: [الفصل الأول: تقسيم الألفاظ. - المبحث الأول: المشترك اللفظي. - المبحث الثاني: وقوع المشترك في اللغة. *]. الفصل الثاني: تحقيق المذاهب في عموم المشترك وأثرها على التفسير والأحكام. المبحث الأول: أثر وقوع الاشتراك على التفسير والأحكام. - المبحث الثاني: تحقيق المذاهب في عموم المشترك. * الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات. ومن أهمها: [القول بالجواز هو مذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين. - القول بالمنع هو مذهب الحنفية وطائفة من العلماء - المرجح عند جماعة من المحققين: جواز أن يراد بالمشارك عدة معان إذا لم يكن بينها تصادم، لكن بإرادة المتكلم، وليس بدلالة اللغة، وقد جاء كثيرا متوافرا في نصوص الوحي. ومن المقترحات: جمع المسائل التي يُظن مخالفة ابن القيم لشيخه ابن تيمية في الأصول، ومعالجتها على النحو الذي تم في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: المشترك - عموم - كل المعاني - الشافعي - ابن تيمية - ابن القيم.

Abstract

The research aims to show that the verbal common is not the whole, but rather one of its forms. I was able to discuss this under the title: [Generality of the Common and its Impact on Judgments] in two chapters through the following plan: [Chapter One: Division of Words. - The first topic: the verbal joint. - The second topic: The common occurrence in the language. *. Chapter Two: Investigating the doctrines in general and their impact on interpretation and rulings. The first section: The effect of participation on interpretation and rulings. - The second topic: investigating the doctrines in general.

Conclusion: It contains the most important results, recommendations and proposals.

Among the most important of them is: [The view that it is permissible is the doctrine of the majority of jurists and theologians. - The view of prohibition is the doctrine of the Hanafi school of thought and a group of scholars. - What is more likely according to a group of scholars is that it is permissible to mean several meanings by the common one if there is no clash between them, but this is due to the will of the speaker, and not by the meaning of the language, and it has been mentioned frequently and is available in the texts of revelation. Among the suggestions: Collecting the issues in which Ibn al-Qayyim is thought to differ from his Sheikh Ibn Taymiyyah regarding principles, and treating them in the manner that was done in this research.

Keywords: common - general - all meanings - Al-Shafi'i - Ibn Taymiyyah - Ibn al-Qayyim.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،،،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١]^(١).

أما بعد..

يمثل الفقه الإسلامي الروح الإسلامية أصدق تمثيل، كما يمثل لنا التفكير الإسلامي وطريق الحياة في الإسلام، والفقه مبناه على أصول وقواعد دقيقة استنبطها العلماء من الكتاب والسنة، وبينوا أصول المسائل، وطبقوا ذلك في استنباطاتهم في المسائل المختلفة، وجمعوا هذه القواعد والمسائل في مصنفات مفردة، فيما سمي لاحقاً بعلم (أصول الفقه).

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

علم أصول الفقه من العلوم الأساسية في الدين لضبط الخلاف، وتمييز الغث من الثمين، وكشف مناهج الأئمة والعلماء في الاجتهاد والاستنباط والاستدلال، لذلك بين ابن خلدون أهمية أصول الفقه، فقال: (اعلم أن أصول

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه وللشيخ الألباني رسالة مفردة في تخريجها، وهي مشهورة.

الفقه من أعظم العلوم الشرعية، وأجلها قدراً، وأكثرها فائدة ... وهو في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام^(١).

وأصول هذا العلم ترجع للوحيين وجهود الصحابة - رضوان الله عليهم - وما نقلوه عن الرسول ﷺ من شرح وتوضيح وتوجيه، ثم بمجهودات أئمة الأجيال التي أعقبت الصحابة - عليهم السلام - جاء البيان التام لمصادر الشريعة الإسلامية، واتضحت المناهج التي يمكن بها استمداد الأحكام التي تحدد مسار الخلق، وترسم لهم الطريق الذي يقودهم إلى بلوغ مصالحهم في الدنيا والآخرة.

فهو علم عظيم نفعه وقدره، وعلا شرفه وفخره؛ إذ هو مثار الأحكام الشرعية، ومنار الفتاوى الفرعية التي بها صلاح المكلفين معاشاً ومعاداً، ثم إنه العمدة في الاجتهاد، وأهم ما يتوقف عليه من المواد.

وقد ظل علم أصول الفقه محط اهتمام المسلمين على مر العصور، وظل في مقدمة العلوم التي يندفع الدارسون لتلقيها وتدريسها. فهو غزير في مادته، يشبع نهم المقبلين عليه، ويخاطب عقولهم، ويحث فيهم جذوة التفكير - بجانب أهميته ومكانته الرفيعة، فإذا أدرك الباحث أبعاد هذا العلم يجده متصلاً بجميع العلوم الشرعية، والعربية بمواده المتنوعة، فلا يتمكن منه دارس إلا وقد حصلت له ملكة استنباط الأحكام الشرعية.

ومن المسائل المهمة في أصول الفقه: ما يتعلق بالمشترك وعمومه وما يترتب عليه من أحكام.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة أهداف، ولعل من أهمها:
- بيان معنى المشترك، ومعنى عمومه.

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٤٥٥).

- بيان ما يترتب على عموم المشترك من أحكام فقهية.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على بيان عموم المشترك وأثر ذلك على الأحكام من غير تحديد لعلم أو مذهب فقهي محدد.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات اعتنت ببيان عموم المشترك، وبعضها تطرق لأثر ذلك على التفسير، أو الأحكام، ومنها:

[١] ومنها بحث د. بسام علي، (الاختلاف في عموم المشترك، وتطبيقاته الفقهية، نشر في المجلة الجزائرية للمخطوطات في (٨/١٠/٢٠٢٢)، وكان ملخصه ما يلي: [يعتبر عموم المشترك من المسائل الأصولية التي اختلف فيها أئمة الأصول بعد اتفاقهم على وقوع الاشتراك في كلام العرب ووروده في القرآن والسنة. وكان لاختلاف الأصوليين في هذه المسألة ظلال على اختلاف الفقهاء في قضايا فقهية. ف جاء هذا البحث ليلسط الضوء على مسألة عموم المشترك من جهة التأصيل لها ومن جهة بيان بعض ما بُني عليها من الفروع الفقهية. واعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من أجل جمع وحصر الآراء الأصولية ونسبتها إلى أصحابها. كما اعتمد على المنهج التحليلي والمقارن وذلك بغية فهم مقاصد الأصوليين ومناقشة أدلة كل فريق في ضوء قواعد الفقه المقارن. وانتهى البحث إلى أن المشترك يجوز أن يطلق لغة على كل معنى من معانيه على سبيل البدل، بدليل الوقوع، أما إرادة جميع المعاني منه في نص واحد، فمخالفة لوضعه في اللغة. ثم إن البحث قدّم عشرة أمثلة كتفريع فقهي على هذا الأصل المختلف، والتي تبين أن الاختلاف الأصولي في موضوع البحث خلاف حقيقي وليس خلافا

صورياً^(١). ومن الواضح أنه اختار أن المشترك لا يطلق على كل معانيه إلا على سبيل البدلية، ثم إن تفرعاته كانت عشرة، وهي المشهورة.

٢] بحث بعنوان: دلالة اللفظ المشترك، للدكتور سامح عبد السلام محمد، منشور على موقع الألوكة، بتاريخ (١٤٣٥/٩/٢٥ - ٢٣/٧/٢٠١٤م)، وهو بحث مختصر جداً جاء في نحو ثلاث صفحات، واقتصر على التعاريف، وأشهر المسائل^(٢).

٣] عموم المشترك وأثره في الاختلاف الفقهي، بحث منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، د. إياد عبد الحميد نمر، نشر عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م)، وجاء في مستخلصه المنشور على موقع "المنظومة": تعد اللغة العربية واحدة من أهم الركائز التي يستند إليها العلماء في وضع القواعد الأصولية الحاكمة لدلالة الألفاظ على معانيها؛ وصولاً لثمره الاجتهاد الفقهي المتضمن العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية . والمشارك اللفظي عند علماء الأصول واحد من هذه الدلالات التي تسهم في تنوع اجتهادك الفقهاء، وتباين آرائهم تبعاً لترجيح كل فقيه معنىً من معانيه على الآخر. ويأتي هذا البحث في عموم المشترك محاولةً لعرض واحدة من مسائل اللفظ المشترك عرضاً تأصيلياً تطبيقياً إسهاماً في الجمع والتوفيق بين آراء الفقهاء، وتقليلاً من شأو الاختلاف بينهم. وحقيقة عموم المشترك متمثلة في إطلاق اللفظ وإرادة معانيه جميعها في آن واحد، دون تعيين لأحد هذه المعاني، حيث يناقش الباحث آراء العلماء وأدلتهم مؤيداً الرأي الراجح منها بدراسة

(١) انظر موقع: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/> ٢٠٢٣٨٤.

(٢) انظر. رابط الموضوع <https://www.alukah.net/sharia/0>

بتطبيقات عملية من آيات وأحاديث الأحكام^(١). وهو بحث أقدم من الأول، ولكنه أشار إلى إمكانية إرادة جميع المعاني، بخلاف الأول الذي قصرها على البدلية!

٤] بحث بعنوان: "هل يجوز حمل المشترك على معانيه دفعة واحدة؟" د. فؤاد بن يحيى الهاشمي، وقد اشار إلى عدة إشكالات في البحث، ومنها تحقيق مذهب الشافعي في هذا الأمر، حيث نسب له القول بالجواز، وأنكره كثير ذلك عنه. والإشكال الأكبر الذي أثاره البحث هو اختلاف شيخ الإسلام ابن تيمية مع تلميذه ابن القيم في المسألة، مع القطع بوقوف ابن القيم على كلام شيخه، مما أثار الفضول في تحقيق المسألة، ولا سيما والبحث جاء في بضع عشرة صفحة^(٢).

٥] بحث بعنوان: المشترك اللفظي عند الأصوليين وأثره في اختلاف الفقهاء في الفروع الفقهية: د. بابكر الخضر يعقوب تبيدي، أستاذ مشارك في أصول الفقه، جامعة الملك خالد، منشور في المجلد السادس، من العدد الخامس والثلاثين لحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية [من ص ٤٦٥ - ٥٠١]. وقد اشار فيه إلى دور اختلاف القبائل العربية في استعمال الألفاظ للدلالة على معان، ورجح أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في جميع معانيه مطلقاً^(٣).

ومن هنا أردت أن أجمع بحثي محاولاً تلم تلك الثغرات في تيك البحوث، وبالله التوفيق.

(١) انظر موقع <https://search.mandumah.com/Record/802132>.

(٢) انظر: <https://feqhweb.com/vb/threads/> :الملتقى الفقهي.

(٣) انظر. https://bfdajournals.ekb.eg/issue_48874_45707.html.

إشكالية البحث:

ثمة إشكالية تقوم الدراسة بحلها، وهي:

- ما هو المشترك اللفظي، وهل يمكن حمله على كل معانيه؟
- وما الراجح في بيان قول الشافعي في ذلك، ومذهب شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم.

منهج البحث:

منهج البحث العلمي هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"، وقد اتخذ هذا البحث المنهج التاريخي الاستردادي: الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أياً كان نوع هذه الآثار. وكذلك اتخذ المنهج التحليلي الوصفي الذي: "يقوم على التفكيك والتجزئة، فيتم تناول الأفكار المجزأة بالشرح المفصل المتدرج وفق الأفكار، فهي عملية وصفية"^(١).

ثم المنهج الإجرائي: الذي يقوم على: تفاصيل العمليات "الإجراءات" التي يقوم بها الباحث؛ ومن أهم معالمه:

- ضبط الآيات الكريمات (رواية حفص عن قراءة عاصم) برسم المكتبة الشاملة^(٢)، مع عزوها لمواضعها في المصحف.

(١) انظر في ذلك: عبد الرحمن البدوي. مناهج البحث العلمي. (ص ٥)؛ البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية (ص: ١٢١، ١٢٩، ٤٦٢).

(٢) إنما اخترت ذلك دون رسم المصحف، لكون خطوطها تتوافق مع خطوط كافة الحاسبات في الجملة، أما البرامج التي تثبت رسم المصحف فتثبته عادة بشكل (صورة)، فإذا لم تكن خطوط المصحف مثبتة على الأجهزة، فإنها تظهر بلغة (السي) بما فيها من أشكال طيور

- تخريج الأحاديث النبوية بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث من كتب الحديث الأصلية، وأضيف في غير رواية الصحيحين أحكام الأئمة على الرواية، ولاسيما تعليقات الشيخ الألباني المطبوعة مع السنن، أو في سائر كتبه.

- وضع علامات الترقيم.

خطة البحث:

أردت تبين الخطوط العامة لذلك، وقد تسنى لي بحث ذلك تحت عنوان:
[عموم المشترك واثره على الأحكام] في فصلين من خلال الخطة التالية:

الفصل الأول: تقسيم الألفاظ.

- **المبحث الأول: المشترك اللفظي.**

- **المطلب الأول:** الاشتراك في اللغة.
- **المطلب الثاني:** العلاقة بين المشترك والمترادف والمتواطئ والمتباين.

- **المبحث الثاني: وقوع المشترك في اللغة.**

- **المطلب الأول:** أسباب وقوع الاشتراك في اللغة.
- **المطلب الثاني:** أهمية معرفة ذلك.

الفصل الثاني: تحقيق المذاهب في عموم المشترك وأثرها على

التفسير والأحكام.

- **المبحث الأول: أثر وقوع الاشتراك على التفسير والأحكام.**

- **المطلب الأول:** أثر وقوع الاشتراك على التفسير.

ونحوها، فرأيت اجتناب ذلك صيانة وتيسيراً، ولاسيما أن تنزيل الآيات من المكتبة الشاملة يكون دقيقاً وقريباً من رسم المصحف.

- **المطلب الثاني:** أثر وقوع الاشتراك على الأحكام.
- **المبحث الثاني:** تحقيق المذاهب في عموم المشترك.
- **المطلب الأول:** حقيقة مذهب الإمام الشافعي.
- **المطلب الثاني:** حقيقة مخالفة ابن القيم لشيخه ابن تيمية في ذلك.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وبالله التوفيق

الفصل الأول: تقسيم الألفاظ

المبحث الأول: المشترك اللفظي.

المطلب الأول: الاشتراك في اللغة.

إذا كان الأصل في اللغة أن يختص كل لفظ من ألفاظها بمعنى معين، بحيث تكون دلالة كل لفظ على مدلوله واضحة مستقلة محددة - فإنه قد يوجد في اللغة أن يدل اللفظ على معنيين أو أكثر، وهو ما يسمى بالاشتراك اللفظي. وقد أشار علماء اللغة إلى هذه الظاهرة بأنها: اتفاق اللفظين، والمعنى مختلف^(١). وأشار إليه الشافعي بقوله: وتسمى العرب بالاسم الواحد المعاني الكثيرة^(٢).

وقال ابن فارس: الشركة: وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلاناً في الشيء، إذا صرت شريكه^(٣). والاشتراك في الألفاظ قد يكون معنوياً، بأن يشترك في الكلمة الواحدة أفراد كثيرون، بحيث ينطبق عليهم جميعاً نفس اللفظ، مثل كلمة: الإنسان؛ إذ يشترك فيها جميع بني آدم؛ فكل واحد منهم إنسان. وقد يكون الاشتراك في الألفاظ اشتراكاً لفظياً، وهو الذي عني به الأصوليون وعرفوه بأنه: اللفظة الموضوعية لحقيقتين مختلفتين أو أكثر، وضماً أولاً من حيث هما كذلك^(٤).

(١) انظر كتاب سيبويه (٢٤/١).

(٢) انظر الرسالة ص (٥٢).

(٣) انظر معجم مقاييس اللغة (٢٦٥/٣).

(٤) انظر المحصول؛ للرازي (٢٦١/١).

إذا فالمقصود في تعريف المشترك اللفظي هو إطلاق اللفظ على حقيقتين، وقد تجادل الأصوليون حول وجود اللفظ المشترك من الأساس، وهم يختلفون في وقوعه على أربعة آراء:

أحدها: أنه واجب؛ أي: يجب بحكم المصلحة العامة أن يكون بين اللغات ألفاظٌ مشتركة، والثاني: أنه مستحيل، والثالث: أنه ممكنٌ غير واقع، والرابع: أنه ممكن واقع^(١).

وإن كان أكثرهم يذهبون إلى إمكانه ووقوعه، مستدلّين بوقوعه فعلاً في اللغة، وفي بعض ألفاظ الشرع؛ كلفظ: القرء؛ في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ فاللفظ يتردد بين الطهر والحيض، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾ [التكوير: ١٧]؛ فالفعل عَسَسَ (يتردد معناه بين: أقبل وأدبر).

كما وجدت في اللغة ألفاظٌ وُضِعَتْ لأكثر من حقيقة؛ أي: بالاشتراك في أشياء مختلفة؛ كلفظ: العين؛ وُضِعَ للعين الباصرة، وموضوعة كذلك للماء المتفجر من الأرض، وعين الشمس، والجاسوس، وللنقد، فيقال: اشترت بالدين لا بالعين^(٢).

وعليه فإن اللفظ المشترك: هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعا أولاً من حيث هما كذلك^(٣).

(١) انظر شرح الإسنوي (١/٢٢٤).

(٢) انظر لسان العرب (٤/٣١٩٥).

(٣) انظر المحصول للرازي (١/٢٦١).

المطلب الثاني: العلاقة بين المشترك والمترادف والمتواطئ والمتباين

عند الإمام الغزالي: "الألفاظ المتعددة بالإضافة إلى المسميات المتعددة على أربع منازل...، وهي المترادفة، والمتباينة، والمتواطئة، والمشاركة.
أما المترادفة، فنعني بها الألفاظ المختلفة الصيغ، المتواردة على مسمى واحد؛ كالليث والأسد.

وأما المتباينة، فنعني بها الأسماء المختلفة للمعاني المختلفة؛ كالسواد والقدرة، وهو الأكثر.

وأما المتواطئة، فهي التي تُطلق على أشياء متغايرة بالعدد، ولكنها متفقة بالمعنى الذي وُضِعَ الاسم عليه؛ كاسم: الرجل، فإنه يطلق على زيد وعمرو.
وأما المشتركة، فهي الأسماء التي تُطلق على مسميات مختلفة، لا تشترك في الحدِّ والحقيقة ألبتة؛ كاسم: العين للعضو الباصر وللميزان .. وللذهب .. والاسم المشترك قد يدلُّ على المختلفين كما ذكرناه، وقد يدل على المتضادين؛ كالجلل: للحقير والخطير، والناهل: للعطشان والريان^(١).

لقد ثار من ارتباك المشتركة بالمتواطئة غلط كثير في العقليات، واعلم أن المشترك قد يكون مشكلاً قريب الشبه من المتواطئ، ويعسر على الذهن الفرق^(٢).

يعرف أن اللفظ المشترك قُصِدَ به جميع معانيه أو بعض معانيه عند وجود القرينة على ذلك، وكذلك عند التجرد من أي قرينة تعين أحد معانيه، وكان من مذهبه استعمال المشترك في معانيه^(٣).

(١) انظر. المستصفي (٤٣/٣).

(٢) انظر الرسالة (٧٦/١)؛ المستصفي (٤٣/٣).

(٣) انظر زاد المعاد (٥٣٧/٥)، نهاية السؤل (ص: ١١٧)، البحر المحيط (٣٨٩/٢).

قال في شرح الروضة: "إن المشترك مع القرينة يبين من المتواطئ، لأن القرينة تعين أحد محملي اللفظ المشترك فيتبادر الفهم إليه قاطعا بأنه المراد، والمتواطئ يبقي الذهن - لأجل القدر المشترك بين أفرادهِ - مترددا، لا يدري على ما يحمل لفظه منها، وإن كان حملة على جميعها، أو على القدر المشترك بينها ممكنا، غير أن حمل اللفظ المشترك على غير أحد محمليه أدخل في الاختصاص، والبيان أولى، فكان أولى.

مثال ذلك: لو قال السيد لعبده: خذ عينا، واذهب فاشتر لنا خبزا، أو أحضر لنا عينا نشرب منها ماء، علمنا أنه أراد في الصورة الأولى عين الذهب، بقرينة الشراء، لأنه أصل في الأثمان، وفي الصورة الثانية: أنه أراد عين الماء بقرينة الشرب، فكان ذلك بيانا قاطعا.

ولو قال له: اذهب، فاشتر لنا حيوانا، بقي في بادئ الرأي مترددا، بين أن يشتري عبدا، أو فرسا، أو شاة، أو ثورا. ومجرد هذا التردد يكفيننا في ترجيح الاشترار مع القرينة، لمبادرته إلى فهم المراد.

قلو قدرنا أن العبد استشار أو نظر، فقال: إني أمرت بشراء حيوان، وبشراء القدر المشترك، وهو ما يسمى حيوانا؛ أخرج عن العهدة، لكان هذا طريقا إلى السلامة من الملامة، لكنه بعد ببطء، وهو مع ذلك على غير يقين من البراءة.

بخلاف ما إذا قيل له: احفر لنا عينا نشرب منها، فإنه يبادر إلى أخذ المسحاة، قاطعا بأن المراد عين الماء، والمقابلة في هذا الوجه بين المتواطئ والمشارك مع القرينة المعينة للمراد، فلا يرد قول الخصم: الحمل على التواطؤ أولى من الحمل على الاشتراك، لأن ذلك إنما يكون في المشارك المجرد عن قرينة، لا في المقترن بها.

وأما أن تخصيص الشرع مسمياته بأسام مستقلة، يكون بالنقل أسهل منه بالتبعية مع الزيادة، فلوجهين أيضا:
أحدهما: أن النقل فعل واحد، والتبعية مع الزيادة فعنان، وفعل واحد أسهل من فعلين بالضرورة.

الوجه الثاني: ما سبق تقريره من لزوم الإبهام بالتواطؤ، وذلك لأنه إذا أبقى لفظ الصلاة مثلا على مسمى الدعاء لغة، ثم ضم إليه شروط الصلاة وأركانها، وقع التردد عند إطلاق اللفظ بين المراد اللغوي أو الشرعي، فحصل الإبهام، بخلاف إطلاق اللفظ من الشرع، على تقدير النقل مع الإعراض عن المعنى اللغوي، فإنه يكون قاطعا في المراد الشرعي كما سبق^(١).

(١) شرح مختصر الروضة (١/٤٩٣-٤٩٥).

المبحث الثاني: وقوع المشترك في اللغة

المطلب الأول: أسباب وقوع الاشتراك في اللغة.

أسباب وجود اللفظ المشترك:

قد يكون المشترك من قبيلتين تضع كلُّ منها اللفظ لمعنى يختلف عن الآخر، ثم يشتهر الوضعان، وقد يكون من وضعٍ واحد لغرض الإبهام على السامع؛ حيث يكون التصريح سبباً للمفسدة، وقد يكون لاختلاف اللهجات، فيوضع في لهجةٍ ما لفظٌ في مدلول يختلف عن مدلوله المتعارف عليه في لهجةٍ أخرى، فيتعدد معنى اللفظ الواحد، حتى يشتهر استعماله في المعنيين^(١).

وقد تتغير الدلالة بتطور اللغة، كما إذا دل اللفظ على معنى واحد، ثم استعمل مجازاً في معنى آخر، حتى اشتهر المجاز؛ مثل كلمة: فتن؛ فقد استعملت بمعنى: وضع المعدن في النار، ثم صارت تستعمل بمعنى الاضطهاد في الدين وغيره، ثم استعملت في الوقوع في الضلال، فحصل للفظ الواحد عدة معانٍ بسبب تطور الدلالة^(٢).

ومن ذلك ما يحصل بسبب وضع كلمة كمصطلح في علم، فيكتسب اللفظ في الاصطلاح مدلولاً آخر يختلف عن مدلوله الأصلي في اللغة، وقد يصبح المدلول الجديد أكثر شيوعاً في الاستعمال.

وقرّر الأصوليون أن الاشتراك قد يقع في الأفعال، والحروف كذلك؛ فالأول مثل: بان، فمعناه: انفصل وظهر وبعُد، وقضى؛ بمعنى: حكّم وأمر وحتم،

(١) انظر كشف الأسرار؛ للبخاري (٣٩/١).

(٢) انظر أصول الفقه؛ لأبي زهرة (ص ١٩٨).

وفي الحروف مثل: الواو التي تأتي للعطف، والحال، والاستئناف، والقسم، والباء التي تأتي للتبويض والسببية والتأكيد^(١).

والأصل في المشترك: الدلالة على معنى واحد تحدده القران، ولأن الألفاظ عند الأصوليين ينبغي أن تكون محددة الدلالة؛ لأن الغرض من التشريع هو العمل بما يدل عليه اللفظ، والمشارك لا يتحدد أحد معانيه إلا بقريئة.

ولذلك فللوصول إلى حكم المشترك نكون أمام حالتين:

الحالة الأولى: إذا كان الاشتراك بين معنى لغوي ومعنى اصطلاحى شرعي، فيتعين حينئذ إرادة المعنى الاصطلاحى الشرعى، وذلك كألفاظ الصلاة، والزكاة، والصيام، ونحوها؛ كما في قوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ٤٣]؛ فالمراد بالصلاة معناها الشرعى بهيئاتها وشروطها وأركانها، لا معناها اللغوي؛ وهو الدعاء، وكذلك الزكاة وغيرها، مما يُعرف بالأسماء الشرعية وما يطلق عليه: الحقيقة الشرعية^(٢).

ولا يؤخذ بالمعنى اللغوي هنا إلا بقريئة مرجحة؛ كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦]؛ فالصلاة لفظ مشترك بين معناه الاصطلاحى الشرعى ومعناه اللغوي: الدعاء، فدلّت القريئة على إرادة الثانى دون الأول.

الحالة الثانية: إذا كان الاشتراك بين معنيين لغويين، بحيث يدور اللفظ المشترك الوارد في النص الشرعى بين معانٍ ليس للشارع عُرفٌ خاص في تحديد أيها يراد؛ كما في قوله تعالى: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة: ٢٢٨]؛ فلفظ: القرء: يطلق على الحيضة عند أهل العراق، وعلى الطهر في لغة

(١) انظر شرح البديشى (١/٢٢٧).

(٢) انظر شرح الإسنى (١/٢٢٨).

أهل الحجاز، فمن رأى أن المراد به في الآية: الطهر؛ استدللّ بالقرينة اللفظية في تأنيث العدد: (ثلاثة)، مما يدل على أن المَعْدُودَ مذكّر، فيكون المراد بالقرينة الأظهار لا الحيضات، ومن رأى أن المراد به الحيض، استدللّ بأن تشريع العدة كان لمعرفة براءة الرّجَم من الحمل، الأمر الذي يُعرّف بالحيض لا بالطهر^(١).

أما إذا لم تُقَمْ قرينة على إرادة أيّ من المعاني المشتركة، فقد اختلفوا في إمكانية أن يكون المراد من المعنى المشترك أكثر من معنى في ذات الوقت: فعلى حين ذهب بعض الأصوليين إلى أن المشترك في سياق الاستعمال لا يراد به إلا معنى واحد؛ لأن اللفظ موضوعاً بإزاء هذه المعاني على وجه التبادل، فتمتنع إرادة جميع المعاني؛ لمخالفة ذلك لأصل الوضع؛ إذ اللفظ قد وُضِعَ بإزاء كلّ معنى من معانيه وضعاً خاصاً، ولم يوضع لجميع المعاني دفعة واحدة؛ ولذلك لا بد من الاستهداء بالقرائن على تحديد المعنى المقصود، ويمتنع حملُه على كل المعاني؛ لأنه) الجزم بإفادته للمجموع دون كلّ واحد من الفردين ترجيحاً من غير مرجح^(٢)؛ فإن جمهور الأصوليين على جواز استعمال المشترك في كلا معنييه، سواء كانا حقيقيين أم كان أحدهما حقيقة والآخر مجازاً^(٣). فيكون كالعام في شموله ما يدل عليه؛ ففي قوله تعالى: ﴿لَأَلْمُ تَرَأَى أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، رأوا أن لكلمة: (يسجد) معنيين: الخضوع القهري لحكمة الله تعالى؛ حيث إن جميع المخلوقات خاضعة بلسان حالها كذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]،

(١) انظر الأحكام؛ للآمدي (٣٥٢/٢)، شرح الإسنوي (٢٣٤/١ - ٢٣٥).

(٢) انظر كشف الأسرار (٤٠/١).

(٣) انظر كشف الأسرار (٢٠٢/١)، إرشاد الفحول (٩١/١).

والمعنى الآخر هو وَضَعُ الجبهة على الأرض، وهو السجودُ المعروف في الصلاة شرعًا.

فإذا كان الأول متصورًا في حقِّ جميع هؤلاء المذكورين في نص الآية، فالمعنى الثاني هو ما يمكن حملُ الآية عليه بالنسبة للناس، بدليل: تخصيص كثيرٍ من الناس بالسجود، دون مَنْ عداهم ممن حقَّ عليهم العذاب، مع استوائهم في السجود بمعنى الخشوع^(١)؛ أي: الخضوع؛ فكلا المعنيين مقصودٌ في الآية عند هؤلاء؛ لأنه لو أُريد الخضوع وحده، لكان تخصيص كثيرٍ من الناس دون عامتهم لا معنى له؛ لأن جميع الناس خاضعون للقدرة الإلهية^(٢).

وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]؛ إذ رأوا فيها أن: (الصلاة) لفظ مشترك بين المغفرة والاستغفار، وقد استعملت فيهما معًا؛ حيث أُسندت في النصِّ القرآني إلى الله سبحانه وتعالى، وإلى الملائكة، فإذا كان معنى الصلاة المسندة إلى الله تعالى هي المغفرة قطعًا^(٣)، ومن الملائكة هي الاستغفار، فإن اللفظ المشترك مستعمل هنا في معنييه، وكذلك يُحمل عليهما معًا^(٤).

واشترط البعض ألا يمتنع الجمع بين المعاني المشتركة، فإن امتنع، لا يصحُّ كما في (القرء)، فلا يصح أن يكون المراد ثلاث حيضات وثلاثة أطهار^(٥).

(١) انظر كشف الأسرار؛ للبخاري (٤٠/١).

(٢) انظر شرح الإسنوي (٢٣٤/١ - ٢٣٥).

(٣) الأصح أن الصلاة من الله ذكره العبد في المأ الأعلى.

(٤) انظر الخطاب الشرعي (ص ٩٥).

(٥) الإحكام؛ للآمدي (٣٥٢/٢)، وانظر موقع الألوكة، رابط الموضوع <https://www.alukah.net/sharia/0>.

المطلب الثاني: أهمية معرفة ذلك

هل يجوز حمل المشترك على معانيه دفعة واحدة؟

واللفظ على حقيقته ومجازه؟

واللفظ على الصريح منه والكنائية؟

فيه نزاع مشهور بين أهل الفقه والأصول^(١).

ومحل الخلاف: في المعاني التي يصح الجمع بينها لا في المعاني

المتناقضة^(٢). في اللفظة الواحدة من المتكلم الواحد في الوقت الواحد، فإن تعددت

الصيغة أو اختلف المتكلم أو الوقت جاز تعدد المعنى^(٣).

تكوين اللغات وطبيعة نشأتها عادة لا يكون من واضح واحد كما نص

على ذلك أنمة اللغة، منهم المبرد وغيره، وإنما يقع وقوعا عارضا اتفاقيا بسبب

تعدد الواضعين، ثم تختلط اللغة فيقع الاشتراك^(٤).

وعليه فإن محل الخلاف يكون في أمرين:

- في المعاني التي يصح الجمع بينها لا في المعاني المتناقضة^(٥).

- في اللفظة الواحدة من المتكلم الواحد في الوقت الواحد، فإن تعددت

الصيغة أو اختلف المتكلم أو الوقت جاز تعدد المعنى^(٦).

وقد حمل الشافعي اللفظ المشترك على جملة معانيه عند تجرده عن

القرائن، لاشتماله على مراد المتكلم احتياطيا^(٧).

(١) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥٧٨/٦).

(٢) انظر نهاية السؤل (ص ١١٢)، إرشاد الفحول (ص ٤٨).

(٣) انظر نهاية السؤل (ص ١١٣).

(٤) انظر جلاء الأفهام (ص ١٦٠).

(٥) انظر نهاية السؤل (ص ١١٢)، إرشاد الفحول (ص ٤٨).

(٦) انظر نهاية السؤل (ص ١١٣).

الفصل الثاني

تحقيق المذاهب في عموم المشترك وأثرها على التفسير والأحكام.

المبحث الأول: أثر وقوع الاشتراك على التفسير والأحكام

المطلب الأول: أثر وقوع الاشتراك على التفسير

هذه بعض الأمثلة، غير التي أوردها ابن عاشور في القاعدة التاسعة من مقدمة تفسيره. فمن أشهر الأمثلة في ذلك:

- قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب:

٥٦]؛ فإن المغفرة والاستغفار يستحيل عودهما إلى الله تعالى، كذلك إلى الملائكة، بل المغفرة عائدة إلى الله تعالى والاستغفار للملائكة، فالصلاة من الله مغفرة ومن غيره استغفار، وهما معنيان مختلفان والاسم مشترك وقد ذكر مرة واحدة وأريد به المعنيان جميعاً^(٢).

واستظهر الغزالي: أنه أطلق على المعنيين بإزاء معنى واحد مشترك بين المعنيين، وهو العناية بأمر الشيء لشرفه وحرمة والعناية من الله مغفرة ومن الملائكة استغفار ودعاء ومن الأمة دعاء وصلوات^(٣).

وقال ابن القيم: معنى الصلاة هو الثناء على الرسول والعناية به وإظهار شرفه وفضله وحرمة كما هو المعروف من هذه اللفظة^(٤).

(١) انظر شرح تنقيح الفصول (ص ٢٠-٢٢)، نهاية السؤل (١/٢٩٦)؛ شرح الكوكب المنير (١/١٠٨).

(٢) انظر المستصفي للغزالي (٢/١٤٣)، نهاية السؤل (ص ١١٢).

(٣) انظر المستصفي للغزالي (٢/١٤٣).

(٤) انظر جلاء الأفهام (ص: ١٦١).

وناقشهم السبكي في شرح المنهاج: بأن إطلاق الصلاة على الاعتناء مجاز لعدم تبادر الذهن إليه والأصل عدم المجاز^(١).

- قوله تعالى: {الْم تَرَّ أَنْ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ} [الحج: ١٨]؛ فإن الله تعالى أراد بالسجود ههنا الخشوع؛ لأنه هو المتصور من الدواب، وأراد به أيضا وضع الجبهة على الأرض، وإلا لكان تخصيص كثير من الناس بالذكر لا معنى له لاستواء الكل في السجود بمعنى الخشوع والخضوع للقدرة، فثبت إرادة المعنيين^(٢).

- قوله تعالى: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء: ٤٣] قال الشافعي: أحمله على الجس باليد حقيقة، وعلى الوقاع مجازا^(٣).

- وقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، على وطء الأب وعقده جميعا.

وناقش الغزالي الاستدلال بهذه الآية والتي قبلها، فقال: هذا عندنا كاللفظ المشترك وإن كان التعميم فيه أقرب قليلا وإنما قلنا إن هذا أقرب لأن المس مقدمة الوطء والنكاح أيضا يراد للوطء فهو مقدمته ولأجله استعير للعقد اسم النكاح الذي وضعه للوطء واستعير للوطء اسم اللمس فلتعلق أحدهما بالآخر ربما لا يبعد أن يقصدا جميعا باللفظ المذكور مرة واحدة لكن الأظهر عندنا أن ذلك أيضا على خلاف عادة العرب^(٤).

(١) انظر الإبهاج في شرح المنهاج (١/٢٦٠).

(٢) انظر المستصفي للغزالي (٢/١٤٣)، نهاية السؤل (ص ١١٢-١١٤).

(٣) انظر جلاء الأفهام (ص ١٦١)، ورد بأن هذا ليس أسلوب الشافعي، بل من متأخري المذهب، فلم يقل الشافعي بالمجاز أصلاً.

(٤) انظر المستصفي للغزالي (٢/١٤٢).

- قوله تعالى: {شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم} [آل عمران: ١٨]، فكانت شهادته علمه، وشهادة الملائكة إقرارهم بذلك.

- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣]، فالصلاة: يعني وضعها للجنس، وموضعها، وفعلها للسكران^(١).

- وقال تعالى: {وأقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤]، وللمفسرين قولان في تفسير الآية:

القول الأول: أقم الصلاة لتذكرني فيها، وهذا اختيار الطبري؛ لأن ذلك أظهر معنييه، ولو كان معناه: حين تذكرها، لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكري لها.

القول الثاني: أقم الصلاة حين تذكرها، وهذا اختيار الباجي، واستشهد له بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها، فليصلها إذا ذكرها»، فإن الله يقول: {أقم الصلاة لذكري} [طه: ١٤]^(٢)، ولو كان المراد بقوله لذكري غير المراد بقوله إذا ذكرها لما صح احتجاجه عليه على هذا الوجه الذي احتج به.

وقال التوريشتي: الأولى أن يقصد إلى وجه يوافق الآية والحديث، وكأن المعنى أقم الصلاة لذكرها؛ لأنه إذا ذكرها ذكر الله تعالى أو يقدر مضاف أي لذكر صلاتي أو ذكر الضمير فيه موضع الصلاة لشرفها^(٣).

- قوله تعالى: {الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً...} الآية.

(١) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (٣٨٥/٢).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ٦٨٤).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣٣/١٦) تفسير ابن كثير (٢٧٧/٥)، المنتقى شرح الموطأ

(٢٩/١)، فتح الباري لابن حجر (٧٢/٢).

قال الأمين الشنقيطي في تفسيره: "هذه الآية الكريمة من أصعب الآيات تحقيقاً؛ لأن حمل النكاح فيها على التزويج، لا يلائم ذكر المشركة والمشارك، وحمل النكاح فيها على الوطء لا يلائم الأحاديث الواردة المتعلقة بالآية، فإنها تعين أن المراد بالنكاح في الآية: التزويج، ولا أعلم مخرجا واضحا من الإشكال في هذه الآية إلا مع بعض تعسف.

وهو: أن أصح الأقوال عند الأصوليين كما حرره أبو العباس بن تيمية في رسالته في علوم القرآن، وعزاه لأجلاء علماء المذاهب الأربعة هو: جواز حمل المشترك على معنیه، أو معانيه، فيجوز أن تقول: عدا اللصوص البارحة على عين زيد، وتعني بذلك أنهم عوروا عينه الباصرة وغوروا عينه الجارية، وسرقوا عينه التي هي ذهبه أو فضته، وإذا علمت ذلك، فاعلم أن النكاح مشترك بين الوطء والتزويج، خلافاً لمن زعم أنه حقيقة في أحدهما، مجاز في الآخر كما أشرنا له سابقاً، وإذا جاز حمل المشترك على معنیه، فيحمل النكاح في الآية على الوطء، وعلى التزويج معاً، ويكون ذكر المشركة والمشارك على تفسير النكاح بالوطء دون العقد، وهذا هو نوع التعسف الذي أشرنا له، والعلم عند الله تعالى^(١).

- قوله تعالى: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً}

[التوبة: ٨] فالإل تفيد القرابة و العهد و الذمة وكلها مرادة هنا.

- قوله تعالى: {كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ} (*) قَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ [المدثر: ٥٠

- ٥٢].

(١) انظر أضواء البيان (٩١/٦).

القسورة: لفظ مشترك بين الرامي وبين الأسد، وحمير الوحش إذا رأت الرامي فرت، والحمير الأهلية إذا رأت الأسد فرت، فهل المراد بالقسورة الرامي، أو المراد بذلك الأسد؟

قال ابن عثيمين: ما دام اللفظ صالحًا للمعنيين بدون تناقض؛ فإنه يحمل على المعنيين جميعًا، ويكون كل معنى كالمثال؛ لأنه ليس عندنا قرينة تؤيد أحد المعنيين واللفظ صالح لهما ولا مناقضة بينهما^(١).

- وقوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ *} وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير: ١٧، ١٨].

لفظ: (عسعس) يراد به إقبال الليل وإدباره^(٢)، فإن لفظ عسس، يعني أقبل، ويعني أدبر، فإن وجد ما يرجح أحد المعنيين أخذنا به، وإلا قلنا اللفظ صالح للأمرين، فهو شامل، فيكون الله أقسم بالليل عند إقباله وعند إدباره، وإذا قلنا عسس: بمعنى أقبل ليقابل قوله: {وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ} [التكوير: ١٨]، صار من هذه الناحية أرجح^(٣).

- وقوله تعالى: {وَالْفَجْرِ *} وَلَيَالٍ عَشْرٍ *} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ١ - ٤].
في الليالي العشر قولان: فبعضهم قال: هي ليالي عشر رمضان، وبعضهم قال: هي عشر ذي الحجة، فصار فيها قولان لاشتراك اللفظ.

وكذلك: قوله تعالى: {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ} [الفجر: ٣]

بعضهم قال: الوتر: الله، والشفع: المخلوق، لأنه قال: {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ} [الذريات: ٤٩]، وقال النبي عليه الصلاة والسلام: (إن الله وتر).

(١) انظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - العثيمين (ص ٥٢).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣٤٠/١٣).

(٣) انظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - العثيمين (ص ٥٢).

وبعضهم قال: {وَالشَّفَعِ وَالْوَتْرِ} هو العدد، لأن كل الخلائق متعددة إما إلى شفع وإما إلى وتر، واللفظ صالح للمعنيين جميعا، والصلاة وتر، لأن صلاة الليل تختم بالوتر فتكون وترا، وصلاة النهار تختم بالوتر فتكون وتراً.

والراجح: أنها شاملة للمعنيين؛ لأنه كلما كانت الآية تتضمن معنيين لا يتنافيان تحمل عليهما^(١).

- وقال تعالى: {وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} [المائدة: ٦].

قال ابن حزم: أما قولنا في غسل الذراعين وما تحت الخاتم والمرفقين، فإن الله تعالى قال: {وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ} [المائدة: ٦]، فمن ترك شيئاً ولو قدر شعرة مما أمر الله تعالى بغسله فلم يتوضأ كما أمره الله تعالى، ومن لم يتوضأ كما أمره الله تعالى فلم يتوضأ أصلاً، ولا صلاة له فوجب إيصال الماء بيقين إلى ما ستر الخاتم من الأصبع، وأما المرافق فإن " إلى " في لغة العرب التي بها نزل القرآن تقع على معنيين، تكون بمعنى الغاية، وتكون بمعنى مع، قال الله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ} [النساء: ٢] بمعنى مع أموالكم، فلما كانت تقع "إلى" على هذين المعنيين وقوعاً صحيحاً مستويًا، لم يجز أن يقتصر بها على أحدهما دون الآخر، فيكون ذلك تخصيصاً لما تقع عليه بلا برهان، فوجب أن يجزئ غسل الذراعين إلى أول المرفقين بأحد المعنيين، فيجزئ، فإن غسل المرافق فلا بأس أيضاً^(٢).

عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، ولا فيما دون خمس ذود صدقة، ولا فيما دون خمس أواق صدقة»^(٣).

(١) انظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - العثيمين (ص ٥٦).

(٢) انظر المحلى (رقم ١٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (رقم ١٤٤٧)، ومسلم (رقم ٩٧٩).

قال ابن حزم: نفى رسول الله ﷺ الصدقة عن كل ما دون خمسة أوساق من حب أو تمر، ولفظة "دون" في اللغة العربية تقع على معنيين وقوعا مستويا، ليس أحدهما أولى من الآخر، وهما بمعنى: أقل، وبمعنى: غير، قال عز وجل: {أَلَا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا} [الإسراء: ٢] أي من غيري، وقال عز وجل: {وَأَخْرَيْنَ مِنَ دُونِهِمْ لَّا تَعْلَمُونَهُمْ} [الأنفال: ٦٠] أي من غيرهم، وحيثما وقعت لفظة "دون" في القرآن فهي بمعنى: غير؛ فلا يجوز لأحد أن يقتصر بلفظة "دون" في هذا الخبر على معنى: أقل دون معنى: غير^(١).

ثم يقال: ليس من استعمال اللفظ المشترك في معنيه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه: استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعا؛ فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل ما يظن له، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعدا فهي من هذا القبيل.

ومن أمثلة ذلك:

- قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} يتناول نوعي الدعاء، وبكل منهما فسرت الآية، قيل: أعطيه إذا سألني، وقيل: أنييه إذا عبدني، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، ومن ذلك قوله تعالى: {قُلْ مَا يَدْعُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} [الفرقان: ٧٧]، وقوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠].

- قوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ}، فسر "الدلوك" بالزوال، وفسر بالغروب وليس بقولين؛ بل اللفظ يتناولهما معا؛ فإن

(١) انظر المحلى (رقم ٦٤١).

عموم المشترك وأثره على الأحكام

الدلوك هو الميل، ودلوك الشمس ميلها، ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى فمبتدؤه الزوال ومنتهاه الغروب واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار

- تفسير "الغاسق" بالليل وتفسيره بالقمر، فإن ذلك ليس باختلاف؛ بل يتناولهما لتلازمهما؛ فإن القمر آية الليل، ونظائره كثيرة^(١).

- قوله تعالى: {أو لامستم النساء} [النساء: ٤٣] قال الشافعي: أحمله على الجس باليد حقيقة، وعلى الوقاع مجازاً^(٢).

وقوله تعالى {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، على وطء الأب وعقده جميعاً.

وجهه: أن المس مقدمة الوطء والنكاح أيضاً يراد للوطء فهو مقدمته ولأجله استعير للعقد اسم النكاح الذي وضعه للوطء، واستعير للوطء اسم اللمس فلتعلق أحدهما بالآخر ربما لا يبعد أن يقصدا جميعاً باللفظ المذكور مرة واحدة^(٣).

المطلب الثاني: أثر وقوع الاشتراك على الأحكام

المشهور في المسألة مذهبان:

[١] المذهب الأول الجواز: وهذا مذهب أكثر الفقهاء (المالكية^(٤)، والشافعية، والحنبلية)، وهو المحكي عن المعتزلة^(١)، واختاره سيبويه^(٢)،

(١) انظر مجموع الفتاوى (١١/١٥، ١٢).

(٢) انظر جلاء الأفهام (ص: ١٦١).

(٣) انظر المستصفي للغزالي (١٤٢/٢).

(٤) انظر أضافه القاضي عبد الوهاب المالكي لمذهبهم، ونقله القرافي عن الإمام مالك. نهاية السؤل (ص ١١٢).

والطبري^(٣)، وأبو بكر الباقلائي^(٤)، والشريف المرتضى^(٥)، وابن حزم^(٦)، وابن تيمية^(٧)، والأمين الشنقيطي^(٨)، وابن عثيمين^(٩)، وهو أحد القولين لابن دقيق العيد^(٢).

(١) انظر المحصول للرازي (٢٦٩/١)، مجموع الفتاوى (٣٤١/١٣)، البحر المحيط (٣٩١/٢)، الإبهاج في شرح المنهاج (٢٥٥/١)، نهاية السؤل (ص: ١١٢)، إرشاد الفحول (ص ٤٦).

(٢) انظر قال سيبويه: يجوز أن يراد باللفظ الواحد الدعاء على الغير والخبر على حال المدعو عليه نحو: "الويل له" فهذا دعاء عليه وخبر عنه ولهما معنيان مختلفان (البحر المحيط ٣٨٥/٢، ٣٨٦).

(٣) وعليه تطبيقات الطبري في تفسيره، ينظر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية (رقم ٥٤) ١٤٣٣هـ. (صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى) (ص ٢١٦).

(٤) انظر المستصفي (١٤١/٢)، المحصول للرازي (٢٦٨/١)، البحر المحيط (٣٩١/٢) - ٣٩٤.

(٥) انظر قال الشريف المرتضى: الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفردا وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام (أمالي المرتضى) (ص ٢٤).

(٦) قرر ذلك ابن حزم نظريا، والتزمه في تطبيقاته العملية، ويبدو أن هذا موضع خلاف بين الظاهريين، فقد ذكر ابن حزم أن من خالف تقريره في المسألة من أصحاب الظاهريين فقد تناقض. الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١٢٩/٣)، التقريب لحد المنطق (ص ١٥٣).

(٧) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥٧٩/٦).

(٨) انظر قال الشنقيطي: التحقيق جواز حمل المشترك على معنييه، كما حققه الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية في رسالته في علوم القرآن، وحرر أنه هو الصحيح في

وهو المعتمد عند أكثر الحنابلة، قال في شرح الكوكب: "وأما إرادة المتكلم باللفظ المشترك استعماله في كل معانيه .. ففيه مذاهب:

أحدها: وهو الصحيح: يصح، كقولنا: العين مخلوقة، ونريد جميع معانيها. وعلى هذا أكثر الأصحاب"^(٣).

قال في الانتصار: لما قيل له فيمن لا يجد نفقة امرأته: يفرق بينهما، أي لا يحبسها. فقال: الظاهر منها الإطلاق، على أنه عام في العقد والمكان معا^(٤).

ونسب إلى الشافعي. وقطع به من أصحابه: ابن أبي هريرة، ومثله بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]، فإن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الدعاء^(٥)، وكذا لفظ: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}

مذاهب الأئمة الأربعة رحمهم الله أضواء البيان (١/٣٣٦)؛ وقال أيضا: التحقيق: جواز حمل المشترك على معنييه، كما حققه الشيخ تقي الدين أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في رسالته في علوم القرآن، وحرّر أنه هو الصحيح في مذهب الأئمة الأربعة (أضواء البيان (٥/٤٢٥)).

(١) انظر قال ابن عثيمين: المشترك هل يجوز أن يراد به معناه؟ والصواب أنه يجوز أن يراد به معناه إذا لم يتنافيا؛ شرح ابن عثيمين لمقدمة التفسير لابن تيمية (ص ٥٥).

(٢) انظر البحر المحيط (٢/٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) انظر هذا القول في المسألة في المستصفي (٢/٧١)، الإحكام للآمدي (٢/٢٤٢)، البرهان (١/٣٤٣)، مختصر ابن الحاجب والعضد عليه (٢/١١١، ١١٢)، التبصرة (ص ١٨٤)، تيسير التحرير (١/٢٣٥)، مختصر البعلي (ص ١١٠)، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية (ص ٢٢٨)، المنحول (ص ١٤٧)، جمع الجوامع (١/٢٩٧)؛ شرح الكوكب المنير (٣/١٨٩).

(٤) انظر شرح الكوكب المنير (٣/١٩٠).

(٥) انظر العضد على ابن الحاجب (٢/١١٤)، والصحيح هو ذكر الله تعالى العبد في المأ الأعلى.

[آل عمران: ١٨]، وشهادته تعالى علمه، وشهادة غيره إقراره بذلك. وبقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، النكاح العقد، والوطء مرادان لنا منه إذا قلنا: النكاح مشترك. وقطع به الباقلاني، ونقله أبو المعالي عن مذهب المحققين وجماهير الفقهاء^(١).

ويكون إطلاقه على معانيه أو معنیه مجازاً لا حقيقة. نقله صاحب التلخيص من الشافعية عن الشافعي، وإليه ميل إمام الحرمين واختاره^(٢). قال في الانتصار: لما قيل له فيمن لا يجد نفقة امرأته: يفرق بينهما، أي لا يحبسها. فقال: الظاهر منها الإطلاق، على أنه عام في العقد والمكان معا^(٣).

ونسب إلى الشافعي. وقطع به من أصحابه: ابن أبي هريرة، ومثله بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]، فإن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الدعاء^(٤)، وكذا لفظ: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨]، وشهادته تعالى علمه، وشهادة غيره إقراره بذلك. وبقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، النكاح العقد، والوطء مرادان لنا منه إذا قلنا: النكاح مشترك. وقطع به الباقلاني، ونقله أبو المعالي عن مذهب المحققين وجماهير الفقهاء^(٥).

(١) انظر. شرح الكوكب المنير (١٩٠/٣).

(٢) انظر: المنحول (ص ١٤٧)، المستصفي (٧٢/٢ - ٧٤؛ الإحكام للآمدي (٢/٢٤٢ وما بعدها)، العدة (٧٠٣/٢)، المسودة (ص ١٦٦).

(٣) انظر شرح الكوكب المنير (١٩٠/٣).

(٤) انظر العُضد على ابن الحاجب (١١٤/٢)، والصحيح هو ذكر الله تعالى العبد في المأ الأعلى.

(٥) انظر. شرح الكوكب المنير (١٩٠/٣).

ويكون إطلاقه على معانيه أو معنفيه مجازاً لا حقيقة. نقله صاحب التلخيص من الشافعية عن الشافعي، وإليه ميل إمام الحرمين واختاره^(١). قال في الانتصار: لما قيل له فيمن لا يجد نفقة امرأته: يفرق بينهما، أي لا يحبسها. فقال: الظاهر منها الإطلاق، على أنه عام في العقد والمكان معاً^(٢).

ونسب إلى الشافعي. وقطع به من أصحابه: ابن أبي هريرة، ومثله بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]، فإن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الدعاء^(٣)، وكذا لفظ: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [آل عمران: ١٨]، وشهادته تعالى علمه، وشهادة غيره إقراره بذلك. وبقوله تعالى: {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} [النساء: ٢٢]، النكاح العقد، والوطء مرادان لنا منه إذا قلنا: النكاح مشترك. وقطع به الباقلاني، ونقله أبو المعالي عن مذهب المحققين وجماهير الفقهاء^(٤).

ويكون إطلاقه على معانيه أو معنفيه مجازاً لا حقيقة. نقله صاحب التلخيص من الشافعية عن الشافعي، وإليه ميل إمام الحرمين واختاره^(٥). وقيل: حقيقة^(١).

(١) انظر: المنحول (ص ١٤٧)، المستصفي (٧٢/٢ - ٧٤)؛ الإحكام للآمدي (٢/٢٤٢ وما بعدها)، العدة (٧٠٣/٢)، المسودة (ص ١٦٦).

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (٣/١٩٠).

(٣) انظر العضة على ابن الحاجب (٢/١١٤)، والصحيح هو ذكر الله تعالى العبد في الملاء الأعلى.

(٤) انظر. شرح الكوكب المنير (٣/١٩٠).

(٥) انظر: المنحول (ص ١٤٧)، المستصفي (٧٢/٢ - ٧٤)؛ الإحكام للآمدي (٢/٢٤٢ وما بعدها)، العدة (٧٠٣/٢)، المسودة (ص ١٦٦).

قال في الانتصار: لما قيل له فيمن لا يجد نفقة امرأته: يفرق بينهما، أي لا يحبسها. فقال: الظاهر منها الإطلاق، على أنه عام في العقد والمكان معا^(٢).

وقال في شرح الكوكب المنير:

"المذهب الثاني: يصح إطلاقه على معنييه أو معانيه بقرينة متصلة.

المذهب الثالث: صحة استعماله في معنييه في النفي دون الإثبات، لأن

النكرة في سياق النفي تعم^(٣).

المذهب الرابع: صحة استعماله في غير مفرد، فإن كان جمعا كاعتدي

بالأقراء، أو مثني، كقرأين صح^(٤).

المذهب الخامس: صحة استعماله إن تعلق أحد المعنيين بالآخر، نحو

قوله تعالى: {أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ} [النساء: ٤٣]، فإن كلا من اللمس باليد ولازم للآخر^(٥).

المذهب السادس: يصح استعماله بوضع جديد، لكن ليس من اللغة، فإن

اللغة منعت منه^(٦).

(١) نقل عن القاضي أبي بكر الباقلاني والمعتزلة: أنه يصح حقيقة إن صح الجمع. انظر:

مختصر ابن الحاجب والعضد عليه (١١٢/٢)، تيسير التحرير (٢٣٥/١)، جمع الجوامع

(٢٩٥/١)؛ شرح الكوكب المنير (١٩١/٣).

(٢) انظر شرح الكوكب المنير (١٩٠/٣).

(٣) انظر: العضد على ابن الحاجب (١١٢/٢)، مختصر البعلي (ص ١١١)، أثر الاختلاف في

القواعد الأصولية (ص ٢٣٠)، المسودة (ص ١٦٨)؛ شرح الكوكب المنير (١٩١/٣).

(٤) انظر: مختصر البعلي (ص ١١١)، المسودة (ص ١٦٨).

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير (١٩١/٣).

(٦) انظر: العضد على ابن الحاجب (١١٢/٢)، المعتمد (٣٢٦/١)؛ شرح الكوكب المنير

(١٩٢/٣).

المذهب السابع: لا يصح مطلقاً. اختاره من أصحابنا القاضي وأبو الخطاب وابن القيم. وحكاه عن الأكثرين^(١).

[٢] المذهب الثاني المنع: فيمنع استعمال اللفظ المشترك في معنييه، أو في حقيقته ومجازه، وهذا مذهب الحنفية^(٢)، وجماعة من المتكلمين^(٣)، وهو ظاهر حال الزمخشري^(٤)، واختاره الغزالي^(٥)، والرازي^(٦)، والشوكاني^(١)، وهو القول الآخر لابن دقيق العيد^(٢)، وأضافه هو وابن القيم إلى الأكثرين^(٣).

(١) وذهب إلى ذلك أصحاب أبي حنيفة كالكرخي، وأبو هاشم الجبائي وأبو عبد الله البصري من المعتزلة، والإمام الفخر الرازي والغزالي وإمام الحرمين، ونقله القرافي عن مالك وأبي حنيفة، وفي قول عند الحنفية: أن حكم المشترك الوقف. انظر: التبصرة (ص ١٨٤)، المعتمد (١/٣٢٤)، الأحكام للآمدي (٢/٢٤٢)، تيسير التحرير (١/٢٣٥)، المستصفي (٢/٧٢)، أصول السرخسي (١/١٢٦، ١٦٢)، كشف الأسرار (١/٣٩ وما بعدها)؛ التمهيد (ص ٤٢)، المسودة (ص ١٦٨)؛ شرح الكوكب المنير (٣/١٩٢).

(٢) انظر شرح التلويح على التوضيح ط. العلمية (١/١٢١)، خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار (ص ٨١)، حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح (ص ٤٤٨).

(٣) نصره ابن الصباغ في "العدة"، وإليه ذهب أبو هاشم الجبائي والكرخي وأبو عبد الله البصري وأبو الحسين البصري. المحصول للرازي (١/٢٦٩)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٥٧٨)، البحر المحيط (٢/٣٨٧).

(٤) انظر قال السمين الحلبي: الظاهر من حال الزمخشري أنه لا يجوز الجمع بين الحقيقة والمجاز ولا استعمال المشترك في معنييه (الدر المصون (٧/٣٢٠).

(٥) انظر المستصفي للغزالي (٢/١٤١).

(٦) قال الرازي: لا يجوز استعمال المشترك المفرد في معانيه على الجمع ... اللفظ المشترك من حيث إنه مشترك لا يمكن استعماله في إفادة مفوماته على سبيل الجمع ... الدلالة المانعة من حمل اللفظ المشترك على كل معانيه دلالة قاطعة لا تقبل المعارضة؛ انظر: المحصول للرازي (١/٢٦٨-٢٧٩). وقال الرازي في التفسير: اللفظ المشترك لا يكون عاماً في جميع مسمياته ... لا يجوز استعمال اللفظ المشترك لإفادة معنييه معاً، بل

الأدلة:

[١ أدلة الجواز:

للقائلين بالجواز ثلاث طرق في الاستدلال:

الطريقة الأولى: أنه من باب العموم: وهذه طريقة الأكثر، وذلك لما يلي:
أن نسبة المشترك إلى جميع معانيه كنسبة العام إلى أفرادها، والعام إذا
تجرد عن القرائن وجب حمله على الجميع بطريق الحقيقة، وليس بعض المعاني
أحق باللفظ المشترك من بعض^(٤).

أن العمل بالدليل واجب ما أمكن، وليس من عادة العرب تفهيم المراد
باللفظ المشترك من غير قرينة، فيصير انتفاء القرينة المخصصة قرينة تعميم^(٥).
إذا جاء وقت العمل، ولم يتبين أن أحدهما هو المقصود بعينه، علم أن
المراد المجموع؛ فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز^(٦).

الطريقة الثانية: أنه من باب الاحتياط: وعلى هذا جرى ابن دقيق العيد:
فإنه إذا لم يقدّم دليل على تعيين أحد المعنيين للإرادة حملناه على كل
منهما؛ لا لأنه مقتضى اللفظ وضعاً، بل لأن اللفظ دل على أحدهما ولم يتعين،

الواجب أن يجعله متواطئاً فيهم... ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ الواحد دفعة واحدة في
حقيقته ومجازه معا (تفسير الرازي (٣/٦٢٨، ٩/٥١٢، ١٠/٢٤، ١٢/٣٨٤).

(١) قال الشوكاني: إذا عرفت هذا لاح لك عدم جواز الجمع بين معنى المشترك او معانيه ولم
يأت من جوزه بحجة مقبولة (إرشاد الفحول (ص ٤٨).

(٢) انظر شرح الإلمام (٣/١٣٥).

(٣) انظر جلاء الأفهام (ص: ١٦٠). شرح الإلمام (١/٤١٢، ٤١٣).

(٤) انظر الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٣/١٢٩)، التقريب لحد المنطق (ص ١٥٣).

(٥) انظر نفائس الأصول في شرح المحصول (٢/٧٦٢).

(٦) انظر زاد المعاد (٥/٥٣٧)، البحر المحيط (٢/٣٩٨).

ولا يخرج عن عهده إلا بالجميع، وتعطيله غير ممكن، ويمتنع تأخير البيان عن وقت الحاجة^(١).

فإن للسامع أحوالا ثلاثة:

إما أن يتوقف فيلزم التعطيل لا سيما عند وقت الحاجة.
أو يحمل أحدهما، فيلزم الترجيح بلا مرجح.
فلم يبق إلا الحمل على المجموع، وهو أحوط لاشتماله على مدلولات اللفظ بأسرها^(٢).

الطريقة الثالثة: الوقوع:

ما سبق من الاستدلال بالعموم أو الاحتياط، هي طريقتان لأهل العلم، وكلهم استدل على ذلك بالوقوع:

ومن أشهر الأمثلة في ذلك:

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [الأحزاب: ٥٦]؛ فإن المغفرة والاستغفار يستحيل عودهما إلى الله تعالى، كذلك إلى الملائكة، بل

(١) انظر قال الزركشي: فإن قلت: قد ذكر أنه يعمل على تقدير الاشتراك بالأمرين مع أن عدم تعين المراد يوجب الإجمال، والإجمال يوجب التوقف، وذلك خلاف ما قلت. قلت: هذا صحيح إذا لم يكن تعلق المبين من وجه كما لو قال: ائتني بعين، وأما إذا كان مبينا من وجه كالنهي عن الفزع مثلا، وكان الامتثال ممكنا فإنه يتعين الخروج عن العهدة في التكليف المبين، وذلك ممكن بالعمل في الأمرين، وصار هذا كقول بعض الشافعية في الخنثى المشكل أنه يختن في فرجيه معا، كان وجوب الختان أمرا مبينا لا إجمال فيه والخروج عن العهدة ممكن بالختان فيهما أوجبوه. زاد المعاد (٥/٥٣٧)، البحر المحيط (٣٩٣/٢، ٣٩٨، ٣٩٩).

(٢) انظر البحر المحيط في أصول الفقه (٣٩٨/٢).

المغفرة عائدة إلى الله تعالى والاستغفار للملائكة، فالصلاة من الله مغفرة ومن غيره استغفار^(١).

وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ} [الحج: ١٨]؛ فإن الله تعالى أراد بالسجود ههنا الخشوع؛ لأنه هو المتصور من الدواب، وأراد به أيضا وضع الجبهة على الأرض، وإلا لكان تخصيص كثير من الناس بالذكر لا معنى له لاستواء الكل في السجود بمعنى الخشوع والخضوع للقدرة، فثبت إرادة المعنيين^(٢).

[٢] أدلة المنع:

للقائلين بالمنع طريقتان في الاستدلال:

منهم من منع لأمر يرجع إلى القصد.

ومنهم من منع منه لأمر يرجع إلى الوضع.

الطريقة الأولى: المنع لأمر يرجع إلى القصد: فلا يصح أن يقصد باللفظ

المشترك جميع مفهوماته من حيث اللغة لا حقيقة ولا مجازا.

ونوقش: بأنه لا استحالة في ذلك فإنه لو ذكر اللفظ مرتين وأراد في كل

مرة معنى آخر جاز؛ فأبي بعد في أن يقتصر على مرة واحدة ويريد به كلا المعنيين مع صلاح اللفظ لكل^(٣).

الطريقة الثانية: المنع لأجل الوضع^(٤). أي: أن المشترك لم يوضع لكل

معانيه بوضع واحد، وإنما وضع لكل معنى بشكل خاص بدلي ولا يلزم من وضع

(١) انظر نهاية السؤل (ص ١١٢).

(٢) انظر نهاية السؤل شرح منهاج الوصول (ص ١١٢-١١٤).

(٣) انظر المستصفي (١٤٢/٢)، البحر المحيط (٣٨٩/٢).

(٤) انظر وهذا اختيار الرازي. المحصول للرازي (٢٦٩/١).

عموم المشترك وأثره على الأحكام

اللفظ لمعنيين على البديل أن يكون موضوعاً لهما على الجميع، فاستعماله في الجميع استعمال اللفظ في غير موضوعه^(١).

ومن استدلالات هؤلاء على منع استعمال المشترك في معانيه: أن عدم تعين المراد يوجب الإجمال، والإجمال يوجب التوقف^(٢).

فإن الدال على المشترك لا يدل على أحد الخاصين؛ فإن الراوي إذا عبّر الراوي باللفظ المشترك فإن صفته تكون غير معلومة، ولا يجوز الحمل على الجميع^(٣).

على أنه لو قدر أنه موضوع لهما منفردين، ولكل واحد منهما مجتمعين، فإنه يكون له حينئذ ثلاثة مفاهيم، فالحمل على أحد مفاهيمه دون غيره بغير موجب ممتنع^(٤).

ثم لأنه يستحيل حمله على جميع معانيه، إذ حمله على هذا وحده، وعليهما معا مستلزم للجمع بين النقيضين^(٥).

وأيضاً لو وجب حمله على المعنيين جميعاً لصار من صيغ العموم، ولسبق إلى الذهن منه عند الإطلاق العموم، وكان المستعمل له في أحد معانيه بمنزلة المستعمل للاسم العام في بعض معانيه، فيكون متجاوزاً في خطابه غير متكلم بالحقيقة، وأن يكون من استعماله في معانيه غير محتاج إلى دليل، ولوجب أن يفهم منه الشمول قبل البحث عن التخصيص عند من يقول بذلك في صيغ العموم، ولا ينفي الإجمال عنه، إذ يصير بمنزلة سائر الألفاظ العامة، وهذا باطل قطعاً^(٦).

(١) انظر المستصفي (١٤١/٢)، المحصول للرازي (٢٧٠/١)، البحر المحيط (٣٨٩/٢)،

خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار (ص ٨٢).

(٢) انظر البحر المحيط (٣٩٣/٢، ٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) انظر إحكام الأحكام (١٤٩/١)، شرح الإلمام (١٣٥/٣).

(٤) انظر زاد المعاد (٥٣٨/٥).

(٥) انظر زاد المعاد (٥٣٨/٥).

(٦) انظر زاد المعاد (٥٣٩/٥).

المبحث الثاني: تحقيق المذاهب في عموم المشترك

المطلب الأول: حقيقة مذهب الإمام الشافعي

اشتهر عن الشافعي: القول بالجواز، وأنكر ذلك ابن تيمية وابن القيم، وقال الأخير: إن منصبه في العلم أجل من أن يقول مثل هذا.

وبين ابن تيمية وابن القيم: أنه ليس للشافعي نص صريح في هذا، وإنما استنبطوا هذا من نصه فيما إذا أوصى لمواليه فإنه يتناول مواليه من فوق ومن أسفل، وهو محتمل أن يكون قاله لاعتقاده أنه من الأسماء المتواطئة، ولا يلزم من هذا أن يحكى عنه قاعدة كلية في الأسماء التي لا شركة بين معانيها، وإنما الاشتراك بينهما في مجرد اللفظ^(١).

واستدرك الزركشي: بأن للشافعي كلاما في عدة مواضع يدل للقول بجواز حمل المشترك على معانيه^(٢).

ومن أمثلة ذلك:

المثال السابق: فيما إذا أوصى لمواليه فإنه يتناول مواليه من فوق ومن أسفل. ذكر القشيري أن القول بالجواز يدل عليه كلام الشافعي، لأنه لما تمسك بقوله تعالى: {أو لامستم النساء} [النساء: ٤٣] قيل: أراد بالملامسة المواقعة، فقال: أحمله على الجنس باليد حقيقة، وعلى الوقاع مجازا، يعني وإذا قال ذلك في الحقيقة والمجاز ففي الحقيقتين أولى.

واعترض ابن القيم على المثال: وذكر أنه لا يصح عن الشافعي ولا هو من جنس المؤلف من كلامه، وإنما هذا من كلام بعض الفقهاء المتأخرين^(٣).

(١) انظر زاد المعاد (٥/٥٣٨)، البحر المحيط (٢/٣٩١).

(٢) انظر البحر المحيط (٢/٣٩٣).

(٣) انظر جلاء الأفهام (ص: ١٦١).

استحباب الشافعي الكتابة فيما إذا جمع العبد بين الأمانة والقوة على الكسب بقوله تعالى: {فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا} [النور: ٣٣] ففسر الخير بالأميرين. قال: وأظهر معاني الخير قوة العبد بدلالة الكتاب: الاكتساب مع الأمانة، فأحب ألا يمتنع من مكاتبته إذا كان هكذا.

نص الشافعي في "الأم" في لفظة "عند" المشترك بين إفادة الحضور والملك في حديث حكيم بن حزام: «لا تبع ما ليس عندك»، قال: وكان نهي النبي ﷺ أن يبيع المرء ما ليس عنده يحتمل أن يبيع بحضرته، فيراه المشتري كما يراه البائع عند تبايعهما، ويحتمل أن يبيع ما ليس عنده ما ليس يملك تعيينه فلا يكون موضوعا مضمونا على البائع يؤخذ به، ولا في ملكه، فيلزمه أن يسلمه إليه لأنه يعينه، وعن هذين المعنيين^(١).

وأيضاً حصل لبس في تعيين مذهب الباقلاني، فقد نص القاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب على القول بجواز استعمال المشترك في معنيه أو في معانيه، في حين أن ابن تيمية أنكر يكون القاضي قائلاً بالجواز؛ لأن من أصله الوقف في صيغ العموم، وأنه لا يجوز حملها على الاستغراق إلا بدليل فمن يقف في ألفاظ العموم كيف يجزم في الألفاظ المشتركة بالاستغراق بغير دليل؟ وإنما الذي ذكره في كتبه إحالة الاشتراك أصلاً، وأن ما يظن من الأسماء المشتركة هي عنده من الأسماء المتواطئة، وممن استشكل ذلك أيضاً: الأبياري وتابعه القرافي.

قال الزركشي: لكن القاضي إنما ينكر وضعها للعموم، ولا ينكر استعمالها، وكلامنا في الاستعمال، ويحتمل أنه فرعه على القول بصيغ العموم، على أن الذي رأيته في "التقريب" للقاضي بعد أن قرر صحة إرادة المعنيين من المتكلم، قال: فإن قيل: هل يصح أن يراد المعنيان، أي يحمل عليهما بالظاهر أم

(١) انظر البحر المحيط (٢/٣٩١-٣٩٤).

بدليل يقترن بهما؟ قيل: بل بدليل يقترن بهما لموضع احتمالهما للقصد تارة إليهما وتارة إلى أحدهما، وكذلك سبيل كل محتمل من القول، وليس بموضوع في الأصل لأحد محتمليه^(١).

المطلب الثاني: حقيقة مخالفة ابن القيم لشيخه ابن تيمية في ذلك

ابن تيمية وابن القيم:

من المفارقات في هذه المسألة: اختلاف شيخ الإسلام ابن تيمية مع تلميذه ابن القيم في المسألة، مع القطع بوقوف ابن القيم على كلام شيخه، لكن ربما لم يقف على نصه في ترجيح القول بالتسويغ والجواز:

ابن تيمية: نص ابن تيمية أن المرجح قول المسوغين؛ لأن استعمال المشترك فيهما غايته أن يكون استعمالاً له في غير ما وضع له وذلك يسوغ بطريق المجاز، ولا مانع لأهل اللغة من أن يستعملوا اللفظ في غير موضوعه بطريق المجاز^(٢)، وذكر أيضاً دلالة اللفظ على المعنى يتبع قصد المتكلم والإرادة^(٣).

ابن القيم: رجح ابن القيم القول بالمنع، وقال: قد ذكرنا على إبطال استعمال اللفظ المشترك في معنيه معا بضعة عشر دليلاً في مسألة القرء في كتاب التعليق على الأحكام^(٤).

وابن القيم لا يخفى عليه اختيار شيخه، ولذا فالأقرب أنه أبطل استخدام المشترك في معانيه حيث كان ذلك يوجب التناقض، كمن قال: اعتدي بالأقراء،

(١) انظر البحر المحيط (٣٩١/٢-٣٩٤)، المستصفى للغزالي (١٤١/٢).

(٢) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥٧٩/٦).

(٣) شرح مختصر الروضة (٦٩٤/٢).

(٤) انظر جلاء الأفهام (ص ١٦١).

فإنه لا يمكن حمله على الحيض والظهر معاً، ولذا قال الحنابلة فيمن قال: كاعتدي بالأقراء، أو مثني، كقرأين صح^(١).

لكن هذا لا يمنع أنها تسأل لتعمل، ولذا قال الطوفي: "فائدة الخطاب بالمجمل «الانقياد التكليفي»، أي: الانقياد للعزم على امتثال التكليف به، فإذا قيل للمرأة: اعتدي بالأقراء؛ عزمتم على الاعتداد بأنها أمرت به، وبين لها، وإذا قيل: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ} [التوبة: ١٠٣]، أفاد عزم كل ذي مال على إخراج الزكاة، من جميع أنواع ماله ومقاديره، حتى يرد التخصيص النوعي بسائمة الأنواع، والنقدين، والخارج من الأرض، والتخصيص المقداري بشاة من أربعين، وخمسة دراهم من مائتين، ونحو ذلك، فإن لم يعزم على ذلك، عصي، وهذا شبيه بما مر بالنسخ قبل امتثال الفعل، وهذه فائدة عظيمة قد أفادها الخطاب بالمجمل؛ فهي في بابها كفائدة الإيمان بالمتشابه في بابها^(٢).

ولذا فقد رجح الشيخ ابن عثيمين الجواز ما لم يتناقض، حيث قال: "ما دام اللفظ صالحاً للمعنيين بدون تناقض؛ فإنه يحمل على المعنيين جميعاً، ويكون كل معنى كالمثال؛ لأنه ليس عندنا قرينة تؤيد أحد المعنيين واللفظ صالح لهما ولا مناقضة بينهما"^(٣).

(١) انظر: مختصر البعلي (ص ١١١)، المسودة (ص ١٦٨).

(٢) انظر: مختصر البعلي (ص ١١١)، المسودة (ص ١٦٨).

(٣) انظر شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - العثيمين (ص ٥٢).

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات

- المشترك ليس هو المجل، وإنما هو أحد صوره، فالمشترك مجمل بالنسبة إلى معانيه المحتملة إذا لم يتحدد أحدها، ولم يكن من مذهب قائله استعماله في جميع معانيه أو بعضها، فإنه يقف حتى يقوم الدليل على إرادة أحدها.
- اختلف العلماء في صحة إطلاق اللفظ على معانيه دفعة واحدة إذا لم يكن بينها تناقض، ويلحق بها: إطلاق اللفظ على حقيقته ومجازه، أو على الصريح منه والكناية، وإن كان هاهنا للحقيقة والصريح أولوية في رتبة التقديم.
- القول بالجواز هو مذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين، وهو مشهور عن الشافعي، ونقلوا عنه أمثلة في ذلك، وقد شكك في صحة ذلك عنه ابن تيمية وابن القيم وانتقدوا بعض ما نقل عنه، والقول بالجواز أيضا هو مذهب الباقلاني وناقش ابن تيمية في صحة إضافة ذلك إليه لقوله بالتوقف في صيغ العموم.
- القول بالمنع هو مذهب الحنفية وطائفة من العلماء.
- من المفارقات في هذه المسألة اختلاف ابن تيمية وابن القيم في هذه المسألة، فابن تيمية قائل بالجواز، وابن القيم قائل بالمنع مع الجزم باطلاعه على قول شيخه، وترجح عندي أنه لا تناقض إذا حمل كلام ابن القيم على صور التناقض فحسب.
- للقائل بالجواز ثلاثة طرق في الاستدلال: العموم، الاحتياط، الوقوع.
- للقائلين بالمنع طريقتان في الاستدلال: الأول: أمر يرجع إلى القصد، والثاني: أمر يرجع إلى الوضع.

- المرجّح عند جماعة من المحققين: جواز أن يراد بالمشترك عدة معان إذا لم يكن بينها تصادم، لكن بإرادة المتكلم، وليس بدلالة اللغة، وقد جاء كثيرا متوافرا في نصوص الوحي.

- فهي ثلاث مراتب: المرتبة الأولى: المشترك في الوضع اللغوي: لم يوضع المشترك في الأصل اللغوي لمعانيه كلها دفعة واحدة، وهذا ليس من مواطن التردد أو النزاع. المرتبة الثانية: المشترك في القصد: ليس هناك ما يمنع من جواز إطلاق اللفظ المشترك على معانيه كلها أو بعضها دفعة واحدة إذا لم تكن متصادمة، فهو وإن لم يوضع في الأصل لذلك، لكن ليس ثمة ما يمنع من ذلك؛ إذ هو متعلق بالاستعمال (المتكلم)، أو بالحمل (من السامع)، وتفسير اللفظ يتبع ما يؤديه من معنى وما يقصد به، وهذا يمكن أن يقوم به المشترك، وله أغراض صحيحة من الفصاحة والاختصار والتعميم. المرتبة الثالثة: الوقوع: وذلك من خلال تحمل كثير من الألفاظ المشتركة في النصوص لوجوه من المعاني الصحيحة، والتي للشارع إليها قصد وتشوف، بما يجزم في القلب بأن للشارع غرضا في ذلك، وقد تأكد من خلال تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الآيات بغير ظاهرها الأقرب، نعم، ذلك قليل في لغة العرب، وربما على ندور، لكن جاء القرآن على منتهى لغة العرب وفي الذروة من بلاغتها.

يشار هنا : إلى أن القول بالجواز لا يقتضي ضرورة وقوعه في القرآن الكريم، لكن وقوعه يقطع بجوازه.

- عند دراسة أقوال المفسرين للآيات، فإنه يظهر أنه يمكن حملها على المشترك تارة - وهو موضع البحث - وعلى المتواطئ تارة من غير تناقض أو اختلاف.

- القول بالجواز يسمح بوفرة من الاستنباطات والاستدلالات، ويعطي مساحة رحبة لائتلاف الأقوال والوجوه.

- القول بالمنع يوجب احتراس المستدل من إخلاله بقانون المسألة بعدم استعمال اللفظ المشترك في معنييه دفعة واحدة^(١).

أهم المقترحات والتوصيات:

- جمع المسائل التي يُظن مخالفة ابن القيم لشيخه ابن تيمية في الأصول، ومعالجتها على النحو الذي تم في هذا البحث.
- استخراج المسائل المتعلقة بالحقيقة والمجاز من الرسالة للشافعي، للتأكيد أنه لم يقل بالمجاز مطلقاً.

(١) انظر الملتقى الفقهي: <https://feqhweb.com/vb/threads/> /٢٠٨٣١/.

فهرس المصادر والمراجع

الإبهاج في شرح المنهاج، لتقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ.

أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء، د. محمد حسن عبد الغفار، بترتيب الشاملة.

الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، دار الحديث القاهرة ١٤٠٤هـ.

الإحكام؛ للآمدي، تحقيق د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ.

إرشاد الفحول للشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي ١٤١٩هـ.

أضواء البيان للشنقيطي محمد الأمين، دار الفكر، لبنان، ١٤١٥هـ.

أمالي المرتضي، تعليق محمد بدر الحلبي، ط. ايران، قم ١٣٢٥هـ.

البحر المحيط في أصول الفقه، لبدر الدين الزركشي، تحقيق د. محمد تامر، دار الكتب العلمية ١٤٢١هـ.

البرهان للجويني لإمام الحرمين عبد الملك الجويني، تحقيق: د. عبد العظيم الديب دار الوفاء، المنصورة، ١٤١٨هـ.

التبصرة، للشيرازي، تحقيق. د. هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ.

تفسير ابن كثير لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة مكة ١٤٢٠هـ.

تفسير الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير، دار هجر، الرياض، ط. الأولى.

التقريب لحد المنطق والمدخل إليه، لابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الحياة بيروت، ١٩٠٠م.

التمهيد للإسنوي، تحقيق هيتو، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ.

تيسير التحرير لمحمد أمين أمير بادشاه، ط. دار الفكر بيروت.

جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لابن القيم، تحقيق الرناؤوط، دار العروبة الكويت، ١٤٠٧هـ.

حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح، تحقيق محمد الخالدي، دار الكتب بيروت ١٤١٨هـ

خلاصة الأفكار شرح مختصر المنار، بترتيب الشاملة.

الدر المصون للسمين الحلبي تحقيق د. الخراط، دار القلم دمشق.

الرسالة للشافعي. تحقيق أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر ١٣٥٨هـ

زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ

شرح الإلمام بأحاديث الأحكام لابن دقيق العيد، تحقيق محمد خروف، دار النوادر، سوريا، ١٤٣٠هـ

شرح الإسنوي، نهاية السؤل، شرح منهاج الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ

شرح البدخشي = منهاج العقول، على نهاية السؤل، مكتبة محمد علي صبيح مصر.

شرح التلويح على التوضيح سعد الدين التفتازاني، تحقيق: زكريا عميرات، ط. دار الكتب العلمية، لبنان ١٤١٦هـ

شرح الكوكب المنير، تحقيق نزيه حماد، طز الرياض، العبيكان، ١٤١٨هـ.

شرح تنقيح الفصول، ناصر الغامدي، جامعة أم القرى ١٤٢١هـ

شرح مختصر الروضة، للطوفي، تحقيق التركي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ

شرح مقدمة التفسير لابن تيمية - العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤١٥هـ

صحيح البخاري للبخاري الجعفي، تحقيق: د. البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط. ٣، ١٤٠٧هـ.

عموم المشترك وأثره على الأحكام

صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت.

العدة للقاضي أبي يعلى، تحقيق د. المباركي، ط. جامعة الإمام، الرياض، ١٤١٠هـ.

الفتاوى الكبرى لابن تيمية بتحقيق مخلوف، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦هـ.
فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة بيروت، محمد فؤاد عبد الباقي، ١٣٧٩هـ.
الكتاب لسبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ١٤٠٨هـ.
كشف الأسرار في شرح أصول البزدوي؛ لعلاء الدين البخاري، دار الكتاب الإسلامي.

لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٤١٤هـ.
مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية تطبيقات الطبري في تفسيره، (رقم ٥٤) ١٤٣٣هـ. (صور المشترك اللفظي في القرآن الكريم وأثرها في المعنى).

مجموع الفتاوى لابن تيمية المحقق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد ١٤١٦هـ.

المحصول؛ للرازي، تحقيق طه العلواني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٨هـ.
المحلى لابن حزم، دار الفكر للطباعة والنشر.
مختصر ابن الحاجب والعضد عليه، عالم الكتب، لبنان، ١٤١٩هـ.
المستصفي للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
المسودة، آل تيمية، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المدني، القاهرة.
معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
مقدمة ابن خلدون لابن خلدون، بترتيب الشاملة.
المنتقى شرح الموطأ، للباجي، مطبعة السعادة مصر، ١٣٣٢هـ.

المنحول، للغزالي، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر المعاصر، بيروت،
١٤١٩هـ

نفائس الأصول في شرح المحصول للقرافي، تحقيق عادل وعلي معوض، مكتبة
البار، القاهرة، ١٤١٦هـ

المواقع الإلكترونية:

موقع:

https://bfdajournals.ekb.eg/issue_48874_45707.html

موقع: <https://www.alukah.net/sharia/0>

موقع: <https://search.mandumah.com/Record/802132>

موقع: <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/202384>

موقع: الألوكة، <https://www.alukah.net/sharia/0>

موقع: الملتقى الفقهي: <https://feqhweb.com/vb/threads/20831>

موقع: الملتقى الفقهي: <https://feqhweb.com/vb/threads/20831>

المكتبة الشاملة:

الإصدار ٣.٢٨، الإصدار ٣.٤٣

تم بحمد الله تعالى

الجنایات وعلاقتها بسد الذرائع

إعراب

أ.د. عبد الله بن حسين الموحان
الأستاذ الدكتور في الفقه وأصوله
أستاذ دكتور الفقه المقارن
من جامعة أفريقييا الفرنسية العربية

١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص:

البحث يعنى ببيان عجز القوانين الوضعية عن الوصول إلى مخرج لما يزداد انتشاراً كل يوم بين صفوف الأمم من جرائم وفساد، فالتقنيات الوضعية لا تمنعه بل ربما ما وضعته من نظم يكون أحياناً عاملاً من عوامل إذكاء روح الجريمة بين الناس.

وتم بحث هذا من خلال: فصلين: الأول: الجنايات في الشريعة الإسلامية. وفيه مباحث [التعريفات والأحكام - أنواع وأقسام الجرائم - تميز التشريعات الجنائية الإسلامية]، ثم الفصل الثاني: سد الذرائع في الجنايات. وفيه مبحثان [التعريفات والأحكام - سد الذرائع في الجنايات]. ثم الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات. ومن أهمها:

- اتفق الفقهاء على وجوب القصاص في الجراح الواقعة على الرأس والوجه من حيث الجملة.

- ليس لولي الأمر سلطة قتل من يخالفه الرأي.

الكلمات الافتتاحية: الجريمة - الشريعة - القوانين الوضعية - سد الذرائع.

Abstract:

The research aims to demonstrate the inability of man-made laws to find a way out of what afflicts a uniform number of crimes and corruption every day. Man-made laws do not prevent it, but perhaps it hurts those who are not always a factor in fanning the spirit of crime among people.

This was discussed through: two chapters: the first: crimes in Islamic law. Discussions [Definitions and Provisions - Types and Sections of Diversity - Distributions of Islamic Types], then the second chapter: Blocking the pretexts in the jinn. It contains two sections [Definitions and Provisions - Blocking Pretexts in Felonies].

Then the conclusion: which contains the most important results, recommendations and proposals. and the most important :

.-Jurists agreed on the obligation of retaliation for wounds on the head and face, in general terms .

.-The ruler does not have the authority to kill anyone who disagrees with his opinion.

Keyword: crime - Sharia - positive laws - blocking pretexts.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١] (١).

أما بعد..

فإن الفقه الإسلامي فقه صاف، مبني على أسس صحيحة، والاختلافات التي وجدت بين العلماء كلها تدخل تحت مظلة الشريعة، لأن جميع العلماء ينهلون من الوحي، ومجمعون على الالتزام بأدلة الكتاب والسنة. وعند التنازع فالتحاكم لها، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

وفي مختصر الصواعق: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدع

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه وللشيخ الألباني رسالة مفردة في تخريجها، وهي مشهورة.

أخذوا الدين من عقولهم فأورثهم التفرق والاختلاف، فإن النقل والرواية من الثقات والمتقنين قلما تختلف، وإن اختلفت في لفظة أو كلمة فذلك الاختلاف لا يضر الدين ولا يفدح فيه.

وأما المعقولات والخواطر والآراء فقلما تتفق، بل عقل كل واحد ورأيه وخاطره يُري صاحبه غير ما يُري الآخر^(١).

ويرتبط الفقه بعلم أصول الفقه، والذي برز عند فقهاء الإسلام الأوائل في صور ناصعة قبل أن تختلط مباحثه بعلم الكلام الذي تأثر بالفلسفة والمنطق فاشتملت أبحاثه على مباحث لا تمت للإسلام بصلة.

والفقه يشمل الواجبات الدينية والأوامر الإلهية التي تقعد حياة المسلم في كل النواحي. فهو يتناول ما يتعلق بالعبادات والقواعد السياسية والقانونية التي تمثل جزءاً من القواعد الدينية والأخلاقية، فهو يتناول حياة المسلم كلها دينية أو دنيوية، فلا فرق في الإسلام بين أمور الدين وأمور الدنيا، فالكل فيه شرع، والكل واجب الالتزام به.

وقد تطور في الأزمنة المتعاقبة إلى بناء كامل لكل العلاقات الإنسانية وألبس كل ذلك ثوب الفقه والتشريع. ومن هنا بقيت أهميته حتى إلى الوقت الحاضر.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- امتازت الشريعة الإسلامية عن غيرها في كل مناحي التشريع، ومنه ما امتازت به تشريعاتها في مجال التجريم والعقاب؛ من سمو يتمثل في رعاية الإنسان، وما تستقيم به حياته من أمور ضرورية، وحاجية وتحسينية.

(١) وهو القول منسوب لأبي المظفر ابن السمعاني، مختصر الصواعق المرسلّة (ص ٤٩٧)؛ معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (٢٠/١).

ف نجد في قواعد التشريع الإسلامي العامة والخاصة في المجال الجنائي كل الحلول القادرة، والحاسمة في مواجهة أي سلوك انحرافي أيا كان سببه ومبعثه، فالتشريع يتتبعه في كل مراحلها، ونواحيه حتى يستأصله من النفس، ويصل بها إلى أن تكون نفسا تراقب خالقها في كل شيء، حتى فيما يخالجها ويدور بخُلدها. وهذه النزعة الربانية تفوق كل القوانين الوضعية.

فالحُدود في الشريعة: عملية تطهيرية للمحدود، وهي أيضاً وردع له ولغيره، وأبواب التعزيرات هي كذلك أيضاً، فهي لبناء المجتمع الطاهر النظيف الذي يقوم على العدل والخير.

- يرتبط تشريع "التجريم" بقواعد الفقه الكلية، ومنها "سد الذرائع" سواء قلنا إنه دليل أصولي، أو حجة وليس بدليل مستقل، ومن هنا كان بحث "سد الذرائع" مع فقه الجنايات يعطي البحث قوة في التصور والتطبيق.

إن سد الذرائع من أدلة أصول الفقه المشهورة، وهو دليل أصولي عند بعض العلماء، وليس بدليل لكنه حجة عند آخرين، وقد أطال ابن القيم في إعلام الموقعين في الانتصار له، واستدل له بتسعة وتسعين دليلاً، أظهر فيه المنزلة الكبيرة لمبدأ سد الذرائع في الدين. وانتهى فيه إلى أن سد الذرائع هو أحد أرباع التكليف، ثم بنى عليه بحثاً مطولاً جداً في تحريم الحيل، باعتباره سدا للذريعة أيضاً^(١).

فإذا كان سد الذرائع بهذه المنزلة في الشريعة فبحث آثاره على الجنايات من أهم الأمور، إذ الخلاف في غير الجنايات قد يكون محتملاً، لكن الشارع شدد في الجنايات، ولاسيما القتل الذي جاءت الشرائع بكونه من أكبر الكبائر، ومن ضروريات الشرائع، فهي قاضية بحفظ النفس بعد حفظ الدين، بل وبأبواب

(١) إعلام الموقعين (٣/١٣٥-١٥٩).

الضرورات أيضاً فيها تعلق بالجرائم الكبرى من السرقة والزنا وشرب الخمر، مما يؤكد أهمية هذا البحث والله أعلم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق جملة أهداف، ولعل من أهمها:

- بيان عجز القوانين الوضعية عن الوصول إلى مخرج لما يزداد انتشاراً كل يوم بين صفوف الأمم من جرائم وفساد، فالتقنيات الوضعية لا تمنعه بل ربما ما وضعته من نظم يكون أحياناً عاملاً من عوامل إنكاء روح الجريمة بين الناس.

- بيان أن الفقه الإسلامي في شتى مجالاته، وعلى الأخص في مجال التجريم والعقاب قد وصل بالناس إلى بر الأمان يوم حكمهم، وقضى بينهم بقضائه العادل، ومبادئه القويمة الرشيدة. وليس ذلك من باب العاطفة الدينية التي لا يقوم عليها دليل، وإنما الدليل واضح نطق به من قال لعمر قولته المشهورة: حكمت فعدلت، فأمنت فنمت يا عمر.

- بيان مراعاة الفقهاء في عقوبة "التجريم" من خلال قاعدة سد الذرائع بتطبيقاتها. وإظهار مكانة "سد الذرائع" في الحد من جرائم الحدود والتعزيرات.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على بيان مفهوم الجنايات في الإسلام، وعلاقة ذلك بمفهوم سد الذرائع، من غير تحديد لمكان أو زمان أو قانون.

الدراسات السابقة:

ثمة دراسات اعتنت ببيان تفرد الشريعة في التشريع الجنائي، وهي مما يستفاد منه في بحثي، ومن أهمها:

- التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة.

- الجريمة للشيخ محمد أبو زهرة.
- الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون، لمنصور الحفناوي.

ومن هنا أحببت أن أطل إطلالة على التشريع الجنائي الإسلامي، باعتبار كون العقوبة حقاً لله في الشريعة كما استوجبته المصلحة العامة، وهي دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم، وكل جريمة يرجع فسادها إلى العامة، وتعود منفعة عقوبتها عليهم، فاعتبار العقوبة حقاً لله يؤدي إلى عدم إسقاط العقوبة بإسقاط الأفراد أو الجماعة لها.

*. وأما فيما يتعلق بعلاقة سد الذرائع في الجنايات، فلم أجد فيما وقفت عليه بحثاً يوافق ما أردته من بحثي، لكن هناك بعض البحوث التي تتقاطع مع بحثي، ومنها:

- رسالة لاستكمال متطلبات الماجستير بكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإسلامية، بجامعة غرداية بالجزائر بعنوان: "دور قاعدة سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الوقاية والحد من الجرائم". (١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م).

والبحث في (١١٥) صفحة، والذي يتعلق بدراستي ما جاء في الفصل الثاني: دور قاعدة سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الوقاية والحد من الجرائم، المبحث الأول: أثر قاعدة سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الحد من الجرائم، المطلب الثالث: المقارنة بين سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الحد من الجرائم، من (ص ٦١ - ص ٦٤)، ثم نماذج التطبيقات (ص ٦٤ - ص ٨٤)، وهذا البحث يتعلق بالتدابير الاحترازية فتقاطعه مع بحثي محدود أيضاً.

إشكالية البحث:

ثمة إشكالية تقوم الدراسة بحلها، وهي:

- ما مفهوم الجنايات في الإسلام.
- وما علاقة ذلك بمفهوم سد الذرائع.
- وما أثر أعمال قاعدة سد الذرائع في الحد من الجريمة عند إقامة الحدود والتعازير.

منهج البحث:

منهج البحث العلمي هو: "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"، وقد اتخذ هذا البحث المنهج التاريخي الاستردادي: الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أياً كان نوع هذه الآثار. وكذلك اتخذ المنهج التحليلي الوصفي الذي: "يقوم على التفكيك والتجزئة، فيتم تناول الأفكار المجزأة بالشرح المفصل المتدرج وفق الأفكار، فهي عملية وصفية"^(١).

ثم المنهج الإجرائي: الذي يقوم على: تفاصيل العمليات "الإجراءات"

التي يقوم بها الباحث؛ ومن أهم معالمه:

- ضبط الآيات الكريمات (رواية حفص عن قراءة عاصم) برسم المكتبة الشاملة^(٢)، مع عزوها لمواضعها في المصحف.

(١) انظر في ذلك: عبد الرحمن البدوي. مناهج البحث العلمي. (ص٥)؛ البحث العلمي

أساسياته النظرية وممارسته العملية (ص: ١٢١، ١٢٩، ٤٦٢).

(٢) إنما اخترت ذلك دون رسم المصحف، لكون خطوطها تتوافق مع خطوط كافة الحاسبات في الجملة، أما البرامج التي تثبت رسم المصحف فتثبته عادة بشكل (صورة)، فإذا لم تكن

- تخريج الأحاديث النبوية بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث من كتب الحديث الأصلية، وأضيف في غير رواية الصحيحين أحكام الأئمة على الرواية، ولاسيما تعليقات الشيخ الألباني المطبوعة مع السنن، أو في سائر كتبه.
- وضع علامات الترقيم.

خطة البحث:

أردت تبين الخطوط العامة لذلك دون الدخول في تفاصيل الفروع، وقد تسنى لي بحث ذلك تحت عنوان: [الجنايات وعلاقتها بسد الذرائع] في فصلين من خلال الخطة التالية:

الفصل الأول: الجنايات في الشريعة الإسلامية.

- **المبحث الأول: التعريفات والأحكام.**
 - **المطلب الأول:** التعرف على معنى الجنايات لغة واصطلاحاً.
 - **المطلب الثاني:** العلاقة بين الجنايات والمصطلحات الأخرى.
- **المبحث الثاني: أنواع وأقسام الجرائم.**
 - **المطلب الأول:** أنواع الجرائم.
 - **المطلب الثاني:** أهمية هذا التقسيم.
- **المبحث الثالث: تميز التشريعات الجنائية الإسلامية.**

خطوط المصحف مثبتة على الأجهزة، فإنها تظهر بلغة (السي) بما فيها من أشكال طيور ونحوها، فرأيت اجتناب ذلك صيانة وتيسيراً، ولاسيما أن تنزيل الآيات من المكتبة الشاملة يكون دقيقاً وقريباً من رسم المصحف.

الفصل الثاني: سد الذرائع في الجنايات.

- المبحث الأول: التعريفات والأحكام.

• **المطلب الأول:** التعرف على معنى سد الذرائع لغة واصطلاحاً، ودخول الحيل فيها.

• **المطلب الثاني:** أهمية سد الذرائع في الشريعة.

- المبحث الثاني: سد الذرائع في الجنايات.

• **المطلب الأول:** أساليب الحد من الجريمة، ودور سد الذرائع في ذلك.

• **المطلب الثاني:** حدود تعزيرات ولي الأمر.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

الفهارس:

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

وآخر دعوانا أذبحه لله رب العالمين، وبالله التوفيق

الفصل الأول: الجنايات في الشريعة الإسلامية.

المبحث الأول: التعريفات والأحكام.

المطلب الأول: التعرف على معنى الجنايات لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الجناية لغة:

الجناية لغة: اسم لما يجنيه المرء من شر اكتسبه، يقال: جنى على قومه جناية أذنب ذنباً يواخذ عليه. وأصله من جنى الثمر: وهو أخذه من الشجر، وهو عام، إلا أنه خص بما يحرم من الفعل. ويسمى مكتسب الشر جانياً، والذي وقع عليه الشر: مجنيا عليه، فالجناية هي الذنب، والجرم، وما يفعله الإنسان مما يوجب العقاب، أو القصاص في الدنيا والآخرة^(١).

الجناية في الشرع: اسم لفعل مجرم سواء أكان في مال أو نفس، لكن في عرف الفقهاء هي: الفعل المؤثم الواقع على النفس والأطراف، سواء أكان قتلاً أم ضرباً أم جرحاً، أم غير ذلك. وقد خصها بعض الفقهاء بما وقع من جرائم الحدود والقصاص، وزاد على ذلك بعض فقهاء الحنفية، فأطلقها على كل فعل مجرم سواء أكان في مال أم كان في نفس^(٢).

وقد اتجه ابن قدامة هذا الاتجاه في تعريفه للجريمة، فأطلقها على كل فعل فيه عدوان على نفس أو مال، ثم أشار إلى ما تعارف عليه الفقهاء من الحنابلة وغيرهم من أنهم خصوا الجريمة بالتعدي على الأبدان بما يوجب

(١) لسان العرب (١٦٨/١٨)، المصباح المنير (٥٨/١).

(٢) تبیین الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (٩٧/٦)، البحر الرائق لابن نجيم (٣٢٧/٨).

قصاصًا، أو غيره، فقال: "لكنها في العرف" أي: عرف الفقه، مخصوصة بما يحصل من التعدي على الأبدان. وسموا الجناية على الأموال غصبًا ونهبًا وسرقة، وجناية وإتلافًا^(١).

وذكر فقهاء الشافعية أن الجناية أعم من أن تكون قتلاً، أو قطعاً أو جرحاً، فهي تشمل الجنایات على الأموال والأعضاء، والأنساب والعقول والأديان^(٢).

وذهب بعض المالكية إلى أن الجنایات هي التي لها حدود مشروعة وهي:

١- جنایات على الأبدان والنفوس، والأعضاء وأشار إليها بما يسمى قتلاً وجرحاً.

٢- جنایات على الفروج، وهي المسماة زنا وسفاحاً.

٣- جنایات على الأموال، وهذه ما كان منها مأخوذاً بحرب سمي: حرابة إذا كان بغير تأويل، وإن كان بتأويل سمي بغيًا، وما كان منها مأخوذاً على وجه الغفلة من حرز يسمى سرقة، وما كان منها يعلو مرتبة، وقوة سلطان سمي غصبًا.

٤- جنایات على الأعضاض، وهي المسماة قذفًا.

٥- جنایات بالتعدي على استباحة ما حرمه الله من المأكولات والمشروبات، وهذه إنما يوجد فيها حد في هذه الشريعة في الخمر فقط^(٣).

لكن ينقص هذا التقسيم ما يقع من جنایات على الدين، والعقيدة كما ذكر فقهاء الشافعية.

(١) كشف القناع (٣/٣٣٢، ٣٣٣)؛ المغني (٧/٦٢٥)؛ الجريمة للشيخ أبو زهرة (ص ٦٠-

٦٢)؛ الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنة بالقانون (ص ٢٥).

(٢) حاشية الباجوري (٢/٥٢٤).

(٣) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (٢/٤٢٦-٤٢٧).

المطلب الثاني: العلاقة بين الجنايات والمصطلحات الأخرى

العلاقة بين الجنايات والجرائم:

يتبين من سابق التعريفات العلاقة ما بين الجريمة، والجناية من تطابق، واتفاق عند بعض الفقهاء إلى الحد الذي أصبح به اللفظان عندهم يرادف كل منهما الآخر. ومن هنا كان إطلاق لفظ الجريمة في مختلف الموضوعات على كل ما هو مآثم شرعاً خصوصاً.

أما جمهور فقهاء الحنابلة، ومن وافقهم فقد خصوا الجناية بما يقع على الأموال من غصب، وسرقة إتلاف، وخصوا الجريمة بما يقع من تعد على الأبدان. وجمهور فقهاء الشريعة، الجناية عندهم تطلق على كل ما جرم من سلوك فعلاً كان، أو امتناعاً ما دام الإثم قد لزم من قام به حتى ولو لم يترتب على هذا الإثم عقوبة من العقوبات الدنيوية. ومن هنا جاء قول الفقهاء: الجناية على الحج والجناية على الصيام، إلى غير ذلك من العبادات. فالجناية هنا بإطلاقها العام تشمل كل ما جرم، بصرف النظر عما يلزم به من وقع منه هذا السلوك.

العلاقة بين الجنايات والجراح:

الجراح لغة: جمع جرح وهو من الجرح - بفتح الجيم - وفعله من باب نفع. يقال: جرحه يجرحه جرحاً إذا أثر فيه بالسلاح^(١). ولا يخرج استعمال الفقهاء للجراح عن معناها اللغوي.

فيطلق بعض الفقهاء لفظ الجراح على أبواب الجنايات تغليبا لأنها أكثر طرق الزهوق، واستعمل بعضهم لفظ "الجنايات" لأنها أعم من الجراح، فهي

(١) لسان العرب، والمصباح المنير مادة: (جرح).

تشمل القتل بالسم، أو بالمتقل، أو بالخنق أو بغير ذلك من مسائل القتل غير الجراح^(١).

بعض الألفاظ ذات الصلة:

الشجاج: الشجاج جمع شجة، وهي الجرح يكون في الوجه والرأس في الأصل، ولا يكون في غيرهما من الجسم، ثم استعمل في غيرها من الأعضاء^(٢).
 واصطلاحاً: يستعمل بعض الفقهاء لفظ " الشجاج " في جراح الوجه والرأس، وأطلق لفظ "جراح" على ما كان في غير الوجه والرأس. ومنهم من استعمل الشجاج والجراح استعمالاً واحداً، في الجراح في جميع الجسم.
 ومن فرق في استعمال اللفظ اعتمد على اللغة لما ثبت من مغايرة العرب في الاستعمال بينهما، كما اعتمد على المعنى، فإن الأثر المترتب على شجاج الوجه والرأس يختلف عن أثر الجراح في سائر البدن. وذلك لبقاء أثر الشجاج غالباً فيلحق المشجوج الشين بخلاف سائر البدن؛ لأن الشين لا يلحق غالباً إلا فيما يظهر كالوجه والرأس، أما سائر البدن فالغالب فيه أن يغطي فلا يظهر فيه الشين^(٣).

وقال ابن عرفة المالكي في بيان متعلق الجناية في غير النفس: إن أفادت بعض الجسم **فقطع**، وإلا فإن أزلت اتصال عظم لم يبين **فكسر**، وإلا فإن أثرت في الجسم **فجرح**، وإلا **فإتلاف منفعة**^(٤).

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣٦/١٥).

(٢) لسان العرب مادة: (شجج).

(٣) بدائع الصنائع (٢٩٦/٨)؛ البحر الرائق (٣٨١/٨)؛ كشف القناع (٥١/٦) عن الموسوعة الفقهية الكويتية (١٣٦/١٥).

(٤) الشرح الصغير (٣٤٧/٤).

حكم القصاص في الجنايات:

اتفق الفقهاء على وجوب القصاص في الجراح الواقعة على الرأس والوجه من حيث الجملة وعلى خلاف في التفصيل.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقوله ﷺ في حديث أنس في قصة عمته الربيع لما كسرت ثنية جارية وطلبوا العفو فأبوا، وعرضوا الأرش فأبوا، فقال النبي ﷺ: (كتاب الله القصاص)^(١).

وتقدم أن الذي يقع في الرأس والوجه يسمى شجاجاً^(٢)

وأما الجراح في سائر البدن، فالمالكية والشافعية والحنابلة على أنه يقتص منها إذا أمكن استيفاؤها، بأن تنتهي إلى حد كأن تنتهي إلى عظم بشرط ألا تكسره، أو تنتهي إلى مفصل كالكوع والمرفق والكعب.

والقاعدة عند الشافعية أن ما لا قصاص فيه من الجراح: إذا كان على الرأس والوجه^(٣). وذهب الحنفية إلى أنه لا قصاص في جراح سائر البدن لأنه لا يمكن استيفاء القصاص فيها على وجه المماثلة. بل تجب فيها حكومة عدل بشرط أن تبرا ويبقى لها أثر. أما إذا لم يبق لها أثر فلا شيء فيها في قول

(١) أخرجه البخاري (الفتح ١٧٧/٨ - ط السلفية) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) البناءة (١٥٣/١٠)؛ حاشية الدسوقي (٢٥١/٤)؛ الشرح الصغير (٣٥٠/٤)؛ روضة الطالبين (١٧٩/٩، ١٨٠)؛ كشاف القناع (٥٥٨/٥)؛ الموسوعة الفقهية الكويتية (١٤٠/١٥).

(٣) الشرح الصغير (٣٥٠/٤)؛ نهاية المحتاج (٢٦٩/٤)؛ كشاف القناع (٥٥٨/٥)؛ شرح منتهى الإرادات (٦٣/٦).

أبي حنيفة رضي الله عنه^(١). فيصير الأمر إلى الدية لعدم وجوب القصاص، أو للعفو إلى الدية، أو كانت الجروح مما فيه أرش، مقدر شرعا، فدية المُوضحة خمسة أبعرة، والهاشمة عشرة، والمنقلة خمسة عشر، وفي المأمومة ثلث الدية، وفي الجائفة ثلث الدية^(٢).

(١) بدائع الصنائع (٧/٣٢٠).

(٢) البحر الرائق (٣٨١/٨)؛ مغني المحتاج (٥٨/٤)؛ كشاف القناع (٥٣/٦، ٥٤)؛ الشرح الصغير (٣٨٢/٤، ٣٨٣). وهناك أسماء أخرى للجراح، وفي معجم لغة الفقهاء (١/١٦٢): "جرح العضو: قطع اتصال اللحم فيه من غير تقيح، فإذا تقيح فهو القرحة وهو عند الفقهاء على أنواع: الحارصة: وهي شق الجلد قليلا كالخدش من غير ظهور الدم. الدائمة: وهي الجرح التي يظهر منها الدم دون أن يسيل عن محله. الدائمة: وهي التي الظهر منها الدم ويسيل عن محله دون أن تقطع اللحم. وهذه الجروح الثلاثة خاصة بالجلد لا تتعداه

الباضعة: هي التي تتعدى الجلد وتقطع اللحم. المتلاحمة: وهي التي تأخذ من اللحم ولا تبلغ السمحاق من العظم. السمحاق: وهي التي تبلغ الجلدة الرقيقة التي بين العظم واللحم. الموضحة: وهي التي تظهر العظم وتوضحه. وهذه الجروح الأربعة الأخيرة خاصة باللحم لا تتعداه.

الهاشمة: وهي التي تكسر العظم دون أن تنقله من محله. المنقلة: وهي التي تكسر العظم وتنقله عن محله. وهذان الجرحان الأخيران خاصان بالعظام.

الآمة: وهي الجرح في الرأس إذا بلغت الغشاء المغلف للدماغ. الدامغة: وهي الجرح في الرأس إذا بلغت الدماغ. وهذان الجرحان الأخيران خاصان بالرأس.

الجائفة: وهي الجرح التي تخترق القفص الصدري أو جدار البطن أو عظام الظهر وتنفذ إلى الجوف. اهـ.

المبحث الثاني: أنواع وأقسام الجرائم.

المطلب الأول: أنواع الجرائم.

القسم الأول: الحدود المعينة ومحدودة العدد، وهي سبع جرائم:

(الزنا - القذف - الشرب - السرقة - الحراة - الردة - البغي).

ويسميتها الفقهاء "الحدود" دون إضافة اللفظ جرائم إليها، وعقوباتها

تسمى الحدود أيضاً ولكنها تميز بالجريمة التي فرضت عليها فيقال: حد السرقة،

حد الشرب، ويقصد من ذلك عقوبة السرقة وعقوبة الشرب.

القسم الثاني: جرائم القصاص والدية: وهي الجرائم المعاقب عليها

بقصاص أو دية، وكل من القصاص والدية عقوبة مقدرة حقاً للأفراد، ومعنى أنها

مقدرة: أنها ذات حد واحد، فليس لها حد أعلى وحد أدنى تتراوح بينهما، ومعنى

أنها حق للأفراد: أن للمجني عليه أن يعفو عنها إذا شاء، فإذا عفا أسقط العفو

العقوبة المعفو عنها.

وجرائم القصاص والدية خمس: (القتل العمد - القتل شبه العمد - القتل

الخطأ - الجناية على ما دون النفس عمداً - الجناية على ما دون النفس

خطأ). والجناية على ما دون النفس: هو الاعتداء الذي لا يؤدي للموت كالجرح

والضرب.

القسم الثالث: جرائم التعازير: هي الجرائم التي يعاقب عليها

بعقوبة أو أكثر من عقوبات التعزير، ومعنى التعزير: التأديب، وقد جرت الشريعة

على عدم تحديد عقوبة كل جريمة تعزيرية، واكتفت بتقرير مجموعة من العقوبات

لهذه الجرائم تبدأ بأخف العقوبات وتنتهي بأشدّها، وتركت للقاضي أن يختار

العقوبة أو العقوبات في كل جريمة بما يلائم ظروف الجريمة وظروف المجرم.

فالعقوبات في الجرائم التعزيرية غير مقدرة. وجرائم التعزير غير محدودة كما هو الحال في جرائم الحدود أو جرائم القصاص والدية، وليس في الإمكان تحديدها^(١).

موقف الدولة من التعزير:

نصت الشريعة على بعض التعزيرات وهو ما يعتبر جريمة في كل وقت كالربا وخيانة الأمانة والسب والرشوة، وتركت لأولي الأمر النص على بعضها الآخر، وهو القسم الأكبر من الجرائم التعازيرية، ولكن الشريعة لم تترك لأولي الأمر الحرية في النص على هذه الجرائم بل أوجبت أن يكون التجريم بحسب ما تقتضيه حال الجماعة وتنظيمها والدفاع عن مصالحها ونظامها العام، وأن لا يكون مخالفاً لنصوص الشريعة ومبادئها العامة.

وقد قصدت الشريعة من إعطاء أولي الأمر حق التشريع في هذه الحدود تمكينهم من تنظيم الجماعة وتوجيهها الوجهات الصحيحة، وتمكينهم من المحافظة على مصالح الجماعة والدفاع عنها ومعالجة الظروف الطارئة^(٢).

مخالفة أولي الأمر:

أعطت الشريعة الحق لأولي الأمر في التعزيرات بضوابطها، والفرق بين الجريمة التي نصت عليها الشريعة والعمل الذي يجرمه أولو الأمر: أن ما نصت عليه الشريعة أنه محرم دائماً فلا يصح أن يعتبر فعلاً مباحاً، أما ما يحرمه أولو الأمر اليوم فيجوز أن يباح غداً إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة^(٣)، كالشارع قد

(١) بدائع الصنائع (٢٣٣/٧)؛ الإقناع (١٦٢/٤)؛ حاشية البجيرمي على المنهج (١٢٩/٤)؛

تحفة المحتاج (١/٤)؛ المغني (٣١٨/٩)؛ مواهب الجليل للحطاب (٢٣٠/٦).

(٢) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (٨١/١).

(٣) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (٨١/١).

يكون اتجاه المرور فيه صعوداً ومن يخالف ذلك يعزر، وقد يتغير إلى نزول، من يخالف ذلك يعذر.

المطلب الثاني: أهمية هذا التقسيم:

تظهر أهمية تقسيم الجرائم إلى حدود، وقصاص "أو دية"، وتعازير، من عدة وجوه منها:

أولاً: من حيث العفو: جرائم الحدود: لا يجوز فيها العفو مطلقاً، سواء من المجني عليه أو ولي الأمر أي الرئيس الأعلى للدولة، فإذا عفا أحدهما كان عفو لغو لا أثر له على الجريمة ولا على العقوبة.

أما في جرائم القصاص: فالعفو جائز من المجني عليه، فإذا عفا ترتب على العفو أثره، فللمجني عليه أن يعفو عن القصاص مقابل الدية، وله أن يعفو عن الدية أيضاً، فإذا عفا عن أحدهما أبقى منه الجاني. وليس لرئيس الدولة الأعلى أن يعفو عن العقوبة في جرائم القصاص بصفته هذه، لأن العفو عن هذا النوع من الجرائم مقرر للمجني عليه أو وليه، لكن إذا كان المجني عليه قاصراً ولم يكن له أولياء كان الرئيس الأعلى للدولة وليه، إذ القاعدة الشرعية أن (السلطان ولي من لا ولي له)^(١)، وفي هذه الحالة يجوز لرئيس الدولة العفو بصفته ولي المجني عليه، لا بأي صفة أخرى، وبشرط ألا يكون العفو مجاناً.

(١) وهو منصوص حديث، أخرجه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: (إذا نكحت المرأة بغير أمر مولاهما فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فإن أصابها فلها مهرها بما أصاب منها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له) قال عبد الله بن الإمام أحمد: قال أبي: السلطان القاضي، لأن إليه أمر الفروج والأحكام. انظر: مسند أحمد بن حنبل (٤٧/٦ - ح ٢٤٢٥١)، وصححه الأرنؤوط.

وفي جرائم التعازير لولي الأمر [رئيس الدولة الأعلى] حق العفو:

عن الجريمة، وحق العفو: عن العقوبة، فإذا عفا كان لعفوه أثره بشرط أن لا يمس عفوه حقوق المجني عليه الشخصية. وليس للمجني عليه أن يعفو في التعازير إلا عما يمس حقوقه الشخصية المحضة. ولما كانت الجرائم تمس الجماعة فإن عفو المجني عليه من العقوبة أو الجريمة لا يكون نافذاً وإن أدى في الواقع إلى تخفيف العقوبة على الجاني، لأن للقاضي سلطة واسعة في جرائم التعازير من حيث تقدير الظروف المخففة، وتخفيف العقوبة.

ثانياً: من حيث سلطة القاضي: في جرائم الحدود إذا ثبتت الجريمة وجب على القاضي أن يحكم بعقوبتها المقررة لا ينقص منها شيئاً ولا يزيد عليها شيئاً، وليس له أن يستبدل بالعقوبة المقررة عقوبة أخرى، ولا أن يوقف تنفيذ العقوبة، فسلطة القاضي في جرائم الحدود قاصرة على النطق بالعقوبة المقررة للجريمة.

وفي جرائم القصاص سلطة القاضي قاصرة على توقيع العقوبة المقررة

إذا كانت الجريمة ثابتة قبل الجاني، فإذا كانت العقوبة القصاص وعفا المجني عليه عن القصاص أو تعذر الحكم به لسبب شرعي وجب على القاضي أن يحكم بالدية ما لم يعف المجني عليه عنها؛ فإذا عفا كان على القاضي أن يحكم بعقوبة تعزير.

أما جرائم التعازير فللقاضي فيها سلطة واسعة في اختيار نوع العقوبة

ومقدارها، فله أن يختار عقوبة شديدة أو خفيفة بحسب ظروف الجريمة والمجرم، وله أن ينزل بالعقوبة إلى أدنى درجاتها، وله أن يرتفع بها إلى حدها الأقصى، وله أن يأمر بتنفيذ العقوبة أو إيقاف تنفيذها.

ثالثاً: من حيث قبول الظروف المخففة: ليس للظروف المخففة أي

أثر على جرائم الحدود والقصاص والدية، فالعقوبة المقررة لازمة مهما كانت

ظروف الجاني. أما في جرائم التعازير فللظروف المخففة أثرها على نوع العقوبة ومقدارها، فللقاضي أن يختار عقوبة خفيفة، وأن ينزل بها إلى أدنى حدودها، وله أن يوقف تنفيذها.

رابعاً: من حيث إثبات الجريمة: تشترط الشريعة لإثبات جرائم الحدود والقصاص عدداً معيناً من الشهود، إذا لم يكن دليل إلا الشهادة، فجريمة الزنا لا تثبت إلا بشهادة أربعة شهود يشهدون الجريمة وقت وقوعها، وبقيّة جرائم الحدود والقصاص لا تثبت إلا بشهادة شاهدين على الأقل. أما جرائم التعازير فقد تثبت بشهادة شاهد واحد^(١).

ولا تعرف القوانين الوضعية هذا التقسيم، وإنما هي تقسم الجرائم غالباً إلى جنايات وجنح ومخالفات.

- أقسام الجريمة باعتبار ما تقع عليه:

ما يقع من الجاني قد يصيب المجني عليه إصابة ينتج عنها الإتيان على ما هو ضروري بالنسبة له. وقد تقع هذه الجناية على أمر آخر من الأمور الحاجية، أو الأمور التحسينية ومن هنا ينقسم ما يقع من الجاني إلى:

- ١- جرائم تقع على الضروريات.
- ٢- جرائم تقع على الحاجيات.
- ٣- جرائم تقع على التحسينيات.

فالضروريات هي الأمور المقصودة لذاتها، من حفظ (الدين والنفس والعرض والمال والعقل) وما يقع من اعتداء على هذه الأمور الضرورية يعد من أغلظ الجرائم، وأشدّها عقاباً.

ثم الحاجيات وهي: الأمور التي ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مصالح لا تنفك عن حاجة الإنسان.

(١) التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (١/٨٣).

ثم التحسينيات من مكارم الأخلاق والعادات؛ فتأتي أخيراً الجرائم التي يقع بها الاعتداء على الأمور التحسينية^(١).

ومثال ذلك:

حد الزنا عقوبة لجريمة تقع على الضروريات، ولكن معانقة الأجنبية، وغير ذلك مما يؤدي إلى الجريمة الحدية. عقوبة لجريمة تقع على الحاجيات، بينما كشف الستر والتجسس على الأسرار، والعورات التي تقع بالإنسان، وتلحق به الإيذاء والضرر. عقوبة لجريمة تقع على التحسينيات.

(١) الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون (ص ٣١).

المبحث الثالث: تميز التشريعات الجنائية الإسلامية (١).

تميزت الشريعة بميزات في أبواب (الجنايات) تخالف القوانين الوضعية ومن أبرز ذلك:

أ] ساوت التشريعات الإسلامية بين الناس في الثواب والعقاب، ولا سلطة لأحد في أن يغير من ذلك شيئاً.

أما التشريعات الوضعية، فمع أنها نصت على العقوبات بصورة موضوعية، إلا أنها جعلت تحديدها للعقوبة مرناً، يخضع لكثير من الاعتبارات التي يراها القاضي، موضوعية كانت أم لا، والتي نص عليها القانون ذاته، بالإضافة إلى أن التشريعات الوضعية تخضع لسultan التغيير، والتبديل والإلغاء، وهذا أمن له دلالاته.

ب] ساوت التشريعات الإسلامية أيضاً في مجال التجريم، والعقاب بين الجريمة وعقوبتها في جرائم الاعتداء على النفس كما سبق، وليس بخاف ما يحققه ذلك من شفاء صدر المجني عليه، هو وذويه الأمر، والذي يقضي نهائياً على مصدر خطير من مصادر إشاعة الجريمة، ويحقق الناس أمنهم وأمانهم، ويحفظ عليهم حياتهم.

ج] لم تهمل الشريعة الإسلامية المحاسبة، والمعاقبة على أي تصرف مؤثم، إيجاباً كان هذا التصرف أو سلباً، خصوصاً ما يمس الضروريات الإنسانية، فوضعت الضوابط والمعايير المحكمة دون إسراف أو تضييع، تحقيقاً للعدل وصوناً للفرد والمجتمع، بيد أن القوانين الوضعية كثيراً ما تغفل الحفاظ على هذه الضروريات الإنسانية، وتترك الاعتداء عليها دون عقاب، بدعوى

(١) الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنة بالقانون (ص ٦٧٩، وما بعدها).

الحضارة والحرية، إذ العقاب في التشريعات الوضعية، رهن باعتبار السلوك جريمة قد نص عليها المشرع عندهم، فما لم يجرمه المشرع لا عقاب عليه، وإن أصاب الأمة في كيانها، وأتلف حرثها ونسلها، وضيع فيها موازين العفاف والشرف.

د] التشريع الجنائي الإسلامي شق من الشريعة ذاتها، فسلطة التجريم أو الإباحة أم يعطيها الشارع أحداً من الخلق: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} [النحل: ١١٦]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: ٨٧].

هذا بالنسبة للأحكام القطعية، أما الأحكام الظنية، وهي التي لم يرد فيها نص قطعي ولا إجماع، فإن لولي الأمر سلطة التصرف في تقنينها بما يحقق مصالح الناس على أساس ما وضعته الشريعة، ولقد أنتج هذا الإحكام التشريعي استقراراً تشريعياً، نظراً؛ لأن القواعد الحاكمة للسلوك قواعد موضوعية، تؤثر في السلوك ولا تتأثر به.

وهذا ما تفتقده، وتفتقر إليه التشريعات الوضعية؛ لأن هذه التشريعات إن وجدت فيها قواعد موضوعية تحكم السلوك، إلا أنها قواعد غير ملزمة أو ثابتة، إذ إنها نتاج تناقض مذهبي، وفكري للمدارس التشريعية الوضعية، مع أن الاستقرار القانوني مطلب ملح من مطالب وأهداف القانون، بل ويعلو على مبدأ تحقيق العدالة ذاتها عند الوضعيين أنفسهم^(١).

هـ] عقوبات التشريع الجنائي الإسلامي، ذات الصفة الحدية عقوبات زاجرة قوية في غير ظلم، رادعة دون جور، وقد أحاطها الشارع الحكيم بمعايير

(١) يراجع: شرح قانون العقوبات القسم العام فقرة ٦ أ. د: محمود مصطفى.

وضوابط، ورسم لإثباتها صورة واضحة وجعل لها من الشروط المفصلة ما يقض بوصول الحد فيها حد اليقين، فإذا لم تكتمل صورة الجريمة، كما حددها المشروع، وبين دقائقها لم يترتب عليها ما وضعه الشارع من عقوبة محددة. وكذا إذا انتمت إثباتها، أو ظهرت شبهة من الشبهات، خالطت أي مرحلة من مراحل الجريمة، أو جزئية من جزئياتها، أو دليل الإثبات، فإن الشريعة تدرأ العقوبة بسبب وجود تلك الشبهة، سواء تترتب على ذلك درء جنس العقوبة، أو نوعها فقط، حتى المخالفين لإعمال هذا المبدأ في ظاهره.

الفصل الثاني: سد الذرائع في الجنايات

المبحث الأول: التعريفات والأحكام

المطلب الأول:

التعرف على معنى سد الذرائع لغة واصطلاحاً، ودخول الحيل فيها.

الذريعة لغة: الوسيلة المفضية [المؤدية] إلى الشيء، جاء في اللسان: يقال: فلان ذريعتي إليك أي سببي وصلتي الذي أتسبب به إليك. والذريعة السبب إلى الشيء، وأصله أن الذريعة في كلامهم جمل يختل به الصيد يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر ويرمي الصيد إذا أمكنه، وذلك الجمل يسبب أولاً مع الوحش حتى تألفه^(١).

والذريعة في الاصطلاح: ما يتوصل به إلى الشيء. والذريعة كما تكون إلى المفسد المحرمة، تكون إلى المصالح أيضاً، فالوسيلة إلى الحج كالسفر والاستعداد له، فالحج من المقاصد، والسفر من الوسائل والذرائع، والمقاصد هي الأمور المكونة للمصالح والمفاسد في ذاتها، فالربا مقصد محرم، وبيع الآجال ذريعة إليه، والحج مقصد مشروع، والسفر وسيلة إليه^(٢). فهي لهذا الاعتبار متصلة بالكلام على أصل (المصالح)^(٣).

أحكام الحيل:

الحيل لا يصلح القول بإطلاق بطلانها، بل هي واقعة على ثلاثة أقسام:

(١) لسان العرب (٩٣/٨).

(٢) سد الذرائع وتحريم الحيل لابن القيم (٢٦٣/١).

(٣) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٥٨/٢، وما بعدها).

[١] متَّفَقٌ على بُطلانه، وهو: ما هَدَمَ دليلاً شرعياً أو ناقضَ مصلحةً مُعتبرةً.

مثالُه: ما وردَ في حديثِ جابرِ بنِ عبدِالله ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ عامَ الفِتحِ وهوَ بمَكَّةَ: (إِنَّ اللهُ وَرِسالُهُ حَرَّمَ بَيعَ الخِمرِ والمِيتَةِ والخِزيرِ والأصنامِ، فَقيلَ: يا رَسولَ اللهِ، أَرَأيتَ شُحومَ المِيتَةِ، فَإِنَّها يُطلى بِها السُّفُنُ، وَيُدهنُ بِها الجُلُودُ، وَيستَصبِحُ بِها النَّاسُ؟ فقالَ: لا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ عَندَ ذلكَ: قاتِلِ اللهُ اليَهُودَ، إِنَّ اللهُ لَمَّا حَرَّمَ شُحومَها جَمَلُوهُ، ثُمَّ باعُوهُ، فأكلُوا ثَمَنَهُ^(١)).

وهذا النُّوعُ مِنَ الحِيلِ مشهُورٌ عَنِ اليَهُودِ، كما في قِصَّةِ السَّبَبِ كَذلكَ وِغيرِها. [٢] متَّفَقٌ على جِوازِهِ، وهوَ ما جِاءتِ الشَّرِيعَةُ بِالإِذْنِ فِيهِ، وما كانَ كَذلكَ فليسَ فِيهِ إِلاَّ تحقِيقُ المِصلحةِ الرَّاجِحَةِ. مثالُه: الاحْتِياؤُ بِقولِ كَلِمَةِ الكُفْرِ عَندَ الإِكراهِ عَليها دَفْعاً لِلأذى عَنِ النَّفْسِ^(٢).

[٣] مُختَلَفٌ فِيهِ، بِسببِ التَّرَدُّدِ فِي المِصلحةِ والمِفسَدَةِ. وهذا يَنبغي أن يُلَاحَظَ فِيهِ إِنْ كانَ الشَّرْعُ قَدْ نَصَّ على إِبطالِ الحِيلةِ، كَتَحليلِ المُطَلَّقةِ ثَلاتًا لزوجِها الأَوَّلِ، أو دَلَّ على إِبطالِها كَمَنعِهِ إِبطالَ حَقِّ الغَيرِ بِغَيرِ حَقٍّ، كَالاحْتِياؤِ على الزَّوجَةِ لِإسقاطِ المَهرِ مِن غَيرِ رِضاها، أو إسقاطِ حَقِّ اللهُ تَعالَى فِي مَوضعٍ لَيسَ فِيهِ رُخْصَةٌ، فَهذه صُورٌ فَاسِدَةٌ مِنَ الحِيلِ لا تَحلُّ.

(١) أخرجَه البخاري في البيوع، باب بيع الميتة والأصنام (٧٧٩/٢ - ح ٢١٢١)؛ وأخرجه مسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر والميتة والخزير والأصنام (١٢٠٧/٣) - ح (١٥٨١).

(٢) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٦٣/٢).

أما إذا كانت الحيلة لإيجاد المخرج من الحرام لمن كان واقعا فيه، أو ليدفع عن نفسه الوقوع فيه، أو ليكتسب حقا فاته، أو حرصا على إصابة الحلال، فتلك مخرج شرعية صحيحة مقبولة.

مثاله: ما ورد من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب، فقال رسول الله ﷺ: أكل تمر خيبر هكذا؟ قال: لا والله يا رسول الله، إننا لناخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: لا تفعل، بع الجمع بالدرهم، ثم ابتع بالدرهم جنيبا^(١). فهذه حيلة شرعية صحيحة، لا يقابل مفسدة، فيها التخلُّص من الربا^(٢).

قال في المغني: والحيل كلها محرمة لا تجوز في شيء من الدين، وهو أن يظهر عقدا مباحا يريدان به محرما، مخادعة وتوسلا إلى فعل ما حرم الله تعالى، واستباحة محظوراته، أو إسقاط واجب، أو دفع حق، ونحو ذلك^(٣).

قال أيوب السختياني رحمه الله تعالى: "إنهم ليخادعون الله تعالى كما يخادعون صبيا لو كانوا يأتون الأمر على وجهه كان أسهل علي"^(٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب إذا أراد بيع تمر بتمر خير منه (٢/٧٦٧ -

ح ٢٠٨٩)، وأخرجه مسلم في المساقاة باب بيع الطعام مثلا بمثل (٣/١٢١٥ -

ح ١٥٩٣)، والجنيب: نوع جيد من أنواع التمر. والجمع: الرديء أو الخليط من التمر.

(٢) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٢/٦٣).

(٣) شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٥).

(٤) علقه البخاري في كتاب الحيل باب ما ينهى من الخداع في البيوع (٦/٢٥٥٤)، ولفظه

عنده: (وقال أيوب يخادعون الله كأنما يخادعون آدميا لو أتوا الأمر عيانا كان أهون

علي)، يعني: لو أعلنوا بأخذ الزائد على الثمن معاينة بلا تدليس لكان أسهل.

"فمن ذلك ما لو كان لرجل عشرة صحاحا، ومع آخر خمس عشرة مكسرة، فافترض كل واحد منهما ما مع صاحبه، ثم تبارنا توصلا إلى بيع الصحاح بالمكسرة متفاضلا، أو باعه الصحاح بمثلها من المكسرة، ثم وهبه الخمسة الزائدة، أو اشترى منه بها أوقية صابون، ونحوها مما يأخذه بأقل من قيمته، أو اشترى منه بعشرة إلا حبة من الصحيح بمثلها من المكسرة أو اشترى منه بالحبة الباقية ثوبا قيمته خمسة دنانير، وهكذا لو أقرضه شيئا وباعه سلعة بأكثر من قيمتها، أو اشترى منه سلعة بأقل من قيمتها توصلا إلى أخذ عوض عن القرض، فكل ما كان من هذا على وجه الحيلة: فهو خبيث محرم، وبهذا قال مالك^(١).

وقال أبو حنيفة والشافعي: هذا كله وأشباهه جائز، إذا لم يكن مشروطا في العقد^(٢). وقال بعض أصحاب الشافعي: يكره أن يدخل في البيع على ذلك؛ لأن كل ما لا يجوز شرطه في العقد يكره أن يدخل عليه. ثم قال الموفق، ولنا: أن الله سبحانه وتعالى عذب أمة بحيلة احتالوها فمسخهم قرده وسماهم معتدين، وجعل ذلك نكالا وموعظة للمتقين ليتعضوا بهم، ويمتنعوا من مثل أفعالهم^(٣).

بين سد الذرائع وإبطال الحيل:

مما يدخل تحت ضوابط الأخذ بالمصلحة المرسله ألا يؤدي العمل بها إلى مفسدة أرجح منها أو مساوية لها في المآل وثاني الحال. والمقصود بهذا القيد

(١) إعلام الموقعين (٢٠٨/٣)؛ شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٥، ٤٣٦).

(٢) انظر أقوال المجيزين للحيل وأدلتهم، وأقوال منع الحيل وأدلتهم، ومناقشتها في إعلام الموقعين (٢٠٦/٣ وما بعدها، ٢٢٠، ٢٤٣)؛ الموافقات (٢/٢٨١)؛ صفة الفتوى (ص ٣٢)؛ أصول مذهب أحمد (ص ٤٦٠)؛ شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٧).

(٣) إعلام الموقعين (٢٠٨/٣)؛ شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٥، ٤٣٦).

التنبيه على أصليين من أصول الشريعة وقواعدها الكلية، هذان الأصلان هما سد الذرائع وإبطال الحيل: فقد جاءت هذه الشريعة بسد الذرائع وهو تحريم ما يتذرع ويتوصل بواسطته إلى الحرام، كما جاءت بإبطال الحيل التي تفتح باب الحرام. قال ابن القيم: "وإذا تدبرت الشريعة وجدتها قد أتت بسد الذرائع إلى المحرمات، وذلك عكس باب الحيل الموصلة إليها. فالحيل وسائل وأبواب إلى المحرمات، وسد الذرائع عكس ذلك، فبين البابين أعظم التناقض. والشارع حرم الذرائع وإن لم يقصد بها المحرم لإفضائها إليه، فكيف إذا قصد بها المحرم نفسه"؛ يعني: بذلك الحيل.

مثال سد الذرائع: نهي الله عن سب آلهة المشركين مع كون ذلك أمراً واجباً من مقتضيات الإيمان بألوهيته سبحانه، وذلك لكون هذا السب ذريعة إلى أن يسبوا الله سبحانه وتعالى عدواً وكفراً على وجه المقابلة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ومثال الحيل المحرمة التي يتوصل بها إلى فعل الحرام: فعل بني إسرائيل لما حرم عليهم صيد الحيتان يوم السبت، إذ نصبوا البرك والحبائل للحيتان قبل يوم السبت، فلما جاءت يوم السبت على عاداتها في الكثرة نشبت بتلك الحبائل، فلما انقضى السبت أخذوها، فمسخهم إلى صورة القردة. قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

وعلاقة سد الذرائع وإبطال الحيل بالمصلحة يجليه ابن القيم بقوله: "وبالجملة فالمحرمات قسمان: مفسد، وذرائع موصلة إليها مطلوبة الإعدام، كما أن المفسد مطلوبة الإعدام.

والقربات نوعان: مصالح للعباد، وذرائع موصلة إليها.

ففتح باب الذرائع في النوع الأول كسد باب الذرائع في النوع الثاني، وكلاهما مناقض لما جاءت به الشريعة، فبين باب الحيل وباب سد الذرائع أعظم التناقض.

وكيف يظن بهذه الشريعة العظيمة الكاملة التي جاءت بدفع المفساد وسد أبوابها وطرقها أن تجوز فتح باب الحيل وطرق المكر على إسقاط واجباتها واستباحة محرّماتها، والتذرع إلى حصول المفساد التي قصدت دفعها^(١).

قال الطوفي: "قلت: ومن مذهبنا أيضا سد الذرائع، وهو قول أصحابنا يباطل الحيل، ولذلك أنكر المتأخرون منهم على أبي الخطاب ومن تابعه عقد باب في كتاب الطلاق يتضمن الحيلة على تخليص الحالف من يمينه في بعض الصور، وجعلوه من باب الحيل الباطلة، وهي التوصل إلى المحرم بسبب مباح، وقد صنف شيخنا تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه كتابا بناه على بطلان نكاح المحلل، وأدرج جميع قواعد الحيل، وبين بطلانها بأدلته على وجه لا مزيد عليه^(٢).

(١) إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان (١/٣٦١، ٣٧٠)؛ إعلام الموقعين (٣/١٣٥، ١٥٩،

١٦٢)؛ تفسير ابن كثير (١/١٠٩)؛ شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٥، ٤٣٦)؛ معالم

أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة (١/٢٤٢).

(٢) شرح مختصر الروضة (٣/٢١٤).

المطلب الثاني: أهمية سد الذرائع في الشريعة

لمعرفة أهمية سد الذرائع، يحسن التعرف على أنواع سد الذرائع. ثم معرفة حجيتها.

أنواع الذرائع:

تقسم الذرائع على ما يلي:

(١) تقسيم الذرائع بحسب ما تكون ذريعة له:

وهي نوعان:

الأول: ذريعة مشروعة، وهي الموصلة إلى مشروع.

مثل: السعي إلى الجمعة (ذريعة) توصل إلى شهود الجمعة وهو (مشروع).

ويقال للأمر بالسعي إليها: (فتح باب الذريعة).

الثاني: ذريعة ممنوعة، وهي الموصلة إلى ممنوع.

مثل: الخلوة بالمرأة الأجنبية، فهي (ذريعة) توصل إلى الزنا وهو (ممنوع).

ويقال لمنع الخلوة بالأجنبية: (سد باب الذريعة).

فهذا التقسيم يعني أن: ما أدى إلى المشروع فهو مشروع، وما أدى إلى

الممنوع فهو ممنوع، وبعبارة أخرى: (الوسائل لها حكم المقاصد)^(١).

على أنه غلب أن يستعمل لفظ (الذريعة) في الوسيلة المفضية إلى

المفسدة، ومن هذا جاء أصل (سد الذرائع)^(٢).

فعلية: "تسد الذرائع والذريعة: كل شيء من الأفعال أو الأقوال ظاهره

مباح، ويتوصل به إلى محرم. ومعنى سدها: المنع من فعلها لتحريمه"^(٣).

(١) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٥٨/٢).

(٢) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٥٩/٢).

(٣) شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٤).

(٢) تقسيم الذرائع بحسب ورود النص باعتبارها وعدمه:

وهي ثلاثة أنواع:

الأول: ذريعة ورد النص باعتبارها مؤديةً إلى المشروع، كما تقدّم في السعي إلى الجمعة (ذريعة) توصل إلى شهود الجمعة وهو (مشروع). ويقال لأمر بالسعي إليها: (فتح باب الذريعة).

الثاني: ذريعة ورد النص باعتبارها مؤديةً إلى الممنوع، كما تقدّم في منع الخلوة بالأجنبية.

الثالث: ذريعة سكت عنها النص، فلم يأمر بها ولم ينها عنها.

فما ورد النص به من الذرائع فالأصل فيه حكم النص، ولا يُشكل أمره من حيث ورود النص به، ولا يندرج تحت (مسألة سدّ الذرائع)، إنّما يندرج تحتها النوع الثالث.

ويُعرفه بعض الأصوليين بأنه: (المسألة التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل محظور)^(١).

[٣] تقسيم الذرائع حسب درجات المباحات التي تُفضي إلى المفساد:

وهي ثلاث:

الأول: ما يكون إفضاؤه إلى المفسدة نادرًا قليلًا، فالحكم بالإباحة ثابت له بناءً على الأصل. مثاله: زراعة العنب، فلا يمنع منها تذرّعًا بأنّ من الناس من يعصر منها الخمر، وتعليم الرجل النساء عند الحاجة، فلا يمنع منه تذرّعًا بالفتنّة

(١) انظر معنى الذرائع والحيل، وأقوال العلماء فيها، وأدلتهم في إعلام الموقعين (٣/٢٠٥ وما بعدها)، (٤/٢٨٢ وما بعدها)؛ صفة الفتوى (ص٣٢)، الحدود للباقي (ص٦٨)؛ الفروق للقرافي (٣/٢٦٦)؛ الموافقات (٢/٢٨٥)؛ شرح تنقيح الفصول (ص٤٤٨)؛ الإحكام لابن حزم (٢/٧٤٥)، الأشباه والنظائر لابن نجيم (ص٤٠٦)؛ المدخل إلى مذهب أحمد (ص١٣٨)، إرشاد الفحول (ص٢٤٦)؛ شرح الكوكب المنير (٤/٤٣٥).

المُفضية إلى الزنا، وكذا خروجهن من بيوتهن لمصالحهن وشهودهن المساجد ودور العلم.

فتقاس المصالح والمفاسد، فإن كان جانب المصلحة راجحاً وهو الأصل في المباحات فلا تُمنع بدعوى (سدِّ الذرائع) لمجرد ظنِّ المفسدة أو لورودها لکنها ضعيفة في مقابلة المصلحة.

الثاني: ما يكون إفضاؤه إلى المفسدة كثيراً غالباً، فالرجحان في جانب المفسدة فيمنع منه (سدِّ الذريعة) وحسباً لمادة الفساد. مثاله: بيع السلاح وقت وقوع الفتنة بين المسلمين بقتال بعضهم بعضاً، وإجارة العقار لمن علم أنه يتخذُه لمعصية الله.

ويلاحظ في هذا أن (سدِّ الذريعة) إلى المفسدة عارضٌ حيث يكون المباح موصلاً إلى المحظور، وإلا فإن بيع السلاح وإجارة العقار لا يمتنعان في ظرفٍ عاديٍّ.

الثالث: ما يحتال به المكلف ليستبيح به المحرم، وظاهر تلك الحيلة الإباحة في الأصل. مثاله: الاحتيال على الربا ببيع العينة، وهو: أن يبيع من رجلٍ سلعةً بثمنٍ معلومٍ إلى أجلٍ مسمى، ثم يشتريها منه بأقلَّ من الثمن الذي باعها به.

فهذه الصورة من البيع حيلةٌ محرمةٌ بالنصِّ، كما في قوله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)^(١).

(١) أخرجه أبو داود وغيره، فأخرجه أبو داود في كتاب الإجارة، باب في النهي عن العينة (٢/٢٩٦ - ٣٤٦٢)، من حديث ابن عمر ؓ، وصححه الألباني.

لكنَّ الحيلةَ التي يتذرعُ بها بعضُ الناسِ هي: أن يضمَّ إلى السلعةِ شيئاً كحديديةٍ أو خشبيةٍ أو سكينٍ. فالبيعُ مُباحٌ في الأصلِ، لكنَّ هذا الصُّورةَ ما قُصدَ بها البيعُ، إنَّما قُصدَ بها المالُ؛ فهي وسيلةٌ إلى الزيادةِ الربويَّةِ، فتمنعُ سداً للذرائعِ^(١).

حجية أصل سد الذرائع:

اختلفَ الفقهاء في اعتبارِ هذا أصلاً ودليلاً من أدلَّةِ الأحكامِ على مذهبين:

[١] قال الحنفيةُ والشافعيةُ والظاهريةُ: ليسَ دليلاً من أدلَّةِ الأحكامِ. والمباحُ عندهم باقٍ على إباحتهِ بحكمِ الشرعِ، وإذا منعُ منه فإنَّما يُمنعُ منه بدليلِ الشرعِ.

وما ذكَّرَ من صورتَي (سدِّ الذرائعِ) فإنَّ الأولى كبيعِ العقارِ لمن عُلِمَ أنَّه يستعمله لمعصيةِ الله يُمنعُ منها بدليلِ قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، فجاء المنعُ بدليلِ الشرعِ من غيرِ احتياجٍ إلى أصلٍ نُسِمَ (سدِّ الذرائعِ).

وأما الصُّورةُ الثَّانيةُ وهي (الحيلُ) فإنَّ المحظورَ هو الوقوعُ في المحظورِ، والاحتِيالُ لا يُحيلُ الحرمةَ إلى الإباحةِ، فالرِّبَا لا تُبيحُه صورةٌ شكليةٌ سُمِّيت (بيعاً)، والخمرُ لا يُبيحُه أن يُسمَى بغيرِ اسمِهِ، والعبرةُ في هذا بمرعاةِ مقاصدِ الشرعِ وتعريفِهِ لأحكامِ الحرامِ^(٢).

[٢] وقال المالكيةُ والحنابلةُ: بل هو دليلٌ من أدلَّةِ الأحكامِ.

واستدلُّوا بأنَّهم رأوا الشَّارعَ راعاهُ في التَّشريعِ، فهو يُحرِّمُ الرِّبَا ويُحرِّمُ ما قاد إليه، فحرِّمَ النَّظَرَ بشهوةٍ واللَّمْسَ كذلكَ والخلوةَ بالأجنبيَّةِ، ويُحرِّمُ الخمرَ ويُحرِّمُ

(١) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٢/٦٠).

(٢) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٢/٦١).

كُلِّ ما لَهُ صَلَةٌ بها، فحرَّم عَصْرَها وبيعَها وشراءَها وحملَها وسقيَها والجُلوسَ على مائدةٍ تدورُ عليها كما حرَّم شربَها، وما هذه إلا وسائلٌ إليها، ولا يُتصوَرُ أن يُحرَّم الشَّارِعُ شيئاً ثم يَأْذَنَ بأسبابِهِ ووسائلِهِ^(١).

- والأقرب أن المذهب الأول أصحَّ المذهبين، وليس لهذا تأثيرٌ كبيرٌ في الواقع العملي، فإن كثيراً من الأحكام متَّحِدةُ النتائج بين الفريقين، إلا أن الفريق الأول يستدلُّ لها بدليلٍ آخر غير (سدِّ الذرائع)، والثاني يستدلُّ لها ب(سدِّ الذرائع). ومن العلماء من يستدلُّ لهذا الأصل بحديث النُّعمان بن بشيرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنَّ الحلالَ بيِّنٌ، وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ، وبينهما مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من النَّاسِ، فمن اتقى الشُّبُهَاتِ استبرأ لدينِهِ وعرضِهِ، ومن وقعَ في الشُّبُهَاتِ وقعَ في الحرامِ، كالرَّاعي يرعى حولَ الحِمَى يوشكُ أن يرتع فيه، ألا وإنَّ لكلَّ مالِكٍ حِمَى، ألا وإنَّ حِمَى الله محارمُهُ، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صلحت صلحَ الجسدِ كُلُّهُ، وإذا فسدتُ فسَدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلبُ)^(٢).

وهذا استدلالٌ في غير محلِّه، فإنَّ (المشْتَبِهَاتِ) التي لا يتميِّزُ فيها الحُكْمُ أهي حلالٌ أم حرامٌ تُتركُ ورعاً، خشيةً أن يكونَ حقيقةً حكمها التَّحريمَ فيواقعها من غير أن يكونَ له تأويلٌ بالحلِّ فيقعَ في (الحرامِ)، فهي في نفسها مظنةٌ الحُرْمَةِ وليستَ ذريعةً إليها^(٣).

- وللطوفي تفصيل جيد، حيث قال: "وأما الذرائع، فقد أجمعت الأمة على أنها ثلاثة أقسام:

(١) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٦٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (٢٨/١ - ٥٢ ح)، وأخرجه مسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات (١٢١٩/٣ - ١٥٩٩ ح).

(٣) تيسير علم أصول الفقه.. للجديع (٦٢/٢).

الجنايات وعلاقتها بسد الذرائع

أحدها: معتبر إجماعاً، كحفر الآبار في طرق المسلمين، وإلقاء السم في أطعمتهم، وسب الأصنام عند من يعلم من حاله أنه يسب الله عز وجل عند ذلك حينئذ.

وثانيها: ملغى إجماعاً، كزراعة العنب خشية عصره خمراً، والشركة في سكنى الدور خشية الزنى، فلا يمنع من ذلك.

وثالثها: مختلف فيه كبيع الآجال، اعتبرنا نحن الذريعة فيها، وخالفنا غيرنا، فحاصل القضية أننا قلنا بسد الذرائع أكثر من غيرنا، لا أنها خاصة بنا^(١).

(١) شرح مختصر الروضة (٣/٢١٢، ٢١٣).

المبحث الثاني: سد الذرائع في الجنايات

المطلب الأول: أساليب الحد من الجريمة، ودور سد الذرائع في ذلك

تتنوع أساليب الحد من الجرائم، والعادة أن القوانين تسلك ثلاث وسائل:

[١] إعادة تأهيل الشخص المجرم، وذلك بمعرفة مصدر خطورته وتحديد أسبابها، ومن ثم يتم اتخاذ التدابير المناسبة لذلك من تعليم وعمل وغيره^(١).

ويفتقد القانون أهم شيء وهو أن هذا المجرم لم يتبق عنده أي تعظيم للجريمة حيث يمكن التشريع الوضعي يبيح ما كان ممنوعاً، وفي هذا العصر لا يكاد يوجد ما هو ممنوع إلا اليسير جداً، فبعض الدول الأوروبية تتبع المخدرات للاستعمال الشخصي قانوناً، واللواط والسحاق في كثير منها مؤيد بالقوانين الوضعية، في حين أن "سد الذرائع" يبقى على الحرام حراماً، ولا يمكن أن يصير حلالاً، وكذا العكس، إلا في حالات الضرورات، وليس في كل الأمور أيضاً. قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام: ١١٩]. وقوله: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [البقرة: ١٧٣]، وقوله: {فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٣]، وقوله: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام: ١٤٥]، وقوله: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١١٥].

(١) دور قاعدة سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الحد من الظاهرة الإجرامية والوقاية منها، لروزوقي عبد الكريم (ص ٦١).

وختمها بالمغفرة، يشير أيضاً إلى أهمية التربية الروحية في ذلك، وهو ما تفتقده القوانين الوضعية.

[٢] التعجيز:

وهو بوضع المجرم في ظروف تمنعه من الإضرار بالآخرين، لكن القوانين الوضعية في جل هذه الدول الغربية والشرقية تبيح ما يقال له القتل الرحيم، وهو ما إذا كان المريض ميؤساً من شفائه، وهذا لا يحل في الشريعة، فمادام الإنسان حياً، فلا يحل قتله، فالشفاء من عند الله وليس بهذه الأدوية والتطبيب بها، كما قال الخليل ﷺ: {وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (*) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ} [الشعراء: ٨٠، ٨١].

لكن لما كان "سد الذرائع" مرتبطاً بمقاصد الشريعة، فلا يمكن أن يكون فيه إزهاق النفس المتفق على أن حفظها مقدم الضروريات بعد حفظ الدين.

[٣] الإبعاد:

وهو الفصل بين المجرم والمجتمع، بإبعاده وسجنه، أو إبعاده عن البلاد بسلطة الدولة.

لكن عند الأخذ ب"سد الذرائع"، فإنه ينظر للمصلحة العامة والخاصة في كل هذا، فليس تغريب الزاني البكر من قرية إلى قرية، كتغريبه من قرية إلى المدينة، فإن فيه عوناً له على زيادة الفجور، وهكذا.

كذلك قد يكون السجن له آثاره العكسية، ولذا لم يكن إلا في حدود الحرابة ونحوها، قال تعالى في شأن الحرابة: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة: ٣٣].

وفي تفسير ابن جرير: "قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى "النفي من الأرض"، في هذا الموضع، هو نفيه من بلد إلى بلد غيره، وحبسه في السجن في البلد الذي نفي إليه، حتى تظهر توبته من فسوقه، ونزوعه عن معصيته ربه.

وإنما قلت ذلك أولى الأقوال بالصحة، لأن أهل التأويل اختلفوا في معنى ذلك على أحد الأوجه الثلاثة التي ذكرت. وإذا كان ذلك كذلك؛ وكان معلوماً أن الله جل ثناؤه إنما جعل جزاء المحارب: القتل أو الصلب أو قطع اليد والرجل من خلاف، بعد القدرة عليه، لا في حال امتناعه؛ كان معلوماً أن النفي أيضاً إنما هو جزاؤه بعد القدرة عليه، لا قبلها.

ولو كان هربه من الطلب نفيًا له من الأرض، كان قطع يده ورجله من خلاف في حال امتناعه وحربه على وجه القتال، بمعنى إقامة الحد عليه بعد القدرة عليه.

وفي إجماع الجميع أن ذلك لا يقوم مقام نفيه الذي جعله الله عز وجل حداً له بعد القدرة عليه؛ بطل أن يكون نفيه من الأرض، هربه من الطلب. وإذا كان كذلك؛ فمعلوم أنه لم يبق إلا الوجهان الآخريان، وهو النفي من بلدة إلى أخرى غيرها، أو السجن. فإذا كان كذلك، فلا شك أنه إذا نفي من بلدة إلى أخرى غيرها، فلم ينف من الأرض، بل إنما نفي من أرض دون أرض. وإذا كان ذلك كذلك؛ وكان الله جل ثناؤه إنما أمر بنفيه من الأرض؛ كان معلوماً أنه لا سبيل إلى نفيه من الأرض إلا بحبسه في بقعة منها عن سائرهما، فيكون منفيًا حينئذٍ عن جميعها، إلا مما لا سبيل إلى نفيه منه^(١).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٠/٢٧٤، ٢٧٥).

إن حال السجون الآن حتى فيما يقال له الدول المتقدمة في الشرق والغرب؛ إنما هي مصانع للجريمة، يدخلها المجرم الصغير، فيخرج من أعتى المجرمين، ناهيك عما يكون فيها من فواحش.

إن عجز القوانين الوضعية عن حل مشكلة الجريمة والإجرام، لبعدها عن منهاج الله تعالى، الذي فيه خير البشر، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [المك: ١٤].

الزواج دفعاً للمفاسد:

مما جاء به الشرع أن الزواج تدفع المفاسد، ولذا قال العز بن عبد السلام: "وقد تجب الزواج دفعاً للمفاسد من غير لإثم ولا عدوان، كما في حد الحنفي إذا شرب النبيذ^(١)."

القتل في الشريعة والقتل في القانون الوضعي:

القتل في الشريعة من أعظم الكبائر، ولا يقتل المؤمن مؤمناً إلا خطأ، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا *} {النساء: ٩٢، ٩٣}.

فالقتل في القرآن: خطأ وعمد. وجاءت السنة بالقتل شبه العمد.

ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ما أن رسول الله ﷺ (خطب يوم الفتح فقال: ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية من دم أو مال تذكر

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (١/١٧٨).

وتدعى تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج وسدانة البيت، ثم قال: ألا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل منها أربعون في بطونها وأولادها^(١).

وأخرجه النسائي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (قتيل الخطأ شبه العمد بالسوط أو العصا مائة من الإبل أربعون منها في بطونها وأولادها)^(٢).

وأخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (قتيل الخطأ شبه العمد قتل السوط والعصا. مائة من الإبل. أربعون منها خلفه في بطونها وأولادها)^(٣).

فالقتل العمد: يتعمد الضرب، (بمحدد عند الحنفية، ويمثقل كذلك عند الجمهور)، ففيه القود، والإثم، والحرمان من أن يرث القاتل القاتل. وإذا كانت الدية فهي مغلظة، في أسنان الإبل، وهي في مال القاتل، ولا تتحمل العاقلة منه شيء.

والقتل شبه العمد: يتعمد الضرب بما لا يقتل غالباً، كالعصا الصغيرة والسوط، ويقصد به غير القتل كالتأديب، وموجبه: الإثم والكفارة ودية مغلظة على العاقلة.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب في دية الخطأ شبه العمد (٢/٦٠٥ - ح ٤٥٨٨)، وحسنه الألباني.

(٢) سنن النسائي في القسامة، من قتل بحجر أو سوط (٨/٤٠ - ح ٤٧٩١)، وصححه الألباني.

(٣) سنن ابن ماجه في كتاب الديات، باب دية شبه العمد مغلظة (٢/٨٧٧ - ح ٢٦٢٧)، وصححه الألباني. والخلفة: هي الحامل من الإبل.

والقتل الخطأ: لا يقصد الضرب ولا القتل، كمن رمى صيداً فقتل إنساناً، أو تقلب وهو نائم على إنسان فقتله، وموجبه: الدية على العاقلة بأسنان غير مغلظة، وعليه الكفارة.

فإن كان بالتسبب لا المباشرة، كمن حفر بئراً في غير ملكه، فالدية على العاقلة، ولا يَأْتُم لعدم القصد، ولا كفارة عليه، وإنما ألحق بالقاتل في حق الضمان، فبقي ما وراء ذلك على الأصل، وبذلك قضى شريح بمحضر من الصحابة من غير نكير^(١).

وفي القوانين الوضعية: القتل هو إزهاق روح الإنسان عمداً، مع سبق الإصرار والترصد^(٢).

ولم تحل القوانين الوضعية مشكلات نحو:

١ [منع الشار:

وهي في كثير من البلدان من المشكلات المستعصية، لأن إجراءات التقاضي طويلة، والقوانين الوضعية مليئة بالثغرات، ويربى الصغار على الأخذ بالثأر مهما طال الزمن.

٢ [تحديد من تقبل شهادتهم ومن ترد:

فلا تقبل شهادة العدو على عدوه، ولا خائن، ولا حاقد ونحو هؤلاء، روى أبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ رد شهادة الخائن والخائنة وذي الغمر على أخيه ورد شهادة القانع لأهل البيت وأجازها

(١) الاختيار (٢٤/٥، ٢٥)؛ وحاشية ابن عابدين (٣٤١/٥)؛ المبسوط (٦٤/٢٦، ٦٥)؛ القوانين الفقهية (ص ٣٣٩)؛ حاشية القليوبي (٩٦/٤)؛ المغني (٦٥/٧)؛ كشاف القناع (٥١٢/٥)؛ الموسوعة الفقهية الكويتية (٦١/١٦).

(٢) دور قاعدة سد الذرائع والتدابير الاحترازية في الحد من الظاهرة الإجرامية والوقاية منها، لروزوقي عبد الكريم (ص ٦٥).

لغيرهم. وفي رواية: (قال رسول الله ﷺ: لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا زان ولا زانية ولا ذي غمر على أخيه)^(١).

٣ [قتل الجماعة بالواحد:

قال ابن رشد: 'فَعُمْدَةٌ مَنْ قَتَلَ بِالْوَأْدِ الْجَمَاعَةَ النَّظْرُ إِلَى الْمَصْلَحَةِ، فَإِنَّهُ مَفْهُومٌ أَنَّ الْقَتْلَ إِنَّمَا شُرِعَ لِنَفْيِ الْقَتْلِ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٧٩] وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَوْ لَمْ تُقْتَلَ الْجَمَاعَةُ بِالْوَأْدِ لَتَدَّرَعَ النَّاسُ إِلَى الْقَتْلِ بِأَنْ يَتَعَمَّدُوا قَتْلَ الْوَأْدِ بِالْجَمَاعَةِ. وَلَكِنْ لِلْمُعْتَرِضِ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ هَذَا إِنَّمَا كَانَ يَلْزَمُ لَوْ لَمْ يَقْتُلْ مِنَ الْجَمَاعَةِ أَحَدًا، فَأَمَّا إِنْ قَتَلَ مِنْهُمْ وَاحِدًا وَهُوَ الَّذِي مِنْ قَتْلِهِ يُظَنُّ إِتْلَافَ النَّفْسِ غَالِبًا عَلَى الظَّنِّ، فَلَيْسَ يَلْزَمُ أَنْ يَبْطُلَ الْحَدُّ حَتَّى يَكُونَ سَبَبًا لِلتَّسْلِيطِ عَلَى إِذْهَابِ النَّفُوسِ. وَعُمْدَةٌ مَنْ قَتَلَ الْوَأْدَ بِالْوَأْدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ} [المائدة: ٤٥]'^(٢).

لكن هذا الحكم بقتل الجماعة بالواحد ثابت عن عمر رضي الله عنه، وهو محل إجماع بشرط: أن يكون فعل كل واحد منهم لو انفرد أوجب القصاص^(٣).

أخرج عبد الرزاق في المصنف: عن زياد بن جبل عن عمن شهد ذلك قال: كانت امرأة بصنعاء لها ربيب فغاب زوجها وكان ربيبها عندها، وكان لها خليل، فقالت: إن هذا الغلام فاضحنا فانظروا كيف تصنعون به فتمالوا عليه، وهم سبعة مع المرأة، قال: قلت له كيف تمالوا عليه قال لا أدري غير أن أحدهم قد أعطي

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية باب من ترد شهادته (٢/٣٣٠ - ح ٣٦٠٠، ٣٦٠١)، وحسنه الألباني قال أبو داود: الغمر الحنة والشحناء والقناع الأجير التابع مثل الأجير الخاص.

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٤/١٨٢).

(٣) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (١١/١١١).

شفرة قال فقتلوه وألقوه في بئر بغمدان قال: تفقد الغلام قال فخرجت امرأة أبيه تطوف على حمار وهي التي قتلتها؛ مع القوم؛ وهي تقول اللهم لا تخفي دم أصيل قال: وخطب يعلى الناس فقال: انظروا هل تحسون هذا الغلام أو يذكر لكم قال فيمر رجل ببئر غمدان بعد أيام، فإذا هو بذياب أخضر يطلع مرة من البئر، ويهبط أخرى فأشرف على البئر فوجد ريحا أنكرها، فأتى يعلى فقال: ما أظن إلا أنني قد قدرت لكم على صاحبكم قال وأخبره الخبر، قال: فخرج يعلى حتى وقف على البئر والناس معه، قال: فقال الرجل الذي قتله صديق المرأة دلوني بحبل قال فدلوه فأخذ الغلام فغيبه في سرب في البئر، ثم قال: ارفعوني فرفعوه فقال لم أقدر على شيء، فقال القوم: الآن الريح منها أشد من حين جننا، فقال رجل آخر: دلوني، فلما أرادوا أن يدلوه أخذت الآخر رعدة فاستوثقوا منه، ودلوا صاحبهم فلما هبط فيها استخرجه إليهم ثم خرج، فاعترف الرجل خليل المرأة واعترفت المرأة واعترفوا كلهم فكتب يعلى إلى عمر رضي الله عنه فكتب إليه أن اقتلهم فلو تمالاً به أهل صنعاء قتلهم قال: فقتل السبعة^(١).

وفي مصنف ابن أبي شيبة في باب الرجل يقتله النفر عدة آثار في ذلك ومنها: عن سعيد بن المسيب؛ أن إنسانا قتل بصنعاء، وأن عمر قتل به سبعة نفر، وقال: لو تمالاً عليه أهل صنعاء لقتلتهم به جميعا. ونحوه عن سعيد بن المسيب قال: قال عمر: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم. وعن نافع، عن ابن عمر؛ أن عمر بن الخطاب قتل سبعة من أهل صنعاء برجل، وقال: لو اشترك فيه أهل صنعاء لقتلتهم^(٢).

(١) أخرج عبد الرزاق في المصنف (٤٧٧/٩، ٤٧٨ - ٤٧٩ - ١٨٠٧٩).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٧/٩ - ٢٨٢٦٥ - ٢٨٢٦٨)؛ وصححه الألباني كما في

مختصر إرواء الغليل (٤٣٧/١ - ٢٢٠١).

[٤] حرمان القاتل من الميراث والوصية:

حتى لا يتعجل الميراث أو الوصية فقد قضت الشريعة بحرمانه منهما، وقد أخرج أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: (ليس للقاتل شيء وإن لم يكن له وارث فوارثه أقرب الناس إليه ولا يرث القاتل شيئاً)^(١).

وذلك "لأنه استعجل الميراث قبل أوانه، فيعاقب بنقيض قصده، وهذه النصوص لم تفرق بين العمد والخطأ والبالغ والصغير، وعن المضمون وغير المضمون، ولأنه معنى أسقط إرثه من الدية، فأسقط إرثه من المال، كالرق والردة، وعكسه الجنون والصغر"^(٢).

وصح الإجماع في أن الأسباب المانعة من الإرث ثلاثة: رق، وقتل، واختلاف دين^(٣).

لكن مع تطبيق "سد الذرائع"، فليس لأحد تطبيق القود والقصاص إلا ولي الأمر، ومع ذلك ففي حدود ضوابط حدها الشرع، كما يأتي في المطلب الآتي، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب ديات الأعضاء (٢/٥٩٨ - ٤٥٦٤هـ)، وحسنه الألباني..

(٢) البيان في مذهب الإمام الشافعي، العمراني (٩/٢٤؛ ٢٥)؛ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٨/٨٤٩).

(٣) موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي (٨/٨٤٩).

المطلب الثاني: حدود تعزيرات ولي الأمر.

ليس لولي الأمر سلطة قتل من يخالفه الرأي^(١)، وفي سنن النسائي: عن أبي برزة قال: (غضب أبو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغير لونه قلت يا خليفة رسول الله والله لئن أمرتني لأضربن عنقه، فكأنما صب عليه ماء بارد فذهب غضبه عن الرجل قال ثكلتك أمك أبا برزة وإنما لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ^(٢)).

فقد عظمت الشريعة شأن الدماء جدا، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة)^(٣).

فهذا الحديث صريح بتحريم دم المسلم إلا بإحدى هذه الثلاث.

وحتى الخوارج الذين قال فيهم النبي ﷺ (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما

(١) مذكرة القواعد الفقهية القضائية (ص ٨٠ وما بعدها)، للدكتور خالد حمزة.

(٢) سنن النسائي كتاب تحريم الدم (١١٠/٧ - ح ٤٠٧٥)، وصححه الألباني، ونحوه في السنن الكبرى للنسائي (٣/٤٤٦، ٤٤٧ - ح ٣٥٢٠ - ٣٥٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى ﴿إِنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] (٦/٢٥٢١ - ح ٦٤٨٤)؛ وأخرجه مسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم (٣/١٣٠٢ - ح ١٦٧٦).

يمرق السهم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة^(١).

فلم يقاتلهم علي عليه السلام إلا بعد أن سفكوا الدم الحرام فقتلوا عبد الله بن خباب، وجاءوا إلى امرأته فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها). ففي مسند الإمام أحمد أنهم بقروا بطن أم ولده^(٢).

وفي سنن الدارقطني عن أبي مجلز أن عليا عليه السلام (نهى أصحابه أن يبسطوا على الخوارج حتى يحدثوا حدثا فمروا بعبد الله بن خباب فأخذوه فانطلقوا به فمروا على تمرة ساقطة من نخلة فأخذها بعضهم فألقاها في فمه فقال له بعضهم تمرة معاهد فبم استحلتها؟ فقال عبد الله بن خباب: أفلا أدلكم على من هو أعظم حرمة عليكم من هذا قالوا نعم، قال: أنا، فقتلوه فبلغ ذلك عليا فأرسل إليهم أن أقيدونا بعبد الله بن خباب، قالوا: كيف نقيدك به وكلنا قتله؟ قال: وكلكم قتله؟ قالوا نعم قال: الله أكبر، ثم أمر أن يبسطوا عليهم وقال والله لا يقتل منكم

(١) متفق عليه من حديث علي عليه السلام، أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة: ٦] [٣/١٢١٩ - ح ٣١٦٦]، وأخرجه مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/٧٤١ - ح ١٠٦٤)، وقوله بذهبية: قطعة من ذهب. وصناديد: رؤساء جمع صناديد. وغائر العينين: عيناه داخلتان في رأسه لاصقتان بقعر الحذقة ضد الجاحظ. ومشرف الوجنتين: عاليهما والوجنتان العظمان المشرفان على الخدين وقيل لحم جلد الخدين. وكث اللحية: كثير شعرها. وضئضئ: هو الأصل والعقب وقيل هو كثرة النسل. ولا يجاوز حناجرهم: لا يفقهون معناه ولا ينتفعون بتلاوته. ويمرقون: يخرجون منه خروج السهم إذا نفذ من الصيد من جهة أخرى ولم يتعلق بالسهم من دمه شيء. والرمية: الصيد المرمي. وقتل عاد: أي: أستأصلهم بالكلية بأي وجه ولا أبقى أحدا منهم.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (٥/١١٠ - ح ٢١١٠١)؛ قال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال الشيخين والرجل المبهم الذي روى عنه حميد إن كان ثقة عنده فالإسناد صحيح والله تعالى أعلم.

عشرة، ولا ينفلت منهم عشرة قال فقتلوهم قال فقال اطلبوا منهم ذا الثدية - وذكر باقي الحديث). ونحوه في السنن الكبرى للبيهقي^(١).

ولو جاز قتلهم للفكر الخارجي؛ لما أخرجهم، وفي السنن الصغرى للبيهقي عن البراء بن عازب، قال: (بعثني علي إلى النهر إلى الخوارج، فدعوتهم ثلاثا قبل أن نقاتلهم)، وفيه: "وروينا عن أبي بكر الصديق، أنه (كان يأمر أمراءه حين كان يبعثهم في الردة: إذا غشيتم دارا، فإن سمعتم بها أذانا للصلاة، فكفوا حتى تسألوهم ماذا نعموا)، وفيه: "وروينا عن علي، أنه قال للخوارج الذين أنكروا عليه التحكيم: (لا نبتدؤكم بقتال)، وفيه: "وروي أنه استعمل عليهم عاملا، وهو عبد الله بن خباب، فقتلوه، فأرسل إليهم أن (ادفعوا إلينا قاتله نقتله به. قالوا: كلنا قتله قال: فاستسلموا نحكم عليكم. قالوا: لا. فسار إليهم، فقاتلهم)^(٢).

وفي السنن الكبرى للبيهقي عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ: أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب ﷺ قالوا: لا حكم إلا لله. فقال كلمة حق أريد بها باطل إن رسول الله ﷺ وصف ناسا إني لأعرف صفتهم في هؤلاء يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم وأشار إلى حلقه أبغض خلق الله إليه منهم أسود إحدى يديه حلمة، ثدى فلما قتلهم قال انظروا فنظروا فلم يجدوا شيئا قال ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثا ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه قال عبيد الله وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي ﷺ فيهم. رواه مسلم في الصحيح عن أبي الطاهر^(٣).

(١) رواه الدارقطني (١٥١/٤ - ح ٣٢٥٠)؛ السنن الكبرى للبيهقي (١٨٤/٨ - ح ١٧٢١٤).

(٢) السنن الصغرى للبيهقي (٢٧٢/٣ - ح ٢٥٠٧ - ٢٥١٠).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (١٧١/٨ - ح ١٧١٤٦).

وفي السنن الكبرى للبيهقي أيضاً: "باب القوم يظهرون رأى الخوارج لم يحل به قتالهم قال الشافعي رحمه الله: بلغنا أن علياً ؓ بينا هو يخطب إذ سمع تحكيماً من ناحية المسجد لا حكم إلا لله فقال علي بن أبي طالب ؓ: (لا حكم إلا لله كلمة حق أريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا نمنعكم الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا ولا نبدؤكم بقتال)"^(١).

ويؤب البيهقي في معرفة السنن والآثار: "القوم يظهرون رأى الخوارج لم يحل به قتالهم، ثم أسند عن الربيع، قال: قال الشافعي: بلغنا أن علي بن أبي طالب بينا هو يخطب إذ سمع تحكيماً من ناحية المسجد: "لا حكم إلا لله" فقال علي بن أبي طالب: ("لا حكم إلا لله" كلمة حق أريد بها باطل، لكم علينا ثلاث: "لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفياء ما كانت مع أيدينا، ولا نبدؤكم بقتال). وفي المعرفة أيضاً للبيهقي عن الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم الأزرقى الغساني، عن أبيه، أن عدياً كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن الخوارج عندنا يسبونك فكتب إليه عمر: "إن سبوني فسبوهم، أو اعفوا عنهم، وإن شهروا السلاح، فاشهروا عليهم، وإن ضربوا فاضربوا"، قال الشافعي: وبهذا نقول"^(٢).

- وما ورد من قتل شارب الخمر في الرابعة، فإما منسوخ بشراب ابن النعيان، ولم يقتله ؓ، أو من مقتضيات القضاء، وما ورد من قتل السارق في الخامسة لا يصح، ومفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم كان لا يرى القتل في مثل هذا إلا إذا تكرر منه الفعل، والظاهر أيضاً أنه لا يقتل ولو تكرر الفعل منه،

(١) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٤/٨ - ب٣٣).

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢٢٢/١٢ ح ٥٢٥٦، ٥٢٥٧).

الجنايات وعلاقتها بسد الذرائع

للحديث (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة).
ومع "سد الذرائع" تقصر سلطة الحكام في قتل من يخالفهم الرأي، فتحقن
الدماء^(١).

(١) مذكرة القواعد الفقهية القضائية (ص ٨٠ وما بعدها)، للدكتور خالد حمزة.

الخاتمة

الجنائية لغة: اسم لما يجنيه المرء من شر اكتسبه، والجنائية في الشرع: اسم لفعل مجرم سواء أكان في مال أو نفس.

والجنائيات التي لها حدود مشروعة جنائيات على الأبدان والنفوس، والأعضاء، وعلى الفروج، والأموال، والأعراض، والعقل.

. تبين من البحث العلاقة ما بين الجريمة والجنائية من تطابق، واتفاق.

. واتضحت العلاقة بين الجنائيات والجراح أنه يطلق بعض الفقهاء لفظ الجراح على أبواب الجنائيات تغليبا لأنها أكثر طرق الزهوق.

. وأظهر البحث أنه اتفق الفقهاء على وجوب القصاص في الجراح الواقعة على الرأس والوجه من حيث الجملة، وأما الجراح في سائر البدن، فالجمهور على أنه يقتصر منها إذا أمكن استيفاؤها.

. وبينت أن أنواع الجرائم: حدود معينة ومحدودة العدد، وهي الحدود، وجرائم القصاص والدية، والجنائية على ما دون النفس، ثم جرائم التعازير.

. وأبان البحث عن موقف الدولة من التعزير، وأن الفرق بين الجريمة التي نصت عليها الشريعة والعمل الذي يحرمه أولو الأمر: أن ما نصت عليه الشريعة محرم دائماً فلا يصح أن يعتبر فعلاً مباحاً، أما ما يحرمه أولو الأمر اليوم فيجوز أن يباح غداً إذا اقتضت ذلك مصلحة عامة.

ثم بينت أهمية هذا التقسيم إلى حدود، وقصاص أو دية، وتعازير.

وأوضحت أن أقسام الجريمة باعتبار ما تقع عليه ينقسم ما يقع من الجاني إلى جرائم تقع على الضروريات، والحاجيات، والتحسينات.

وختمت ببيان ما تتميز به التشريعات الجنائية الإسلامية.

ثم في علاقة الجنايات بسد الذرائع

- إن حال السجون الآن حتى فيما يقال له الدول المتقدمة في الشرق والغرب؛ إنما هي مصانع للجريمة، يدخلها المجرم الصغير، فيخرج من أعتى المجرمين، ناهيك عما يكون فيها من فواحش. ولم تحل القوانين الوضعية مشكلات ١ [منع الثار - ٢] تحديد من تقبل شهادتهم ومن ترد - ٣ [قتل الجماعة بالواحد - ٤] حرمان القاتل من الميراث والوصية ومع تطبيق "سد الذرائع"، فليس لأحد تطبيق القود والقصاص إلا ولي الأمر والله أعلم.
- ليس لولي الأمر سلطة قتل من يخالفه الرأي، فعن أبي برزة قال: (غضب أبو بكر على رجل غضبا شديدا حتى تغير لونه قلت يا خليفة رسول الله والله لئن أمرتني لأضربن عنقه، فكأنما صب عليه ماء بارد فذهب غضبه عن الرجل قال ثكلتك أمك أبا برزة وإنما لم تكن لأحد بعد رسول الله ﷺ).
- وما ورد من قتل شارب الخمر في الرابعة، فإما منسوخ بشرب ابن النعيمان، ولم يقتله ﷺ، أو من مقتضيات القضاء، وما ورد من قتل السارق في الخامسة لا يصح، ومفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم كان لا يرى القتل في مثل هذا إلا إذا تكرر منه الفعل، والظاهر أيضاً أنه لا يقتل ولو تكرر الفعل منه، للحديث (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمفارق لدينه التارك للجماعة). ومع "سد الذرائع" تقصر سلطة الحكام في قتل من يخالفهم الرأي، فتحقن الدماء.
- والله أسأل أن يجعل هذا الجهد في ميزان الحسنات، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

- الإحكام لابن حزم ط. دار الحديث. القاهرة. ١٤٠٤هـ
- الاختيار لتعليل المختار للموصلي دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م
- إرشاد الفحول للشوكاني
- الأشباه والنظائر لابن نجيم
- أصول مذهب أحمد لابن بدران
- إعلام الموقعين لابن القيم
- إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان لابن القيم
- الإقناع للحجاوي، دار المعرفة بيروت.
- البحر الرائق "لابن نجيم، ط دار المعرفة بيروت.
- بداية المجتهد ونهاية المقصد لابن رشد، ط مكتبة الكليات الأزهرية.
- بدائع الصنائع، ط - الأولى - الجمالية مصر
- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للعمري
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي
- تحفة المحتاج لابن الملقن، دار حراء مكة
- التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي لعبد القادر عودة.
- تفسير ابن كثير دار طيبة، ١٤٢٠هـ
- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ
- تيسير علم أصول الفقه للجديع بترتيب الشاملة
- الجريمة للشيخ أبو زهرة، ط دار الفكر العربي
- حاشية ابن عابدين = رد المحتار على الدر المختار، بترتيب الشاملة
- حاشية الباجوري، ط الحلبي.
- حاشية البجيرمي على المنهج بترتيب الشاملة

- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير بترتيب الشاملة
حاشية قليوبي على شرح المحلي، دار الفكر لبنان ١٤١٩ هـ
الحدود للباجي
روضة الطالبين للنووي
سد الذرائع وتحريم الحيل لابن القيم
سنن ابن ماجه
سنن أبي داود
سنن الترمذي
سنن الدارقطني
السنن الصغرى للبيهقي
السنن الكبرى للبيهقي
السنن الكبرى للنسائي
سنن النسائي
الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون،
لمنصور الحفناوي، مطبعة الأمانة.
الشرح الصغير للدرديري
شرح الكوكب المنير
شرح تنقيح الفصول
شرح قانون العقوبات لمحمود مصطفى.
شرح مختصر الروضة للطوفي
شرح منتهى الإرادات للبهوتي.
صحيح البخاري
صحيح مسلم

- صفة الفتوى
فتح الباري، ط السلفية
الفروق للقرافي
قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام
القوانين الفقهية
كشاف القناع، ط - الرياض مكتبة النصر
لسان العرب ط. الدار المصرية للتأليف
المبسوط
مختصر الصواعق المرسلّة
المدخل إلى مذهب أحمد لابن بدران
مذكرة القواعد الفقهية القضائية للدكتور خالد حمزة.
مسند الإمام أحمد بن حنبل
المصباح المنير للفيومي.
مصنف ابن أبي شيبة
مصنف عبد الرزاق
معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة
معجم لغة الفقهاء
معرفة السنن والآثار للبيهقي
مغني المحتاج
المغني لابن قدامة
الموافقات
مواهب الجليل للحطاب
موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي

الموسوعة الفقهية الكويتية.

نهاية المحتاج للرملي

المكتبة الشاملة:

الإصدار ٣٠٢٨، الإصدار ٣٠٤٣

نظرية "الفصاحة العلمية" وتطبيقاتها القانونية

دراسة تأسيسية تأصيلية في
الوضوح العلمي وتطبيقاته

إعداد

د. محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم الحسيني
أستاذ القانون المساعد بالجامعة الإسلامية بمينيسوتا
فرع (٣) مكة - كلية الدراسات الإسلامية
قسم الشريعة القانون

المستخلص:

"نظرية الفصاحة العلمية" بحث كاشف منشئ معا، يقوم على النهج الاستقرائي - ابتداء - معنياً باستقصاء ظاهرة علمية محددة هي ظاهرة "الوضوح العلمي" على مستوياتها اللغوية (الشكلية والدلالية) في سياقاتها العلمية (النظرية والمنهجية والتطبيقية) من خلال الغوص في أصولها و"دينامياتها" الدقيقة داخل الخطاب العلمي العام (مكتوبه ومنطوقه) والخطاب القانوني على سبيل التطبيق؛ مستهدفا الكشف عن جوهر "الوضوح العلمي اللغوي" ومقوماته في بعده النظري والمنهجي، إضافة إلى بعده التطبيقي.

وقد أسفرت المعالجة عن تأطير "مساحة الالتقاء المشتركة" بين الوضوحين العلمي واللغوي من خلال دمج وتنظيم مجموعة أفكارهما وافترضاتهما ومفاهيمهما في كيان مشترك باسم "نظرية الفصاحة العلمية اللغوية"، وهو كيان من طبيعتين (علمية- لغوية) يقوم على فلسفة "العلم" وخصائص "المعرفة العلمية" بعامة وعلى مقومات "اللغة العلمية" الخمسة المفترضة: "الموضوعية" و"الدقة" و"المنطقية- الترابط المنطقي" والوضوح -محل الدراسة - و"المباشرة"، بالإضافة إلى المقومات اللغوية عموما والفصاحية خصوصا، ويجد هذا الكيان المشترك بينهما -أو "نظرية الفصاحة العلمية"- مصداقه وتحققه في وصف "الظواهر العلمية اللغوية" وفي القدرة على تفسيرها والتنبؤ بها والسيطرة عليها.

وبما أن "اللغة" في سياقها العلمي - اللغة العلمية العبارية بجوار لغة الرياضيات - هي الأمانة على استيعاب "المعرفة العلمية المنظمة" تفكيرا وتعبيرا وتفسيرا من خلال أبنيتها اللغوية (الصوتية واللفظية والأسلوبية والسياقية..) ونظامها المشترك (العلمي اللغوي) لغاية النهوض بنقل المعارف العلمية وحزن حقائقها وقيمتها.. فهي -وبحق- جديرة بالتأصيل والدرس الاستقرائي التحليلي وبتعيين أطرها العامة المعرفية (النظرية والمفاهيمية والنماذجية..) لتحقيق

ضرورات الإسناد العلمي وإنتاج مبادئ "الوضوح العلمي اللغوي" ومعاييره.. وهذا ما نقصده بـ"نظرية الفصاحة العلمية"، أو نظرية "الوضوح العلمي اللغوي"، وبناء عليه فإننا نؤمل أن ينتج هذا الفرع المعرفي الجديد "الفصاحة العلمية" نظاما قاعديا عاما يوظف لمعايير وضوح "الخطاب العلمي اللغوي" ومتعلقاته تأطيرا دقيقا يمكن قياسه والتحقق من صوابيته ومن التصدي لحل مشكلاته لسد تلك "الفجوة العلمية" المتعلقة بوضع معايير الخطاب العلمي والنهوض بحل مشكلاته، وذلك بناء على الأطر المعرفية والممارسات العملية التي يتوقع أن تنتجها "النظرية العامة للفصاحة العلمية".

الكلمات المفتاحية: "الفصاحة العلمية"، "الوضوح العلمي"، اللغة العلمية الفصيحة"، البلاغة العلمية"، "الفصاحة القانونية"، "مشكلات الخطاب العلمي"، "معايير الخطاب العلمي".

Theory of "Scientific Eloquence" and Its Legal Applications (A Foundational Study on "Scientific Clarity" and Its Applications)

By Dr. Mohammed Abdul Karim Ahmed Al-Husseini,
Associate Professor of Law – Islamic University of Minnesota, Makkah Branch (3).

Abstract:

"The Theory of Scientific Eloquence" is an exploratory and constructive research that adopts an inductive approach, initially, to investigate a specific scientific phenomenon, namely the phenomenon of "scientific clarity" at its linguistic levels (formal and semantic) in its scientific contexts (theoretical, methodological, and applied). This is done by delving into its origins and "dynamics" within general scientific discourse (written and spoken) and legal discourse as an application. The aim is to uncover the essence of "linguistic scientific clarity" and its components in its theoretical and methodological dimensions, as well as its applied dimension.

The analysis resulted in the framing of the "common meeting ground" between scientific and linguistic clarity by merging and organizing their ideas, assumptions, and concepts into a shared entity called "The Theory of Linguistic Scientific Eloquence." This entity is of two natures (scientific-linguistic) based on the philosophy of "science" and the characteristics of "scientific knowledge" in general, as well as the five assumed components of "scientific language": "objectivity," "accuracy," "logic-logical coherence," "clarity" - the subject of the study - and "directness." In addition to linguistic components in general and eloquence in particular, this common entity between them - or "The Theory of Scientific Eloquence" - finds its validation and realization in the description of "linguistic scientific phenomena" and in the ability to interpret, predict, and control them.

Since "language" in its scientific context - scientific expressive language alongside the language of mathematics - is the guardian of absorbing "organized scientific knowledge" in thought, expression, and interpretation through its linguistic structures (phonological, lexical, stylistic, contextual, etc.) and its shared system (scientific-linguistic) for the purpose of advancing the transfer of scientific knowledge and storing its facts and values. It is - rightly - worthy of rooting and analytical inductive study and defining its general cognitive frameworks (theoretical, conceptual, and modeling) to meet the requirements of scientific support and produce the principles of "linguistic scientific

clarity" and its standards. This is what we mean by "The Theory of Scientific Eloquence," or the Theory of "Linguistic Scientific Clarity." Consequently, we hope that this new cognitive branch, "Scientific Eloquence," will produce a general rule system that frames the standards of clarity of "scientific-linguistic discourse" and its related matters in a precise framework that can be measured and verified for its correctness and to address its problems to bridge the "scientific gap" related to setting standards for scientific discourse and advancing its problem-solving, based on the cognitive frameworks and practical practices that the "General Theory of Scientific Eloquence" is expected to produce.

Keywords: "Scientific Eloquence," "Scientific Clarity," "Eloquent Scientific Language," "Scientific Rhetoric," "Legal Eloquence," "Problems of Scientific Discourse," "Standards of Scientific Discourse."

مقدمة:

بناء على أن "الفصاحة" في مدلولها اللغوي والاصطلاحي تدور حول "الوضوح" وبالنظر إلى أن "الوضوح" باعتباره ماهية علمية، وخاصة (أو خصيصاً) أساسية لـلغته "اللغة العلمية" مثل خاصات "الموضوعية" و"الدقة" و"التجويد" و"المنطقية" - الترابط المنطقي" و"المباشرة" .. وبالنظر إلى "اللغة العربية" - من باب أولى - باعتبارها لغة الفصاحة والبلاغة يأتي هذا البحث للعمل على رصد مفهوم "الوضوح" في سياقه العلمي اللغوي وفي سياقه المشترك بينهما للوقوف ملياً على حدود تلك "الشراكة العلمية اللغوية" وتعيين ماهيتها وكشف إطارها وتقرير مبادئها وقواعدها مع تطبيق أبرز مخرجات نظريتها وهي "نظرية الوضوح العلمي اللغوي" أو "نظرية الفصاحة العملية" على "اللغة العلمية" في السياق القانوني، وبالأحرى على "اللغة القانونية العلمية"^(١).

وتأتي مفردات "اللغة العلمية" - محل "الوضوح العلمي اللغوي" - على صورة "مفاهيم" و"مصطلحات"، و"ألفاظ مطابقة"، ومقاربة و"ألفاظ ذات صلة" بما سبق، إضافة إلى المفردات اللغوية في معناها الوضعي، ثم "الألفاظ المحايدة" والتراكيب المفردة^(٢) يجمعها مناسبة موضوعها وصلاحتها للاستخدام في السياق العلمي، "الوضوح"، (أي: لزوم كونها واضحة في معناها الوضعي اللغوي الأصلي وفي دلالاتها الاصطلاحية وفي سياقها العلمي..). بعيداً عن تلك المفردات الغريبة

(١) هذا مع التسليم بأن مجال "الفصاحة العلمية" وفقاً لأطروحتنا إنما هو المفردات أساساً، إضافة إلى الكلام والمتكلم وفق جمهور البلاغيين العرب، إضافة إلى تمديد هذا النطاق لاستيعاب كل ما يشمل الوضوح العلمي اللغوي في الخطاب العلمي العام وفقاً لشروط معينة.

(٢) نقصد بالتراكيب المفردة: المركب الوصفي والمركب الإضافي وغيرها مما لا يصعد إلى مستوى الجمل التامة.

والتراكيب الملبسة أو الشاذة أو تلك الألفاظ المتضادة "الأضاد" أو "المشتركة-المشترك اللفظي" التي لا تلائم الوضوح العلمي ولا يجدر بها أن تكون ضمن مفردات المعرفة المنظمة، ولا يخفى أن من المشمولات الأساسية الضرورية لتحقيق الفصاحة العلمية أيضا "حروف المعاني" أو "الروابط المنطقية" كما تسمى أحيانا.

ويوصف الكلام أيضا بدءا من الجملة المفردة ومجموع الجمل والعبارات المشكلة للنصوص العلمية أيضا -في هذا السياق- بالفصاحة، أي: بالوضوح العلمي وفقا لمعايير ومحددات تتبع "الفصاحة العلمية" وتتكامل مع ما يناسبها من معطيات "الفصاحة اللغوية"، وكذلك يوصف المتكلم أيضا -وهو ذلك الباحث العلمي الموضوعي الذي يستخدم "اللغة العلمية" متأثرا بموضوع علمه ومناهجه وفلسفته وغاياته العلمية- بالفصاحة العلمية متميزا عن المنشئ الأدبي والمتكلم اللغوي أو العادي، وقد يرفد من خبراتهم ولكنه يلتزم بشروط العلم الموضوعية وبمقتضيات الوضوح العلمي، وهكذا تتقارب الفصاحة اللغوية مع الفصاحة العلمية في كيان مشترك من مجموع مفاهيمها وأفكارها وفرضياتها يأخذ من المقومات العلمية ومن الأصول اللغوية والفصاحية ما يناسب الوضوح العلمي والغاية العلمية.

(١) **الموضوع:** موضوع البحث العام هو "الوضوح" في السياقين المعرفي المنظم والعلمي العام؛ من حيث ارتباطه العميق بـ"خصائص المعرفة العلمية" وكونه معززا لها ومن حيث أنه يعدُّ خاصَّةً رئيسةً من خاصات "العلم" و"اللغة العلمية"، فهو وضوح ضروري ناتج عن سلامة الرؤية المعرفية ووضوح أطرها (النظرية والمفاهيمية..) وظواهرها ومنهجيتها وغايتها العلمية، وموضوع البحث الأخص هو أصول "الوضوح العلمي اللغوي" ومقوماته وأحكامه أو ما نعبر عنه بمفهوم مُحدث "الفصاحة العلمية" بما تشمله هذه الفصاحة النوعية المتخصصة

من أطر (نظرية ومفاهيمية وعملية) ومدلولات ومقتضيات وروابط، ومن ضرورات "الغوية علمية" لازمة للعمل على تأصيل "الخطاب العلمي" الكتابي والشفاهي، وعلى تفسير ظواهره اللغوية العلمية وما يرتبط بها من مبادئ ومفاهيم ونماذج.. للوصول إلى ممارسة "الوضوح العلمي اللغوي" تفكيراً وتعبيراً وتفسيراً بناءً على معايير علمية متسقة ومحققة، وعلى وجه التحديد بناءً على معرفة علمية جديدة تعني بهذه الموضوعات وهي "الفصاحة العلمية اللغوية" باعتبارها مظهراً من مظاهر "علمية اللغة العربية" في السياق المعرفي المنظم^(١).

(٢) **مشكلة البحث:** تتمثل مشكلة البحث العامة في طبيعة عنصر "الوضوح" ومعاييره في "اللغة العلمية" العبارية - غير لغة الرياضيات - وهي لغة المفردات والجمل والعبارات ذات الارتباط الوثيق بالعلم وبخصائص المعرفة العلمية، وتتمثل مشكلته الأخص في طبيعة العلاقة بين "الوضوح العلمي" و"الوضوح اللغوي" ومعايير كيان "الوضوح العلمي اللغوي" المشترك بينهما، وهو ما نطلق عليه أيضاً "الفصاحة العلمية اللغوية"، وذلك على مستويات: الكلمات المفردة (الكلمات العلمية ومطابقتها وذات الصلة بها)، والكلام العلمي، أي: "الخطاب العلمي" عموماً في كافة أوعيته وتجلياته المكتوبة والملفوظة، ومستوى رجل العلم أو "الفصيح العلمي" (العالم والمتخصص والباحث العلمي..). فيما يتعلق بجوانب الوضوح أو الفصاحة عموماً محكومةً بالموضوعية وبخصائص المعرفة العلمية المنظمة، ويجادل البحث عن أن العنصرين "العلمي" و"اللغوي" يتلاءمان معاً في مكوّن رئيس يشكّل بنيان "الوضوح العلمي اللغوي" (الفصاحة

(١) من حيث ماهيتها وطبيعتها ومقوماتها وإطارها العام ومتعلقاته مع العمل على تطبيقها في السياق العلمي القانوني.

العلمية) وعنه تصدر مفاهيم واصطلاحات "الفصاحة العلمية اللغوية" وأحكامها وجميع متعلقاتها^(١).

وما سبق يثير تساؤلات عدة حول ماهية "الفصاحة العلمية" وطبيعتها (العلمية الموضوعية، واللغوية البيانية وتلك المشتركة بينهما)، وعلاقتها بخصيصة "الوضوح العلمي"، وموقعها من اللغتين الأدبية والعلمية، ومن الأسلوبين "العلمي" (الوصفي التقريري)، والعلمي المتأدب (المركب منهما معا)، وذلك "الأسلوب الأدبي البلاغي" المشمول بالصور الفنية والمترع بالتشبيهات والاستعارات والكنائيات في مدى علاقته بـ"الخطاب العلمي"، وتساؤلات أخرى حول إمكانية تأسيس إطار معرفي عام لـ"الوضوح العلمي اللغوي" يتناول ظواهره ويصفها ويفسرهما ويستخلص مفاهيمها والمبادئ الضابطة لها، وذلك "الوضوح

(١) وذلك في كل صور مفردات وتراكيب هذه الفصاحة (التركيبية الوصفية أو الإضافية الناتجة عن اجتماعهما على أن أبرز هذه المفاهيم: ١- "الوضوح العلمي" وهو الأوسع في دلالاته. ٢- مركب "اللغة العلمية" وهو يخصص عموم "الوضوح العلمي" المتسع في المركب السابق عليه، ويمكن تسميته أيضا "اللغة العلمية الواضحة"، أو "الوضوح العلمي اللغوي". ٣- "الفصاحة العلمية" وهي تخصص المركب السابق عليه أيضا من خلال تخصيصه بـ"الفصاحة" وهي ذات دلالة وضوحية لغوية معا في السياق العلمي. ٤- "الفصاحة اللغوية العلمية" أو "فصاحة اللغة العربية العلمية" وهي الأخص في كل ما سبق من مفاهيم ومصطلحات، حيث يعبر مصطلح "الفصاحة" عن السياق الأدبي والدرس اللغوي البلاغي بمشمولاته المجازية والتصويرية التي تقوم على التأثير والإقناع والإمتاع، في حين يعبر مصطلح "العلمية" عن "العلم" و"الوصف العلمي"، و"التفسير العلمي" و"الموضوعية العلمية" وما يلزمها من خصائص الدقة والمنطقية (الترباط المنطقي) والمباشرة.. بهدف تحقيق الوظائف المنهجية للعلم، وهي الوصف والتفسير والتنبؤ والسيطرة على الظواهر.. ومتعلقات ذلك من ممارسات عملية وتطبيقات فنية دقيقة على أرض الواقع..

اللغوي العلمي المتأدب" أو ما يمكن أن يطلق عليه "البلاغة العلمية" وهو تساؤل لاحق على سابقه يثير بدوره تساؤلات أدق حول إمكانية تشييد بنية علمية لـ"البلاغة العلمية"، ويمكن التعبير عما سبق في التساؤلات التالية:

١- ما العلاقة بين "الوضوح العلمي" باعتباره خاصة من خصائص "المعرفة العلمية" الموضوعية المنظمة.. وبين "الوضوح اللغوي" الذي تعبر عنه اللغة بحكم طبيعتها ووظيفتها وغايتها عموماً، ومبحث "الفصاحة" منها خصوصاً، وهل يمكن تشكيل كيان علمي مشترك بينهما باسم: "الفصاحة العلمية" ومركب من كليهما معاً؛ بهدف تأصيل هذه العلاقة وتفسير ظواهرها والتنبؤ بها والتحكم فيها؟

٢- ما طبيعة هذا الكيان الجديد المركب ("الفصاحة العلمية") وما موقعه من الوضوحين العلمي واللغوي، وما مقوماته، وماذا عن أطره المعرفية (النظرية والمفاهيمية والعملية)؟

٣- هل يمكن تطبيق معطيات "الفصاحة العلمية" على الحقل المعرفية الأخرى بعامة وعلى حقل "العلوم القانونية" خصوصاً، من خلال التقاء "نظرية اللغة العلمية" مع "نظرية اللغة القانونية" في جانب الوضوح العلمي اللغوي القانوني، وهل يمكن لهذا الالتقاء أن يشكل نظاماً لما يمكن أن يطلق عليه "الفصاحة القانونية"، وما أبرز أطر هذه الفصاحة وجوانب تطبيقها؟

٤- هل يمكن تشكيل مركب علمي بلاغي يجمع بين الموضوعية العلمية وبين اللغة الفنية وتصويراتها، فيما يمكن التعبير عنه بـ"البلاغة العلمية" أو "الأسلوب العلمي البلاغي" أو "الأسلوب العلمي المتأدب"؟

(٣) **أطروحة البحث:** بناء على موضوع البحث وعنايته بمعالجة ظواهر "الخطاب العلمي بعامة" و"اللغة العلمية" بخاصة في أحد أبرز مقوماتها

وهو مقوم "الوضوح العلمي" وعن مشكلته سابقة الذكر تأتي أطروحته منطلقة عن أن "العلم" (بمفهومه العام باعتباره إطارا فلسفيا نظريا ومحتوى ومنهجيا للمعرفة الموضوعية المنظمة) يقتضي "الوضوح" بشروطه العلمية في تناول معانيه وفي معالجاته ومخرجاته بالإضافة إلى وضوح منهجيته وغاياته، وأن هذا "الوضوح" لا بد وأن يتجلى في لغته العلمية الأساسية وهي "لغة الأعداد - لغة الرياضيات" بالضرورة، وفي "اللغة العلمية" التي قوامها الحروف والجمل والعبارات، وعليه فإن "الوضوح العلمي" يعتبر خاصة من خاصات "اللغة العلمية" بناء على مقوماتها وعلى خصائص "العلم" و"المعرفة العلمية" بعامة^(١)، كما يقوم البحث أيضا على مفترض أن "اللغة العلمية" بأصولها ومقوماتها الخمسة "الموضوعية"، و"الدقة" -وعلى "الوضوح" وهو محل التناول- والمنطقية، والمباشرة، هي المرتكز الأساسي المباشر الذي تقوم عليه الفصاحة العلمية" في أطرها وأحكامها وتطبيقاتها.

وبناء على ذلك يجادل البحث - بالنظر إلى "الوضوح" باعتباره مقوما أساسيا من مقومات "العلم" ومرتكزا تقوم عليه "لغة العلم" وغاية تتوخاها "الفصاحة اللغوية" أيضا- أن هناك "مساحة مشتركة" تجمع بين مقومات الوضوح العلمي، وأصول "الوضوح اللغوي" في مفهوم مركزي عام هو "الفصاحة العلمية"، وتعتبر هذه "المساحة- العلمية اللغوية" عن فرع علمي جديد يوصل لمقومات هذا الوضوح ويؤطر لمعارفه (الفلسفية والنظرية والمفاهيمية) للانطلاق عنها إلى تفسير ظواهر "الوضوح العلمي" في اللغة العلمية بعامة، وإلى تقويمها ومعالجة قصورها، ووضع نماذج ممارستها على نحو علمي لغوي قويم، ويمضي البحث

(١) سواء أكانت خاصة أساسية بالأصالة أو ناتجة عن الموضوعية والدقة والتنظيم والشمول

وباقى الخصائص الأساسية الأخرى

في هذا المسار ساعيا إلى إثبات تلك الفرضيات والتدليل عليها كاشفا عن ماهية وأصول "المساحة العلمية اللغوية المشتركة" بينهما، وعن أطرها ونماذجها وطرائقها في الجمع بين مقومات المعرفة المنظمة وبين مُكنات الوضوح اللغوي العلمي وذلك الوضوح الفصاحي والبلاغي.

(٤) **منهجية البحث:** تقوم منهجية البحث على استقراء "الظواهر اللغوية العلمية" المتعلقة بالوضوحين العلمي واللغوي، (حيث نصوصها وخطاباتها ومداولاتها ومتعلقاتها الرسمية والعرفية فيما يمكن أن يكون له صلة بالبحث) تمهيدا لمعالجتها واستخلاص مفاهيم مناسبة ومبادئ عامة تصف هذه الظواهر تمكن من تفسيرها والتنبؤ بها ومن إحكامها - كما تقوم على النهج التحليلي الذي يُمكننا من الوقوف على أصول "الفصاحة اللغوية" وقواعدها (العامة والجزئية) لانتقاء ما يتلاءم مع طبيعة الموضوع العلمي ولغته العلمية، إضافة إلى المنهج الاستنباطي الذي يمكن من خلاله استخلاص ما يتناسب من المبادئ والقواعد.. مع "اللغة العربية العلمية"، فضلا عن مقتضيات الموضوعية العلمية الماثلة في تجنب التحيز نحو اتجاه معين إلا ببراهين ودلائل لها ما يسوغها حتى ولو كان راجحا لدى الباحث.

(٥) **الخطة،** جاءت خطة البحث وفقا لموضوعه وطبيعته ومشكلته وغايته وبناء على نهج التناول العام في مبحثين ينضوي تحت كل منهما مطلبان وعدة فروع للوفاء بمعطيات البحث وآليات التحليل والتدليل وفقا لمسار كل مسألة من مسائله، على النحو التالي:

المقدمة:

- **المبحث الأول: أصول "الفصاحة العلمية اللغوية" وأطرها المعرفية العامة.**
- **المطلب الأول:** أصول الفصاحة العلمية وعناصرها في ضوء الفصاحة اللغوية.
- **الفرع الأول:** أصول الفصاحة اللغوية وعناصرها.

- الفرع الثاني: أصول "الفصاحة العلمية" العامة والخاصة.
- المطلب الثاني: ماهية "الفصاحة العلمية اللغوية وإطارها المفاهيمي.
- الفرع الأول: الأسس العامة للفصاحة العلمية وعلاقتها بالوضوح العلمي.
- الفرع الثاني: الوضوحان العلمي واللغوي ودورهما في تشكيل كيان الفصاحة العلمية.
- الفرع الثالث: ماهية الفصاحة العلمية ومفهومها في ضوء أسسها ومقوماتها.
- **المبحث الثاني: أحكام الفصاحة العلمية وملامح من تطبيقاتها القانونية**
- المطلب الأول: أبرز مقومات ومبادئ الفصاحة العلمية الحاكمة للخطاب العلمي
- الفرع الأول: مقومات أحكام الفصاحة العلمية ومتعلقاتها.
- الفرع الثاني: مجموعات مبادئ وصلاحيات الفصاحة العلمية وشروط الأهلية اللغوية الفصاحية.
- الفرع الثالث: أحكام الوضوح العلمي بالنظر إلى "الدقة العلمية" و"البلاغة" اللغوية وأساليبها
- المطلب الثاني: نماذج التطبيقات الفصاحية في العلوم والتطبيقات القانونية
- الفرع الأول: الاعتبارات النظرية للفصاحة العلمية واللغة القانونية العلمية.
- الفرع الثاني: التطبيقات الفصاحية المباشرة على اللغة القانونية.
- الخاتمة والنتائج والتوصيات.
- قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

أصول "الفصاحة العلمية اللغوية" وأطرها المعرفية العامة

المطلب الأول: أصول الفصاحة العلمية وعناصرها في ضوء الفصاحة اللغوية.

الفرع الأول: أصول الفصاحة اللغوية وعناصرها.

الفرع الثاني: أصول "الفصاحة العلمية" العامة والخاصة.

المطلب الثاني: ماهية "الفصاحة العلمية اللغوية" وإطارها المفاهيمي.

الفرع الأول: الأسس العامة للفصاحة العلمية وعلاقتها بالوضوح العلمي.

الفرع الثاني: الوضوحان العلمي واللغوي ودورهما في تشكيل كيان الفصاحة العلمية.

الفرع الثالث: ماهية الفصاحة العلمية ومفهومها في ضوء أسسها ومقوماتها.

المطلب الأول

أصول الفصاحة العلمية وعناصرها في ضوء الفصاحة اللغوية

الفرع الأول: أصول الفصاحة اللغوية وعناصرها.

أولاً: الفصاحة في معنيها اللغوي والإصطلاحي

(١) الفصاحة في أصلها اللغوي الوضعي: "الفصاحة" مصدر من

الفعل الثلاثي "فَصَحَ" ، ويدور جذرها حول الخلوص والنقاء بلا شوب، ثم تتفرع

اشتقاقاتها دالة على الوضوح والإظهار والبيان والصرحة والطلاقة والحديث بلفظ

عربي واضح لا لحن فيه. وفي هذا يقول ابن فارس: "فَصَحَ (الفاء وَالصَّاد

والحاء) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى خُلُوصٍ فِي شَيْءٍ وَنَقَاءٍ مِنَ الشُّوبِ، مِنْ ذَلِكَ: اللِّسَانُ

الْفَصِيحُ: الطَّلِيْقُ، وَالْكَلَامُ الْفَصِيحُ: الْعَرَبِيُّ، وَالْأَصْلُ أَفْصَحُ اللَّبَنِ: سَكَنْتُ

رِعْوَتُهُ^(١). "وقد خرَّج على ذلك سياقات ورودها فقال: "وَأَفْصَحَ الرَّجُلُ: تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ. وَفَصَحَ جَادَتْ لُغَتُهُ حَتَّى لَا يَلْحَنُ.. وَحَكَى: فَصَحَ اللَّبَنُ فَهُوَ فَصِيحٌ، إِذَا أُخِذَتْ عَنْهُ الرَّغْوَةُ، قَالَ: "وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الْفَصِيحُ"^(٢).

وَيَقُولُونَ: أَفْصَحَ الصُّبْحُ، إِذَا بَدَأَ ضَوْؤُهُ، قَالُوا: وَكُلُّ وَاضِحٍ مُفْصِحٌ. وَيُقَالُ إِنَّ الْأَعْجَمَ: مَا لَا يَنْطِقُ، وَالْفَصِيحُ: مَا يَنْطِقُ"^(٣). ويقال أيضا: فصح الأعجمي وأفصح: إذا انطلق لسانه وخلصت لغته من اللكنة وجادت فلم يلحن^(٤)، وتدور دلالة الفصاحة في القرآن الكريم حول ما سبق أيضا فتعني البيان والوضوح كما في قوله تعالى: (وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) [القصص: ٣٤] أي أبين مني منطقًا، وأظهر مني قولًا^(٥)، إنها من قولهم: أفصح فلان عما في نفسه إذا أظهره، والشاهد على أنها: "الإظهار قول العرب: أفصح الصبح إذا أضاء. وأفصح اللبن إذا انجلت عنه رغوته فظهر. وفصح أيضا. وأفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبين؛ وفصح اللحن إذا عبر عما في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ"^(٦).

(١) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٧) حرف الفاء باب الصاد وما يثلثهما. ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) شطر بيت من الشعر لأبي محجن الثقفي أو نضلة السلمي: رأوه، فازدروه، وهو خرق.. وينفع أهله الرجل القبيح فلم يخشوا مصالته عليهم .. وتحت الرغوة اللبن الفصيح.

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ٥٠٧) حرف الفاء باب الصاد وما يثلثهما.

(٤) السابق وفيه: وأفصح به أي صرَّح، وفصح اللبن إذا أخذت رغوته وذهب لباؤه.

(٥) سر الفصاحة أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ) سر الفصاحة ص ٥٨، ط ١: دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

(٦) أبو هلال العسكري: الصناعتين ص ٨، ٩، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ

والحاصل بناء على ما سبق فإن الفصاحة تعني الوضوح مطلقاً، فكل مفصح هو واضح بالضرورة، وتنبئ التزاماً عن الظهور والإبانة^(١). كما وتدور معانيها الإضافية حول: ١- الوضوح في سلامة من غير لحن ولا مخالفة لسنن الكلام. ٢- الوضوح النقي بلا شوب ولا لبس. ٣- تعني الوضوح الأميز (أو المميز) في بيان وطلاقة مقارنة بوضوح آخر. تلك هي المعاني التي تبينها في التأصيل لـ"الفصاحة العلمية" وبالأحرى "الفصاحة العلمية اللغوية" وقد اعتدنا بها باعتبارها شروطاً في الفصاحة اللغوية العلمية على ما سيأتي تفصيلاً. فالفصاحة العلمية هي الخطاب العلمي الواضح المبين بالضرورة، وهي الكلام الواضح في غير مخالفة لقواعد اللغة (أي لغة كانت، وهي اللغة العربية هنا)، وهي المحتوى العلمي الواضح في لبس أو استشكال (شوب)، وهي الخطاب العلمي المميز في وضوحه والأظهر من غيره بما يساعد على أداء وظائفه العلمية.

(٢) الفرق بين الفصاحة والبلاغة، لا تختلف الفصاحة اصطلاحاً عن معناها اللغوي الوضعي فجوهرها يدور حول الوضوح والظهور والإبانة والصرحة على نحو التفصيل السابق، وهي "في اصطلاح أهل المعاني: عبارة عن الألفاظ البيّنة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حُسْنها"^(٢)، غير أنها لا تقع إلا على المفردات اللغوية فحسب لا

(١) راجع الجرجاني (عبد القاهر) دلائل الإعجاز ص ٣٥٣ تحقيق الشيخ محمود شاكر، طبعة دار المدني بجدّة: السعودية، ١٩٩١م، وفرعوا على هذا بقولهم: أفصح الصبئي في منطقهِ إذا بان وظهر كلامه. وقالت العرب: أفصح الصبح إذا أضاء، وفصح أيضاً. وأفصح الأعجمي: إذا أبان بعد أن لم يكن يُفصح ويُبين. وفصح اللسان: إذا عبّر عمّا في نفسه، وأظهره على وجه الصواب دون الخطأ.

(٢) الهاشمي: جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) ص ١١، ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٩، المملكة المتحدة.

على الجمل أو العبارات، وتوصف هذه المفردات بأوصاف ذاتية وموضوعية فيقال لها: "حلو رشيق، وحسن أنيق، وعذب سائغ، وحلو رائع"^(١)، وهي هنا تختلف عن البلاغة إذ تعتبر (أي: الفصاحة) أرحب منها مجالا لأنها قابلة لأن توصف بها كل ألفاظ اللغة أو لا توصف (بناء على معايير الفصاحة المقررة)، وبهذا تعتبر الفصاحة شرطا أوليا للبلاغة وبالأحرى للألفاظ -والكلام والتمكلم- التي سوف تتركب في جمل وعبارات يمكن وصفها فيما بعد بالبلاغة وفقا لمعاييرها الخاصة، وبناء عليه يمكن القول بأن: "كل بليغ هو بالضرورة فصيح وليس كل فصيح يعدُّ بليغا". أو "كل أسلوب بليغ لا بد وأن تكون ألفاظه فصيحة وليست كل ألفاظ فصيحة تعبر بالضرورة عن أسلوب بليغ".

وجدير الإشارة إلى مسaire هذا الرأي الذي يمايز "الفصاحة" عن "البلاغة" في سياق البحث، مع مرونة تستوعب الرأي الآخر الذي تبناه علماء بلاغيون مؤسسون مثل الجرجاني وغيره^(٢) لأن التناول يدور حول "الوضوح العلمي" ابتداء سواء أكان في الألفاظ مفردة أم مركبة وذلك في السياقات العلمية، مع الاعتراف

(١) الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٥، الفقرة (٣) وليس من مذهب الجرجاني مدح الألفاظ مستقلة ولكنه يحكي ما يقال عنها ثم تناول ذلك بالرد. مع أنه مدح الألفاظ في أحوال معينة من باب الفصاحة بقوله: "أما رجوع الاستحسان إلى اللفظ -من غير شرك في المعنى- .. فلا يكاد يعدو نمطا واحدا وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشيا غريبا، أو عاميا سخيلا سخفه بإزالته عن موضوع اللغة، وإخراجه عما فرضته من الحكم والصفة، كقول العامة "أشغضلت" و"انفسد"، وإنما شرطت هذا الشرط فإنه ربما استسخف اللفظ بأمر يرجع إلى المعنى دون مجرد اللفظ". انظر ص ٦، الفقرة (٤) نمط واحد لاستحسان اللفظ، وبعدها فقرة (٥) مواقع استحسان اللفظ ص ٦، ٧

(٢) يذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أن: "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا من خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب" أسرار البلاغة ص ٤ فقرة (٢)، ولسوف ينكشف ذلك بوضوح مع تعريف البلاغة واستبانة الفرق بينها وبين الفصاحة،

بأن "الوضوح" بعامه (اللغوي والعلمي والمشارك بينهما) يقوم ابتداءً من الألفاظ باعتبارها وحدته الأولى وأصل وضوح ما يبني منها حيث الجملة والفقرة والعبارة والسياق بعامه. ويمكننا الوقوف أكثر على ماهية الفصاحة وحقيقتها من خلال مقارنتها مع مفهوم البلاغة واصطلاحها في النقاط الآتية:

١- البلاغة من البلاغ والتبليغ والمبالغة وأصلها اللغوي الوضعي هو "الوصول" على ما يذهب إليه ابن فارس: "بَلَّغَ (الْبَاءُ وَاللَّامُ وَالْعَيْنُ) أَصْلًا وَاحِدًا وَهُوَ الْوُصُولُ إِلَى الشَّيْءِ. تَقُولُ بَلَّغْتُ الْمَكَانَ، إِذَا وَصَلْتَ إِلَيْهِ"^(١)، ولها تعاريف كثيرة منها أنها كل طريقة لغوية (صحيحة) تمكّنك أن تبلغ بالمعنى قلب السامع، وهي "مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته"^(٢)، وقال العسكري في "الصناعتين"، في الفصل الثاني بعنوان "الإبانة عن حدّ البلاغة"، "البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه وتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"^(٣). وقيل البلاغة إنما هي باعتبار المطابقة لمقتضى الحال، أي إنها مطابقة الكلام - بأساليبه وتراكيبه ونظمه - لمقتضى الحال، وقيل: "البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذي يقال فيه"^(٤).

(١) ابن فارس مقاييس اللغة ١ / ٣٠١ مادة (بلغ) باب الباء فصل اللام وما يتلثها.

(٢) الهاشمي: جواهر البلاغة ص ٤٥، الفقرة (٢٩).

(٣) أبو هلال العسكري: الصناعتين ص ٨، ٩، وفيه "وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة؛ لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثّة ومعرضه خلفاً لم يسمّ بليغاً، وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى".

(٤) الهاشمي: جواهر البلاغة ص ٤٦.

٢- يمكن النظر إلى البلاغة في ضوء ذلك وبناء على واقعها العملي باعتبارها "صناعة كلامية وجدانية" أو "صناعة لغوية وجدانية" يقوم بها المتكلم أو الكاتب البليغ لصناعة المعنى البليغ من خلال تفننه وتفرد أسلوبه في اختيار الكلمات الفصيحة والتأليف بينها في جمل وعبارات بليغة.. بأساليب أدبية بلاغية معتبرة لغاية بلوغ المعنى إلى وجدان السامع وتمكينه في نفسه مثل تمكنه في نفس منشئه، وتعالج هذه الصناعة علوم البلاغة الثلاثة البيان والمعاني والبدع من حيث تعييدها وتنظيم استخداماتها على المستوى التطبيقي، وبناء على طبيعتها ووظيفتها فقد جعلوا عناصرها ثلاثة: "لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ يمنحها قوة وتأثيرا وحسنا، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب، على حسب مواطن الكلام ومواقعه، وموضوعاته، وحال السامعين"^(١)، وللبلاغة غاية رئيسة هي البلوغ للغاية.. ماثلة في إنهاء المعنى إلى القلب، والتأثير في وجدان المتلقي^(٢).

وهنا تتمايز الفصاحة عن البلاغة في أنها "صناعة لغوية محايدة" تعنى بالوضوح مطلقا مع صحة وسلامة الألفاظ صوتيا وبنائيا ودلاليا، مع قيمة مضافة وخصيصة زائدة في تحقيق الوضوح النقي بلا لبس أو الوضوح الأظهر من غيره والمتميز عليه أو تحقق جميع ما سبق، ومن ثم يمكن التحرك بها نحو الوجدان والشعور لخدمة "الصناعة الكلامية الوجدانية" التي تعبر عنها البلاغة، أو التحرك بها صوب التأثير والإقناع في السياقات الاجتماعية، كما ويمكن اصطحابها طوعا أو قسرا نحو "الصناعة العلمية اللغوية"، أو "صناعة اللغة العلمية" التي تقوم على الوصف والتقدير والدقة والمعايرة وما غير ذلك من

(١) الهاشمي: جواهر البلاغة ص ٤٦ .

(٢) انظر السابق نفسه، و لاحظ مفردة "القلب" أو "الوجدان" وهي مقصودة ومقصورة على المعنى، أي: على الألفاظ المركبة والمولفة مع غيرها ويقال له "النظم" أيضا.

معايير مستمدة من خصائص المعرفة العلمية ومن طبيعة العلم ووظائفه ومتعلقاته.

٣- الألفاظ المفردة والأساليب المركبة بين الفصاحة والبلاغة: تنازع البلاغيون في حدي الفصاحة والبلاغة وفي المساواة بينهما " والظاهر أن جمهورهم لم يكن يفرق بينها -أي البلاغة- وبين الفصاحة"^(١) على نحو ما سبقت الإشارة إليه، ويذهب العسكري إلى أن ثم فرقا بين الفصاحة والبلاغة فيقول: "وقال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان"^(٢).. فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين؛ باعتبار الأولى تمام آلة البيان ومن ثم فهي مقصورة على اللفظ؛ لأن الآلة تتعلّق باللفظ دون المعنى؛ والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى. ومن الدليل على أنّ الفصاحة تتضمّن اللفظ والبلاغة تتناول المعنى أنّ الببغاء يسمى فصيحاً، ولا يسمى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤدّيه"^(٣).

وبالرجوع إلى معنى الفصاحة في ضوء تعريف البلاغة جدير التوكيد على اختصاص الفصاحة بمعايير سلامة الألفاظ وجودتها ووضع قواعدها ومبادئها الفصاحية التي تحقق وضوحها وسلاستها وصلاحيتها لأن تسبك في تراكيب

(١) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص ١٠، ط ١٧، مكتبة الآداب ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

(٢) وفيه: " فلهذا لا يجوز أن يسمّى الله تعالى فصيحاً؛ إذ كانت الفصاحة تتضمّن معنى الآلة ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة؛ ويوصف كلامه بالفصاحة؛ لما يتضمّن من تمام البيان. والدليل على ذلك أن الألتغ والتمتام لا يسميان فصيحين لنقصان آلتهم عن إقامة الحروف. وقيل زياد الأعجم لنقصان آلة نطقه عن إقامة الحروف، وكان يعبّر عن الحمار بالهمار، فهو أعجم، وشعره فصيح لتمام بيانه". أبو هلال العسكري: الصناعتين ص ٨.

(٣) أبو هلال العسكري: الصناعتين ص ٨، ٩.

وجمل وأساليب بلاغية لاحقة عليها، كما أنها تُعدُّ معيارا للكلام والمتكلم وقد يوصفان بها أيضا. ومن ثم تقوم المعيارية الفصاحية على "المفردات" وفقا لقواعد فصاحتها، فيقال: هذا لفظ فصيح، وهذه مفردة غير فصيحة، وقد ترفع عنهما فيقال: هذا لفظ غير فصيح (أي: لفظ غير مناسب، أو متنافر، أو مخالف للقياس اللغوي). كما يوصف الكلام أو المتكلم بالفصاحة -مع كونه موصوفا بالبلاغة أصالة- فيقال: "كلام فصيح"، "فلان بليغ"، و"فلان فصيح"، ولإطلاق لفظ البلاغة على "المتكلم" أو على "الكلام" شروط ومواصفات سنأتي عليها. فالألفاظ إنما هي أدوات وآلات تكوين الجمل والعبارات التي قد توصف بالبلاغة عند استيفاء شروط البلاغة، بينما الألفاظ مفردة أي في حالة إفرادها هي ما يمكن أن يوصف بالفصاحة أي بالوضوح والدقة والألفة وموافقة التداول الفصيح وتقع عليها معايير الفصاحة^(١).

ثانيا: شروط الفصاحة اللغوية وفقا للفقه البلاغي العربي:

تبين مما سبق أبرز وجوه اختلاف الفصاحة عن البلاغة وأن العلاقة بينهما إنما هي "علاقة مقدمة بنتيجة"، والمقدمة هي الألفاظ والتراكيب المفردة^(٢)

(١) انظر السابق نفسه، وفيه: "فهذا يدلّ على أنّ من شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا على ما قدمناه. ومن قال: إن البلاغة إنما هي إنهاء المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة، واللكنة، والخطأ، والصواب، والإغلاق، والإبانة سواء. وأيضا فلو كان الكلام الواضح السهل، والقريب السيّس الحلو بليغا، وما خالفه من الكلام المستبهم المستغلق والمتكأف المتعقد أيضا بليغا لكان كلّ ذلك محمودا ومدوحا مقبولا، لأنّ البلاغة اسم يمدح به الكلام. فلمّا رأينا أحدهما مستحسننا والآخر مستهجننا علمنا أنّ الذي يستحسن البليغ، والذي يستهجن ليس ببليغ.

(٢) نقصد بالتراكيب المفردة تلك التراكيب الإضافية والوصفية والتي لا تتجاوز كلماتها حد أو التصور، كما يقول المناطقة "دون التصديق" والذي غالبا ما تعبر عنه الجمل والعبارات والسياقات. وهناك نقاش طويل حول العلاقة ما بين الفصاحة والبلاغة تعرض لها العلوي

بالمعايير الفصاحية للألفاظ هي التي تؤدي إلى تحقق المعايير البلاغية للجمل والأساليب والعبارات حال استيفائها، ولا يعقل أن يكون اللفظ وحشيا أو غريبا ثم يدخل في تركيب وأسلوب ليوصف بالبلاغة فيما بعد، أما عن مستويات الفصاحة وشروطها فهي :

المستوى الأول: فصاحة الألفاظ المفردة، وقد اجتهد علماء البلاغة وفقهاؤها^(١) في وضع شروط الفصاحة للألفاظ المفردة فاستوت لديهم أربعة، أولها: خلوص الألفاظ من تنافر الحروف؛ لتكون رقيقة عذبة، تخف على اللسان، ولا تتثقل على السمع؛ فلفظ «أسد» أخف من لفظ «فدوكس»! ثانيها: خلوصها من الغرابة، وأن تكون مألوفة الاستعمال. ثالثها: خلوصها من مخالفة القياس الصرفي؛ حتى لا تكون شاذة أو وعرة. رابعها: خلوصها من الكراهة في السمع^(٢)، ويذهب السبكي في شرحه لـ"المفتاح" إلى أنها ثلاثة: "الفصاحة في المفرد: خلوه من تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس"^(٣)، وفي الإيضاح

(يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله ت ٧٤٥هـ صاحب الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ١/٢٤، ٢٥ (الناشر: المكتبة العنصرية) - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

(١) وهكذا هو الاصطلاح الصحيح إذ لا يكاد يذكر "علماء الفصاحة" ونحن نذهب إلى وجود "فقه فصاحي" مستقل نسبيا عن الفقه البلاغي لكي يعنى بالألفاظ والتراكيب المفردة ويتحقق من فصاحتها وصلحياتها الموضوعية والفصاحية لأن تدخل في تركيبات علمية صحيحة أو تركيبات بلاغية علمية صحيحة وهو ما يؤسس له هذا البحث ، وقد ذكرنا أننا بصدد إعداد بحث عن البلاغة العلمية أيضا على نسق بحثنا المائل " الفصاحة العلمية"

(٢) الهاشمي: جواهر البلاغة ص ١١، ١٢، ط هنداوي.

(٣) السبكي (أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) عروس الأفرح في شرح تلخيص المفتاح ص ٥٧ المحقق: الدكتور عبد الحميد

بقريب من هذا ^(١)، وهذا أقرب إلى صواب التصنيف من سابقه؛ لأن المعول هنا هو اللفظ في استقامة بنيته اللغوية وبنيته الدلالية (المعجمية)، وفي سهولة بنيته الصوتية، وتلك هي الأسس التي اتخذناها ميزانا في معايرة "الفصاحة العلمية" وتقويمها باعتبارها موافقة أو متناسبة إلى حد كبير مع مقومات وصلاحيات "الفصاحة العلمية"، ويمكننا أيضا تعديد المفردات الموسومة بالفصاحة والمستوفية لشروطها من منظور "الفصاحة العلمية" إلى ١ - مفاهيم ومصطلحات. ٢ - ألفاظ مطابقة. ٣ - ألفاظ مقارنة وذات صلة. ٤ - ألفاظ لغوية وضعية (في معناها اللغوي الوضعي). ٥ - ألفاظ محايدة. وهي في جملتها مناسبة للاستخدام في الخطاب العلمي (الكتابي والشفاهي)، أما عن تحقق فصاحتها العلمية، فهذا يدور مع شروط "الفصاحة العلمية اللغوية" ومع مدى توافق "الصلاحيات العلمية" على ما سيأتي تفصيلاً.

المستوى الثاني: فصاحة الكلام، هناك أيضا شروط لفصاحة الكلام

بمعنى وضوحه في نقاء من غير شائبة لحن أو إبهام - على ما سبق تأصيله في معنى الفصاحة العام - بمعنى: "سلامته بعد فصاحة مفرداته مما يبهم معناه ويحول دون المراد منه ^(٢)" وقد اشترطوا لوصف الكلام بالفصاحة ستة شروط وبالأحرى خلوه من ستة عيوب هي: ١ - تنافر الكلمات مجتمعة. ٢ - ضعف

هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى،

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

^(١) والفصاحة تحصل عند الخلو؛ وتتحقق الفصاحة عندهم عند "كون الكلمة جارية على القوانين الصرفية متناسبة الحروف كثيرة الاستعمال، ويلزم من ذلك الخلو"، ويتفصيل أدق "الفصاحة هي كون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب كثير الاستعمال على ألسنة العرب الموثوق بعريبتهم". الإيضاح ١/٢١.

(٢) الهاشمي: جواهر البلاغة ص ٢٤

التأليف. ٣- التعقيد اللفظي. ٤- التعقيد المعنوي. ٥- كثرة التكرار. ٦- تتابع الإضافات^(١)، ويجملها السبكي في ثلاثة صفات نقلها عن صاحب المفتاح فيقول: "وفي الكلام خلوصه من ضعف التأليف، وتناثر الكلمات، والتعقيد مع فصاحتها^(٢)" ويعددها القزويني أيضا بنفس نص صاحب المفتاح^(٣).

وبملاحظة الشروط في ضوء مقومات "المعرفة العلمية" وخصائصها نجد أنها شروطا جوهرية أيضا بالنسبة لـ"الوضوح العلمي" أو لذلك الكيان الذي أسميناه "الفصاحة العلمية"؛ لأن جميعها كما هو ماثل يتعلق بوضوح الكلام غير مشروط بما يصادم "الموضوعية العلمية" من مثل الرشاقة أو العذوبة أو الاستحسان الذاتي على نحو ما جاء في بعض شروط فصاحة الألفاظ.

المستوى الثالث: فصاحة المتكلم، وهي تصيح وصفا للأديب أو

الخطيب أو الشاعر أو عموم الناثرين والأدباء ويعبرون عنها بأنها: "ملكة" يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أي غرض كان.. فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام، متمكناً من التصرف في ضروبه، بصيراً بالخوض في جهاته ومناحيه^(٤) وهو ما قد يفهم منه اختصاص بعض الناس بها دون بعضهم الآخر، بناء على كونها ملكة وصفة قائمة في النفس، وهي ما نختلف معه فالأصل أنها مهارة يمكن اكتسابها والتدرب عليها والتمرس بها حتى وإن كانت قائمة في بعض الناس دون بعض.

(١) السابق نفسه

(٢) السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ١ / ٧٤ .

(٣) جلال الدين القزويني الشافعي، (المتوفى: ٧٣٩هـ) الإيضاح في علوم البلاغة ١ /

٢٧ المؤلف: المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل - بيروت

(٤) الهاشمي جواهر البلاغة ص ٣١

ثالثاً: نموذج تفصيلي لمعايير فصاحة اللفظ المفرد وشروطه، يمكن

إعادة تحرير شروط فصاحة اللفظ المفرد وتصنيفها نظراً لأهمية "الألفاظ المفردة" وكونها وحدة بناء الجملة اللغوية العامة أو الأدبية (الفصيحة والبليغة)، بالإضافة إلى "الجملة العلمية الفصيحة"، وكونه أيضاً عنواناً على المتكلم الفصيح أياً كان سياق كلامه لغوياً أو بلاغياً أو علمياً، وهو ما يمكن تسميته بـ"المتكلم العلمي الفصيح"، سواء أكان مكتوباً أو منطوقاً، وجماعها في الآتي^(١):

الشرط الأول^(٢): السلامة اللغوية أو "الموافقة اللغوية"، وهذا شرط

بنيوي (لغوي شكلي) يتعلق بالبنية اللغوية العربية إذ يشترط على اللفظ المفرد الذي يمكن معايرته بالفصاحة ونعته بها أن تكون بنيته وبالأحرى "هيئة بنيته اللغوية" موافقة "البنية اللغوية العربية" أو (الميزان الصرفي العربي)، ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الفصاحة نعت يلحق بالمفرد "لكون اللفظ جارياً على القوانين المستنبطة من استقراء كلامهم"^(٣)، ويرى السكاكي أن الفصاحة قسمان: "قسم يرجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعقيد المعنوي، وقسم يرجع إلى اللفظ

(١) راجع للتفصيل الإيضاح ٢١ / ١ وفيه "هذا وعيب المفرد أما في مادته أي حروفه وهو التنافر أو في صورته وهو المخالفة للقياس اللغوي المستنبط من استقراء اللغة "فالقياس اللغوي هو الضابط المتقرر من استعمالات العرب وهو القياس الصرفي"، وأما من دلالاته على معناه وهو الغرابة".

(٢) أتفق مع ما قاله في السبكي في عروس الأفراح حيث كان التعريف بالسبب ، والصحيح أنه يكون بالإثبات أولاً، ولا مانع من السلب للتوسيع قال: "ثم يرد عليه أن الخلوص من هذه الأمور عبارة عن عدمها فهو تعريف بالأمور العدمية وإنما يكون التعريف بالذاتيات، أو الخواص الوجودية فكان ينبغي أن يقول: الفصاحة التمام الحروف، وكثرة الاستعمال وموافقة القياس إلا أن هذا عدم مضاف فالأمر فيه سهل..

(٣) ص ٣٥٣ "دلائل الإعجاز" وهو كلام السكاكي أيضاً ص ١٧٦ من "المفتاح".

وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية جارية على أسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم، لا مما أحدثه المولدون، ولا مما أخطأت فيه العامة^(١) "وفقهاء البلاغة يعبرون عن هذا الشرط أيضا بالسلب كثيرا من باب تعزيز الاحتراز عن أضاده؛ فيقولون: أن تكون اللفظة "خالصة من الشذوذ" وأن تكون "سليمة من التنافر"^(٢)، بمعنى أنه يمتنع على الكلمة التي يمكن الحكم عليها بالفصاحة مخالفة القياس الصرفي؛ حتى لا تكون شاذة، ومخالفة الإيقاع الصوتي المستحسن حتى تسلم من التنافر.

وبالنظر لهذا الشرط باعتباره موافقة لغوية فهو ينسحب من حيث الأصل على "الفصاحة العلمية"، مع توسع في الترجمة والتعريب وفي الأخذ المباشر من اللغات الأخرى التي تنشأ المفاهيم في بينها مثال "الكوارك"، "الفوتون"، وباقي المفاهيم التي تعبر عنها "ميكانيكا الكم" والنظرية النسبية العامة" ومتعلقاتها على سبيل المثال، وإن أمكن تعريبها على وجه دقيق مطابق لمفهومها مطابقة تامة فهذا أدنى إلى الصواب وأولى على المستوى الفصاحي، وإن لم يمكن فلا مناص حينئذ من التخفف من كل شرط فصاحي يمكن أن يمس بنية المفهوم الأصلي إذا ترتب عليه التغيير أو التأثير في جوهر دلالاته المفاهيمية أو الاصطلاحية، فتقدم الصلاحيات العلمية مطلقا على كل اعتبار لغوي يمكن أن يصادم العلمية وشروط المعرفة العلمية ومقوماتها وخصائصها.

(١) راجع السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) المفتاح ص ١٧٦، تحقيق: نعيم زرزور، ط ٢ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

(٢) راجع السابق نفسه، وقارن الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٦، الفقرة (٤) وقد عنوانها العلامة محمود شاكر بـ"تمط واحد لاستحسان اللفظ"، وبعدها فقرة (٥) مواقع استحسان اللفظ ص ٦، ٧

الشرط الثاني: التناسب الدلالي وهو شرط (معنوي) سياقي -

تداولي بمعنى أن تكون اللفظة متناسبة، أي: مألوفة الاستعمال موافقة لاستعمالها التداولي العربي خالصة من الغرابة، وفي هذا يقول الجرجاني "أن تكون اللفظ مما يتعارفه الناس في استعمالهم ويتداولونه في زمانهم"^(١). والاستعمال هنا مقصور على الفصحاء الخالص أو الموثوقين على ما ذهب الجرجاني: ".. كلامهم كثير الاستعمال على ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم"^(٢) وهو ما يبنى عليه ألا يكون اللفظ الفصيح وحشياً غريباً أو عامياً سخيفاً^(٣)، ويقع هذا من خلال التعريب القويم أو التعريب الفصيح وهو مماثلة الألفاظ والتراكيب بالبنى اللغوية العربية الأصيلة ذات الاستعمال العربي الفصيح الخالية عن الغرابة أو الإلباس، وإن لم يمكن مماثلة الألفاظ والتراكيب العلمية غير العربية بمثلتها التي تضمن شروط اللغة ومقومات الفصاحة العربية، فحينئذ تقدم الدلالة العلمية مطلقاً على أية شروط أو اعتبارات فصاحية أو لغوية، فالعبرة في كل "اللغة العلمية" ومن ثم في "الفصاحة اللغوية" بالدلالة العلمية الواضحة والتي يمكن إعادة إنتاجها وكشفها واختبارها وإخضاعها إلى التحقق العلمي الموضوعي.

الشرط الثالث: شرط السلاسة (سلاسة اللفظ) وتناسق حروفه ومن

ثم تناسق أصواته، وهو شرط صوتي يتعلق بأصوات الكلمة وبطريقة التنامها معاً، وهذا شرط يتعلق ببنية الكلمة الصوتية، وكان يمكن البدء به مراعاة

(١) الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٦، الفقرة (٤)

(٢) ص ٣٥٣ دلائل الإعجاز " وهو كلام السكاكي أيضاً ص ١٧٦ من المفتاح". وفي الإيضاح: "الفصاحة هي كون اللفظ جارياً على القوانين المستنبطة من استقراء كلام

العرب كثير الاستعمال على ألسنة العرب الموثوق بعربيتهم. الإيضاح (٢١/١)

(٣) الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٣

لنظامية المستويات اللغوية بدأ بالصوت فالحرف ثم اللفظ والجملة والعبارة.. لولا أهمية الشرطين السابقين عليه، ويعني الشرط -من جهة السلب- خلوص الألفاظ عن تنافر الحروف؛ وعلتهم في ذلك أن تكون الألفاظ خفيفة على اللسان وغير ثقيلة في أذن المتلقي، وهو ما توصف الكلمة بناء عليه بـ" الرقة والعدوية"، ويضربون لهذا مثلا بلفظ «أسد» باعتبارها أخف من لفظ «فَدَوْكَسٍ»!، وهو من منظور اللغة العلمية شرط لاحق لا سابق ولا يعول، وهو من الشروط المضافة - أي المستحسنة غير الأصلية- في الفصاحة العلمية، فلو تيسر توافره أو أمكن تحققه في التعريبات والترجمات بما يوافق موضوعه وسياقه وغايته العلمية ودون تكلف أو أن يقصد لذاته فلا بأس في تحققه، لأنه يعزز من وضوح الألفاظ العلمية ويساعد على شرحها والتثقيف بها ونشرها بين غير المتخصصين، وهو أقرب لتحقيق ذلك في مركباته الأسلوبية "العلمية المتأدبة" على ما سيأتي.

الشرط الرابع: خلوص اللفظ من التنافر والكرهية في السمع. أما «تنافر الحروف» ، وهو كما يتضح بعد تعمقه مقارب بل جزء عن الشرط الثالث ويمكن دمج فيه، وقد فعل هذا بعض البلاغيين ولا مانع أن نذكره من باب التوضيح، وهو وصف في الكلمة -أي التنافر- يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان؛ بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج. وهذا شرط ذاتي لا علاقة له باللغة العلمية ولا بالفصاحة العلمية، غير أنه يستحسن في الأساليب العلمية المتأدبة في سياقات التثقيف ونشر المعرفة أو ما يسمى "شعبنة المعرفة" أي جعل المعرفة شعبية تحظى باهتمام الجماهير⁽¹⁾.

(1) <https://www.ajnet.me/opinions/2005/7/85> jaloodym- 8/7/2005 ! غربة العلم في وطنه الأم 85/7/2005

الفرع الثاني : أصول "الفصاحة العلمية" العامة والخاصة

تمهيد وتقسيم: بناء على ما سبق ذكره من أصول الفصاحة اللغوية في اللغة العربية وفقا للفقهاء اللغويين البلاغيين وأنها طي البلاغة - من أبرز خصائص هذه اللغة العربية، ولا زالت عنوانا عليها ورمزا لتميزها ومدخلا للتباهي والفخر بين قبائلها قديما وبين الأدباء والخطباء وأصحاب الأقلام وحتى الآن.. يأتي هذا الفرع -وما بعده- مفترضا أن هناك نوعا آخر من الفصاحة ترتكز على فكرة "الوضوح الخالص" والظهور النقي في غير لبس ولا إشكال، يمكن بناء على طبيعتها وغايتها تسميتها بـ"الفصاحة العلمية"، وأن لهذه الفصاحة أصولا ومقومات وخصائص وكيانا علميا وإطارا معرفيا (فلسفيا، نظريا، مفاهيميا) إضافة إلى باقي الافتراضات والمتعلقات التي تشكل نظريتها وبنائها الفصاحي العلمي.

على أن مبدأ "نظرية الفصاحة العلمية" وفكرتها الأساسية في أقصى عمقها يمكن إيجازها في "الوضوح العلمي الموضوعي" ومفهوم "الوضوح العلمي" بدوره في سياق "الفصاحة العلمية" يعني أن له مقومات علمية ومصادر موضوعية من طبيعة علمية تمثل أساسه وقاعدته وأساس كل ما يتعلق بأوعيته المعرفية وأشكاله التعبيرية والتفسيرية، أبرزها "خصائص المعرفة العلمية"، ومفهوم "اللغة العلمية" ونظريتها العامة (النظرية العامة للغة العلمية) وتعد هذه الأخيرة مع نظريتها الأصل المباشر والمقوم المهيمن على "الفصاحة العلمية" وعلى نظريتها العامة، وعنها يتشكل إطار هذه الفصاحة وتتشكل نظريتها العامة التي بدورها سوف تتصدى لتفسير "ظواهر الفصاحة العلمية" وترسية مبادئها وإقرار قوانينها وقواعدها وتعليماتها وضوابطها وكافة متعلقاتها النظرية وما وراءها من تقرير الأحكام والإجراءات والممارسات العملية الفصاحية في السياق العلمي. ويفتضي ما سبق تأسيسا وتأسيسا يناسب جدة موضوع الفصاحة العلمية

ونوعيته من خلال الوقوف على مقومات ركنيه المتكاملين (العلمي واللغوي)، وهو ما يقتضي تناولهما مباشرة وغير مباشرة لاستخلاص الأركان الرئيسة التي تنهض عليها هذه الفصاحة العلمية، ولاستبيان ماهيتها وطبيعتها وصولاً إلى أحكامها وقواعدها وذلك في فرعين، أولهما: يعني بأصول الفصاحة ومقوماتها المباشرة. والثاني: يتناول أصول الفصاحة ومقوماتها غير المباشرة.

أولاً: المنظور العام للفصاحة العلمية

(١) أهمية الفصاحة العلمية في ضوء الفصاحة اللغوية البلاغية (سابقة الذكر)، على نحو ما سبق إيراده بخصوص "الفصاحة اللغوية": وأنها تعني الوضوح مطلقاً وتنبئ التزاماً عن الظهور والإبانة. بالإضافة لجماع معانيها الثلاثة التي تدور حول الوضوح في سلامة من غير لحن، والوضوح النقي من غير لبس، والوضوح المميز عن غيره، في بيان وطلاقة مقارنة بأي وضوح آخر، وكونها نعنا للألفاظ أو للكلام أو للمتكلم إذا وجدت على نحو معين من الشروط، وأنه إذا تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وهذا يوقفنا على مبدئين مهمين أولهما: أن الفصاحة تعني مطلقاً الوضوح، فحيثما كان الوضوح كانت الفصاحة، وكلما كان الوضوح أنقى في غير لبس، وأصفى في غير إشكال، وأبين من غيره كلما تعزز السياق الفصاحي وتعززت أساليبه أيًا كانت "لغوية" أو "لغوية علمية"، أو "لغوية علمية متأدبة" أو لغوية علميا أو لغوية علميا. ثانيهما: على قدر توافر الشروط الفصاحية تأخذ المفردات -يليهما الكلام والمتكلم- قسطها من النعت بالفصاحة، وعلى قدر سلبها تتحقق أضاد الفصاحة من الاستبدال والاطراح والذم والتعقيد اللفظي والمعنوي.. وسلف أن بينا انقسام الشروط إلى قسمين: الأول منها "يوجد في اللفظة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم

إليها شيء من الألفاظ تؤلف معه، والقسم الثاني يوجد في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض" (١)

وعلى هذا النحو السابق تفصيلا والآنف إجمالاً يمكن تناول "الفصاحة العلمية" مع اختلاف في المصدرية العامة وفي الأهداف العلمية الأساسية وفقاً لمفهوم "العلم" ومقوماته وخصائص المعرفة العلمية باعتبارها جوهر هذه الفصاحة وغايتها، وهي تتمايز هنا عن مقومات الفصاحة اللغوية أو الأدبية التي مصدرها النماذج الفصاحية العربية المستقرة فيما سارت به الركبان من الآداب شعراً ونثراً، وغايتها الوضوح إلا أنه الوضوح الأدبي العام أو الذاتي أو الوجداني الانفعالي أو الوضوح الاجتماعي وفقاً للحس الشائع.. فالفصاحة العلمية على هذا النحو - فيما نفترض - لا تضيف لـ "المعرفة العلمية المحققة" معطى جوهرياً جديداً خلا عن الوضوح والنقاء والنصاعة في غير لبس ولا استشكال؛ لأن المعرفة العلمية المنظمة تقوم على الموضوعية الدقيقة ولا تحيد عنها، وإنما يؤمّل من "الفصاحة العلمية" التي تقوم على مقومات معرفية موضوعية وصلاحيات علمية أن تعزز من خصائص المعرفة العلمية، وأن تؤيد مدلولاتها وتفرض مقتضياتها من خلال الأوعية العلمية والفعل المعرفي والممارسة العملية (تفكيراً وتعبيراً وتفسيراً)، وذلك عن طريق خزن المعاني العلمية في مفردات مناسبة (مفاهيم ومصطلحات وألفاظ مطابقة ومقاربة، وألفاظ لغوية محايدة) لا تحمل تضاداً أو اشتراكاً أو لبساً وإشكالاً في أصل معناها، ولا تنطوي على مخالقات لغوية أو صرفية أو دلالية... بما يضمن وضوح الخطاب العلمي (منطوقه ومكتوبه)، وسلامة الاستدلال بمفرداتها وتراكيبها على المعاني العلمية في موضوعية ومنطقية ودقة ووضوح وصراحة.

(١) سر الفصاحة ص ٦٣ .

وهو ما يشير إلى أهمية الفصاحة العلمية وأن لها دورا لا يستهان به ولا يمكن الغفلة عنه في تعزيز "الوضوح العلمي" وفي ضمان عدم اللبس في فهم وتداول المعرفة العلمية ومخرجاتها على المستويين العلمي المتخصص وعلى المستوى التعليمي وذلك المستوى الثقافي العام، فهي حينئذ ضامنة النقل الواضح للبيان العلمي، والأمانة على وضوح أوعيته وأشكاله الكتابية والشفافية من حيث أطرها الأولى الفلسفية ثم النظرية ثم المفاهيمية وما يتعلق بذلك من وضوح ظواهر العلم ومناهجه ومخرجاته وارتباطاته وتطبيقاته، ونهني تلك المكانة بالإشارة إلى أن المفاهيم والمصطلحات العلمية على سبيل المثال هي البنية الأولى والأساسية للمعرفة العلمية والعلم بالنظر إلى تعريفه الدينامي، وأنه سلسلة متشابكة الحلقات من المفهومات والإطارات النظرية التي طورت ونمت نتيجة للملاحظة والتجريب . وهي سلسلة مفضية إلى المزيد من الملاحظات والتجريب^(١)، ومن ثم كانت المفردات العلمية أو المفاهيم هي المحل الأول للفصاحة العلمية كما المفردات في عمومها محل الفصاحة اللغوية بالإضافة إلى الكلام العلمي والمتكلم العلمي، وأي لبس أو إشكال يمكنه أن يتخلل هذه البنى المفاهيمية الأولى .. فهذا يعني إمكانية أن يحدث لبس في كل ما سوف يبني عليها من المبادئ والقوانين والتعميمات اللاحقة عليها، وهو ما يعني فقد الموضوعية والمنطقية والدقة والشمول والموثوقية العلمية .. وهو ما يعني أيضا بصريح العبارة فساد المعرفة وتحولها إلى معرفة "لا علمية" أو معرفة علمية "منقوصة"!! تلك كانت فقط إشارة إلى مجرد عياب الوضوح العلمي والفصاحة العلمية عن المفردات فضلا عن الكلام العلمي والخطاب العلمي في عمومه، بما ينبهنا إلى عظيم أثر "الفصاحة العلمية" وجدارتها بالدرس والتأصيل والتنظير.

(١) د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ص ٤٤، ٤٥ ط١، دار الثقافة: القاهرة ١٩٨١م،

وقارن 5 - 24 . Conant , Science and Common Sense , PP .

(٢) المعنى الفلسفي للفصاحة بعامة والفصاحة العلمية بخاصة:

للفصاحة بمعناها العام أصل فلسفي عميق، فهي تعني الوضوح والظهور والبيان الخالص النقي من كل شوب "وَكُلُّ وَاضِحٍ مُفْصِحٌ"^(١) على ما سبق، والوضوح مفهوم مركزي بالنسبة للإنسان، فـ"الناطقية" في تعريفهم: "الإنسان حيوان ناطق"^(٢) تعبر عن رؤية الإنسان العاقلة للأمور بوضوح، ومعالجتها -أي كانت تلك المعالجة شريطة أن تكون معقولة- واتخاذ موقف منطقي منها، والتعبير عنها بوضوح، وبما أن استقبال المعرفة ومعالجتها من الأمور غير المرئية، فلا يستدل عليها إلا باللغة، ومن ثم كانت اللغة صورة الفكر والفكر جوهرها^(٣)، ويقدر وضوح التعبير (الكتابي أو الشفاهي) يكون الاستدلال على الناطقية أقوى وأوثق، ومن ثم كان "الوضوح" بمعنى صفاء المعنى أو خلوص المعطى (أي كان) ونقائه عن "الشوب" -وهو معنى عام لكل ما يعاكس الوضوح وينافيه- علامة الناطقية وعلى وفور العقل المفكر ووفور اللسان المعبر.. و ضد ذلك "اللا ناطقية" بمعنى سحب هذه الملكة أو الطبيعة الناطقية بما يرفع عن الإنسان جوهر إنسانيته ويصبح ذا حالة خاصة من مرض عضال "التوحد" مثلا، أو الجنون أو غير ذلك من العوارض بما يرفع عنه القلم فيما يراه وفيما يتبعه وفيما يمارسه ويعبر عنه. وقد عبر القرآن عن البيان ونوه أنه من نعم الله تعالى على الإنسان وأنه خصيصة له من جملة خصائص تكريمه ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٤] وفي سياق قصة موسى وفرعون أقر موسى بقلته فصاحته وطلب من الله عون أخيه

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة مادة (ف.ص.ح).

(٢) شرح القويسني على السلم المنورق للأخضر، لأبي عبد الله، أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ٤/٥ بترقيم الشاملة.

(٣) انظر د. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي ج ١ المقدمة بطولها، ط مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة ١٩٦١م.

هارون لأنه أفصح منه لسانا ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْتُهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [الفصص: ٣٤] وحكى القرآن عن فرعون استرداله لمن هو لا يكاد يبين ولا يفصح عما لديه ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [سورة الزخرف: ٥٢]، وهو ما يعزز أطروحة كون الفصاحة خاصة إنسانية و"ناطقية" بها كرم الله البشر^(١)، وهو ما يدل على أن الوضوح شديد الاتصال بالناطقية الإنسانية، فكما أن الإنسان ناطق عاقل فهو أيضا كيان متبين مستكشف يبحث عن المعاني النقية والحقائق الواضحة، ولا يستسيغ الاستشكال ولا يشبع نهمه المعرفة الملبسة، فهو كائن مندهش لا يكف عن التساؤل والاستكشاف والاسترسال والمجادلة بشكل كل ما يمكنه معرفته لكي يقف على حقيقته وماهيته، ومن ذلك يأتي العمق الفلسفي للفصاحة وأنها خاصة إنسانية تتعلق بالبيان الذي اختص به الإنسان وهو ما تعبر عنه اللغة الفصيحة سواء الاجتماعية أو الأدبية أو اللغة العلمية أو اللغة العلمية بأساليبها المتأدبة.

(٣) **المفاهيم الأساسية المرتبطة بالفصاحة العلمية**، من خلال الوقوف على مقومات الوضوح العلمي تبين لنا أن هناك إطارا مفاهيميا عاما يحيط بالفصاحة العلمية ويرتبط بها ويعمل على تشكيل طبيعتها وماهيتها، وهو ما سوف نركز على مفاهيمه الرئيسية والتي تعدُّ بمثابة أصول هذه الفصاحة العميقة وإحدى مقوماتها العامة، مع تفريدها موضوعيا إلى أصول ومقومات مباشرة وأخرى غير مباشرة على ما سيأتي تفصيلا، ويمكن تصنيف هذه المفاهيم إلى:

(١) قارن بعض ما قاله عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ص ٣، الفقرة (١)

أولاً: المفاهيم الأساسية المباشرة للفصاحة العلمية، ويعبر عنها مجموعتان:

الأولى: (العلم و"المعرفة العلمية" - "اللغة العلمية" - "الفصاحة العلمية"،

"الفصاحة العربية العلمية") ويمثلها هذا الشكل :

الفصاحة العلمية

الفصاحة العربية
العلمية

الفصاحة
العلمية

اللغة
العلمية

الوضوح العلمي

المعرفة
العلمية

الثانية: خصائص "اللغة العلمية" وهي خمس: (الموضوعية - الدقة -

الوضوح - المنطقية - الصراحة والمباشرة)^(١).

ثانياً: المفاهيم الفرعية، وهي مقومات لاحقة تتكامل مع المقومات

الأساسية المباشرة قبلها وأبرزها: ١- المنهج العلمي. ٢- الوظائف المنهجية

وعلى الأخص (الوصف، التفسير). ٣- مصادرات المنهج (النظام - الشمول

واليقن - السببية - العلية الحتمية . النظام . الاطراد). ٤- الأبنية المنهجية

العلمية حيث (الوقائع، المفهومات، الفروض، القوانين، النظريات) ٥- وأدوات

المنهج (الملاحظة والتجربة..). ٦- لغة العلم حيث "الرياضيات" ومتعلقاتها

الأساسية^(٢). وهذا بعض التفصيل لأبرز تلك الأسس المباشرة وغير المباشرة؛

(١) انظر النظرية العامة للغة العلمية ، وثيقة (٢) ووثيقة (٣) الدقة العلمية، وانظر د.

زكي نجيب محمود : أسس التفكير العلمي، ص ٧، ٨ ط دار المعارف، د.ت (التجريد

والتعميم) والصفحات (٣٦-٣٨٩).

(٢) هذا بالإضافة إلى المبادئ والمعاني المتفق عليها في فلسفة العلم ومنهجيته، وهي

معان مشتركات تجمع بين العلم والمعرفة العلمية والتفكير العلمي، وأبرزها: ١-

اعتماد التجريبية (حيث لأدلة التجريبية والملاحظة). ٢- مبدأ الموضوعية: (نفي الذاتية

وتعزيز الحياد). ٣- النهج المنهجي: (المنهجية المنظمة الموثوقة). ٤. القابلية للتكرار

نظرا لأهميتها وأدوارها البارزة في تحديد ظاهرة الوضوح وتأطير "الفصاحة العلمية" والتكشيف عن ماهيتها ومقوماتها، ولا يعني كونها "غير مباشرة" أنها بعيدة عن التأصيل للوضوح العلمي اللغوي، بل هي في جوهره أيضا، فجميع هذه المفاهيم والمصطلحات السابقة تتشارك في تشكيل الإطار الفصاحي العلمي، وهي أيضا مقومات رئيسة ومباشرة بالنسبة للصلاحيات العلمية التي تحكم السياق اللغوي وفصاحته نظرا لتوسع اللغة العربية على وجه الخصوص وتنوع أساليبها ووفرة مكناتها اللغوية والفصاحية والبلاغية.

المطلب الثاني: ماهية "الفصاحة العلمية اللغوية وإطارها المفاهيمي.

الفرع الأول: الأسس العامة للفصاحة العلمية وعلاقتها بالوضوح العلمي.

الفرع الثاني: الوضوحان العلمي واللغوي ودورهما في تشكيل كيان الفصاحة العلمية.

الفرع الثالث: ماهية الفصاحة العلمية ومفهومها في ضوء أسسها ومقوماتها.

(ضمانة للموضوعية والموثوقية) ٥- التنبؤية: (من غايات العلم بناء على عمليات الوصف والتفسير. ٦- قابلية التنفيذ (ضمانة للموثوقية والموضوعية) ٧- القابلية للتغيير والتجديد (وفقا للمناهج وأدوات القياس الجديدة ووفقا لمعطيات العلم وأدلته الجديدة). ٩- الاتساقية (الاتساق المنطقي)، تقدير التماسك والترابط والاتساق المنطقي في الأساليب والاستدلال والاستنتاج. ١٠- التحقيقية (لضمان الموثوقية والتقييم النقدي للدعاءات) ١١- الحياد الأخلاقي بعيد عن التحيزات والانفعالات تحقيقا للموضوعية. ١٢- المعيارية العلمية حيث التكميم والمقايسة العلمية ١٣- ضرورة التواصل المعرفي، حيث لا يمكن التحقق من معرفة خفية لدى أصحابها يمنع خروجها وهنا تتجلى اللغة العلمية لضمان التواصلية العلمية، راجع بشأنها صلاح قنصوة: فلسفة العلم، د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي.

الفرع الأول: الأسس العامة للفصاحة العلمية وعلاقتها

بالوضوح العلمي.

يمكن بناء على ما سبق وانطلاقاً عن مفهوم "الوضوح العلمي" القول بأن كل ما يشير أو يدل على "الوضوح العلمي" فهي يعدُّ مصدراً من مصادر "الفصاحة العلمية"، وكذلك: فإن كل ما يعدُّ مقوِّماً "للغة العلمية" يعدُّ مقوماً للفصاحة العلمية مع تفصيل في ذلك، فإن كان هذا المقوم يتصل مباشرة بمفهوم "الوضوح العلمي" فهو إذن مقوم مباشر للفصاحة العلمية وإن لم يكن يتصل به أو بـ"اللغة العلمية" فهو مقوم غير مباشر وهو معتبر ولازم أيضاً في ضوء المقومات والأصول المباشرة الصريحة، ومن هنا تعد "اللغة العلمية" -وقبلها الوضوح العلمي- الأساس الجوهرى المباشر للفصاحة العلمية -والبلاغة العلمية حال افتراض وجودها وتشكل إطارها النظري العام^(١) - لأن "الفصاحة" تنتمي بالضرورة إلى علوم "اللغة" بعامة وعلوم البلاغة على وجه الخصوص، وفي السياق العلمي تنتمي "الفصاحة العلمية" إلى "اللغة العلمية" لزوماً، فهي فرع عنها ينحكم بخصائصها ويعاير بمعاييرها ويتبع نماذجها، أما عن أسسها العامة فهي على ما يلي:

الأساس الأول: العلم وهو المقوم الأساسي العام لـ"الوضوح العلمي" و"الفصاحة العلمية"، وعلى رغم تقرير ما سبق واعتماده فقد رأينا الرجوع للوراء خطوة للوقوف على الأصل العام المهيمن على تشكيل ماهية "الفصاحة العلمية" وجوهرها حتى وإن لم يكن أصلاً مباشراً لها إلا أنه حاضر وبقوة في كافة ما

(١) ونحن نفترض وجودها بناء على مستوى معين من مستويات الخطاب العلمي وهو ما يتعلق بالثقافة ونشر العلم بين المثقفين وغير المتخصصين أو ما قد يسمى بـ"شعبنة العلم" كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

يتعلق بأطر وتنظيمات أصلها المباشر "اللغة العلمية" .. وهو أصل "العلم"^(١) من حيث خصائص معرفته وتفكيره وأبنيته ومصادراته ومنهجيته .. وبيان ذلك في التالي :

(١) "العلم" من حيث أصوله ومتعلقاته ذات الصلة بـ"الوضوح" :

يأتي "العلم" باعتباره مضمونا ومنهجا وإطارا فلسفيا معرفيا عاما (نظريا ومفاهيميا وعمليا) أصلا عاما ومصدرا أوليا تنحكم به "اللغة العلمية" و"الفصاحة العلمية" و"الفصاحة اللغوية العلمية" وكل ما يتعلق بـ"دائرة العلم" عموما، ويعبر "العلم" بخصائصه ومنهجه ووظائفه ومصادراته وأبنيته المنهجية عن طبيعته وعن مقومات إطاره اللغوي (اللغة العلمية)، وعن تلك الخصائص العلمية تتشكل صلاحياته (الصلاحيات العلمية) على "اللغة العلمية" ونسُميها "الصلاحيات العلمية اللغوية" وهي: تلك المبادئ والمعايير والقواعد التي يفرضها العلم -بدقته وموضوعيته ومنطقيته وباقي خصائصه ومتعلقاته- على اللغة العادية (بغاياتها الاجتماعية وأساليبها المتنوعة وبفصاحتها وبلاغتها وتعدد طرائق إيرادها وبيانها وبديعها ..) ليحد من توسعها ولينتقي ما يتناسب منها مع حقله المعرفية المنظمة وفروعه العلمية المحددة^(٢).

(١) وهو أخص من المعرفة العلمية وإن كانا يتطابقان في بعض السياقات. وقد اعتمدنا في ذلك على مراجع فلسفة العلم والمنطق العلمي والتفكير العلمي.

(٢) وهنا تجد الإشارة إلى تلك المقومات العلمية التي تشكل هذه الصلاحيات العلمية اللغوية وأبرزها (المنهج العلمي، الوظائف المنهجية: (الوصف . التفسير . التنبؤ . التحكم) . مصادرات المنهج (الحتمية . النظام . الاطراد . مشكلة العلية)، الأبنية المنهجية (أ) الوقائع . (ب) المفهومات . (ج) الفروض (د) القوانين . (هـ) النظريات . أدوات المنهج (الملاحظة والتجربة) . لغة العلم " الرياضيات"، ولكل ما سبق علاقة بالفصاحة العلمية وبالأحرى بجوهر هذه الفصاحة وسرها ألا وهو "الوضوح".

ويمكن القول أنه في البدء كانت "اللغة العلمية" تقوم على اللغة العادية ثم بعد ذلك أخذت اللغة سياقات موضوعية لتحقيق الغايات العلمية فأطلقت الأسماء المعينة وهي "الاصطلاحات" ثم "المفاهيم" وجرت عمليات التصنيف والتفتيش اللغوي والتنسيق والفرز المنطقي متطورة في سياق علمي إلى مهمتها، حيث: "لا تبحث اللغة عن التماثل والاختلاف فقط بل عن النظام. وليس لها غاية نظرية فحسب، بل هي تمكننا من تواصل أفكارنا والتنسيق بين نشاطنا العلمي، فلها إذن مهمة غائية"^(١)، ولا يخفى أن "لغة الرياضيات" هنا هي لغة العلم الرسمية، وما ذلك إلا لخصائص تميزت بها دون غيرها استحققت بها هذا الشرف العلمي وتلك المكانة، فهي أدق في التعبير عن العلم ومعطياته ومنهجه ومفاهيمه ومبادئه وقوانينه ومخرجاته، وتتكامل "اللغة العلمية- العبارية" مع لغة الرياضيات في تحقيق الأهداف العلمية، ولكل منهما سياقه ومساقه الخاص في التعبير عن المعارف العلمية فبينما توفر لغة الرياضيات الدقة والوضوح القياسيين والقابلين للتجريد رقمياً للتعبير عن الحقائق العلمية توفر "اللغة العربية العلمية" وسيلة جيدة ومكاملة للتعبير عن "المفاهيم العلمية"، ووسيلة للتواصل العلمي المنضبط بين العلماء وطلاب العلم ومحبيه، إضافة إلى تمثيلها لنمط علمي منطقي محكم في عمليات استخلاص الدلالات العلمية من رموزها اللغوية وتفسير النتائج العلمية الكامنة في الوعاء اللغوي^(٢)، وحتى لا يطول التدليل فهذا موجز عن أثر المتعلقات العلمية على ظاهرة "الوضوح" والذي يمثل جوهر "الفصاحة العلمية".

نقلا عن صلاح قنصوة: . 4 - 263 . PP . Cassirer , Anessay ON Man , (1)

فلسفة العلم ص ٢١١

(٢) مع الاعتبار بأن كل وسيلة مما سبق تعتمد على موضوعها وسياقها وهدفها العلمي.

(٢) علاقة المقومات العلمية بظاهرة الوضوح :

هناك علاقة متبادلة بين الموضوعية والوضوح فبينما توجب الموضوعية الوضوح الموضوعي، كذلك يتجلى الوضوح في "الموضوعية العلمية" باعتبارها محايدة وتستند إلى وقائع ومعان خارج الذات لأنها تعني تحييد المشاعر والعواطف والانفعالات وتقديم الموضوع كما هو على حقيقته بما يعني الوضوح الطبيعي للظواهر والوقائع ومتعلقاتها، ثم يأتي المنهج العلمي الذي يقتضي تنظيمًا محددًا - لارتباطه بالمنطق - وخطوات واضحة في تناول العلمي والمعالجة العلمية وهو ما يستدعي وضوحًا في تناول والتحليل وفي المعالجة العلمية، وهذا ما يمكن التعبير عنه بوضوح أي بفصاحة علمية لغوية بالإضافة إلى لغة العلم الرقمية، وأيضًا تقتضي الوظائف المنهجية: (الوصف، التفسير) على وجه الخصوص نقل الوقائع وتقريرها على وجه دقيق وواضح وهما من غايات العلم الأساسية وتقوم اللغة العلمية الفصيحة، أي: الواضحة بدور كبير في هذا. ثم إن مصادرات المنهج (الاحتمية، النظام، الاطراد، مشكلة العلية) تقتضي جميعها النظام الصارم والتنظيم الواضح لكشف الحتميات العلمية والتعبير عن تحقق النظام وعن اطراده فضلًا عن بيان العلة والمعلول في تناول الظواهر وفي معالجتها وكلها تتضمن معنى الوضوح العام الذي يتوجب حصوله وحضوره الجلي في اللغة العلمية العبارية، كما تقتضي "الأبنية المنهجية" تحقق الوضوح في وقائعها، ودقة لغة مفهوماتها، ووضوح صياغة فروضها، وإحكام بناء قوانينها إن كان يمكن تمثلها في الوعاء اللغوي أو فيه مع اللغة العلمية الرمزية الرياضية^(١).

(١) انظر د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ص ١٤١ - ، زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي المقدمة ، محو ١ (مجالات مختلفة) من ص ٥ وما بعدها.

وكذلك يجب أن تصاغ النظريات العلمية بلغة واضحة ومنسقة لكي تستطيع نقل القصة أو الرواية العلمية في دقة ووضوح. ولا يخفى أيضا أهمية صياغات معطيات (الملاحظة والتجربة) باعتبارها أدوات المنهج العلمي بل هذه هي البوابة الأولى التي من خلالها تتجلى "اللغة العلمية" وفصاحتها نظرا للحاجة إلى خزن الحقائق والقيم العلمية القائمة على أساس تجريبي فضلا عن الحاجة إلى بناء الشمول واليقين باعتبارهما من خصائص العلم^(١). وفي الختام تعتبر "الرياضيات" هي لغة العلم الأولى المعاصرة نظرا لما تتسم به هذه اللغة من الوضوح القياسي ومن الخلوص عن الإشكال والإلباس، وهذا لا ينفي أبدا تكاملها مع اللغة العلمية العبارية والتي لا يستغنى عنها في تداول المعرفة بين العلماء وبين طلاب العلم وفي العمليات التعليمية وفي التثقيف وفي "شعبنة العلم".

الأساس الثاني: "اللغة العلمية" (من منظور خصائصها العامة) بناء

على ما سبق يمكننا الخلوص إلى اعتبار "اللغة العلمية" بمثابة المقوم المباشر الذي تنبثق عنه "الفصاحة العلمية" -وعلى نحو أدق يأتي "الوضوح العلمي" باعتباره أحد خصائص "اللغة العلمية" أساسا أوليا لـ"الفصاحة العلمية"، ومن ثم يمكن تعريف هذه الفصاحة والمضي في تأصيلها بناء على مقومات "اللغة العلمية"، وعلى خصيصة "الوضوح" التي تميزها إضافة إلى باقي الخصائص والمقومات غير المباشرة، معتبرين "الفصاحة العلمية" فرعا معرفيا تابعا لهذا الكيان الموسوم بـ"اللغة العربية العلمية" فهي تقوم عليه وتتأطر بأطره وتتمثل كافة خصائصه، ولا يتصور أنها تستقل عن هذه الخصائص في شيء لأن ذلك يعني انفلاتها عن المقوم العلمي وخروجها إلى الرحابة اللغوية الفصاحية والبلاغية والتي لا تمثل العلم في شيء إلا بصلاحيات علمية تعبر عنها مقومات

(١) قارن د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ١٧٧ .

العلم وخصائص اللغة العربية العلمية، وهو ما نخلص معه بالقول بأن هذا الكيان "اللغوي العلمي" المسمى بـ"الفصاحة العلمية" في صورته النظرية "النظرية العامة للفصاحة العلمية" يقوم بالضرورة على "اللغة العلمية" -الأصل القريب- بخصائصها الخمسة وعلى رأسها خصيصة الوضوح إضافة إلى باقي المقومات سواء اللغوية المناسبة للعلم أو غيرها، فهذا هو إطار الفصاحة العلمية الذي تدور في فلكه في كافة جوانبها .

(١) **الهرم الرباعي للغة**، يعتبر هذا الهرم الرباعي من مفترضات "اللغة العلمية" المباشرة ومن ثم فهو ذو علاقة بالفصاحة العلمية، وهو مكون من "مستويات لغوية" أربعة تشكل مدرجات "الهرم اللغوي" وقد افترضناها بناء على مراحل النشأة العمرية (البيولوجية والفكرية) للإنسان والتي تبدأ بالذاتية ثم الاجتماعية ثم بداية الاستقلال بالفكر ثم التفكير الموضوعي والفكر العلمي، وبناء عليه نفترض أن هناك أربعة مستويات (أو مدرجات) من الأدنى إلى الأعلى: المستوى الأول: اللغة الذاتية. المستوى الثاني: اللغة الاجتماعية المستوى الثالث: اللغة الوظيفية (الاستخدامية)^(١) المستوى الرابع: اللغة العلمية (الموضوعية) وفي كل مدرج من هذه المدرجات الأربعة هناك سلم لغوي ينضوي تحت أبوابه ويسلم إلى التالي، ف"اللغة الذاتية": هي الدرجة الأساسية وتمثل اللغة المبتدئة الناشئة مع كل ناطق في مهده تنمو بنموه وتتسع باتساع معارفه وتقوى بقوة يفاعه. و"اللغة الاجتماعية" مدرج أعلى من سابقه وسلمها عمومي (يعبر عن عامة أفراد الجماعة اللغوية في المجتمع) وقوامه العرف لاجتماعي التداولي للغة، و"اللغة الوظيفية" مدرج أكثر تخصصاً من سابقه "اللغة

(١) لهذا الهرم مبحث مستقل في بحثنا "النظرية العامة للغة العلمية" وثيقة مستويات اللغة، وانظر النظرية العامة للغة القانونية، ص ٣٨٨ وما بعدها، الجامعة الإسلامية بمبیسوتا ٢٠٢١م.

الاجتماعية العامة"، وهي أي: اللغة الوظيفية" لغة لها سياق مخصوص وهدف محدد ترمي لإدراكه وتشكل وفقا لما يحقق بلوغه، ثم تأتي "اللغة العلمية" (أو اللغة الموضوعية) في مدرج يقع أعلى الهرم اللغوي وينضوي على سلم لغوي نظامي تعبر عنه لغات ثلاثة (اللغة الوصفية/ أو التقريرية - اللغة المنطقية - اللغة الرياضية) وبناء على هذه المستويات وفي ضوءها يمكن ذكر خصائص "اللغة العلمية"^(١).

(٢) خصائص "اللغة العلمية" وروابطها مع "الفصاحة العلمية":

تتعدد خصائص "اللغة العلمية" بناء على تعدد مصادرها المستمدة من العلم ومنهجه وأطره ولوازمه.. ويمكن النظر إلى هذه الخصائص باعتبارها الأصل للفصاحة العلمية -بالإضافة إلى الأصول والأسس غير المباشرة- فهي تعبر عن العلم المكتوب والمنطوق وهي الترجمة اللغوية الأساسية لـ"الوضوح العلمي" وعليه يمكن القول بأن: كل دراسة لأي جانب من جوانب اللغة العلمية حيث الوضوح والتنظيم المنطقي والمنهجية والمباشرة.. لابد وأن يركز على "اللغة العلمية العامة"^(٢). باعتبارها نموذجا لغويا علميا عاما لا تتعلق بالفصاحة وحدها ولا بالمنطقية اللغوية وحدها ولا بالموضوعية اللغوية وحدها بل بكافة جوانبها

(١) الاستخدامية (التداولية)

(٢) واللغة العلمية هنا في هذا الطور باعتبارها الأساس الثاني للفصاحة العلمية ليست هي "اللغة العلمية الفصاحية" بعينها ولكنها أصل هذه اللغة، فهي المحل اللغوي العام الذي يعمل فيه العلم بكل خصائصه ومقوماته فيما يتعلق بالفصاحة وبغيرها، أما عن مصطلح "اللغة العلمية العامة" فقصدها به اللغة العلمية بجميع خصائصها ، إذ يمكن وصفها بناء على خصائصها في الآتي اللغة العلمية الواضحة، اللغة العلمية المنطقية، اللغة العلمية الموضوعية، اللغة العلمية الصريحة أو المباشرة ولكل نظريته وإطاره، أما اللغة العلمية العامة فهي اللغة المشمولة بكل هذه الخصائص.

الخمسة معا)، وفي افتراضنا أن "اللغة العلمية" في صورتها النموذجية مطوقة بخمس خصائص ذاتية هي (الموضوعية والدقة والوضوح والمنطقية والمباشرة) وهي مستمدة ابتداء من خصائص المعرفة العلمية ومقوماتها على نحو ما سبق، وهذه الخمسة مجتمعة هي أساس كل ما سيأتي الحديث عنه في الفصاحة العلمية أو في فصاحة اللغة العربية العلمية وفي "البلاغة العلمية"^(١)، وهذا يعني أيضا وجوب التأصيل لهذه الجوانب من خلال أبحاث ودراسات علمية مستقلة على شاكلة "نظرية الفصاحة العلمية" فلتكن هناك "نظرية الموضوعية اللغوية العلمية"، "نظرية الدقة والصرامة اللغوية العلمية"، "نظرية الترابط المنطقي اللغوي العلمي" بعامة أو في اللغة العلمية خصوصا، "نظرية القصد اللغوي العلمي" أو نظرية الصراحة/ المباشرة اللغوية العلمية، وذلك على مستوى الخطاب العامة بعامة ولسانياته الطبيعية - في غير لغته الرقمية- وكلها جوانب جديرة بالتناول والتنظير في ضوء "النظرية العامة للغة العلمية". وهذه نبذة عن مقومات اللغة العلمية وأصولها الخمسة:

(٣) أصول اللغة العلمية الخمسة وأثرها في "الفصاحة اللغوية العلمية":

أولها: "الموضوعية"

وهي تعبر عن الحياد العلمي بعامة والحياد اللغوي العلمي بخاصة وبما ينبغي أن تكون عليه "اللغة العربية القانونية" لغةً موضوعيةً تقريرية ووصفية صرفة، فهي محايدة لا تتبنى المواقف الذاتية ولا تعبأ بـ"الأحكام القيمية" التي تبني على المشاعر والانفعالات الذاتية. كما تعني الموضوعية اللغوية أيضا الحياد في نقل المعلومات والمعارف التي تتعلق بموضوع ما مستندة إلى الموضوع ذاته وإلى ظواهره ووقائعه وبياناته في غير تزييد انفعالي أو بيان بلاغي

(١) وهو موضوع بحث قادم بإذن الله تعالى وسوف نشير له في ثنايا البحث.

خارج عنه ، وهو ما يعني إمكانية التكرار ومراجعة هذه البيانات (عيانيا أو تجريبيا أو عقليا)، بناء على لغته الموضوعية الدقيقة والواضحة أيا كان وضعها (وصفية أو شرحية أو تفسيرية) لأنها تقوم على موضوع وعلى متعلقات هذا الموضوع من خلال أدلة حسية أو عقلية محددة غايتها وصف الموضوعات وخصم معارفها واستدعائها بناء على نظام تفسيري محدد^(١).

ثانيها: "الدقة" وتعتبر أبرز خصيصة لـ"اللغة العربية العلمية"؛ لأن الدقة والمطابقة والتكميم والمعايرة من سمات العلم الأساسية وهو ما تنقله "اللغة العربية العلمية"، تعني الدقة مطابقة اللغة (بمفرداتها وتراكيبها وعباراتها وسياقاتها) لموضوعاتها وقضاياها الخبيصة، ونظرا لأهميتها فقد خصصناها بحديث مفصل^(٢).

ثالثها: "الوضوح" وهو من الخصائص الأساسية أيضا لـ"اللغة العربية العلمية"، وبناء عليه فإن "اللغة العربية العلمية" لغة واضحة ظاهرة، لغة فصيحة نقية لا لبس فيها ولا غموض وهي تستوفي معايير تعريف الفصاحة سابق الذكر^(٣)، وضمن تلك الخبيصة الثانية تقع هذه الدراسة الماثلة "نظرية الفصاحة العلمية"، أو "نظرية الفصاحة اللغوية العلمية" مستقلةً بوضع إطار نظري لهذا "الوضوح العلمي" يقوم على تعيين أصوله وترسيم مقوماته وتكشيف مبادئه وتقرير قواعده للتأسيس والممارسة اللغوية العلمية في عالم الواقع اللغوي العلمي

(١) انظر في ذلك د. زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي مبحث (التفكير العلمي موضوعي ص ٤٣ وما بعدها).

(٢) انظر في ذلك د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي ص ٣٧ الخبيصة رقم (٥) باسم الدقة والتجويد ، د. زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي مبحث في أكثر من موضع من كتابه ص ٤٣ ، (التفكير العلمي موضوعي ص ٤٣ وما بعدها).

(٣) انظر ص ١٠ البحث.

حيث التفكير والتعبير والتفسير باللغة العربية العلمية، وجدير بنا الإشارة إلى تمايز الوضوح العلمي عن الوضوح اللغوي، فالوضوح العلمي موضوعي يعتمد على الوصف والمقايسة والمعايرة وتكميم البيانات بدقة حتى ولو لم تظهر دلالات هذا التكميم للجميع إذ يكفي أن يكون واضحا أمام المتخصصين حتى وإن لم يكن قابلا للوضوح أمام غيرهم. بينما يرتبط الوضوح اللغوي باختيارات لغوية وسياقات بلاغية ومعطيات أخرى لتوسيع طرائق الإيراد اللغوي، من خلال استعمال الأساليب البلاغية والتصويرية وتوظيف مكناات اللغة من خلال منظور خاص، ولأهميته البارزة فقد آثرنا تناوله على وجه التفصيل.

رابعها: "المنطقية- الترابط المنطقي" وهي خصيصة لازمة تقتضي أن "اللغة العلمية" لغة مترابطة متسلسلة، متسقة لا اعوجاج فيها ولا تناقض يتخللها، فهي تنأى عن ذلك بحكم محتواها الموضوعي ومنهجها العلمي، وتعدُّ تلك "المنطقية" جوهرًا ومظهرًا معا لـ "اللغة العلمية" بعامّة. ويمكن أن نسمي هذه "المنطقية" بـ "المعقولة اللغوية" أيضا، بمعنى أن النظامين اللغويين (البنائي والدلالي) يخضعان تماما للمنطق العلمي وللمنهجية العلمية، وأنهما يقومان على أساس موضوع المعرفة ومحمولاتها، وتقوم المنطقية اللغوية (أو منطقية اللغة العلمية) على الربط بين دلالات المفردات وجملها في تماسك لزومي وفي تسلسل معقول يقوم على الاستدلال المنطقي بعيدا عن التحيزات والذاتية والرؤى الشخصية أو الانفعالات التفضيلية^(١).

خامسها: "المباشرة" والصراحة، وهي أيضا من الخصائص التي تقتضيها دقة "اللغة العلمية" وتوجبها فصاحتها وموضوعيتها ومنطقيتها وكأنها

(١) انظر د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم المقدمة على وجه خاص من (ج-هـ)، وانظر تعليقاته في ص ١٠٦ وما بعدها عن علم العرب في العصر الوسيط ١١٦، د. زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي ٤٣، ٤٤.

ناتج عام عن الخصائص الأربعة السابقة مجتمعة، وتعتبر المباشرة عن "القصد اللغوي" (من الاقتصاد ومن التوجه نحو المراد أيضا)، وهو في معنى "الصراحة" وقصد الغاية دون الحشو أو التزيد أو الإطناب والإسهاب في غير داع من خلال تعدد إيراد المحسنات البديعية أو التشويقات البلاغية والأساليب البيانية، والقصد اللغوي العلمي يقوم على أساس القصد العلمي أيضا وعلى أساس عملية الوصف حيث: "يتفق الوضعيون بكل طوائفهم التقليدية والحديثة على أن الوصف هو مهمة المنهج العلمي الجوهري، فمثلا -ماخ- Mach يعتقد إن وظيفة العلم هي " الوصف الاقتصادي للوقائع التجريبية"، وهو يرى أن المعرفة العلمية ليست سوى أبسط ما يمكن من وصف للعلاقات بين "العناصر" بأقل جهد عقلي ممكن أي على أساس مبدأ "الاقتصاد في التفكير" Law of Parsimony^(١).

ومجموع هذه الخصائص هو ما يشكل عصب اللغة العلمية العديدة وتلك اللغة العلمية العبارية المكتملة والمتممة للأولى، والتي صيغت مخصوصا للعلم بمعطياته ومشمولاته وخصائصه وينظر إليها أحيانا على أنها من خلق العالم الذي يتحلى بصفات العلمية، بل ويستند بعض فلاسفة العلم إليها للتفريق بين الوقائع حيث: "يفرق بوانكريه بين الواقعة العُقل والواقعة العلمية على أساس من اللغة التي يعبر بها رجل العلم عن واقعته وهي لغة ملائمة وهو يخلقها عندما

(١) ويعتمد ذا المبدأ على فكرة "تصل أوكام" المشهورة، ويقصد ما بالعناصر من معطيات الحواس د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ص ١٤٤، ١٤٥. وقارن جيرالد هولتون، "ماخ وانشيتين والبحث عن حقيقة" ترجمة زهير الكومي عالم الفكر المجلد الثاني العدد الثاني سبتمبر ١٩٧١ ص ٤٧١، in "Feigl, Philosophy of Science" Outed in, Philostry, Edited by Schlatter, P. 476. -قنصوة-

يتدخل على نحو إيجابي فعال في اختياره للوقائع التي تجدر بالملاحظة على أساس من فاعليته الحرة"^(١).

والحاصل: أن خصائص اللغة العلمية تتشكل^(٢) بناء على مفهوم "العلم" وعلى طبيعة "المعرفة العلمية المنظمة" وخصائصها التي تميزها عن غيرها من المعارف اللاعلمية، وهو ما يدعم فرضيتنا إزاء هذا البحث بطوله والكامنة في أن "الفصاحة العلمية" تقوم جمعاء على مفهوم "الوضوح العلمي"، وأن "اللغة العلمية" بنظريتها وأطرها هي المعبر الرسمي عن هذا "الوضوح العلمي اللغوي"، وأن "الفصاحة اللغوية العلمية" في سياق اللغة العربية ما هي إلا فرع معرفي عن "اللغة العربية العلمية" بمفهومها العام فهي أقرب للتعبير عن جانب "الوضوح" في هذه اللغة، ومن ثم فإن نظريتها ما هي إلا نظرية مرتبطة بـ"النظرية العامة للغة العربية العلمية" باعتبار هذه الأخيرة إطارا عاما يجمع جوانب اللغة العلمية وهي الجوانب الخمسة التي عبرنا عنها باللغة العربية العلمية الواضحة أو الفصيحة، اللغة العربية العلمية الموضوعية، اللغة العربية العلمية المنطقية (ذات الترابط المنطقي)، اللغة العربية العلمية الدقيقة، اللغة العربية العلمية الصريحة أو المباشرة. وهذا هو ما يشكل نظرة البحث إلى "نظرية الفصاحة اللغوية العلمية" باعتبارها تابعة للنظرية العامة سابقة الذكر حتى وإن استقلت في اختصاصها بالتأصيل لظواهر الوضوح العلمي وتعيين ماهيته وأطره ومبادئه، من ثم يمكن تعريفها بأنها –أي "الفصاحة العلمية"– "كيان علمي لغوي" مشترك يؤصل لظواهر

poincare , la valeur de la science, p . 233 ^(١)نقلا عن د. صلاح قنصوة :

فلسفة العلم ص ١٨٣، في معرض حديثه عن الأبنية المنهجية للعلم وبينان الوقائع، ويضيف أيضا ولا ريب أن تلك اللغة التي يتحدث عنها " بوانكريه " ثمرة من ثمرات الإبداع الذي يهدف من ورائها إلى تعبير أفضل من أجل أهدافه وغاياته العلمية

(٢) وهي تلك الخصائص الجوهرية

"الوضوح العلمي اللغوي" ويعبر عن خصائصه الأساسية (العلمية اللغوية) معاً^(١). وهي فيما نفترضه نظرية علمية ذات أطر ومقومات تفسر ظواهر "الوضوح العلمي اللغوي" وتبرز عن سماته وخصائصه وتضع مبادئه وقوانينه التي يمكن من خلالها تحقيقه والتصدي لحل مشكلاته بطريقة علمية فنية .

الفرع الثاني: الوضوحان العلمي واللغوي ودورهما

في تشكيل كيان "نظرية الفصاحة العلمية"

الوضوح الأول: الوضوح العلمي، يأتي الوضوح العلمي باعتباره المفهوم الأوسع من مفهوم "الفصاحة العلمية" من حيث الأصل، وهو على هذا النحو لا يتطابق معها على المستوى العلمي الفني^(٢)، بينما يقع التطابق الحقيقي في "الوضوح العلمي اللغوي" وحينئذ نعبر عنه بـ"الفصاحة العلمية" بدلالة المطابقة، لأن هناك وضوح علمي مفترض عام في كل لغات العلم سواء في لغته الأساسية وهي "لغة الرياضيات" (وما اختيرت لغة أساسية إلا لوضوحها وقدرتها على استيعاب المعاني والدلالات العلمية العامة والمجردة والدقيقة)، ثم اللغة العبارية (وهي لغة الكلمات والعبارات والسياقات) باعتبارها لغة بعض العلوم الإنسانية الخالصة أو المتشاركة مع لغة الرياضيات، ومن ثم كان يلزم ذكر "الوضوح العلمي" مستقلاً باعتباره مقوماً عاماً للفصاحة العلمية وأحد أبرز خصائص "اللغة العلمية العامة".

(١) فالفصاحة القانونية أيضاً مفهوم يعبر عن الخصائص التي تعبر عنها "اللغة العلمية" عموماً و"اللغة العربية" خصوصاً في هذا السياق.

(٢) وأحياناً على سبيل المقاربة الإجرائية قد نجعله مطابقاً لها تجزئاً، والصواب أنها تطابق نوعاً من الوضوح "اللغوي العلمي المشترك" فحسب .

١ - تمايز "الوضوح العلمي" عن "الوضوح اللغوي": لا يقصد

بـ"الوضوح" في هذا السياق ذلك "الوضوح اللغوي" الذي يعتمد على مجرد اللفظ وملاحظة النظم وطرائق الإيراد البيانية المنفتحة على علوم البلاغة وإمكاناتها الأسلوبية، ولكنه "وضوح علمي" كما تقتضيه المعالجة والأصول العلمية ومبادئ "اللغة العلمية" وقواعدها، فقد تكون المعطيات من البيانات والمعلومات المستمدة من الظواهر والوقائع والمواقف مركبة على نحو يصعب على غير المتخصصين المتمرسين استيضاحها أو قد تكون النظرية معقدة بطبيعتها والمعطيات مركبة أو إن مشكلة البحث العلمي عويصة وفي غاية الصعوبة.. ومع هذا فثم وضوح لازم وفقا للموقف العلمي والمرحلة العلمية المستهدفة، وهو بالتأكيد "وضوح علمي" يخضع للاشترطات والمقاييس العلمية الدقيقة والمركبة حتى وإن بدت "النظرية" أو شيء من معطياتها معقدا.

وتعدُّ عناصر "الوضوح العلمي" أصلا ومرتكزا لـ"الفصاحة القانونية" باعتبارها من طبيعة علمية تتناولها فلسفة العلم ومناهج البحث فيه، كما وتمثل في ذات الوقت الأساس لمفهوم "الوضوح" في الكيان المشترك بين اللغة والعلوم "الكيان العلمي اللغوي"، أي: "الوضوح العلمي اللغوي" والذي نعبر عنه بـ"الفصاحة العلمية" على وجه المطابقة على ما سبق، وتمثل هذه العناصر "عناصر الوضوح" مركزا متقدما وسابقا على عناصر الوضوح اللغوي، وتستمد سبب تقدمها من تقدم "العلمية" المتخصصة على "اللغوية" العامة في كل ما يتعلق باستخدامات اللغة، ولقيامها على الموضوعية والدقة والمنطقية بالنظر إلى اتساع اللغة وتمدها واستيعابها كافة الاستخدامات العلمية والفنية (الذاتية والاجتماعية والحضارية) وقدرتها على التكيف مع الاستخدامات العلمية في كافة

حقول المعرفة والفروع العلمية دون إخلال بالأصول القاعدية اللغوية العامة^(١)، وعليه فإن "الوضوح العلمي" هو الأساس الأول المتقدم لـ"الفصاحة العلمية اللغوية" وهو يسبق "الوضوح اللغوي"، بل إنه مستقل يفرض شروطه ومعاييرها على "الوضوح اللغوي" فيما نسميه بـ"الصلاحيات اللغوية العلمية". وذلك في غير تصادم مع "القاعديات اللغوية العليا والأساسية" وهو ما نسميه "مبدأ احترام القاعديات اللغوية الأساسية" أو مبدأ "القاعدية اللغوية العليا"؛ إذ لا يصح أن تخرق هذه القاعديات وإلا فهذا يعني تصدعا في "الكيان العلمي اللغوي" المشترك الذي يجمع بين المقومات العلمية والمقومات اللغوية لـ"اللغة العلمية" وهو ما يعني بالضرورة تصدعا وتناقضا في كيان "الوضوح العلمي اللغوي" المشترك الذي يقوم على سابقه وعلى أسس الوضوحين العلمي واللغوي، وهو ما تنتفي معه صفة النظرية عن "اللغة العلمية" وعن "الوضوح العلمي اللغوي" وعن محتوى الإطار الذي وضع له، وهو ما يعني أو يقضي بأن مجموعة المعارف التي تتعلق بـ"اللغة العلمية" أو تلك التي تتعلق بـ"الفصاحة العلمية" معارف لا علمية وتقوم على غير أساس علمي، بسبب أنها تقوم على بيانات غير صحيحة وعلى معلومات غير صحيحة أو على منهجية غير علمية.

٢- **أساس "الوضوح العلمي"**: ينبع هذا الأساس ابتداء من مقومات العلم وخصائصه باعتباره محتوى ومنهجاً ونظرية وفلسفة، ومن خصائص "المعرفة العلمية الموضوعية" ذاتها، ومن خصائص "التفكير العلمي" وهي مستندات جوهرية وركائز أساسية لا بد وأن يقوم عليها كل تفرع لاحق يتعلق بالعلم أو بالعلمية ومتعلقاتها، ويأتي "الوضوح" بعامة و"الوضوح العلمي" بخاصة

(١) وقد عالجتنا هذه المسألة بمزيد من التأصيل والعمق في دراستنا " النظرية العامة للغة القانونية" ص ٣٢٠ وفي غيرها.

باعتباره المرتكز الجوهرى الأول الذي تقوم عليه "اللغة العلمية" بكافة متعلقاتها بداية من وضوح الألفاظ المفردة والتي تعبر علميا عن "الاصطلاح العلمي" و"المفهوم العلمي"، و"المفردة العلمية المحايدة" و"الروابط العلمية المنطقية" (حروف المعاني العلمية)، ثم "الجملة العلمية" و"التعبير العلمي" و"الأسلوب العلمي" و"السياق العلمي" و"النص العلمي" و"الخطاب العلمي العام" في كل صوره وتشكلاته.. ويرتبط الوضوح العلمي أيضا بالضرورة بباقي الخصائص العلمية لا سيما خصيصة "الدقة" فطالما يقال "الدقة والوضوح" ودائما ما يتبع الوضوحُ الدقة^(١) على ما سيأتي

٣- أما عن أهم جوانب هذا "الوضوح العلمي" والتي يتجلى فيها وبالأحرى يجب أن يكون فيها فهي:

أولاً: وضوح الموضوع العلمي وموضوعية ظواهره، ويقصد

بالموضوع العلمي مجموع الوقائع والظواهر بآثارها ومشمولاتها ومتعلقاتها المباشرة وما يتعلق بها من بيانات ومعلومات ومعارف، فهي مصدر هذا الموضوع أو المسألة العلمية أو ذلك الفرع العلمي محل المعالجة، وهذا يعني أن وضوح الموضوع العلمي إنما هو وضوح نسبي نظرا لكونه قيد المعالجة والتحليل العلمي، وهو ما تعبر عنه "اللغة العلمية" ابتداء بوضوح نسبي يزداد شيئا وشيئا مع المعالجة والتصنيف والتحليل وعمليات الوصف الأولية ثم الوصف العلمي الدقيق

(١) ويمكن أيضا أن تتبع الدقة الوضوح أحيانا وتفسير الأول أن العلم قياس ونقل أمين للظواهر الطبيعية وهو ما يقتضى معايرتها وتقويمها وقياسها في كل جنباتها وسلوكها الممكن يلي ذلك التعبير باللغة العلمية عن مخرجات هذه المعالجات القياسية، وبهذا تسبق الدقة الوضوح لأنها ما تؤدي إليه، إذ إن الوضوح وضوح علمي في الأساس لا وضوحا لغويا يتبع البلاغة أو يتبع التعريفات اللغوية المشهور

ثم التفسير العلمي الدقيق الذي تتحقق فيه كل الصفات العلمية من الموضوعية والدقة والمنطقية والصراحة.. ويتعلق ما سبق أيضا بما يسمى أنماط المعرفة^(١) وبالنسب لموضوعية الظواهر العلمية فهي تعني تعلق الوصف العلمي بموضوعه محل تناول تعلقا محايدا، ينقل ما يمكن الرجوع إليه أو ما يمكن التحقق منه تجريبيا أو منطقيا دون أدنى تدخل انفعالي أو تكييف وجدائي.. سواء كان في سياق العلوم الطبيعية أو في سياق العلوم الإنسانية، ويكون الوضوح أشد في السياق الأول وفقا للمنهجية الوضعية والوضعيين المنطقيين الذين تشددوا وأعلوا من قيمة الوصف في العملية العلمية حيث ذهب فمثلا - ماخ - Mach إلى أن وظيفة العلم هي " الوصف الاقتصادي للوقائع

(١) انظر: خالد حسن فرج ، آليات مقترحة لتطوير البحث العلمي في مصر في ضوء خصائص المعرفة ص ٥٨٥ ، كلية التربية ببها عدد ١٢٤ ، عدد أكتوبر ج ٢ ، ٢٠٢٠م، وفيه يذكر أنماط المعرفة الأول: المعرفة الصريحة (الظاهرة) : تعرف بأنها المعرفة الجامدة والتي يمكن التعبير عنها بالأرقام والكلمات المشتركة شكليا ونظاميا في شكل بيانات وتصنيفات ومواصفات وهذا النمط سهل الوصول إليه ونقله والمشاركة به مع الآخرين... وهو بالتالي محل للصياغة اللغوية العلمية ومحل للوضوح في أعلى درجاته، الثاني: المعرفة الضمنية ص ٥٨٦ وهي المعرفة الموجودة في عقول الأفراد وهي تشير إلى الحس والبديهة، والإحساس الداخلي، أي إنها معرفة خفية تعتمد على الخبرة ويصعب تقنينها ونقلها عبر الوسائط الإلكترونية، بل هي تنتقل بالتفاعل الاجتماعي.. وهو ما يعني نسبية الوضوح ونسبية العلمية والموضوعية في اللغة التي تعبر عنها، وهو ما يشير إلى أهمية اللغة العبارية في صياغة المعرفة الإنسانية على وجه الخصوص.

التجريبية^(١)، وأيد كارناب أن «العلم يبدأ بملاحظات مباشرة لوقائع مفردة، ولا شيء آخر يمكن ملاحظته»^(٢).

ثانياً: وضوح المنهج: وهو وضوح مفترض لأن المنهج في الغالب مستقراً ويتبع النظريات المستقرة والمشتهرة في كل علم، إلا في أحوال قليلة كأن يكون العلم جديداً أو هناك مشكلة أو معضلة تحتاج إلى التصدي لها بمنهجيات جديدة وباراديم جديد. كما أن المنهجية ذاتها تتضمن منطقتين استدلاليين استقرائياً أو استنباطياً.. إلى غير ذلك من الطرائق والأدوات يمكن تسميتها بـ"التقنيات المنهجية" وكلها مسائل دقيقة تخضع للاختبار والتحقق وتحتاج إلى أدوات يتم بها ومن خلالها تناول الظواهر العلمية وتحليلها ومعالجتها للخلوص عنها إلى العمليات العلمية المتعاقبة حيث التصنيف ووضع المفاهيم والجمع بينها في مبادئ أو قوانين إلى غير ذلك وبلغة مقارنة لصرامة المنهجية العلمية ودقتها تقتضي المنهجية الوضعية المتشددة معايير محددة بشأن "الوضوح العلمي"، تردها إلى مبدأ عام هو "الواحدية العلمية" وإلى مبدأ "التحقق" حيث يقرر الفيلسوف الوضعي رودلف كارناب: "أن المهمة الرئيسية لعلم العلم هي تحليل لغة العلم، بل إن مهمة الفلسفة بأثرها هي تنمية منطق ومناهج بحث العلم عن النحو الذي يحول أكثر مشكلات الفلسفة التقليدية إلى مشكلات العلم بحيث تكون مهمة الفلسفة تحليلاً للغة العلم"^(٣)

(١) انظر د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) محمود محمد علي: التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر، صدر هذا

الكتاب عام ٢٠١٤. وصدرت هذه النسخة عن مؤسسة هندواي عام ٢٠٢٣

(3) R Carnap , Art . Science Of Science In Dictionary Of Philosophy , Edited By D. Runes . ٢١١،٢١٢ ص : فلسفة العلم : صلاح قنصوة

ثالثا: وضوح الإطار النظري العام، وهو وضوح مفترض بناء على أنه يعبر عن جوهر "النظرية العلمية" التي تقوم عليها كافة إجراءات الممارسة العملية، وقد يكون هذا الإطار مفترضا ابتداء وذلك في النظريات العلمية المستقرة والتي تخضع لها الدراسات التي تتشارك معها في حقلها المعرفي، وقد يكون هذا الإطار ناتجا عن وضوح المنهجية ووضوح الموضوع وذلك في التأصيلات المبتدأة وفي عمليات إنشاء نظريات جديدة في موضوعات جديدة لا تنظير لها أو التي كان لها تنظير ويراد تحديثه وتطويره أو استبدال غيره به من خلال البراديم.

رابعا: وضوح الفلسفة العامة للمعرفة " وضوح فلسفة العلم" بالنظر إلى الفلسفة العامة، وهذا وضوح مفترض أيضا باعتبار أن الفلسفة هي أم العلوم وأن العلوم والمعارف تتناهي في تحليلها العميق إلى مبادئ وأصول فلسفية واحدة ومقاربية، ثم إن الفلسفات الكبرى مستقرة إلى حد كبير وهي مشبعة بالمفاهيم والدقائق التي تبين عنها وتكشّف عن أصولها ومساراتها وعن سردياتها ومخرجاتها وهو ما يعني وضوحها أو ما يوجب وضوحها على أنه "وضوح فلسفي" في المقام الأول، وهو بالضرورة جزء من "الوضوح العلمي" باعتبار الفلسفة أما للعلوم واتجاها عاما تنتمي معظم النظريات إليه.

خامسا: وضوح المخرجات: وقد ندعوه في بعض الأحيان بوضوح المعالجة والمخرجات هنا يمكن التفريق بين المعالجة وبين المخرجات وقد حرصنا على جمعها معا من باب الإيجاز، والوضوح هنا مفترض وهو يمثل أعلى درجات الوضوح وخاصة بالنسبة للمخرجات؛ لأنها مخرجات علمية محققة بناء على منهجية التناول وعلى آليات الاختبار والتحقق التجريبي أو المنطقي أو القياسي.. أيا كان ذلك، وهو ما يقتضي التعبير عن المخرجات بمفاهيم

واصطلاحات، وبروابط مفاهيمية واضحة ومحققة حتى وإن تعددت المفاهيم وتنوعت.. وهذا هو ما يقيم أبنية "اللغة العلمية"، ومن ثم فإن وضوح المخرجات من وضوح تلك المفاهيم بناء على تسلسها وتصنيفها وسبك حقائقها في مفاهيم مكثفة تجمع خصائصها الأساسية. ومن أبرز مرتكزات "الوضوح العلمي" أيضا تلك المرجعيات العلمية العامة: وهي مرجعية التجربة والاختبار أو ما يسمى "التحقق" ومرجعية "المنطق العلمي، فالمدرسة الوضعية "بقدراتهم المنطقية العالية استطاعوا ردّ العلم أولاً وأخيراً إلى الأسس المنطقية والتجريبية لتتكفل بتبرير المعرفة العلمية وتسويغها ووضع محكّاتها ومعاييرها"^(١) بالإضافة إلى التحقّقات المنطقية في بعض العلوم الإنسانية.

والحاصل: أن خاصة "الوضوح العلمي" من السمات العلمية البارزة التي تعبر عن موضوعية العلم وعن دقة أطره ومنهجيّاته ومخرجاته وهو ما يضيف عليها طابع الموضوعية ويميزها عن تلك الممارسات الذاتية شعرا أو نثرا أو عن تلك التعبيرات العامة الحرة التي يعبر عنها أصحابها في تحرر من قيود الموضوعية والبرهنة المنطقية، وأن أهمية هذه الخاصية - "الوضوح" بالنسبة

(١) توطين المنهجية العلمية: مقاربات فلسفية... تاريخية ومستقبلية، صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٩، وصدرت هذه النسخة الماثلة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤م. وفيه: "أنكرت الوضعية المنطقية أيّ دور للمراحل الأسبق من تاريخ العلم، وأصرت على قطع العلاقة بين فلسفة العلم وتاريخه. وبهذا استطاعت أن تُقوّس وتؤمّثل العلم الحديث الذي تشكّل في الغرب، وأن تفرضه بوصفه صلبّ الروح العلمية. وبقدراتهم المنطقية العالية استطاعوا ردّ العلم أولاً وأخيراً إلى الأسس المنطقية والتجريبية لتتكفل هذه الأسس بتبرير المعرفة العلمية وتسويغها ووضع محكّاتها ومعاييرها، مجردين ظاهرة العلم من أية أبعاد حضارية أو ثقافية أو اجتماعية أو قيمية، فليس يقترب من تفسيره إلا المحكّات المنطقية والتجريبية"

للمعرفة المنظمة والفروع العلمية- في كونها ناتجا عن الموضوعية والتي هي الخصيصة الأولى بل والأهم إذ بناء عليها يتمكن العلماء والباحثون من فهم النظريات العلمية وتقييمها على وفق نماذجها المعتمدة بناء على أسس علمية تمهيدا لتحقيق الممارسة العلمي وتطبيقها في عالم الواقع، وهو ما يعزز دور الوضوح اللازم في العلم والمعرفة العلمية والتفكير العلمي عموما وفي شقه المكتوب أو المنطوق خصوصا، كما لا يخفى دوره في تقليل احتمالات الفهم الخاطئ أو تأويل المعاني العلمية على غير وجهها إضافة إلى أدوره في إتاحة التداول العلمي وتبادل الأفكار ووجهات النظر والمقترحات بين العلماء المتخصص والباحثين بشكل موضوعي ودقيق.. ونشر العلم بين طلابه ومريديه فضلا عن جماهير المثقفين والمعنيين وغير المعنيين.

الوضوح الثاني: الوضوح اللغوي : يمكن تناول عناصر الوضوح العلمي اللغوي معا والفرق بينهما في الآتي:

يختلف "الوضوح العلمي الموضوعي" عن "الوضوح اللغوي" (الاجتماعي أو البلاغي) إذ يعتمد الأول على مطابقة الموصوف وعلى التكميم والمقايسة والمعايرة لبياناته ومعطياته بدقة حتى ولو لم تظهر دلالات هذه المطابقة وذلك التكميم للجميع؛ فيكفي أن يكون واضحا أو قابلا للوضوح أمام المتخصصين وإن لم يكن قابلا لذلك أمام غيرهم، بينما يرتبط "الوضوح اللغوي" باختيارات لغوية للمفردات والتراكيب ثم للعبارات والأساليب والسياقات الأدبية (وفي الغالب تكون سياقات بلاغية) إضافة إلى معطيات أخرى لتوسيع طرائق الإيراد اللغوي، من خلال استعمال الأساليب البلاغية والتصويرية وتوظيف مكنات اللغة من خلال منظور خاص للمعبر، على أن الأصل اللغوي للوضوح هو أصل مشترك بين العلم واللغة حيث يعني الظهور والبروز المادي المائل أمام العينين أو ذلك الوضوح

المعنوي الذي يمكن الاستدلال عليه، وهذا ما يعبر عنه المعنى اللغوي الوضعي في دلالاته الأصلية التي يقوم عليها جذر الكلمة وما اشتق منها قال ابن فارس: " (وضح) الواو والضاد والحاء: أصل واحد يدل على ظهور الشيء وبروزه" (١) ثم إن باقي المشتقات القائمة على ذات الجذر الثلاثي تبين عن الظهور والبروز والانكشاف أيضا فيقال: "وضح الشيء: أبان. وفي "الشجاج" "الموضحة"، وهي تبدي وضح العظم، واستوضحت الشيء إذا وضعت يدك على عينيك تنظر وهل تراه.. ووضح الطريق: محجته" (٢).

ويختلفان أيضا في أن "الوضوح العلمي" لازم وخصيصة أساسية بل صفة أولية جوهرية لا يتصور انفكاكها عن اللغة العلمية، بل وعن العلم -بالنظر إليه في ضوء ما سبق- بينما يمكن اعتبار "الوضوح اللغوي" صفة أو حالة للغة أولا -دون أن يشترط لموضوعها- فهي وصف للمفردات والتراكيب والعبارات اللغوية التي استخدمها المعبر ("الكاتب" أو "المشافة") دون إبهام أو غموض، وقد يستخدم غيرها.. فمثلا يمكن القول على سبيل المثال بأن: "الأديب طه حسين مشتهر على وجه الخصوص بدقة وصفه ووضوح عبارته". وهو ما يعني أداؤه اللغوي ونهج استخدامه للغة في المقام الأول، ويمكن أن يقال غير ذلك عنه على الأقل في بعض الكتابات المعينة أو في سياقات ما مخصوصة. وهذا بيان إضافي عن عناصر هذا "الوضوح اللغوي القاعدي" العام من خلال التفرقة بين نوعين من "الوضوح اللغوي".

أولهما: الوضوح اللغوي القاعدي العام، وهو يتعلق بمقومات "الوضوح اللغوي" للغة في عمومها من حيث كونها نظاما من الأصوات والرموز

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة ١١٩/٦

(٢) السابق نفسه.

يستعملها جماعة من الناس في التعبير عن أغراضهم وتلبية حاجاتهم على حد تعريف ابن جني^(١)، وعناصر الوضوح هنا تكمن في: ١- النظام والنسق العام الذي يشمل اللغة كلها وهو ذلك السنن اللغوي العام. ٢- مجموعة الأصول والمبادئ القاعدية التي تحكم مفردات اللغة وتراكيبها وجملها وعباراتها. مثل علوم النحو والصرف والمعجم في اللغة العربية. ٣- المنطق الذي يربط بين الرموز والأشياء وبين الرموز وبين بعضها البعض في سياقات ذات غرض معين وبينها وبين دلالات تلك الرموز وطرائق الاستدلال بها على معانيها فيما يمكن تعريفه بالتفسير.

ثانيهما: الوضوح المخصوص، وهو ليس عاما كسابقه، بل إنه وضوح

ذو أغراض معينة، ومجالات محددة تعالجها "علوم البلاغة" بعلمها الثلاثة البيان والمعاني والبديع، وفي قسم الفصاحة منها (الوضوح الفصاحي) حيث معالجة وضوح للمفردات والكلام والمتكلم، فهي معرفة لغوية بلاغية منظمة تتفرد بوضع أطر الوضوح اللغوي البلاغي بعامة والفصاحي بخاصة للمفردات (الألفاظ والتراكيب المفردة) -وليس للجمل والأساليب إذ هذا متروك للبلاغة وعلومها- ويتجلى هذا في المعايير والشروط التي توافق عليها فقهاء البلاغة والفصاحة

(١) تعريف اللغوي الكبير أبو الفتح عثمان بن جني «المتوفى ٣٩١هـ» وهو من التعريفات الدقيقة إلى حد بعيد. قال ابن جني في كتابه الخصائص باب القول على اللغة وما هي: «حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، هذا حدُّها»، وأورده السيوطي في كتابه المزهري في علوم اللغة ٧ / ١ في النوع الأول «معرفة الفصيح» الثابت والمحفوظ. تحقيق محمد جاد المولى، وأبو الفضل إبراهيم وعلي الجاوي، ط ٢ دار التراث د.ت. ونصه قال أبو الفتح ابن جني في الخصائص: حدُّ اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. ثم قال: وأما تصريفها فهي فُعلة من لَعَوْتُ أي تكلمت وأصلها لغوة ككثرة وقلة وثبته كلها لاماتها واوات..

مثل معايير " اللفظ الفصيح" أو "اللفظة الفصيحة" على نحو ما سبق، وهي معايير وشروط من طبيعتين:

الطبيعة الأولى: ذاتية تقوم على المتلقي إلى حد كبير، يتعلق حكمه بالفصاحة على الألفاظ أو الكلام أو المتكلمين وفقا للمألوف والمأنوس من الألفاظ بناء على الذائقة البلاغية السليمة، وجماع هذه المعايير قائم في الألفاظ التي تسلس أصواتها وتتشاكل إيقاعاتها وترشُق في ذاتها ليجمال جرسها الموسيقي وتأنسها الأذن ويطرب لها الوجدان، فهي إذن الألفاظ الخفيفة الرشيقة المأنوسة ذات الوقع على السمع والإلف والقبول وكل هذه معايير ذاتية تترك للأديب أو المنشئ^(١)، وهي كما سبق لا تتصل مع البلاغة العلمية في شيء؛ لأنها تقوم على معايير ذاتية غير منضبطة ولا مطرّدة، بينما تقوم "المعرفة العلمية" وما يتعلق بالعلم على "الموضوعية" والدقة والنظام والقابلية للتكرار والتحقق.

الطبيعة الثانية: موضوعية، وهي تقوم على محددات ومعايير عامة مطردة يمكن قياسها ومراجعتها بعيدا عن التفضيلات الذاتية والأحكام القيمية الشخصية، وهو ما يتماشى مع الموضوعية العلمية، وتتمثل أبرز هذه المعايير في: ١- الكلمات قليلة الحروف. ٢- الكلمات بعيدة المخارج في حروفها لئلا يشق النطق بها ويصعب استقبالها. ٣- الكلمات المتسقة مع المألوف من اللغة (المألوف المعجمي) على سنن الفصحاء. ٤- الكلمات المستعملة لدى الفصحاء

(١) ولعل المعري قارب هذا بقوله : من الناس من لفظه لؤلؤ..... يبدره اللقظ إذ يلفظ. ومنهم من قوله كالحصى.... يقال فيلغى ولا يحفظ. والأبيات في مقدمة أسرار البلاغة للجرجاني ، تحقيق الشيخ محمود شاكر، وراجع أحمد قبش بن محمد نجيب: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي ١١٠/٩ ترتيب الشاملة. وانظر عن هذه المعايير الذاتية البحث ص ٣٥

(بعيدا عن الألفاظ المهجورة والغريبة). ولكل مما سبق شرحه وتفصيلاته، وهي معايير موضوعية استفاض البلاغيون في شرحها والتأصيل لها وفي الاستدلال لها وعليها^(١)، وهذا جدول لإيجاز الفروق الأساسية بين الوضوحين العلمي واللغوي:

العنصر	الوضوح العلمي ^(٢)	الوضوح اللغوي والأدبي ^(٣)
التعريف	هو الظهور والبيان لمحل التناول العلمي ظهورا مقيسا يمكن التحقق منه بالملاحظة المباشرة أو غير المباشرة أو بالتجربة والاختبار أو منطقيا، فهو وضوح موضوعي يقوم على محددات علمية تضمن كشف المعنى العلمي	هو الظهور والبيان والانكشاف للشعور والوجدان والعقل، بناء على المقدمات اللغوية وعلى الأساليب وطرائق الإيراد، وهو يستند إلى مكناات لغوية أسلوبية تقوم على البلاغة والفصاحة.
أنواعه	يمكن تقسيمه إلى: ١- وضوح متحقق يمكن ملاحظته مباشرة أو غير مباشرة. ٣- ووضوح تجريبي، يمكن قياسه ومعايرته. ٣- وضوح منطقي يقوم على استدلالات منطقية صارمة.	١- وضوح قاعدي عام، يقوم على المكناات اللغوية وطريقة اللغة العامة في التعبير، وهو يستند إلى قاعديات اللغة المتفق عليها وهي "القاعديات الصوتية" و"الصرفية" و"المعجمية" و"النحوية"، ويمثلها: علوم الصوتيات والصرف والمعجم والدلالية والنحو وغير ذلك. ٢- وضوح خاص يتمثل في الوضوح

(١) انظر البحث ص ١٣، ١٤ .

(٢) د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي ٢٠، ٢١، د. زكي نجيب محمود: أسس التفكير العلمي، ص ٧، ٨ وما بعدها، د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم. حيث العلم: واللاعلم، وغير العلم Unscientific ما هو غير العلم Non Sceintifis وقد سبق ذكر المراجع التي تعالج باقي المعاني على طول البحث.

(٣) انظر على سبيل المثال أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية) لأصول الأساليب الأدبية صفحات ٣٥ فيما يتعلق بالأسلوب وعلوم البلاغة، والباب الثاني كله (٤٠ - ٥٠).

<p>الفصاحي أو البلاغي بالرجوع إلى قواعد الوضوح في هذه العلوم المتخصصة ضمن العلوم اللغوية العامة، فمعايير الفصاحة مثلا في الوضوح تمثل معايير خاصة بالنسبة للمعايير اللغوية العامة أو القاعديات اللغوية، وهي تنقسم بدورها أيضا إلى: أ- معايير ذاتية. ب- معايير موضوعية.</p>		
<p>يؤثر الوضوح اللغويّ البنية الأدبية والأساليب البلاغية التي تستهدف الوجدان وتثير الخيال وتداعب الشعور وتعزز العاطفة، مقدما المكناات اللغوية عن مقتضيات الترابط المنطقي . فهناك الحبكة الفنية (لا العلمية) ، وهناك "الرباط الشعوري" ويقدم على "الرباط الموضوعي" أو غيره بحسب موضوع وسياق اللغة الأدبية، وهناك "الوحدة الوجدانية" أو الشعورية بديلا أدبيا وفنيا عن "الوحدة الموضوعية" القابلة للتحقق، وهناك التماسك والانسجام والتطابق وكلها روابط لا تقوم إلا على أساسي وجداني سياتي يستمد من ذات الشاعر أو الأديب ويقوم على محض رؤيته وعلى طبيعة معالجته الأدبية.</p>	<p>يلعب العقل العلمي دورا كبيرا في خلق نظام الوضوح وفي إرسائه وذلك من خلال التفكير العلمي المنهجي ، ومن ثم فإن بنية الوضوح العلمي منطقية، تتبع ترتيبا معقولا بين المقدمات والنتائج، ومن ثم فإنها تتبع نسقا موحدا يركز على الترابط والتسلسل المنطقيين للأفكار، ويقوم على منطق الوضوح العلمي الذي ينبع من منهجية التنظيم المنطقي المنشأ من قبل "التفكير العلمي" أو "العقل العلمي" بناء على نهج الملاحظة والتجربة والتحليل والاستدلاليين الاستقرائي والاستنباطي الذي يُنشئه العقل البشري من خلال التجربة والملاحظة والتحليل.</p>	<p>١ البنية والتنظيم</p>
<p>المنهجية العلمية ومقتضياتها غير مشروطة في هذا الوضوح، فهناك منهجية أدبية وجانية تتشكل في نفس كل أديب، وهي ما تكشف له دروب الوضوح وسبله وطرائق التعبير عنه.</p>	<p>يتحتم قيام "الوضوح العلمي" على منهجية علمية مستمدة من مقومات المعرفة العلمية وأصولها لضمان الدقة والوضوح وعدم التناقض، وهي منهجية</p>	<p>٢ دور المنهج العلمي</p>

<p>ومن ثم تتمايز أنواع الوضوح في الأسلوب الأدبي فقد يكون وضوحا سليقيا نابعا عن الحدس وعن القناعة أو الإيمان، ولو استخدم منهاجها فهو ذلك المنهج الأدبي الوجداني الذي يقوم على الارتباط الشعوري وعلى إيمان وقناعة الأديب وعلى جوه النفسي.</p>	<p>تقوم على "التنظيم العلمي" الصارم وعلى محكات التجربة والاختبار، وعلى أسس من الاستدلاليين الاستقرائي التجريبي أو الاستنباطي الذي يستند إلى أصول منطقية وروابط معقولة.</p>	
<p>وضوح لغوي وجداني يستخدم القدرات اللغوية والمهارات البلاغية وأدوات التشبيه والتصوير ويركز على الشخصيات والمواقف والحكايات الأدبية في تلاحم مع الزمان والمكان وصولا إلى العقدة التراجيدية ثم الحل الذي يرضي المشاهدين أو المتفاعلين أو ذلك الحل الذي يراه الأديب مناسباً مع رؤيته الذاتية المتفردة. أو قصيدة مثل قصائد مجنون ليلي في محبوبته ومعشوقته وكيف برع في توضيح معاناته</p>	<p>وضوح موضوعي تجريبي يمكن اختباره والتحقق منه بالنظر إلى واقعه أو معطياته ، ومن ثم تستخدم فيه البيانات والتحليلات ويستوعب لغة الاعداد والرموز المعادلات والرسوم البيانية والجداول ، والأمثلة الافتراضية المنطقية لتوضيح الأفكار ودعم الفرضيات وتوثيق النتائج، فيما يمكن أن يسمى أحيانا بالتجربة الفكرية .</p>	<p>٣ الأمثلة والأدلة</p>
<p>قد يتداخل مع الوضوح العلمي ولكن لا تطرد صفاته ويغلب عليه الشخصية والأدبية ولا يشترط فيه المعقولة، وقد يصف الظواهر دون شرحها أو العمل على تفسيرها. إذ لا يمثل التفسير غاية من غايته وإنما يمثل الوصف الشعوري والاستبطان الوجدان غاية له أو جزءا من غاية التأثير في المتلقي.</p>	<p>موضوعي يقوم على الحياد وينأى عن التحيز والشخصانية، وهو منهجي يقوم أساس علمي ، وأبرز خصائصه أنه وضوح تقريبي تفسيري يقوم على وقائع معينة أو موضوعات محددة مقدما وصفا لها وتفسيرا منطقيا لسلوكها، مع التذكير بأن الوصف والتفسير من أبرز وظائف العلم.</p>	<p>٤ خصائص الوضوح عموما</p>
<p>جمهور اللغة الأدبية هم السادة الأديباء والقصاصون والرواة والشعراء وأصحاب الأقلام الأدبية في كل التخصصات ، وكذلك والمحبين</p>	<p>جمهور الوضوح العلمي هم السادة العلماء والمتخصصون والباحثون والمهنيون والمهتمون ممن لديه أساس</p>	<p>٥ الجمهور</p>

<p>للأدب وعموم الطبقات الاجتماعية لأن الأدب اجتماعي بطبعه وجهوره في الأساس هم أفراد المجتمع كافة .</p>	<p>موضوعي في أي من المجالات العلمية التي يعالج مضامينها ومخرجاتها الوضوح.</p>	
<p>تتعدد الأوعية الأدبية ما بين الشعر والنثر مثل (القص والروايات والتدوينات والمقالات والخطب والمقامات والخواطر الأدبية.. ومن أمثلة ذلك، المعلقات السبعة، ومقامات الحريري، وهي ٤٠ مقامة، ورواية "١٩٨٤" للأديب العالمي "جورج أورويل" إذ إنها تستخدم لغة أدبية بيانية لنقل أفكار وموضوعات مركبة وقد تبدا معقدة</p>	<p>الكتب العلمية أيا كانت موسوعات أو أعمال مفردة أو جريدة علمية (المجلات العلمية) إضافة إلى الأوراق البحثية والتقارير الرسمية والفنية والكتب والمقررات الجامعية والمدرسية والأدلة والإرشادات وغيرها..</p>	<p>٦ أمثلة على الأعمال</p>
<p>قد يستخدم الغموض اللغوي من أجل إثارة الحواس الوجدانية والمشاعر العاطفية والمخيل الذاتي لدى القارئ ، وهو ما يساعد على إلهاب الحماس وإثارة الأحاسيس . ومن ثم يأتي الغموض أو المرونة المعنوية لتعزيز الخطاب الأدبي وإثراء محتوى النص .</p>	<p>ليس من مجال للغموض في الخطاب العلمي أو من سبيل للتعقيد اللفظي الذي سوف يتبعه بالضرورة تعقيد معنوي يؤثر على المعطيات والمخرجات العلمية الموضوعية . مع ملاحظة أن الوضوح إنما هو وضوح علمي يقاس بالمعايير العلمية لا بالاتصال المباشر إذ لا يخفى أن هناك صعوبات إلى حد ما في بعض النظريات العلمية .</p>	<p>٧ احتمالية الغموض في الخطابين العلمي والأدبي</p>
<p>دوره عميق في تعزيز الفهم والتفهم من خلال الإقناع العاطفي ومداعبة الخيال والوجدان، وهو ما يترك تأثيرا ذاتيا وعمقا فرديا وجدانيا. يعدّ الوضوح اللغوي الأدبي وسيلة مهمة وغاية لإحداث التأثير في المتلقي والدفع به نحو التفاعل الوجداني وفقا لمنظور الأديب</p>	<p>دوره أساسي في استيعاب المعرفة العلمية المنظمة من خلال خطابها الشفاهي والتحريري، ومن ثم تيسير الفهم والتفاهم العلمي للخطاب العلمي وللتداول المعرفي بين العلماء والمتخصصين، مع خضوعه لمبدأ إمكانية التنفيذ والقابلية للتحقق</p>	<p>٨ التأثير على الفهم</p>

	والمحاكمة العقلية والمنطقية	
ليس على سبيل الإلزام فقد يكون وضوحا سليقيا نابعا عن الحدس وعن القناعة أو الإيمان	يتحتم قيام الوضوح العلمي على منهجية علمية مستمدة من مقومات المعرفة العلمية وأصولها لضمان الدقة والوضوح وعدم التناقض	٩ دور المنهج العلمي

وجددير الإشارة أن هذه الفوارق لا تنفي أبدا أو تضاد إمكانية تأسيس كيان معرفي وإطار نظري جديد من المتشابهات بينهما نظرا لتعدد وجوه الوضوح اللغوي ومرونة اللغة وسماحها بالاستخدام العام لمكُنَّاتها وطرائقها في التعبير عن الذاتيات والاجتماعيات وعن الاستخدامات الموضوعية والعلمية، وهو ما يساعد على تشييد هذا الكيان بناء على جملة معايير "الوضوح اللغوية الموضوعية" ومقومات "الوضوح العلمي" ومعاييرها، وليس يخفى ما لهذا الإطار من أهمية في حكم مبادئ "الوضوح اللغوي العلمي" وضبط وقواعده والتي بدورها تقوم على حكم ما يقع تحتها من ظواهر، هذا بغض النظر عن مسمى هذا الكيان المشترك بينهما سواء أكان "الفصاحة العلمية" أم بـ"الفصاحة اللغوية العلمية"

الفرع الثالث: ماهية الفصاحة العلمية ومفهومها

في ضوء أسسها ومقوماتها

يأتي تعريف الفصاحة العلمية ومتعلقاتها باعتباره فرعا عن تصورهما وعن إدراك طبيعتها وقد تحقق هذا التصور وذلك الإدراك إلى حد معقول من خلال رصد مبدئها وانتسابها العلمي وأصولها ومقوماتها البعيدة على نحو ما سبق، وهو ما عبّد الطريق لنا لوضع هذه المفاهيم، وبناء على أن "المفهوم" هو وحدة البناء العلمي الأولى فهو يمثل سلم الصعود المعرفي بالملاحظات لاكتشاف روابط ثابتة نسبيا بين صفات الظواهر وخصائصها، وللارتقاء بهذه الروابط وترميزها عن

طريق صوغ المفهومات أو تعديلها أو توسيعها وفقاً لسياقها المعرفي".^(١) وهو ما يعني أن إنتاج المفاهيم هو المرحلة الأولى في سبيل تشييد البنيان العلمي النظري وفي تحقيق الوظائف العلمية الأكثر تعقيداً وخاصة التفسير والتنبؤ، وهذا ما نشرع فيه في المحاور التالية:

أولاً: ملحق تاريخي تأسيسي: بعد التناول السابق وقبل ترسية مفهوم "نظرية الفصاحة العلمية"، وجملة المفاهيم المنتظمة المطابق والمتكاملة معها ("الفصاحة"، "الفصاحة العلمية"، "الفصاحة العلمية اللغوية" أو "فصاحة اللغة العلمية"، "الفصاحة اللغوية العربية العلمية" ويقاربها "فصاحة اللسان العربي العلمي" أو "فصاحة اللغة العربية العلمية")^(٢) رأينا ضرورة التمهيد بالآتي للتأسيس لفهم أكثر عمقا إزاء مفهوم الفصاحة اللغوية، أو "فصاحة اللغة العربية العلمية" وامتداده إلى جذور تاريخية واستناده على أسس موضوعية تدعم فكرتها وتعزز مسيرتها:

(١) قديماً كانت اللغة العربية صفواً بين أهلها وبين قبائل متعاهدة وأخرى متحاربة، ولكل قبيلة خصوصيتها اللغوية في بعض الأمور وهناك اللغة

(١) انظر د. محمد عبد الكريم الحسيني: إشكالية المفاهيم ومقومات التكامل بين العلوم القانونية والعلوم الرقمية (دراسة تحليلية في التحديات والمقاربات – مفهوم "العدالة القانونية الرقمية" نموذجاً) مجلة الجبل العلمية العدد السادس ٢٠٢٤م، وقارن دكتور صلاح قنصوه: فلسفة العلم ص ١٨٥، وانظر ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٢) يمكن استدعاء ما سبق من المصطلحات على المستوى التطبيقي في المجال القانوني حيث "الفصاحة القانونية"، و"عنها" "الفصاحة العلمية القانونية"، "الفصاحة اللغوية العلمية القانونية" أو "فصاحة اللغة العلمية القانونية" .. "فصاحة اللسان العربي القانوني" أو "فصاحة اللغة القانونية العربية العلمية" ويمكن اختصار هذه الأخيرة في "فصاحة اللغة القانونية" باعتبار أنها تعبير موجز عن مصطلح "اللغة العربية العلمية القانونية".

العربية العامة التي كانوا يتداولونها معا، وكانت العرب تتبارى بها في سوق عكاظ في مواسم الحج والتجارة، ومن ثم كانت استخدامات اللغة ابتداء فطرية عفوية أو اجتماعية تواصلية أو تأثيرية أو أدبية مقننة من قبل الأدباء، ثم جاء الإسلام فأودع النص المقدس الخاتم الذي هو القرآن وهو كلام الله عز وجل ذلك الوعاء اللغوي العربي واختير اللسان العربي دن غيره من الألسن لحكم معلومة وأخرى غير معلومة، أبرزها حكمة الإعجاز اللساني في التعبير والنظم وفي البيان لغاية والتعقل والتيسير والتذكر كما نصت الآيات (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [يوسف : ٢] فاستقرت اللغة استقرارا مقدسا بقديسية القرآن وأصبحت نظاما مستقرا وعلميا لازما ومحل اجتهاد أدبي وشرعي، ثم نبغت الحضارة الإسلامية ودونت العلوم وعربت علوم الأمم الأخرى وترجمت، فاستخلص العلماء من ألفاظ اللغة ومن تراكيبها الناقصة والتامة ما يلائم تلك الترجمات وما يناسبها، فانتشطت "اللغة العربية الوصفية" ذات المضمون الموضوعي والعلمي ، ونقصد بـ"الموضوعي"، أي: التي تحمل أوصافا لمعرفة ما أيًا كان موضوعها، وهي معرفة مؤتلفة على نحو كبير من التنظيم العلمي، مستقلة بالتصنيف، ولها مصطلحاتها ومسائلها ودلائلها .

وقد نمت "اللغة العربية العلمية" نموا كبيرا واستوعبت كافة المعارف في عصرها منذ عصر التدوين العباسي حتى سقوط بغداد، وانتقال العلم العربي إلى الغرب ، وشيوع التقليد والجهل في الأمة وانغلاق باب الاجتهاد وأقول الإنتاج العلمي العربي الإسلامي. ولما كان عصر النهضة بداية من سنة ١٨٠١م بتولي محمد علي للحكم وابتعثات البعثات والشروع في التعريب والترجمة حتى بدأت اللغة العربية تعيد سيرتها في الوصف الموضوعي ومسيرتها في الانتقاء والتأليف العلمي ومن ثم كان رفاعة الطهطاوي ومدرسته في الترجمة وتدبير محمد علي الإدارية توجب على كل مبتعث أن يترجم كتابا في تخصصه وهكذا بدأت المسيرة

ثانياً، ثم ما لبثت أن توقفت هذه اللغة عن الإبداع بناء على ما توصلنا إليه من في دراستنا الموسعة عن " النظرية العامة للغة القانونية - أصولها وأحكامها وواقعها القانوني المعاصر" إذ رصدنا خمول الإبداع اللغوي الوصفي بل والأدبي على المستوى القانوني على وجه الخصوص منذ سنة ١٩٨٠م تقريباً حيث توارت الخطاب العربي الفصيح أو ذلك الخطاب الرصين وارتكست اللغة القانونية على وجه الخصوص إلى الانحدار^(١) وذلك لأسباب كثيرة، حيث التخلف الذي أصابنا ولإيثار استعمال اللغات الأجنبية مباشرة بديلاً عن اللغة العربية حتى في معظم السياقات الذي تستدعي اللغة العربية ومن ثم ضعف الإقبال على التأصيل اللغوي نفسه ، وضعفت نماذج ومحاولات التعريب الذكي القائم على أصول علمية لغوية ، فانتكست اللغة العربية في عمومها بما فيها اللغة العربية العلمية^(٢).

(٢) وفي سبيل إعادة هذه المسيرة العلمية للغة العربية يأتي هذا البحث في عمومها عن "الفصاحة العلمية" أو "اللغة العربية العلمية" في جانب مهم جداً على المستويين العلمي واللغوي وهو محور الدراسة ومرتكزها ألا وهو الوضوح "الوضوح العلمي" أولاً وعلاقته بـ"الوضوح اللغوي" وما يمكن أن ينتج عن اجتماعهما فيما اسميناه بـ"الوضوح العلمي اللغوي" أو "الوضوح اللغوي العلمي"^(٣).

(١) انظر دراستنا الموسعة: النظرية العامة للغة القانونية ص ٢٨٨

(٢) السابق نفسه وقد أصلنا لمراحل هذا الانحدار مستندين على كل مرحلة بما يناسبها من الوقائع والدلائل.

(٣) الأصل أنه "الوضوح العلمي اللغوي" وهذا هو الأصل ، وفيه تقديم للركن العلمي على الركن اللغوي وهو ما يتوافق مع موضوع البحث حيث "الفصاحة العلمية"، والأصل كذلك أنه عند قولنا: "الوضوح اللغوي العلمي" يتقدم اللغوي وفقاً لتقدمه في المركب السابق أو على الأقل أ يتشارك المركز القاعدي للركن العلمي، ويعبر عن ذلك الأسلوب الأدبي على

وهنا يبرز السؤال الأعمق: هل يمكن الجمع بين "الوضوح العلمي" و"الوضوح اللغوي"؟ وهو ما يمكن تناوله إجابته على النحو الآتي:

حيث تعتبر اللغة في كل أمة مقوما أساسيا لها، فهي وعاء استيعاب معارفها ووسيلة التواصل فيما بين مواطنيها، ويمكن نظريا لأية لغة مهما كانت أن تعبر عن المعارف العامة والمنظمة، وعلى المستوى الواقعي فثم تفاوت بين اللغات في تحقيق القدرة على استيعاب المعارف العلمية المتخصصة استيعابا موضوعيا؛ نظرا لما تفرضه المعرفة العلمية المنظمة من مقتضيات موضوعية ومن مقاييس ومعايير كمية ومنطقية.. لا بد من توافرها وتحققها في عمليات التفكير والتعبير والتحرير والصياغة، وعمليات التفسير بمعنى استخراج القيم والمعارف العلمية من النصوص اللغوية وهي العملية الأهم وتحتاج إلى "نظام لغوي منطقي" محكم لئلا تختلف التفسيرات وتتعدد التأويلات في استخلاص الدلالات والمعاني، وهو ما ينافي الحقائق العلمية الحاسمة كما تعبر عنها بعض العلوم مثل علوم الرياضيات والمنطق والفيزياء، وهذا ما يقتضي أهلية لغوية وشروطا علمية (شروط علمية عامة وشروط علمية لغوية)، هذا على المستوى العام، وهناك أيضا على المستوى الخاص تأتي شروط الموضوعية والدقة والمنطقية والصراحة إضافة إلى شرط "الوضوح العلمي" وهي شروط "الفصاحة العلمية" محل التناول.

ثانيا: ماهية الفصاحة العلمية ومفهومها في ضوء ما سبق: ليس

يخفى أهمية المفاهيم في العلم فهي عنوان العلمية وبداية التأصيل النظري

وجه الخصوص، وعلى هذا النحو تأتي "الفصاحة العلمية" أو "الفصاحة العلمية اللغوية"، وهو ما يعني أن "الفصاحة اللغوية العلمية" تعني تقدما أو على الأقل تشاركا للفصاحة اللغوية مع العلمية، وتلزم هذه التفرقة في الأصل وعند التقنين الفني للمصطلحات، كما ويمكن التجاوز أحيانا -وهو ليس بعمل فني- عن التقديم والتأخير.

للموضوعات والمسائل العلمية وهي تقوم على ضرب من الإبداع العلمي مع قيده بالتجريب والاختبار أو هي "ما نعتقده بخصوص كون الطبيعة تعبر عن الرياضيات في أبسط صورها على ما يذهب أينشتين"^(١) ولا يخفى أهميتها في تشكيل المعرفة العلمية والربط بين المعلومات والحقائق في "كيانات مفاهيمية" تقوم بمهمة تكثيف الوقائع والفروض العملية وبلورتها من حولها وتتلاقى عندها خيوطها المتباعدة وهي بذلك إبداعات العلم الجزئي وهيكله العظمة الخفي الذي يصل بين فقراته ومفاصله فيتخذ جسد المعرفة العلمية شكلا متميزا ويضفي على نفسها تساقا وانسجاما^(٢)

(١) ماهية "الفصاحة العلمية" بناء على ما سبق وبالنظر إلى مفردتي مركب "الفصاحة العلمية" وتحليلهما سوف نقف على ماهية "الفصاحة العلمية" وأنها مركب من مُكوّنين أولهما: "علمي" وهو يعبر عن الماهية العلمية للفصاحة. ثانيهما: "لغوي" وهو ما يعبر عن الماهية اللغوية للفصاحة مستندا إلى أصوله اللغوية الأساسية العامة (الفصاحية والبلاغية). وبناء على العلاقة بينهما وعلى الغاية المشتركة يأتي المركب المشترك عنهما ليجمع بين عناصرهما في "كيان" أو "نظام" "فصاحي علمي" مشترك من ركنيه ومقوميه العلمي واللغوي، ونحن نرى تسميته بـ"الكيان" مقيدا بطبيعته النظامية الداخلية حيث تتكامل عناصره في بنية واحدة وفي سلوك واحد وفي وظيفة واحدة لتحقيق غاية واحدة أو مشتركة، وعلى أية حال كان هذا التراكيب المشترك (مركبا أو نظاما أو كيانا) يجب أن يكون متماسك العناصر (العلمية اللغوية) ومتسقا على المستويين

(١) د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ١٨٩ وفيه "وصياغة المفاهيم العملية ليست نهاية المطاف بل تعنى دوما أن نشرع في عمليات التجريب والاختبار للتصحيح والتعديل والتقويم التي هي نفسها السعي والبحث الإبداعي الخلاق عن الحقيقة
(٢) انظر البحث ص ١٠.

الداخلي لهذا الكيان وعلى المستوى الخارجي الوظيفي والغائي حيث يعتد بالتماسك والاتساق أمرين أساسيين وضرورة لا يقوم المركب إلا بهما معا.

(٢) **دلالة الفصاحة**، يمكن أيضا ملاحظة دلالة الفصاحة في ضوء ماهيتها المشتركة ومكونيها العلمي والفصاحي اللغوي في الآتي: المفردة الأولى: "الفصاحة" وحدها وهي تعني كما سبق: "الوضوح" مطلقا بناء على أن كل مفصح هو واضح بالضرورة، و"تنبئ التزامًا عن الظهور والإبانة"^(١). بالإضافة إلى دوران معانيها حول: ١- الوضوح مع مراعاة السلامة اللفظية والصوتية والدلالية ٢- الوضوح النقي بلا شوب ولا لبس. ٣- تعني الوضوح البياني الطلق الصريح مقارنة بوضوح آخر^(٢)، وهو ما يمكن سحبه على كل تركيب تقع فيه وفي كل سياق تعمه، كما في مركب "الفصاحة العلمية" فهي تعني حينئذ ما يلي من المعاني:

الأول: مطلق الوضوح العلمي والظهور والإبانة للمعنى العلمي وللمنهج وللمعرفة العلمية أو للأطر النظرية والفلسفة العلمية.. أي كانت.

الثاني: تعني الوضوح الخالص النقي المبين للمعطيات العلمية والمنهج العلمي وممارساته، في سلامة ومن غير مخالفة للقاعدية اللغوية العامة أو لتلك القاعديات اللغوية الخاصة وفقا لما ينص عليه "مبدأ احترام القاعديات اللغوية العامة والخاصة".

الثالث: تعني "الفصاحة العلمية" الوضوح المميز الذي يفضل غيره ويسمو عليه بحسن بيانه وتبيينه الموضوعي للمضمون والمنهج العلميين ومتعلقات المعرفة العلمية، وكل ما سبق يقيد ضرورة بالخلوص على كل شائبة

(١) راجع الجرجاني (عبد القاهر) دلائل الإعجاز ص ٣٥٣.

(٢) السابق نفسه.

أو إشكال أو أغراب أو وحشية أو شذوذ أو مخالفة لا تحقيق موضعية العلم أو تؤثر على سياقه أو غايته. وبما سبق يمكن ملاحظة معنى "الفصاحة العلمية" بناء على سحب المعنى اللغوي عليها ومراعاة خصائص العلمية وبالأحرى خصائص "اللغة العلمية" و"الوضوح العلمي" وما سبق ذكره عن ركن "العلمية" حيث المفردة الثانية من المركب فهي ذات المعنى العميق الذي يعبر عن المحتوى والمنهج والفلسفة العلمية.. وعن الخصائص العلمية المتفق عليها وأبرزها الدقة العلمية والوضوح العلمي والموضوعية والمنطقية والصرحة أو المباشرة.

الرابع: بالتركيز على "ركن العلمية" -وهو الركن الثاني من مصطلح "الفصاحة العلمية- تعني حينئذ الوضوح العلمي والظهور الموضوعي المقيس المحقق لمشمولات العلم ومتعلقاته (المحتوى العلمي والمنهجية العلمية وفلسفة وأطر الفصاحة) ولكل ممارسات الفصاحة العلمية ونتائجها ومتعلقاتها، باعتبار العلمية نعتا للفصاحة ومقيدة لمعناها في السياق العلمي أيًا كان هذا السياق، ونظرا لارتباط الفصاحة باللغة ومفرداتها وروابطها وتراكيبها دون جملها وأسايبها -على حد فقه البلاغيين المتأخرين- فإن الوضوح العلمي والظهور الموضوعي ينسحب على "اللغة العلمية" بعامة -بل هو خاصة من خاصتها- في كل حقولها المعرفية ومجالاتها العلمية بما فيها المجال العلمي القانوني كما هو في عنوان البحث.

(٣) **مفهوم "الفصاحة العلمية":** بناء على ماهية الفصاحة العلمية فيما سبق آنفا وعلى دلالتها، يمكن على المستوى المفاهيمي النظر أيضا إلى ركني مركبها العلمي واللغوي وهو ما يوجب استدعاء المقوم الأول المباشر لها وهو "اللغة العلمية" باعتبارها نظاما عاما ووعاء علميا لغويا يستوعب كافة المعارف المنظمة معبرا عن الشكل الذي تتمثل فيه العلوم والمعارف كافة -بالنظر

إلى عملية التمثيل اللغوي العام للمعارف البشرية، بمعنى تحويل المعرفة الإنسانية إلى لغة كما يقتضيها الذكاء الاصطناعي^(١) - وفي هذا انتقال أو سحب للتأصيل النظري السابق المجرد إلى إطار مفاهيمي له خصائصه و"مصادقاته"، وهو ما يعني الانتقال اللاحق من الإطار المفاهيمي إلى المبادئ والقواعد العامة ثم إلى "إطار العملي التطبيقي" بإجراءاته ونماذجه ومعطياته القابلة للتطبيق والممارسة

(أ) **مفهوم "الفصاحة العلمية"**: يقوم المفهوم على فكرة التجريد وبالأحرى تجريد الخصائص والصفات الأولية التي تعبر عن مصادقاتها، وهي بهذا المعنى تعبر عن نظام من الخصائص والصفات الأولية التي يجب توافرها لتحقيق الوضوح العلمي وفقا لمعايير العلم ومقوماته ولخصائص التفكير العلمي والمعرفة العلمية على نحو ما سبق، ومن ثم فهي تدور حول النظام، وهذا النظام يقوم على مقومات مباشرة وغير مباشرة تشكل "الكيان الفصاحي العلمي" على نحو ما سبق تعريفه وعنه تنبثق المعايير والشروط اللازمة لوزن الخطاب العلمي بعامة ووزن نصوصه وأدبياته ومشافهاته وكافة مخاطباته وزنا علميا يضمن تحقق الموضوعية والمنهجية والغاية العلمية في اتساق مع الخصائص العلمية وفي احترام للقاعديات اللغوية الأساسية المتفق عليها.

(ب) **وبنا عليه فإن مفهوم "الفصاحة العلمية"** مفهوم حقيقي رئيس له أساس علمي ولغوي تعبر عنه نظريته التي تتقاطع مع "النظرية العامة للغة

(١) انظر د. إيهاب خليفة : الذكاء الاصطناعي (مستقبل الحياة البشرية في ظل التطورات التكنولوجية) ص ٢٨، ٣٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٢٠م، كيفين واريك: أساسيات الذكاء الاصطناعي ص ٨٨، ٨٩ ترجمة هاشم أحمد محمد، مراجعة د. السيد عطاالله، ط لهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م

العلمية" وتستند إليها، وهو مفهوم يستقل بالتعبير عن كيان معرفي جديد - أو شب جديد - وهو كيان (فلسفي أصولي قاعدي منطقي) مشترك بين "العلوم اللغوية" ممثلة في جانب من "علم البلاغة" وهو مبحث الفصاحة، وبين "فلسفة العلم" وما يتلوهما من منطق العلوم ومنهجياتها. معنيا في كل ذلك بمسائل ودلائل "اللغة العلمية" وبأصولها في جانب وضوحها العلمي المفارق للالتباس والخالص عن التعقيدات اللفظية والمعنوية. وبناء عليه يمكن تعريفها في الآتي:

التعريف الأول: "الفصاحة العلمية": مفهوم يعبر عن "الوضوح العلمي" وبالأحرى "وضوح الخطاب العلمي" النقي الذي لا لبس فيه ولا تعقيد، وعن الظهور المعرفي الخالي من الإشكالات والتعقيدات.

التعريف الثاني: الفصاحة العلمية (العامة)، وصف ذاتي نطلقه على "اللغة العلمية" على وجه العموم أيا كانت تلك اللغة، وهي تعني ظهور ووضوح الألفاظ والتراكيب والسياقات في اللغة العلمية دون إبهام أو تعقيد أو غرابة مغرقة على المستويين الداخلي والخارجي للكلمة والتركييب في سياق "اللغة العلمية" لأهداف الاستخدام العلمي.

التعريف الثالث: "الفصاحة اللغوية العلمية"، أو "فصاحة اللغة العربية العلمية": مفهوم مركب من طبيعتين لغوية وعلمية، يعبر عن وضوح "اللغة العلمية" الصريح في غير إشكال لفظي أو التباس معنوي.

وأیضا: "فصاحة اللغة العربية العلمية" أو "الفصاحة اللغوية العربية العلمية" مفهوم مبني على "الفصاحة اللغوية العلمية" يعبر عن وضوح مفردات اللغة العربية الصريح في سياقها العلمي في غير تعقيدات صوتية أو لفظية أو معنوية أو مخالفة لقاعدياتها الأساسية العامة والخاصة، وهي تتميز عن الفصاحة العلمية في خصوصها إذ إنها تعنى بـ"الوضوح العلمي" في اللغة العربية، ومن هنا اكتسبت هذا الاسم "الفصاحة العلمية العربية"، و"فصاحة اللغة

العربية العلمية"، أو "الفصاحة العلمية للغة العربية"، كما وتتميز هذه الفصاحة الخاصة أيضا بأنها تجمع بين الخصائص الفصاحية الموضوعية في اللغة العربية وهي لغة فصيحة لها سننها وقاعدياتها البلاغة التي أشيد بها على المستوى العلمي العالمي فضلا عن نزول القرآن الكريم بها مما أعطاها منزلة مقدسة واهتماما دينيا يواكب الاهتمامين العلمي والقومي بها.

(ج) ويمكن على سبيل الختام إيراد هذا التعريف الواسع للفصاحة العلمية بناء على أساس لغوي مشترك مقيد بالصلاحيات العلمية بأنها : كل نظام لغوي يمكن أن يساعد على الوضوح اللغوي التقريبي الخادم للوضوح العلمي بشروطه (الوضوح الدقيق، الموضوعي، المنطقي/ذو الروابط المنطقية المتناسكة والمتناسقة، المباشر، الصريح..). في المفردات والتراكيب والجمل والعبارات والسياقات. سواء كان في البنيتين (اللغوية والصوتية) أو في "البنية الدلالية" على مستوى الأفراد في أو "الجمل" التي تمثل وحدات بناء الفقرة والعبارة العلمية، وليس يخفى خروج التعريف عن نطاق الفصاحة الثلاثي حيث الألفاظ والكلام والعالم أو الباحث الفصيح إلى حدود واسعة وعمامة تشمل كافة مستويات اللغة وكافة درجاتها.

المبحث الثاني: أحكام الفصاحة العلمية وملامح من تطبيقاتها

القانونية

المطلب الأول: أبرز مقومات ومبادئ الفصاحة العلمية الحاكمة للخطاب العلمي

المطلب الثاني: نماذج التطبيقات الفصاحة في العلوم والتطبيقات القانونية

المطلب الأول: أبرز مقومات ومبادئ الفصاحة العلمية الحاكمة للخطاب

العلمي

الفرع الأول: مقومات أحكام الفصاحة العلمية ومتعلقاتها.

الفرع الثاني: مجموعات مبادئ وصلاحيات الفصاحة العلمية وشروط الأهلية اللغوية الفصاحية

الفرع الثالث: أحكام الوضوح العلمي بالنظر إلى "الدقة العلمية" و"البلاغة" اللغوية وأساليبها

الفرع الأول: مقومات أحكام الفصاحة العلمية ومتعلقاتها

نرى قبل الشروع في الكشف عن مبادئ الفصاحة العلمية وقواعدها أن

نستدعي ما سبق تأصيله بشأن "نظرية الفصاحة العلمية" باعتبار هذا التشييد

فرعا لازما ولاحقا عن هذه النظرية، فالنظرية وإن كانت فعلا وممارسة عقلية إلا

أنها السبيل العلمي الرسمي بل والوحيد للممارسة العملية القويمة، وذلك من

خلال ما ترسيه من مبادئ وقواعد وضوابط وتنظيمات تمثل الإطار القاعدي

لـ"الفصاحة العلمية"^(١)، وعليه لزم أن نستعرض في عجالة الأركان العامة لنظرية

^(١) لا يخفى أن النظرية ببنائها ومكوناتها وإطارها النظري تقوم بالضرورة على المفترضات

(Hypotheses)، التي تمثل توقعات البحث المحددة شريطة قابليتها للفحص

والتحقق، إضافة إلى العناصر الأخرى، حيث المفاهيم (Concepts): باعتبارها الأفكار

المركزية أو العناصر الأساسية في النظرية، ثم على ما يجري بينها من علاقات

وتفاعلات لتكون "المبادئ" (Principles) باعتبارها القوانين أو القواعد العامة الكلية

التي تربط المفاهيم ببعضها البعض، هذا بالإضافة إلى التعريفات (Definitions) التي

الفصاحة" للبناء عليها وعلى ما سبق تفصيله لغاية تأسيس وتشديد أطرها القاعدية وأحكامها الفصاحية. وإذا كانت "النظرية" -في عموم تعريفها- هي مجموعة من الأفكار والمفاهيم المعينة تجمعها افتراضات أساسية مترابطة بشأن مجموعة من الظواهر، وأنها تفسير علمي متكامل يستند على مجموعة متناسقة من الحقائق والمفاهيم والمبادئ والقوانين والقواعد التي تشترك كلها في تفسير ظاهرة ما^(١)، فإن أركان "نظرية الفصاحة العلمية" هي:

الركن الأول: تلك "الظواهر اللغوية العلمية" وعلى وجه التحديد ظواهر الوضوح المتعلقة بالخطاب العلمي في عمومه (مفرداته وكلامه والمتكلمين به) سواء في: أ- نصوصه المكتوبة (في الكتب والبحوث والأوراق والتقارير العلمية) ب- المنطوق منه (الخطابات العلمية الشفاهية في السيمينارات والمحاضرات والندوات ومداولات العلماء والمتخصصين). **الركن الثاني:** الأفكار الأساسية، ويمثلها فكرة "الوضوح العلمي"، وفكرة "اللغة العلمية" سواء "لغة الرياضيات- الأعداد" أو "لغة النصوص- الكلمات" مع التركيز على الثانية منهما على وجه الخصوص، إضافة إلى فكرة "المساحة العلمية الفصاحية المشتركة" والتي تؤسس لـ"الكيان اللغوي الفصاحي والعلمي المشترك"، وفكرة "الألفاظ العلمية الواضحة"، "الكلام العلمي الواضح"، الكاتب أو المتحدث العلمي "الفصيح العلمي" أو "العالم الفصيح علمياً"، مع العناية بالمفردات العلمية الفصيحة وهي في السياق الموضوعي العلمي غالباً لا تخرج عن كونها "مفاهيم علمية"، "مفردات علمية

توضح معاني المصطلحات المستخدمة في النظرية، والعلاقات (Relationships)

التي تقوم على كشف الصلات والتفاعلات بين المفاهيم.

(١) د. عبد الرحمن محمد عبد الظاهر: المعرفة المرتكزة على العلم لطلاب الدراسات العليا،

المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية ص ٣٠، بتصريف يسير، عدد (٢٠) مجلد ٣ ديسمبر

، ٢٠٢٢م

ذات الصلة بالمفاهيم"، "مفردات لغوية محايدة" مناسبة للموضوعية العلمية، "أدوات الربط العلمية" وهي حروف المعاني التي تربط بين المفردات والجمل العلمية، ونقصد بفكرة "العالم الفصيح" أي الذي يعنى بوضوح ألفاظه ويختارها على نحو دقيق ليبين عن فكرته في غير إشكال ولا تعقيد لفظي، كما ويعنى بنظم كلامه ليكون منه خطابا علميا (كتابيا أو شفاهيا) ذا لغة واضحة وروابط دقيقة لا يشوبها غرابة ولا تعقيد لفظي يؤدي إلى تعقيدات معنوية واستشكالات تضر بفكرته العلمية وتقطع ترابطها وتهز تماسكها، ويجعلها عرضة للتناقض والغموض.

الركن الثالث: الافتراضات الأساسية، الأطروحة المحورية التي يقوم عليها البحث أن هناك خصائص لازمة للمعرفة العلمية وللعلم والمنهجية العلمية أبرزها الموضوعية والمنهجية والتنظيم والدقة والتجويد وهي تؤدي لزوما إلى وضوح تلك المعرفة العلمية وإلى موضوعيتها ومنهجيتها ودقتها، وأن لغة العلم العديدة تتمثل ما سبق – وهو محل اتفاق كبير لعلماء فلسفة العلم والمنهج – وكذلك "اللغة العلمية" التي تقوم على الكلمات والعبارات تتمثل ما سبق، وأن هناك تقاسم علمي لغوي في أصول هذا "الوضوح العلمي" يمكن الوقوف عليه وتنظيره وتأطير مبادئه مفاهيمه تمهيدا لممارسة الوضوح العلمي من خلال ما أسميناه "الفصاحة العلمية" على أساس نظري صحيح. وبناء على ما سبق إيراده بشأن "الوضوح العلمي" و"الفصاحة العلمية" يمكن استخلاص إطار عام لأحكام الفصاحة العلمية وجملة الأحكام التفصيلية بعد ذكر مقوماتها في الآتي:

أولا: مقومات "أحكام الفصاحة العلمية" ومبادئها العامة

(١) **مقومات أحكام الفصاحة العلمية:** بناء على ما سبق تناوله في مقومات "الفصاحة" المباشرة وغير المباشرة تأتي مقومات أحكامها، فالخصائص العلمية وبالأحرى "خصائص المعرفة العلمية" و"العلم" بأصوله وأبنيته ومصادراته

وغياته بعامه ، و"التفكير العلمي" بخصائصه جميعا تعدُّ مقوماً لأحكام "الفصاحة العلمية"، ثم يليها "الوضوح العلمي" مقوماً أساسياً، وتأتي "اللغة العلمية" مقوماً أساسياً مباشراً للفصاحة العلمية هذا على وجه العموم، ويضاف إليها المقومات التي تعبر عنها طبيعة الفصاحة العلمية، وهي مقومات علمية وفصاحية وتعود الأولى منها إلى "خصائص المعرفة العلمية" العامة كما سبق، وترتد المقومات "الفصاحية" إلى أصلها "اللغوي العلمي" القائم في "اللغة العلمية" كما وترجع إلى أصلها اللغوي أياً كانت هذه اللغة وهي في سياقنا "اللغة العربية"، إذن يمكننا القول بأن "اللغة العربية" في جانبها الفصاحي خاصة وفي جوانبها البلاغية واللغوية بعامه من مقومات الفصاحة العلمية -مقيدة بالصلاحيات العلمية الفصاحية. ومما سبق يمكننا ترسيمة المبادئ العامة التالية بشأن مقومات الفصاحة العلمية:

(٢) المبادئ الكلية العامة الحاكمة لـ "قواعد الفصاحة العلمية"

بناء على الإطار المفاهيمي لنظرية الفصاحة العلمية والذي يعبر عن مقومات الفصاحة وهي على الترتيب: خصائص: المعرفة العلمية، والتفكير العلمي، العلم ومتعلقاته إضافة إلى القاعديات اللغوية الأساسية، والتنظيمات اللغوية العلمية، انتهاء إلى المقوم المباشر حيث "اللغة العلمية في جانبها الوضوح حيث: اللغة العلمية الواضحة وجوانبها الأخرى أيضاً، ويمثلها (اللغة العلمية الدقيقة - التنظيمية-، اللغة العلمية الموضوعية، اللغة العلمية المنطقية المترابطة، اللغة العلمية المباشرة أو الصريحة). وصولاً إلى الإطار المفاهيمي للفصاحة العلمية ممثلاً في "اللغة العلمية الواضحة"، "الوضوح العلمي" (الفصاحة)، الوضوح اللغوي (الفصاحة والبلاغة)، انتهاء إلى الكيان العلمي اللغوي المشترك بشأن الوضوح "الكيان الفصاحي العلمي"، ثم "نظرية الفصاحة العلمية" يمكن إذن

استخلاص هذه المبادئ العامة الضابطة والمهيمنة على كافة مبادئ الفصاحة العلمية في الآتي:

المبدأ الأول: مبدأ التماسك "العلمي اللغوي" في الكيان المشترك
بينهما، ونسميه: "التماسك العلمي اللغوي منطقياً" أو "التماسك العلمي اللغوي - على المستوى المنطقي"، بما يعني ترابطاً وثيقاً بين مجموعة الأفكار والمعاني والمقولات والمفترضات العلمية اللغوية دون فجوات أو تناقضات، وهو ما يعزز تشكيل منظومة واحدة أو كيان واحد مترابط يدعم الهيكل والحجة (الوظيفة) الفصاحية دون أية تناقض، بناء على ترابطها الوثيق في المقومات وفي البنية وفي الوظيفة وفي الغاية،. وعليه يمكن الإشارة إلى النتائج الآتية، وهي تتضمن مبادئ عدة وقواعد عامة:

النتيجة الأولى: يعد التماسك العلمي اللغوي في مجال الوضوح أساساً جوهرياً للنظرية العامة للفصاحة العلمية حيث يضمن علميتها وقابليتها لإعادة التمثيل والتحقق.

النتيجة الثانية: لا يتصور أن يتناقض العلمي مع اللغوي في المركب المشترك بينهما (مع الاعتراف بوجود عموم وخصوص وأسبقيات في انتظام وترابط)

النتيجة الثالثة: يؤدي الترابط الوثيق بين العلمي واللغوي في الوضوح إلى دقة النظام الفصاحي وإلى سلامة مبادئه وصحة تطبيقه.

النتيجة الرابعة: يضمن الترابط الوثيق للعلمي والفصاحي تقديم أفكار ومبادئ وضوابط متسلسلة منتظمة تتصل بالأخرى باعتبارها مقدمة أو نتيجة. القاعدة العامة الأولى: تتوافق المقومات والعناصر العلمية مع المقومات والعناصر اللغوية والفصاحية في كيان الفصاحة العلمية المشترك بينهما

المبدأ الثاني: مبدأ التناسق المنطقي العلمي اللغوي وامتناع التناقضات في الكيان المشترك بينهما بشأن كل ما يتعلق بالوضوح العلمي اللغوي، وهو يعزز المبدأ السابق عليه ويرتبط به ارتباطاً وثيقاً ليشكلا إطاراً علمياً متيناً ودقيقاً لنظرية العامة للفصاحة العلمية بما يدعم منظومة المبادئ الفصاحية التي من خلالها يمكن تقييم وضوح النصوص العلمية المكتوبة أو المنطوقة والحكم على صحة تراكيبها واستخداماتها اللغوية في سبيل تحقيق الإفصاح العلمي القويم في غير لبس أو إشكال وبما يضمن تفسيره السليم فيما بعد، ويقتضي هذا المبدأ بناءً على ما سبق غياب التناقضات داخل هذه الكيان الفصاحي (العلمي اللغوي) وبالأحرى داخل أية مجموعة من القواعد والافتراضات وكذلك الغايات المتعلقة بالفصاحة العلمية، ويمكن صياغة هذا المبدأ على النحو الآتي: "يمنتع التعارض بين أي من المقومات والمبادئ والمقولات العلمية الفصاحية ومثيلتها اللغوية والفصاحية في الكيان الفصاحي العلمي المشترك بينهما" وهذا معقول جداً لأن مجرد التناسق العلمي اللغوي على المستوى المنطقي ينفي أية تعارض ما بين القواعد والقيم العلمية اللغوية. ويمكن أيضاً إعادة صياغته في الآتي:

١- يتكامل العلمي مع اللغوي في الكيان الفصاحي العلمي اللغوي في كل مبادئه وقواعده وضوابطه وتطبيقاته".

٢- يضمن الاتساق العلمي اللغوي في الكيان الفصاحي تقييم الأفكار الفصاحية العلمية بناءً على مدى توافقها مع المعايير النسقية (العلمية اللغوية) المشتركة.

٣- تقوم البراهين والأدلة الفصاحة بناءً على منظور اتساق عام بين المعاني والمبادئ والمقولات العلمية ومثيلتها اللغوية.

وهكذا تترايط المبادئ وتتسق فيفي المنظومة الجامعة لهما أو في الكيان المشترك بينهما، للنهوض بغايته في تقييم الخطاب العلمي من حيثية الوضوح

والتحقق من الادعاءات الفصاحية في كل سياق علمي لغوي وفقاً لمعايير محددة.

المبدأ الثالث: مبدأ أسبقية العلمي على اللغوي في اللغة العلمية ومتعلقاتها، وهي أولوية تنظيمية وليست أولوية ذاتية، إذ إنها تقوم على رعاية الموضوع والسياق والغاية العلمية، وذلك عن طريق تقييد الإمكانيات اللغوية الواسعة، واختيار ما يتناسب منها مع الموضوع العلمي والسياق العلمي والغاية العلمية، ويعبر هذا المبدأ العام عن "الصلاحيات العلمية اللغوية" أو الصلاحيات العلمية على التوسعات اللغوية، وسوف نأتي عليها بعد قليل، وفي هذا المبدأ يمكن واستخلاص ووضع -معا- مجموعة القواعد العامة والتفصيلية بشأن الصلاحيات العلمية، وأبرزها

القاعدة العامة الأولى: تحدد المقومات والخصائص العلمية -الشق العلمي في الكيان العلمي اللغوي المشترك- المناسب من المفردات والتراكيب والأساليب اللغوية لصالح الموضوع العلمي

القواعد الفرعية:

(١) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من المفردات اللغوية لصالح الموضوع العلمي.

(٢) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من التراكيب اللغوية -العبارية- لصالح الموضوع العلمي.

(٣) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من الأساليب اللغوية لصالح الموضوع العلمي.

القاعدة العامة الثانية: تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من المفردات والتراكيب والأساليب اللغوية لصالح السياق العلمي

القواعد الفرعية:

- (١) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من المفردات اللغوية لصالح السياق العلمي
- (٢) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من التراكيب اللغوية -العبارية- لصالح السياق العلمي
- (٣) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من الأساليب اللغوية لصالح السياق العلمي

القاعدة العامة الثالثة: تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من المفردات والتراكيب والأساليب اللغوية لصالح الغاية العلمية. أما عن قواعدها الفرعية فهي:

- (١) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من المفردات اللغوية لصالح الغاية العلمية.
- (٢) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من التراكيب اللغوية -العبارية- لصالح الغاية العلمية.
- (٣) تحدد المقومات والخصائص العلمية المناسب من الأساليب اللغوية لصالح الغاية العلمية.

المبدأ الرابع: مبدأ لزوم احترام القاعديات اللغوية الأساسية مطلقاً (مع مرونة الاختيار من مفردات وتراكيب اللغة وأساليبها بما يتفق وصالح الموضوع العلمي وسياقه وغايته العلمية).

القاعدة العامة الأولى: يلزم على المقومات والخصائص العلمية احترام الصيغ اللفظية العربية الأساسية المتفق عليها. وقواعدها الفرعية هي:

- (١) تحترم الصيغ اللفظية (الشكلية - الصرفية) الأساسية في كل الموضوعات العلمية

(٢) تحترم الصيغ اللفظية (الشكلية – الصرفية) الأساسية في كل السياقات العلمية

(٣) تحترم الصيغ اللفظية (الشكلية – الصرفية) الأساسية في كل الغايات العلمية

القاعدة العامة الثانية: يلزم المقومات والخصائص العلمية مراعاة

أنظمة التراكيب والجمل العربية الأساسية في كل موضوعات وسياقات وغايات المعرفة العلمية، وتأتي قواعدها الفرع في الآتي:

(١) يلزم احترام المقومات العلمية مراعاة قواعد بناء الجمل الاسمية الأساسية في كل موضوعات وسياقات وغايات المعرفة العلمية.

(٢) يلزم احترام المقومات العلمية مراعاة قواعد بناء الجمل الفعلية الأساسية في كل موضوعات وسياقات وغايات المعرفة العلمية.

(٣) يلزم احترام المقومات العلمية مراعاة أنظمة تداخل الجمل وتكاملها في كل موضوعات وسياقات وغايات المعرفة العلمية.

القاعدة العامة الثالثة: يلزم المقومات والخصائص العلمية احترام الحد

الأدنى المتفق عليه من خصائص الأساليب العربية الأساسية مهما تنوعت الموضوعات والسياقات والغايات العلمية، وقواعدها:

(١) يلزم المقومات العلمية احترام الحد الأدنى المتفق عليه من خصائص الأساليب العربية الأساسية في كل موضوعات المعرفة العلمية.

(٢) يلزم المقومات العلمية احترام الحد الأدنى المتفق عليه من خصائص الأساليب العربية الأساسية في كل سياقات المعرفة العلمية.

(٣) يلزم المقومات العلمية احترام الحد الأدنى المتفق عليه من خصائص الأساليب العربية الأساسية في كل غايات المعرفة العلمية.

المبدأ الخامس مبدأ مرجعية "اللغة العلمية" على كل ما هو

"علمي لغوي". ويمكن صياغة مبدئها "تعد "اللغة العلمية" مرجعية عامة وحاكمة في كل ما يتعلق بـ"التنظيم العلمي اللغوي"، وأبرز قواعدها

(١) تفرض قواعد اللغة العلمية ابتداء على كل كيان علمي لغوي.

٢) تفسر كل القواعد اللغوية الموضوعية والفصاحية والمنطقية والتنظيمية (الدقة والنظام) ، المباشرة وغير المباشرة في ضوء مبادئ اللغة العلمية وأطرها.

٣) تشرع كافة المبادئ والقواعد العلمية اللغوية للكيانات العلمية اللغوية الخمسة وغيرها ما لم تصادم مبادئ اللغة العلمية وقواعدها العامة. وهي: (كيان الموضوعية اللغوية، والتنظيمية العلمية اللغوية، والمنطقية العلمية اللغوية، والصراحة العلمية اللغوية، إضافة إلى محل التناول الوضوحية العلمية اللغوية).

المبدأ السادس: جواز التشارك "اللغوي العلمي" في الأساليب العلمية المتأدبة وفقا لل غاية العلمية ، ويسمى مبدأ التشارك اللغوي العلمي وفقا لل غاية العلمية مقدا إياها على غيرها في الأساليب العلمية المتأدبة ودعمها في تقيد الموضوع والسياق، وبإيجاز هذا يتعلق بالأساليب العلمية المتأدبة في سياقات نقل المعرفة وشرحها وعلى وجه أخص في عمليات التثقيف بها ونشرها على غير المختصين، كما تسمى "شعبنة العلم" على ما سبق، وقواعد هذا المبدأ هي:

١) يمكن تجاوز سيادة "اللغة العلمية" ومبادئها على سبيل الاستثناء في الأساليب العلمية المتأدبة.

٢) يفتح الاستخدام اللغوي البلاغي والبياني -استثناء- بما لا يصادم الموضوع العلمي أو السياق العلمي أو الغاية العلمية في عمليات التثقيف ونشر المعرفة العلمية.

٣) تقرر الغاية العلمية والموقف العلمي الأسلوب المطلوب العلمي المتأدب ونسبة كل منهما للآخر.

(٣) أثر خصائص المعرفة العلمية Scientific knowledge على

"اللغة العلمية" عموما وعلى "الفصاحة العلمية خصوصا، للمعرفة العلمية خصوصية عن غيرها من المعارف إذ إنها "معرفة محققة" بمعنى أنها ثبتت بموضوعية وباستخدام أساليب علمية منهجية قويمه، ثم إنها قابلة للتكرار

والاختبار والتفنيذ^(١) ، وهو ما يضمن موثوقيتها ودقتها وصلاحيه التأسيس عليها وصواب الأخذ بها ، وللمعرفة العلمية خصائص كثيرة يمكن التركيز على الأساسي منها وأبرزها:

١- الموضوعية وهي خصيصة تتعلق بباقي الخصائص العلمية وتدعمها^(٢) وهي تعزز من صرامة المنهج العلمي وصدقته نتائجها وسلامة اللغة العلمية وعاء المعرفة المنظمة ومستودع قيمها وحقائها والأمانة على نقلها وتداولها وتفسيرها تفسيراً صحيحاً محققاً يمكن تكراره واختباره والتأكد منه. ٢- المنهجية تقوم المعرفة العلمية على منهج علمي صارم، بل يعدُّ المنهج العلمي فارق جوهرى بين المعرفة العلمية والمعارف شبه العلمية أو اللا علمية. ٣- التنظيمية، يعدُّ "التنظيم" خصيصة أساسية من خصائص المعرفة العلمية، بل يمكن ربط علمية المعرفة بهذه الخصيصة مع مراعاة المنهجية والموضوعية- بحيث تطرد العلمية باطراد التنظيمية وترتفع بارتفاعها. ٤- الدقة والتجويد، وهي مفترضة بالضرورة في المعرفة العلمية، بل تقاس المعارف العلمية بدقتها ودقة قياساتها، وبقوة صمودها أمام الاختبار والتجريب لتجويد مخرجاتها ٥- الشمولية واليقين، بمعنى أن المعرفة العلمية تسعى لأن تعمم مخرجاتها من المبادئ والقوانين على الظواهر الأخرى ذات الصلة في شمول بعد التحقق منها، وهناك أيضاً من الخصائص (التراكمية والبحث عن الأسباب) وهي مهمة على المستوى المعرفي وإن كنا نرى لاحقيتها في موضوع بحثنا " الفصاحة العلمية".

(١) د. عبد الرحمن محمد عبد الظاهر: المعرفة المرتكزة على العلم لطلاب الدراسات العليا،

المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية ص ٢٩ .

(٢) الموضوعية تدعم التراكمية: لضمان دقة وصدق هذه النتائج، مما يسمح للعلماء ببناء

المعرفة العلمية بشكل متماسك ومتراكم.

أما عن وجه ارتباط خصائص المعرفة العلمية فهي تتجلى أولاً في ارتباطها بـ"اللغة العلمية" وهي الفرع العام الذي تنضوي تحته الصاحة العلمية، وقد خلصنا على نحو ما سبق إلى أن أبرز خصائص اللغة العلمية هي: (الموضوعية والدقة والوضوح والمنطقية والمباشرة) وهو بالضرورة ما سوف يجد صداه في الفصاحة العلمية، بما يمكن القول بأن الفصاحة العلمية إنما هي: ١- فصاحة موضوعية. ٢- فصاحة دقيقة. ٣- فصاحة واضحة (معنى متطابق) ٤- فصاحة معقولة (مترابطة منطقيًا). ٥- فصاحة مباشرة.

(٤) المبادئ الناتجة عن وجوب الربط المباشر بين "خصائص المعرفة العلمية وخصائص الفصاحة العلمية" وقواعدها - بملاحظة الخصائص سابقة الذكر - وذلك في الآتي:

الناتج الأول عن ربط الفصاحة العلمية والموضوعية: يجب أن تكون الفصاحة العلمية موضوعية قائمة على معايير وشروط نابعة من خصائص ومقومات اللغة القانونية ومن خصائص ومقومات الفصاحة العلمية نفسها ، دون اعتبار بالتفضيلات الشخصية أو التذوقات العربية ، ولا يعني ذلك بالضرورة استبعاد مبادئ "الفصاحة اللغوية"، بل يمكن القول بأن معظم مبادئ وشرائط الفصاحة اللغوية العربية معتبرة لأن معظمها يتعلق بالوضوح الموضوعي لا بجمال النظم ولا فنائه ولا بتشبيهاته وصوره وتمثيلات، مع استبعاد ما نص عليه علماء البلاغة من تفضيلات شخصية مثل "رشاقة اللفظ ، إيقاعه على الأذن، استحسان البلغاء له..." فهذا كله غير معتبر بالنسبة للفصاحة العلمية إلا ما كان قائما على تأصيل موضوعي وعلى أساس قاعدي مطرد لا يخضع للتفضيلات والانفعالات الذاتية.

ويمكن بناء على ذلك وضع المبادئ والقواعد الآتية:

المبدأ الأول: تقوم الفصاحة العلمية على مقومات علمية لغوية متكاملة (تعتبر عن مقوماتها ومكونات اللغة العربية العلمية). ويمكن إدراج تلك القواعد تحت هذا المبدأ : ١- تخضع الفصاحة العلمية لجميع شروط اللغة العلمية الموضوعية. ٢- تخضع "الفصاحة العلمية" لجميع مقومات ومقتضيات الموضوعية في المعرفة العلمية (المباشرة وغير المباشرة).

المبدأ الثاني: تقوم الفصاحة العلمية على أسس ومبادئ موضوعية (في مقوميتها العلمي واللغوي)، وقواعد هذا المبدأ هي: ١- تعتمد مبادئ الفصاحة اللغوية الموضوعية مطلقاً. ٢- تعتمد مبادئ الفصاحة اللغوية في ضوء الصلاحيات العلمية عامة وصلاحيات اللغة العلمية خاصة.

النتائج الثاني عن ربط الفصاحة العلمية بالمنهجية: كما تقوم المعرفة العلمية على منهجية صارمة وواضحة ومطرقة كذلك ينبغي أن تقوم "الفصاحة العلمية" على منهجية علمية استقرائية تراعي خصائص ركنيها ومقوميتها العلمي واللغوي وتصعد بالملاحظات والتحليلات إلى تعميمات يمكن تطبيقها على عموم الخطاب العلمي الموضوعي في أحواله كافة (اللفظية والشفاهية) ، وذلك بالتوازي مع المنهجية الاستنباطية التي تعنى باستخلاص القواعد من نصوصها العلمية ومبادئها العامة ، وتطبيقها على الحالات والظواهر الموافقة لها وذات الصلة، وبناء على ذلك يمكن وضع المبادئ الآتي: الأول: تقوم الفصاحة العلمية على منهجية علمية قويمية تستمد أصولها من المنهج العلمي نظيراً وتطبيقاً. المبدأ الثاني: تضمن المنهجية العلمية للفصاحة العلمية الاتساق والتكامل وعدم التناقض في النتائج

والمخرجات. الثالث: اضطراب الأحكام الفصاحية أو تناقضها يعبر عن تناقض منهجية أحكامها أو فساد في تطبيقها.

النتائج الثالث: عن ربط الفصاحة العلمية بالتنظيمية: بناء على الأساس اللغوي (الفصاحي والبلاغي) قد تبدو الفصاحة هكذا عملا لغويا سهلا ومريحا لا يقتضي سوى استدعاء للجوانب الفصاحية في السياق العلمي، وهذا غير صحيح بالمرّة، بل إن الفصاحة العلمية نظرية علمية لغوية تقوم على التأصيل وعلى التنظير ولها محدداتها ونماذجها ومبادئها الصارمة التي تستتلمهم من الروح العلمية العامة والتي تقتضي إخضاع كل التدفقات الفصاحية إلى الأصول والصلاحيات العلمية اللغوية وإلى طبيعة موضوع الخطاب العلمي وملاءماته وغايته؛ فيختار منها العالم والباحث ما يناسب السياق العلمي هذا السياق وما يحقق غايته في الوضوح العلمي وفقا لمتعلقاته..

وعليه يمكن التصريح بأن الفصاحة العلمية تقوم على التنظيم العلمي المنهجي بالضرورة لا على التلقائية والعفوية والاستحسان اللغوي والتذوق البلاغي، فهي في تعريفها الاصطلاحي بنيان يقوم على أسس علمية لغوية لتحقيق الوضوح العلمي في سياق الخطاب العلمي ومتعلقاته الكتابية والشفاهية، ومن ثم فهي صدى لطبيعة العلم التنظيمية وهي انعكاس للغة العلمية التي تقوم على الدقة والنظام والموضوعية، وعليه فلا يصلح أبدا الانتقال من مسألة تتعلق بالفصاحة العلمية إلى أخرى هكذا وفقا لوفودها أو لطرقها الذوق والوجدان الأدبي، أو لتداعياتها حرّة طليقة عن أي قيد موضوعي أو صلاحية (علمية لغوية) باعتباره ردة فعل على مواقف لغوية حتى لو

في السياق العلمي، فالأمر ليس على هذا النحو بتاتا، وأهم مبادئ هذا الناتج الثالث وقواعده هي:

المبدأ الأول: الفصاحة العلمية كيان منظم يقوم على أصول ومقومات علمية لغوية متكاملة ومنظمة تؤدي إلى غاية واحدة وهي الوضوح لغرض وضوح الخطاب العلمي في أحواله الكتابية والشفاهية. أما عن أبرز قواعده فهي:

- 1- ضمانة فعالية القواعد والضوابط الفصاحية يقوم في تكاملها العلمي اللغوي وفي تصادقها . 2- تتشارك القواعد القانونية ومبادئها في غاية الوضوح وتتنوع في وسائلها لتحقيقه.

المبدأ الثاني: تتحقق الفصاحة العلمية على نحو صحيح بقدر تنظيم مبادئها وقواعدها العلمية واللغوية في تناسب وتكامل يحقق غايتها من الوضوح. وأبرز قواعده : 1- الجور على المقومات العلمية يخرج الفصاحة عن دائرتها العلمية إلى الدائرة اللغوية البلاغية. 2- انتهاك الأصول اللغوية المستقرة يعني فساد النص وخروجه عن أصول الفصاحة اللغوية وعن صواب البنية أو المدلول اللغوي .

الناتج الرابع: عن ربط الفصاحة العلمية بالدقة والإحكام العلمي، إذا كانت الفصاحة علمية ولغوية تدل مطلقا على الوضوح فإن الوضوح العلمي قرين الدقة وملازمها ، ولطالما يقال أن "الدقة والوضوح" من المعايير العلمية العامة في كل شيء، ونظرا لأهمية الدقة وكونها عنصرا جوهريا في المعرفة العلمية وفارقا للفصاحة اللغوية عن الفصاحة العلمية فقد فصلنا بشأنها في مبحث أحكام الفصاحة العلمية وتطبيقاتها القانونية، على أن أبرز مبادئها هي 1- تعتبر الدقة خصيصة من أبرز خاصات الفصاحة العلمية 2- تقوم الفصاحة لزوما على مبدأي الدقة والوضوح في كل سياقاتها وفي كل ممارساتها. 3- تلتزم الفصاحة

العلمية بتحقيق مظاهر الدقة اللغوية والأسلوبية والدلالية في كافة جوانب الخطاب العلمي.

وهذا جدول يلخص أبرز المبادئ الفصاحية التي يمكن وضعها بناء على خصائص المعرفة العلمية، بالإضافة إلى المبادئ سابقة الذكر:

العنصر	نماذج من أبرز مبادئ الفصاحة العلمية وقواعدها التي يمكن أن يبني عليه
(١) الموضوعية	<p>١- تنهض الفصاحة العلمية على تبيان خصائص المعرفة العلمية وعلى توضيحها في صورة خالية من اللبس والغموض والتعقيد اللفظي.</p> <p>٢- تعدُّ الفصاحة العلمية أداة أساسية لتحقيق موضوعية المعرفة العلمية.</p> <p>٣- يشترط في الفصاحة العلمية التزام الموضوعية بعيداً عن تدخل الآراء الشخصية والرؤى الذاتية للمعرفة.</p>
(٢) المنهجية	<p>١- تتمثل الفصاحة العلمية قواعد المنهجية في التأصيل لأطرها والتعقيد لأحكامها.</p> <p>٢- تلتزم الفصاحة العلمية بتحقيق أهداف المنهج العلمي في ضمان الوضوح للمقدمات والنتائج والتحليلات والتسلسل الاستدلالي المنطقي.</p> <p>٣- تلتزم الفصاحة العلمية بضمان دقة النتائج ووضوحها بما يساعد على التحقق منها بالاختبار والتحقق التجريبي والمنطقي.</p>
(٣) الدقة	<p>١- تعتبر الدقة خصيصة من أبرز خاصيات الفصاحة العلمية.</p> <p>٢- تقوم الفصاحة لزوماً على مبدأى الدقة والوضوح في كل سياقاتها وفي كل ممارساتها.</p> <p>٣- تلتزم الفصاحة العلمية بتحقيق مظاهر الدقة اللغوية والأسلوبية والدلالية في كافة جوانب الخطاب العلمي.</p>
(٤) الوضوح وطبيعة العلم	<p>١- يعتبر الوضوح اللغوي العلمي الخصيصة الذاتية المعبرة عن الفصاحة العلمية، فهي تعبر عنه وهو يعبر عنها في شبه تطابق بينهما.</p> <p>٢- يقوم الوضوح العلمي اللغوي على مقومات مباشرة من اللغة العلمية ومن خصائص المعرفية العلمية بعامة .</p> <p>٣- يقوم الوضوح العلمي العام على مقومات ترجع إلى خصائص المعرفة</p>

العلمية عموماً.	
<p>١ - تترايط قواعد الفصاحة العلمية بالضرورة على نحو يعزز التسلسل والتماسك المنطقي.</p> <p>٢ - تقوم الفصاحة العلمية على أسس منطقية أصيلة في تكوينها وفي ممارستها أبرزها التناسق والتصادق وعدم التناقض مطلقاً.</p> <p>٣ - معقولة النتائج الشكلية والدلالية التي تفضي إليها الفصاحة العلمية شرط أساسي لكي توصف بالعلمية.</p>	<p>(٥) المنطقية - الترايط المنطقي</p>

الفرع الثاني: مجموعات مبادئ وصلاحيات

الفصاحة العلمية وشروط الأهلية اللغوية الفصاحية

أولاً: مجموعة مبادئ الفصاحة العلمية: هذه مجموعة من المبادئ الفصاحية المستخلصة بناء على ما سبق ذكره من مبادئ وقواعد عامة وخاصة، وقد قسمناها إلى مجموعات ليسهل تنظيمها وتطبيقها، وذلك في الآتي

المجموعة الأولى: مجموعة المبادئ المتعلقة بالوضوح العلمي، ويعبر عنها: المبدأ الأول: يقوم الوضوح العلمي على خصائص المعرفية العلمية كافة. وتندرج تحته مجموعة من القواعد التي يمكنها ضبط ظواهر وأبرزها: القاعدة العامة (١) يقوم "الوضوح العلمي" على الموضوعية باعتباره من أبرز خصائص المعرفة العلمية، القاعدة العامة (٢) يقوم "الوضوح العلمي" على التنظيم والمنهجية باعتباره من أبرز خصائص المعرفة العلمية، القاعدة العامة (٣) يقوم "الوضوح العلمي" على الدقة والتجويد باعتباره من أبرز خصائص المعرفة العلمية، القاعدة العامة (٤) يقوم "الوضوح العلمي" على الترايط المنطقي باعتباره من أبرز خصائص المعرفة العلمية.

ثم يأتي المبدأ الثاني وفيه : تلتزم "اللغة العلمية" بعموم خصائص المعرفة العلمية، وبما يلائم الطبيعة اللغوية العلمية على وجه الخصوص. المبدأ الثالث: تلتزم "اللغة العلمية" بخاصية الوضوح العلمي باعتباره من أبرز الجوانب الملائمة لطبيعتها المبدأ الرابع: يستند الوضوح اللغوي العلمي على وضوح "اللغة العلمية" بخاصة، وعلى "الوضوح العلمي" القائم على مقومات وضوح المعرفة العلمية بعامة. المبدأ الخامس: تعتبر الموضوعية والدقة والمنطقية والمباشرة من أبرز مقومات الوضوح اللغوي استنادا إلى مقومات اللغة العلمية، تلك كانت أبرز لمبادئ ولكل منها قواعده العامة والفرعية وصولا إلى الضوابط والتعليمات العملية المباشرة.

المجموعة الثانية: مجموعة المبادئ التي ترتبط بمنهجية العلم وغاياته، منها هذا المبدأ العام والذي ينص على الآتي: يرتبط الوضوح العلمي بشكل وثيق بأهداف العلم ومنهجيته ونتائجه. وهذه بعض المبادئ التي تقوم على المبدأ العام السابق: المبدأ الأول: تلتزم "اللغة العلمية" بنسق العلم المنهجي وتحقيق غاياته ونتائجه. المبدأ الثاني: تلتزم "الفصاحة العلمية" بالتزام منهجية العلم وتحقيق غاياته ونتائجه. المبدأ الثالث: تلتزم اللغة العربية العلمية بمنهجية العلم وتحقيق غاياته ونتائجه.

أما عن تفصيل علاقة الفصاحة العلمية بغايات العلم وخاصة (الوصف والتفسير)، فيعدّ الوصف العلمي غاية من غايات العلم بل قصر بعض الوضعيين مثل "ماخ" وأتباعه غاية العلم على الوصف^(١)، ولا يقوم الوصف إلا بوضوح الموصوفات في لغة عديدة أو لغة عبارية، ومن ثم كان الوضوح لازما لتحقيق

(١) د. صلاح قنصوة: فلسفة العلم ص ١٤٤، ١٤٥، ويعتمد هذا المبدأ على فكرة "تصل أوكام" المشهورة.

إحدى أهم غايات العلم وهي "الوصف العلمي". وكذلك يأتي التفسير باعتباره الغاية الثانية من غايات المعرفة العلمية، وهو عملية معرفية أعلى من الوصف ويتطلب تحليلا وعمليات أكثر منه، وهو ما يعني وضوحا علميا وفصاحة علمية موضوعية ذات دقة صارمة لتحقيق التفسير العلمي الذي يمكن التحقق منه وتقويمه، بما يسمح باستخلاص هذه القواعد العامة: الأولى: ترتبط الفصاحة العلمية بالغايات العلمية وخاصة غايتي الوصف والتفسير. الثانية: من مهام الفصاحة العلمية تحقيق الوصف الموضوعي الواضح والدقيق. الثالثة: من مهام الفصاحة العلمية تحقيق التفسير الموضوعي المترابط منطقيًا في دقة ووضوح. ولعل قوانين نيوتن في صيغتها العبارية من أبرز الأمثلة عن الوضوح العلمي في التفسير^(١)

(١) الصياغات العلمية لقوانين نيوتن الثلاثة "قوانين نيوتن للحركة هي ثلاثة قوانين فيزيائية تأسس علم "حركة الأجسام"، وتربط هذه القوانين القوى المؤثرة على الجسم بحركته. أول من جمعها هو إسحاق نيوتن، وقد استخدم هذه القوانين في تفسير العديد من الأنظمة والظواهر الفيزيائية. [وقد نشر نيوتن قوانينه لأول مرة في كتابه "الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية" *Philosophiæ Naturalis Principia Mathematica* عام ١٦٨٧]. ١- تمثل قوانين "نيوتن" الثلاثة المعروفة في صيغتها العبارية - (لأن هناك لغة الرياضيات وهي "لغة العلم" الأولى، وهي غير مقصودة الآن..!) - مثالا عاما على مدى سلامة "اللغة العلمية" ودقتها على وجه العموم. ٢- يمكن أن يُقاس ثراء اللغات ومرونتها على المستويات (اللفظية والتركيبية والعبارية والسياقية..). بمدى استيعابها ووفرة أساليبها في التعبير عن مضامين هذه القوانين وأمثالها، تعبيرا علميا وصفيا موضوعيا، يقوم على البساطة والدقة والوضوح والإيجاز.. ٣- يمكن القول بأن كل لغة لا تستطيع أن تستوعب قوانين نيوتن الثلاثة في صياغة علمية قويمه تقوّم على الدقة والوضوح، وعلى الإيجاز والإنجاز، فهي: لغة ذاتية قاصرة.. لم تبلغ بعد طور اللغة الاجتماعية.. فضلا عن أن تترقى إلى مصاف اللغات

المجموعة الثالثة: مبادئ عامة في التزام الفصاحة العلمية بتحقيق

موضوعية المعرفة العلمية:

المبدأ الأول: ينص المبدأ على أنه: "تُساهم صفة الوضوح في ضمان

دقة المعرفة العلمية وموضوعيتها وقابليتها للتكرار والاختبار"، وعنه يمكن تقرير القواعد التالية: ١- يلزم تحقق صفة الفصاحة العلمية لضمان دقة نقل المعرفة العلمية ٢- يلزم تحقق صفة الفصاحة العلمية لضمان موضوعية المعرفة العلمية (ووضعها قيد الاختبار والتكرار والقابلية للتفنيد) ٣- يلزم تحقق صفة الفصاحة العلمية لضمان وضعها قيد للتكرار والاختبار

المبدأ العام الثاني: تعدُّ الفصاحة العلمية خصيصة أساسية من

خصائص اللغة العلمية (بالنظر إلى قيامها على خصيصة الوضوح)، وعنه يمكن تقرير القواعد الآتية: ١- على قدر اعتبار الوضوح خاصة أساسية ذاتية من خصائص العلم، تعتبر الفصاحة العلمية خاصة أساسية من خاصات المعرفة العلمية عموماً والخطاب العلمي في حالتيه (المكتوبة والمشافهة) على وجه الخصوص. ٢- تعبر الفصاحة العلمية عن خصائص المعرفة العلمية الموضوعية والمنهجية و الدقة و الصرامة. ٣- تنعكس الخصائص العلمية على الفصاحة العلمية نفسها فهي فصاحة تتقيد بغايات المعرفة وتتميز بالموضوعية والمنهجية والدقة وصرامة المعايير. ٤- أبز ما تتجلى فيه الفصاحة القانونية هو في

العلمية المحترمة. [هذا لا يزال مجرد فرض علمي وإن كان فرضاً محققاً بناء على معطيات

النظرية العامة للغة العلمية، غير أنه يحتاج إلى بحث علمي محقق-، ومرجعنا في هذه

القوانين هو [\https://ar.wikipedia.org/wiki

قانون نيوتن الأول: قانون القصور الذاتي لجسم الساكن يبقى ساكناً، والجسم المتحرك يبقى

متحركاً، ما لم تؤثر عليه قوى ما. .

مخرجات العلم الذي يجب أن تكون واضحة وموضوعية ومنهجية قابلة للتكرار والاختبار.

ثانياً: مبادئ الصلاحيات العلمية وشروط الأهلية اللغوية:

ليس يخفى أن اللغة العربية ثرية في ذاتها ولديها من المكنات اللغوية ما يفوق لغات كثيرة، ثم إنها تقوم على نظام لغوي قاعدي ناضج مستقر ذي تاريخ عريق، واللغة العربية أيضاً خصوصية قلما يشاركها فيها غيرها من اللغات الحديثة ألا وهي "نزول القرآن الكريم بها وارتباط فهمه وتفسيره واستنباط أحكامه بها" وكذلك السنة الشريفة وهذه خصيصة نوعية ضمنت لها العناية التأصيلية والتفصيلية والاستمرار في تداولها وفي العمل بقواعديتها وممارستها على أعلى معاييرها على الأقل في المؤسسات الدينية والمؤسسات الاجتماعية ذات الصلة، ومن هنا فإن "الأهلية اللغوية القاعدية" في اللغة العربية على المستويين التفصيلي والاستخدامي متوافرة تماماً.

أما بالنسبة للصلاحيات والشروط العلمية، فعند التحقيق لا يوجد شروط عامة وخاصة بل كلها شروط علمية لازمة لا يمكن الخروج عنها وإنما قلنا شروط عامة لأنها تمثل مبادئ لا يمكن الخروج عنها وشروط خاصة والصحيح أنها شروط تفصيلية؛ لأن الشروط العلمية تتداخل وتتقارب وتندمج معاً لحماية "المضمون العلمي" والسيطرة على اللغة في عمليات استيعابه، وبالنظر إلى الشروط باعتبارها شروطاً علمية عامة أو مقومات علمية عامة وشروطاً علمية لغوية يمكن تقرير الآتي:

(١) الشروط والصلاحيات العلمية العامة:

تقوم شروط الصلاحيات العلمية العامة -والتي تبنى عليها معايير تلك الصلاحيات- على مقومات من طبيعة علمية أصيلة تعبر عن الخصائص العامة للمعرفة العلمية المنظمة وبالأحرى خصائص "اللغة العلمية" على ما سبق، وهي

خمس: (الموضوعية، الدقة، الوضوح، المنطقية، المباشرة أو الصراحة والقصد اعلمي) وعنها تتفرع المعايير والقواعد والشروط الفرعية، وقد نعبر عنها على سبيل الإجمال فنقول: الشروط العامة"، أو الشروط الخمسة العامة (شروط الموضوعية وشروط الدقة وشروط الوضوح وشروط المنطقية وشروط المباشرة). وقد نلقب المعايير العامة أو المعايير الفرعية الصادرة عنها -وعن غيرها من المقومات العامة الأساسية على نحو ما سبق- باسم "الصلاحيات العلمية العامة"، "الصلاحيات العلمية الخاصة". وكل ما سبق ذكره من خصائص ومقومات علمية هو أيضا مقوم من مقومات الصلاحيات العلمية على الفصاحة، وقد لا يتسع المقام لتعدادها ونكتفي بما سبق ذكره عنها.

(٢) الشروط والصلاحيات العلمية اللغوية (العامة والخاصة):

على نحو ما سبق هناك شروط وصلاحيات لغوية خاصة تعبر عن جوانب الوضوح اللغوي الملائم لطبيعة المعرفة العلمية، وهناك منطقة مشتركة (علمية لغوية) تجمع بين المقومات العلمية بعامة والمقومات الخمسة مع ما يناسبها ويتلاءم معها من المقومات والشروط اللغوية، وهي تعبر عن ذلك "الكيان العلمي اللغوي" المشترك فيما بينهما ذي الترابط والتناسق كما سبق ذكره، ونظرا لمحدودية البحث فهذه نماذج لأبرز الصلاحيات والمعايير

١- صلاحيات الدقة هي صلاحيات نغنى بحماية كل ما يتعلق بالدقة والوضوح ابتداءً وبإيثار الألفاظ التراكمية والكلام ذي العلاقة باللغة الكمية كلما أمكن، إيثار اللغة الرمزية أيضا، ورعاية التفاصيل الموضوعية، والوصف القياسي الدقيق، واللوازم السياقية التي تعزز الدقة مثل المطابقة وسوف تأتي بنفصيل خاص على صلاحيات الدقة نظرا لأهميتها.

٢- صلاحيات الوضوح (الصلاحيات الفصاحية العلمية) -وهي ناتج وعامل معا لمقوماتها- ويمكن التعبير عن أبرز ملامحها في الآتي: أ-النسق القياسي :

القياس والارتباط بين دلالات المشتق الواحد (موضوع، موضوعي، موضوعية..).
ب- القصد اللغوي: الإشارة إلى الموضوع كأنما تعينه، أو وصفه ونقل مواصفاته الذاتية أو خصائصه (صفاته الأولية) وصف الموضوع الخام بسياقاته تمهيدا للتحليل والتأصيل"^ج - تقديم المنشآت المخصوصة (المفاهيم) والمصطلحات المتفق عليها، المقترحات الاصطلاحية. د- تقديم الصفات الذاتية الجوهرية الأهم. هـ- تقديم السياقات بالظواهر الخام (تمهيد لتحليلها فيما بعد). كل ذلك في ضوء مراعاة طبيعة الوضوح العلمية بالأساس مع رعاية أسبقيته على الوضوح اللغوي -المعتبر أيضا فيما لا ينافي العلمية معبرا عنها- وناقلا لها ومعززا لجوانبها بمفرداته وتراكيبه، على أن طبيعة وعاء الوضوح العلمي إنما هي طبيعة رمزية رياضية منطقية بالأساس؛ ومن ثم كانت "لغة الرياضيات" هي لغة العلم الأولى، إضافة إلى طبيعة الدقة والموضوعية والمنطقية والمباشرة بالنسبة لـ"اللغة العبارية" و"الوضوح اللغوي العباري" في "اللغة العلمية" الطبيعية (أي تلك اللغة غير الرمزية أو الرياضية)

أما عن أبرز مواطن الوضوح في تلك اللغة فهو يقوم في "المفاهيم" ومطابقات المفاهيم وفي كل الألفاظ المقاربة أو ذات الصلة بالمفاهيم، وفي الألفاظ المحايدة غير المتوحشة ولا المغربة ولا الشاذة وفقا لمعايير الفصاحة العربية على نحو ما سبق تفصيله، حيث نص فقهاء البلاغة على مواصفات الغرابة المخرجة للفظ عن فصاحته بـ" أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها؛ فيحتاج في معرفته إلى أن يُنقَّب عنها في كتب اللغة المبسوبة؛ كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: " ما لكم تكأثم علي تكأثمكم على ذي جنة؟! افرنقِعوا عني "أي: اجتمعتم، تنحوا"^(١) ،

(١) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص ١٣

وقد نعبر عنها بقولنا: لغات الوضوح هي: اللغة المفاهيمية، "اللغة الاصطلاحية".
"اللغة المطابقة"، "اللغة ذات الصلة" والمقاربة، "اللغة الموضوعية"، "اللغة
المحايدة الموضوعية"^(١)

(٣) مبادئ الصلاحيات العلمية، كثيرة هي هذه المبادئ، ويمكن القول بأن
"كل المبادئ والقواعد العلمية التي تنظم الوضوح العلمي تنظيماً مباشراً أو تلك
التي ترتبط به ولو بطريقة غير مباشرة إنما هي صلاحيات علمية"، ويمكن
الزيادة على ذلك بأن: "كل المبادئ اللغوية المشتركة مع المبادئ العلمية تعتبر
من جملة الصلاحيات العلمية اللغوية"، وعليه فلا يخرج عن هذه الصلاحيات إلا
تلك المبادئ والقواعد والتنظيمات التي هي من طبيعة لغوية. ويمكننا في ضوء
ذلك سرد أبرز مبادئ الصلاحيات العلمية المتعلقة بالوضوح العلمي في الآتي:

١- مبادئ تتعلق بالعلاقة بين الوضوحين العلمي واللغوي، ومقتضيات
علمية الوضوح، المبدأ الأول: يقدم الوضوح العلمي على الوضوح اللغوي ابتداءً.
المبدأ الثاني: يقتضي الوضوح العلمي: (أ- الوصف المطابق ب- الوصف
الكمي. ج- الوصف الموضوعي. د- وضوح الخصائص الجوهرية. هـ- وضوح
ارتباطات العناصر محل الوضوح بغيرها. و- وضوح العلاقات والتأثيرات (مصاحبة
- سببية - عليّة).

٢- مبادئ تتعلق بالألفاظ ذات الفصاحة العلمية: المبدأ العام الأول:
المفاهيم والمصطلحات العلمية ألفاظ فصحة وواضحة مطلقاً، المبدأ الثاني:
استخدام الألفاظ اللغوية على بنيتها اللغوية الأساسية واشتقاقاتها المألوفة هو

(١) ويمكن التعبير عنها في الآتي ١- اللغة الوصفية المقيسة ٢- اللغة الوصفية المطابقة
للواقع. ٣- اللغة الوصفية الوضعية (اللغة في أصل وضعها اللغوي). ٣- اللغة الوصفية
الشاملة (المحطة) الناقلة للظواهر الخام مع متعلقاتها وسياقاتها الموضوعية. ٦- اللغة
الوصفية المباشرة التي تعبر عن السلوكيات والظواهر والوقائع.

الأساس في تكوين المفاهيم والمصطلحات والألفاظ ذات الصلة والمكملات في الجمل العلمية، المبدأ الثالث : استخدام الألفاظ اللغوية في دلالتها الوضعية الأساسية وإضافة الدلالة العلمية عليها هو الأساس

٣- مبادئ تتعلق بتنازع الصلاحيات العلمية مع الصلاحيات الفصاحية اللغوية، المبدأ الأول: يمنع استخدام كل كلمة غريبة أو شاذة تحول دون وضوحها في نقاء، ولعل هذا ما عبر عنه صاحب بغية الإيضاح بقوله "عدم ظهور المعنى ينشأ عن وحشية الكلمة. ومعنى وحشيتها: كونها غير مأنوسة الاستعمال عند العرب الخالص".^(١)، المبدأ الثاني: مبدأ فصاحة المفاهيم : ونصه "يعدُّ فصيحاً كل لفظ عبر عن مفهوم أو اصطلاح علمي مستقر، حتى لو لم يخضع للمعايير الفصاحية البلاغية". ويعبر هذا المبدأ عن تأكيد فصاحة المفهوم أو اللفظة العلمية الواضحة على العموم ما دام مستقراً علمياً، وهو ما يؤكد به بعض البلاغيين بقوله: "واني أرى أن الغرابة وحدها لا تخل بفصاحة الكلمة، وقد بينت هذا في كتابي "البلاغة العالية"، وكذلك أرى أن ابتذالها لا يعيبها ما دامت معاني الكلام جيدة، وهو اما اختاره ابن شرف القيرواني، وعليه بعض نقاد الإنجليز الذين يرون أن الابتذال يكون في الفكرة لا في الكلمة"^(٢).

٤- مبادئ تتعلق بمستوى التعبير والتحرير العلمي ألفاظ (التفكير – التعبير – التفسير)، المبدأ الأول: مستوى التحرير اللغوي العلمي، ونصه: "المفاهيم والمصطلحات العلمية ألفاظ فصيحة وواضحة مطلقاً، المبدأ الثاني: استخدام

(١) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص ١٣ وفيه ؛ فلا يعول في ذلك على غيرهم من المحدثين الذين ظهروا بعد فساد اللغة، ولا يرد على هذا متشابه القرآن ومجمله؛ لأن المراد عدم ظهور المعنى الموضوع له، والمعنى الوضعي في المتشابه والمجمل ظاهر لا خفاء فيه، وإنما الخفاء في مراد الله تعالى منهما

(٢) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ص ١٣

الألفاظ اللغوية على بنيتها اللغوية الأساسية واشتقاقاتها المألوفة هو الأساس في تكوين المفاهيم والمصطلحات والألفاظ ذات الصلة والمكملات في الجمل العلمية. المبدأ الثالث: استخدام الألفاظ اللغوية في دلالتها الوضعية الأساسية وإضافة الدلالة العلمية عليها هو الأساس للفصاحة العلمية. المبدأ الرابع: يتقدم استخدام الأوزان الصرفية العادية للكلمة العربية على غيرها من الأوزان الغريبة أو المختلف عليها.

٥- مبادئ نظم وتركيب الكلام العلمي، المبدأ الأول: استخدام هياكل تركيب الجملة الاسمية الأساسية يمثل درجة الوضوح العلمي، وهو يعني بالترتيب الأساسي أو الأصلي للجملة الاسمية من (مبتدأ + خبر + مكملات). ولإيضاح فإن هذا لا يعني هذا بالضرورة فساد أو ضعف ووهن التركيبات الأخرى التي يبدأ فيها بالخبر أو يستعاض عن الخبر بما يسد مسده، فهذه وإن خرجت عن ظاهر المبدأ إلا أنها تخضع لسياقها ومساقها. المبدأ الثاني: استخدام الترتيب الطبيعي في الجملة الفعلية يمثل درجة الوضوح العلمي الرسمية، وهو التركيب الأصلي لها (فعل + فاعل + مفعول + مكملات). والأمر على نحو ما سلف ذكره في المبدأ الأول من عدم فساد التركيبات الأخرى ولكن لتعزيز البساطة اللغوية في السياق العلمي .

الفرع الثالث: أحكام الوضوح العلمي بالنظر إلى "الدقة العلمية" و"البلاغة" اللغوية وأساليبها

المسألة الأولى: تلازم الوضوح العلمي والدقة العلمية، هناك مقولات علمية كثيرا ما تطرح في سياقات الخطاب العلمي، منها على سبيل المثال، السرعة والدقة، والدقة والوضوح، وأيضا الوضوح والدقة، وهذه المقولات محققة إلى قدر كبير، فالمقولة الأولى مطلب إنساني عام وهو السرعة بمعنى النجاسة وليست بمعنى التسرع وقد تم تحقيقها علميا وتأصيلها إلى حد كبير وذلك في الأحكام القانونية الجنائية على سبيل المثال،^(١) وبالنسبة للدقة وهي خاصة من خاصات المعرفة العلمية وقد يعبر عنها بالدقة والتجويد^(٢) وهي في نفس الوقت مقوم رئيس وجوهري من مقومات اللغة العلمية، وكثيرا ما تتلازم مع الوضوح فيقال: "الوضوح والدقة"، وعلى نسقه يمكن القول: "الوضوح العلمي" يتلازم مع "الدقة العلمية"، و"لا يكون الوضوح علميا إلا بدقة علمية"، لسوف يتضح تبرير ما سبق في هذا التناول على النحو الآتي:

يأتي هذا التناول بناء على أهميته في كشف مفهوم الفصاحة العلمية وفي تشكيل بنيانها، فهو جوهري في تصديق مفهوم الفصاحة سابق الذكر وفي التعبير عن مقوماتها والكشف عن دقائقها وطبيعتها العلمية الموضوعية، وهو ما يستدعي التعرض له ببعض من البسطة إلى حد ما، وبناء على ما سبق ذكره من أسس مباشرة وغير مباشرة للفصاحة العلمية وعلى طبيعتها الثنائية (العلمية اللغوية) يمكن لنا هنا التركيز على مبدئين موضوعيين، ومعنى كونهما

(١) انظر على سبيل المثال: د. شريف كامل: سرعة الفصل في الإجراءات الجنائية المقدمة بالتفصيل، ط دار النهضة، القاهرة ٢٠١٩م.

(٢) د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي: التفكير العلمي ص ٣٧.

موضوعيين، أي: إنهما يستندان إلى موضوع خارج عن الذات^(١)، المبدأ الأول: "الوضوح" وبالأحرى "الوضوح العلمي" وقد سبق تناوله باعتباره الأساس الموضوعي الأول للفصاحة العلمية، ثم المبدأ الثاني "الدقة" وهي خاصة علمية تدخل في موضوع العلم ولغته معا لأنها تتعلق بالمطابقة والقياس وكثيرا ما يكون التقدم العلمي بل العلمية كلها رهن بالقياسات الدقيقة، وحتى تكون موضوعات العلم دقيقة ومقيسة على نحو صحيح موافق لطبيعة ظواهرها وعملياتها ومتعلقاتها لا بد من تحقق خاصة الوضوح للتعبير عن هذه الدقة وهو ما يتحقق في وضوح الموضوعات العلمية والمعالجات العلمية والمخرجات العلمية، وهي جملة ما يشكل موضوع "اللغة العلمية"، وهذا يعني أن وضوح اللغة العلمية إنما هو فرع -وبالأحرى ناتج ضروري- عن دقة موضوعاتها ووضوح ظواهرها وموادها، وعن دقة العمليات العلمية ووضوحها أيًا كانت (عمليات وصفية أو تحليلية أو اختبارية أو مقارنة ..) أيضا.

أولا: الدقة العلمية مرتكزا للوضوح والفصاحة العلمية:

(١) أهمية مبدأ "الدقة" بالنسبة لـ"اللغة العربية العلمية" والفصاحة العلمية: تعنى "اللغة العربية العلمية" بأنظمة الدقة عموما وبمبادئ "الدقة العلمية الموضوعية" وأدواتها ونماذجها ومنطقها على وجه الخصوص، والدقة من أخص خصائص "اللغة العلمية"، فهي جوهر "مبدأ التحقق"^(٢)، وهي عنوان "الموضوعية"؛ ومن ثم فقد عدناها من أهم خصائص "اللغة العربية العلمية". أما عن مبررات تقدم مبدأ "الدقة العلمية" وتلازم مبدأ "الوضوح العلمي" معه -إذ

(١) ذات المتكلم الفصيح، أو المفترض أن يكون فصيحاً

(٢) وقد ذهب الوضعيون إلى ان التحقق الحسي هو معيار العلمية بينما ذهب المعتدلون ومنهم كارل بوبر إلى " أن "التحقق الجزئي" هو المعيار الوحيد لمعنى الجمل العلمية".

طالما يقال: "الدقة والوضوح" - فيرجع ذلك إلى: ١ - أهميته العلمية حيث يقوم العلم على "التخصص" و"الموضوعية". ٢ - طبيعة "اللغة العربية" - بل واللغات الأخرى أيضا - التوسعية حيث "القياسية" و"المجازية" وطرائق الإيراد المتنوعة.. فكان يلزم التدقيق في هذه التوسعات وتلك التنوعات للاقتصار على اللازم العلمي منها للوضوح العلمي والغاية العلمية. ٣ - أن هناك التباس هائل بين مبدأ "الوضوح اللغوي" وهو مبدأ مشترك في كل السياقات اللغوية الذاتية والموضوعية، بما يعتبر أهم مبادئ "اللغة الاجتماعية" بعامة و"اللغة التداولية" على وجه الخصوص، وبين مبدأ "الدقة" الذي يتضمن الوضوح بالضرورة، ولكنه "الوضوح العلمي الموضوعي" المتخصص وفقا لموضوعاته، وليس ذلك "الوضوح" بالمعنى اللغوي أو الاجتماعي^(١).

(٢) مفهوم "الدقة": لـ "اللغة العربية العلمية" خصائص محددة تعبر عن ماهيتها وتكشف عن مقوماتها وتميز طبيعتها بالنسبة لأنواع أخرى من اللغات: "الأدبية" و"الاجتماعية" واللغات التداولية التقريبية والانفعالية. ومن أهم هذه المبادئ مبدأ "الدقة اللغوية العلمية"، وأصلها الجذر (د.ق.ق) ومعناه اللغوي الوضعي يؤول إلى "الأجزاء الدقيقة" وتسمى "الدقيق" ومنه معنى "الطحين" أيضا؛ إذ تتحول الحبوب فيه إلى أجزاء أصغر ودقائق على قدر كبير من الصغر

(١) ومثاله: "من عاش بالحكمة مات بالحسرة"، أو "مات بالمرض" .. فهذه المقولة الفاسدة في دلالتها العلمية "المحققة" هي صحيحة في معناها، واضحة في معناها، مؤنقة في صياغتها. وهي تعبير صارخ عن "الخداع اللغوي الصياغي" وتناويه عن "اللغة العلمية الموضوعية الدقيقة"، هذا بالإضافة إلى كثير من العبارات والجمل والأمثال الشعبية والمقولات والقوالب غير العلمية في معظم التخصصات (في العلوم الإنسانية والاجتماعية والشرعية على وجه الخصوص).

المتناسب، قال ابن فارس: "الذال والقاف أصل واحد يدلُّ على "صغر"^(١). " وزاد: "الدقيق : خلاف الجليل . " يقال : ما أدقني فلان ولا أجلني، أي ما أعطاني دقيقة ولا جلية. وأدق فلان وأجلُّ، إذا جاء بالقليل والكثير"^(٢) .

ويمكن استخلاص علاقة "المعنى اللغوي" بالمفهوم العلمي على تقدير أن: "اللغة العربية العلمية" إنما هي لغة الدقائق العلمية الموضوعية الدالة على موصوفاتها من الظواهر والوقائع ونواتج التحليل الذي يقومُ على تفكيك المركبات إلى دقائق.. ومن ثم فإن "الدقة" باعتبارها مبدأ أساسياً لـ"اللغة العربية العلمية" تعني في هذا السياق العلمي: "تطابق اللغة الموضوعية المستخدمة في التعبير عن الموضوعات العلمية مع كليات ودقائق تلك الوقائع وظواهرها بلا تزويدٍ أو تجاوز، بما يضمن سلامة البيانات وصحة المعلومات العلمية الموضوعية وموثوقية نواتجها (بنائياً ودلالياً). وهو ما يقتضي بالضرورة خلو هذه اللغة عن المجملات والمبهمات فضلاً عن براءتها من التناقضات والتعارضات..

ثانياً: الظواهر المباشرة على تحقق الدقة في "اللغة العربية العلمية" وتحقق فصاحتها: باعتباره مبدأ أساسياً من مبادئ "اللغة العربية العلمية"

(١) أبرز هذه الظواهر هو:

١- استخدام المعطيات الرياضية بعامة من مفاهيم ومسلمات وأرقام ومعادلات وبيانات في المقدمات أو في المعالجة أو في المخرجات والنتائج ولا

(١) وزاد " حقارة" ولم أثبتها لئلا ينحرف سياق الفهم عن الهدف من التعريف اللغوي، راجع ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، باب الدال وما بعدها في المطابق والمضاعف.
(٢) وفيه: "الدقيق : الأمر الغامض . والدقيق : الطحين . وتقول : دققت الشيء أدقه دقا".

يخفى أن لغة الرياضيات "اللغة العددية" هي لغة العلم الأولى، ثم تأتي "اللغة العبارية" بعدها. ٢- استخدام المفاهيم والمصطلحات العلمية في سياقات اللغة العربية العلمية في سياقاتها المناسبة. ٣- لزوم القصد الموضوعي في اللغة العربية العلمية بما يقتضي الاكتفاء بتحقيق غاية موضوع اللغة العربية العلمية والاكتفاء بالوصف والتقرير في كل المراحل دون انجراف إلى مبالغة في الوصف أو إيجاز وإبهام فيه.

(٢) مخاطر استخدام اللغة العربية غير الدقيقة : يؤدي

استخدام اللغة العربية الأدبية أو الاجتماعية التداولية أو تلك اللغة الذاتية التداولية إلى مخاطر جمة بالنسبة للمعارف والعلوم أبرزها: ١- عجز العلم عن تفسير ظواهره بسبب فوضى لغته التعبيرية والتفسيرية. ٢- بروز التناقض في المعطيات العلمية وفي نواتجها على كافة المستويات بناء على فوضى تسجيلها وفساد تفسيرها. ٣- عجز المعارف العلمية عن تفسير الظواهر ، بناء على عجز لغة العلم في استيعاب الأحداث والظواهر الداخلية أو المحيطة على كافة المستويات. ٤- غياب الدقة يعني التطبيق العشوائي للمخرجات العلمية لغياب الدقة عنها بما يؤدي إلى كوارث على كافة المستويات. ٥- فقد الوثوقية و بروز الشك إزاء الوثائق العلمية لغياب الدقة عنها وهو ما يؤدي إلى تصدع التطور العلمي والتراكم المعرفي وانحدار العلوم وغياب الحقيقة في كل مجالات العلم ٦- فقد التواصل العلمي الفعال على كافة المستويات بما يسبب اضطرابا في الرؤى وتنافر في التصورات وتناقضات تؤدي إلى حالة عامة من الريبة والتشكك بل وقد تفقد إلى احتراب مجتمعي بناء على غياب الحقيقة العلمية ومراجعتها^(١)...

(١) خاتمة بما سبق تبين لنا أهمية مبدأ الدقة في اللغة العربية العلمية والذي بلغ من أهميته أن يذكر في معظم سياقات هذه اللغة وكأنه الجزء الذي حل محل الكل ، فالدقة وإن كانت جزءا من هذه الخصائص إلا أنها جديرة بأن تعبر عن كل "اللغة

المسألة الثانية: الوضوح العلمي والبلاغة العلمية وأساليبها، يأتي الحديث عن البلاغة والأساليب الأدبية من قبيل اختبار تطبيقات التقنيات "اللغوية العلمية" -وبالأحرى تقنيات الوضوح العلمي- على الأساليب الأدبية لاستكشاف مدى قابليتها لاستيعاب المعارف المنظمة والمضامين والمعطيات العلمية المتخصصة في السياقات العلمية لنحصل على ما يسمى بـ"الأسلوب العلمي المتأدب"، وهو ما يثير عدة تساؤلات حول العلاقة بين "الوضوح العلمي" و"البلاغة"، وحول "الأساليب الأدبية" في "السياقات العلمية".

(١) **موقف "نظرية الفصاحة العلمية" من "علوم البلاغة"** و"الأساليب البلاغية" وموقع هذه الأخيرة من "اللغة العربية العلمية"، وعليه يجب هذا التناول عن سؤال صريح: هل هناك من جوب اتفاق بين البلاغة وعلومها

العربية العلمية" نظرا لتمييزها وكونها من أخص خصائص هذه اللغة، حيث تعتبر معيارا وضمانا عاما في: ١-خزن المعرفة العلمية من قبل منتجها في لغة علمية موضوعية. ٢- ضبط تفسير المعرفة العلمية. ٣- نقل المعرفة العلمية إلى لغات أخرى (الترجمة والتعريب مثلا..). ٤-ضمان التداول السليم للمعرفة العلمية بين أصحاب التخصص الواحد والتخصصات المتشاركة. ٥- يمكن أيضا عن طريق معيار الدقة اللغوية العلمية ضمان التحقق الاختباري من الظواهر والوقائع والمعاني والقيم وإتاحة الفرصة لتكرار الاختبار أو من خلال معايير التماسك والمطابقة المنطقية للمبادئ مع الممارسات من خلال النماذج. ٦- ضمان التثقيف العلمي للعامة ولغير المتخصصين (وتقريب المعرفة قدر المستطاع) لأن هذه مشكلة وحدها، وذلك لتحقيق توصيل المعلومات بطريقة ثابتة وموثوقة. ٧- تضمن الدقة لنا الوثوق في المعرفة العلمية حال كانت لغة العلم مستوفية لشروطها بما يسمح بالتداول المعرفي والتبادل العلمي وتطوير العلوم والتكنولوجيا الحديثة والسيطرة على البيئة وحل كثير من مشكلاتها..

وأساليبها وبين "اللغة العلمية" وأساليبها العلمية، وهل يمكن إيجاد مساحة مشتركة بينهما يمكن أن يطلق عليها "البلاغة العلمية" على نحو ما أثبتناه بالنسبة للفصاحة؟

يمكننا الإجابة عن هذا السؤال الجوهرى بناء على الإطار العام لـ"الفصاحة العلمية" وعلى مقوماتها العامة والخاصة وعلى رأسها مقوم "اللغة العلمية" وبناء على فلسفة العلم وخصائص المعرفة العلمية.. فنقول: هذا سؤال مركب يحتاج إلى تحليل عميق واختصاص ببحث مستقل، وفي هذا المقام يمكن القول بأن المقومات "العلمية" في سياق "اللغة العلمية" عموماً وسياق "الوضوح العلمي" خصوصاً لها طبيعتها وخصائصها ومقتضياتها، وهي تمثل مرجعية وأساساً تقوم عليه مبادئ اللغة العلمية وقواعدها وصلاحياتها العلمية المفروضة على "اللغة" في كل سياقاتها ومساقاتها كافة، إذ إنها تعم "الخطاب العلمي" العام والخاص بلا استثناء، لأنها مرجعيات حاکمة لازمة وقواعدها آمرة نافذة على جميع مفردات اللغة وتراكبها وأساليبها وكافة تقنياتها، وهذا يعني:

١- أن اللغة العربية بكل علومها وفنونها وأساليبها ومستوياتها أياً كان اسمها: (النحو، الصوف العروض، المعجم، الفصاحة، علوم البلاغة: البيان، والمعاني والبديع) تخضع للمقومات والصلاحيات والاشتراطات العلمية العامة وإلى مبادئ "اللغة العلمية" و"الفصاحة العلمية" و"الوضوح العلمي" وقواعدها بلا استثناء..

٢- يمكن استخلاص وبالأحرى تعيين منطقة مشتركة تجمع العلوم اللغوية والبلاغية مع الاشتراطات والمقومات والصلاحيات العلمية، وحينئذ يمكن تأصيلها وتأطيرها وفقاً لما تأطرت به "الفصاحة العلمية" في ضوء محددات ومعطيات "النظرية العامة للغة العلمية".

٣- ليس من مانع ابتداء وجود كيان بلاغي علمي ونظرية عامة لـ"البلاغة العلمية" أو لما يمكن تسميته "علم البيان العلمي" أو "علم المعاني العلمي" أو "علم البديع العلمي" أو "علم الصرف العلمي" أو "علم النحو العلمي" أو "علم الصوتيات العلمي" أو "علم الدلالة العلمي" أو "علم المعجم العلمي" ، أو حتى "الأدب العلمي" أو "الشعر علمي" أو "القص العلمي" ما دام سيتقيد بالصلاحيات العلمية الخالصة المبنية على خصائص المعرفة العلمية وعلى مقومات العلم وعلى "صلاحيات اللغة العلمية" وعلى كل "الصلاحيات العلمية اللغوية". هذا هو جوهر المسألة أن هناك صلاحيات وشروطا وخصائص علمية حتمية لا بد من توافرها، فإن توافرت فإن الناتج يكون علميا أو داخليا في سياق العلمية أو مشمولاً بوصف العلمية أي كان هذا الناتج أدبا شعرا فنا ... وهناك تجارب في ذلك واسعة لعل أبرزها ما أنتجه العلماء الأدباء أو الفلاسفة المتأدبين أو الخبراء والفنانيين الأدباء في كل ما يحمل مضمونا علميا وإن بلغة أدبية ما دام الموضوع والسياق والغاية علمية وليس هناك مساس بالحقائق العلمية والمضامين المعرفية المنظمة فلا مانع من أن تكون هذه الأشكال مشمولة بوصف العلمية على قدر توافر شروط العلمية وعمل مقوماتها والتزام تلك المخرجات بأصول ومبادئ العلمية وبقواعدها .

تلك هي الإجابة العامة ولا يخفى أن لها تفاصيل كثيرة، وفي كل ليس يخفى الآتي: أ- أن طبيعية "اللغة العربية العلمية" ومقوماتها وصلاحياتها هي العنوان الأبرز وهي المؤثر المباشر في كل ما سبق. ب- يضاف إلى ما سبق أن مخرجات النظرية العامة " للغة العربية العلمية" تؤكد على الخصائص الخمسة الأساسية، وهي (الدقة والوضوح والموضوعية والمنطقية والمباشرة)، وهي خصائص ذات تأثير بالغ: في مفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها وفي كل مكنتها وأدواتها التي يمكنها أن تكون وعاء للمعرفة في مختلف حقولها.

المسألة الثالثة: مبادئ الفصاحة والبلاغة العلميتين وضوابط

أساليبهما

(١) بالنظر إلى "اللغة العلمية" باعتبارها أصواتا ورموزا تشكل المفردات والتراكيب والجمل والعبارات والسياقات فهي تخضع لنظام لغوي قاعدي عام بالضرورة، ويتشارك هذا النظام اللغوي مع نسق معرفي يتكون من نهج وفلسفة علميتين يعبران عن طبيعة العلم وخصائصه وعن معطياته وأبنيته وجوانبه، وتمثل معطياتهما إطارا ينظم استخدام المُكُنات اللغوية الواسعة والمتنوعة وموجها لها في كافة نقاط ومحطات استخدامها للتفكير والتعبير العلميين وفي خزن المعرفة العلمية واستيعاب قيمها على وجه صحيح، ثم في محطة التفسير العلمي وصولا إلى غاية استدعاء الحقائق والقيم والمعاني العلمية من النصوص اللغوية العلمية فيما يسمى "التفسير العلمي".. وبهذا يمكن تصنيف "اللغة العلمية" إلى مستويين مستوى المفردات والتراكيب، ومستوى الجمل والأساليب.

أولهما: مستوى المفردات والتراكيب (غير الجمالية)، تتجلى فيه المفردات في صور سمعية (صوتية) في الخطاب العلمي الشفاهي على وجه الخصوص وكتابتية (شكلية)، وفي صورة دلالية ملازمة لكلتا الصورتين السابقتين، ولا يخفى أن "المفردات" هي الوحدة الأساسية لبناء "جملة اللغة العلمية"، وقد يعبر عن هذا المستوى باسم "التصورات" أو "الحدود" مصحوبة بوصف العلمية، وهو ذلك المستوى الذي يعبر عن التعريفات والمفاهيم والاصطلاحات كما هو معلوم وفقا لـ"علم المنطق".

والثاني: مستوى الجمل الجملة وهي القضية بلغة المنطق أو الجملة الخبرية التي تجمع مسندا ومسند إليه، وهي كل في حدها الأدنى اسم وفعل أو اسمان، وتعتبر هي الوحدة الأساسية لبناء العبارة والفقرة في اللغة العلمية.

وتعالج "الفصاحة العلمية" المستوى اللغويّ الأولَ بالأساس بناءً على ما ذهب إليه جمهور البلاغيين المتأخرين حيث الألفاظ والمفردات والتراكيب غير التامة، كما وتعالج "البلاغة" الجملَ والعباراتِ والفقراتِ وعمومَ الأساليب، وعند التزامها بالأطر والمقومات والمبادئ والقواعد وعامة "الصلاحيات العلمية اللغوية" على نحو ما سبق يمكن أن يطلق إذن عليها "البلاغة العلمية". وفي كل أحوال المعالجة العلمية لهذا المستوى الثاني يجب البدء بالمستوى الأول وهو "المستوى الفصاحي"، أو مستوى "الفصاحة العلمية" لأن اللفظ المفرد هو الأساس لما يبني عليه من الجمل والعبارات والفقرات، وفي حال ثبوت صحة أطروحة هذا المستوى يمكن حينئذ الانتقال إلى المستوى الثاني وطرح ما يتعلق بمفهوم "البلاغة العلمية" .. وبهذا وبما سبق تأصيله أمكن الإجابة عن سؤال: هل هناك ما يمكن تسميته "البلاغة العلمية"؟ ويمكن تعميق ما سبق عند ملاحظة أن "اللغة العلمية" تنتج بالضرورة "أساليب علمية"، وكذلك فإن "اللغة الأدبية" المشبعة بالمكنات البلاغية تنتج بالضرورة "أساليب أدبية"، وفي حال تلاقت البلاغة بعلمومها وفنونها مع "المقومات العلمية" الناشئة عن خصائص المعرفة وعن طبيعة "اللغة العلمية" فحينئذ يمكن استيلاد ما يسمى "الأسلوب العلمي المتأدب" أو "الأسلوب العلمي البلاغي"، وهو امتداد لـ "الأسلوب العلمي" و"الأسلوب العلمي اللغوي" ثم "الأسلوب العلمي المتأدب"، والمعول في كل هذا كما سبق تأصيله هو استجابة اللغة الأدبية أو البلاغية بأساليبها وتقنياتها للمبادئ والقواعد والصلاحيات العلمية اللغوية سابقة الذكر، ف"على قدر استجابتها على قدر علميتها"، وأيضاً "على قدر عدم استجابتها على قدر ما تنفي علميتها" ونعتها بالعلمية، هذا هو المبدأ العام الكلي في كل معرفة لغوية وفي كل علم وفن ومسألة لغوية تدعي العلمية، وبهذا يمكن إلى حد كبير حسم هذه المسألة.

(٢) جدول أثر خصائص "العربية العلمية" الخمسة على الأساليب العلمية والأدبية والأساليب البيئية بينهما (الأساليب العلمية المتأدبة)، هذا هو جدول الأساليب الثلاثة (العلمي الأدبي، والعلمي المتأدب) لاستعراض آثار خصائص اللغة العلمية على مفهوم وعمل تلك الأساليب^(١)

الأسلوب العلمي المتأدب	الأسلوب الأدبي	الأسلوب العلمي	الخاصة العلمية
يصعب مراعاة الدقة بحذافيرها لأن هذا يجعل من الأسلوب العلمي المتأدب أسلوبا علميا محضا. وهنا تتنازع الصلاحيات اللغوية العلمية والصلاحيات البلاغية (الانفعالية والتأثيرية) فيراعيها الكاتب أو المشافه حينما ويتركها أحيانا	العبرة في الأسلوب الأدبي هو الإقناع والتأثير في المتلقي السامع أو المخاطب أو القارئ، فلا يتعلق الأمر بالدقة أبدا وإنما بالسياق والمقام الذي تستخدم فيه اللغة	هي أهم الخاصات التي تراعيها اللغة العلمية، وهو مبدأ علمي لغوي أمر لا يمكن مخالفته يفرض على اللغة ١-فروضا في ألفاظها لتكون مفاهيمية اصطلاحية وضعية ومفردات لغوية محايدة إضافة إلى الروابط (حروف المعنى) المنطقية أو الموضوعية التي تعبر عما وضعت فيه	الدقة
يتراوح "الوضوح" هنا بين المقتضى العلمي الكامن في الدقة والموضوعية والمنطقية وبين الوضوح القائم على قوة	الوضوح وصف أساسي للأساليب الأدبية وهو معيار مهم من معايير تفاضلها، غير أنه الوضوح	الوضوح ضرورة علمي أساسية، ويتقيد الأسلوب العلمي بالوضوح في مفرداته وفي تراكيبه	الوضوح

(١) انظر أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية) لأصول الأساليب الأدبية، صفحات ٣٥ فيما يتعلق بالأسلوب وعلوم البلاغة، والباب الثاني كله التعريف بالأسلوب (٤٠ - ٥٠).

<p>التأثير وعلى وسائل الإقناع وتحريك المخيال عبر الوسائل والتقنيات الأدبية. فتارة يجنح المنشئ نحو الوصف والتقدير العلمي فيتخذ من الدقة الموضوعية المحولة على المنطق العلمي والمباشرة أساسا ، وتارة يؤثر الوضوح الأدبي المرتكز على إثارة المخيال وطرق الوجدان. وغالبا ما يراعي المنشئ البعدين العلمي والأدبي دون اشتراط للتوازن بينهما بل وفقا للغاية من إنشائه ووفقا لطبيعة موضوعه ونوعية المخاطبين وسياقاتهم.</p>	<p>الأدبي الفصاحي والبلاغي، حيث يستهدف الكاتب أو المشافه إيضاح فكرته لمخاطبة شعور ووجدان المتلقي وتحريك مخيلته وإثارة تصوره وإيقاظ مكانته الوجدانية بكل سبيل بهدف الإقناع والتأثير، وهو هنا لا يعنى هنا غير ذلك. -وعليه فهو وضوح لا يتعلق بالدقة باعتبارها أساس له بل يتعلق بتصورات المنشئ ورؤياه التي تقوم بناء على مشاعره وأحاسيسه لغاية التأثير والإقناع . كما لا يتعلق بالموضوعية أو المنطقية بل يقوم على أساس إقناعي وجداني سواء وافق المنطق أو لم يوافق</p>	<p>وعباراته وفي سياقه العام، غير أنه يعتمد "الوضوح العلمي" أو "الفصاحة العلمية" -لا الوضوح الأدبي البلاغي أو البياني وما تقتضيه البلاغة والفصاحة الأدبية - وهو وضوح يعبر عن "ظهور المعطيات العلمية ومخرجاتها وبيانها في(محتواها أو منهجها أو فلسفتها ونظريتها) بناء على الدقة الموضوعية والمنطقية والمباشرة وهي خصائص أساسية من خصائص اللغة العلمية تفرض مبادئها وتوجب أعمال قواعدها في كل ما يتعلق باللغة العلمية . وحينئذ يمكن تسمية هذا الوضوح بالفصاحة العلمية، ومعايرته بمبادئها وقواعدها</p>	
<p>لا يرفض الأسلوب الأدبي الموضوعية بجملتها ولكنه يرفض صراحتها ومباشرتها فهو غالبا ما يستطلب</p>	<p>على نحو ما سبق يجمع الأسلوب العلمي المتأدب ما بين الموضوعية العلمية وفقا لما تبدو عليه في</p>	<p>الموضوعية مصدر صناعي من الموضوع، وتعدُّ الموضوعية وصفا عاما لكل ما هو علمي وهي</p>	<p>الموضوعية</p>

<p>تعبيراته ويقوم أساليبه على الموضوعية ولكنها الموضوعية الأدبية التي انصهرت في نفس المنشئ فنقلتها من عالمها الواقعي الموضوعي إلى ذات المنشئ فصورها من جديد وفقا لرؤيته ومشاعره وهو ما يسمح له بإعادة تخليقها في مفرداته وتراكيبه وجملته وعباراته الأدبية.</p>	<p>الواقع المائل أو تحت المرادف "الجاهرية" أو "المجهرية" في تجاور مع تلك الموضوعية الذاتية التي رصدتها تجربة الشاعر الانفعالية فحولتها إلى موضوعية ذاتية تمكن من إعمال تقنيات البلاغة وأدواتها البيانية والبديعية فضلا عن مكنات علم المعاني في نفس أطر الموضوعية العلمية متداخلتين معا أو متعالقتين بأن تكون الموضوعية الواقعية أساسا والموضوعية الأدبية تعقبا عليها وتفسيرا لها، أو العكس بأن يطرح الشاعر رؤيته الذاتية ويفرضها على الوقائع والظواهر الموضوعية الاختبارية. وقد تأتي الجمل والعبارات متجاوزة موضوعة وذاتية في سياق واحد يبين عن قوة المنشئ وعن ضلوعته في استخدام كليهما</p>	<p>تكافئ الدقة في أهميتها وفي تقدمها، وكان يمكن البدء بها أولا غير أنها تأخرت لتقديم الخاصتين الأبرز في اللغة القانونية والمرتبطين أكثر بفصاحتها العلمية، وبناء على ذلك يمكن وصف الأسلوب العلمي إجمالاً بالموضوعية كما يوصف العلم بها لزوماً. وتعني الموضوعية الحياد ورفع الذاتية وتنحية الأحكام القيمة والالتزام بالوصف والتقرير الواقعيين الموضوعيين، وهو مقتضى الأسلوب العلمي. تفرض الموضوعية على الأسلوب العلمي مبادئ صارمة في استخدام الأبنية اللغوية العلمية المفردة والمركبة فتفرض الدقة وتقديم المفاهيم ثم المصطلحات ثم المقاربات لها (الألفاظ ذات الصلة) ثم المفردات</p>
--	---	--

	<p>والتنسيق بينهما .</p>	<p>اللغوية الوضعية، ثم المفردات المحايدة ، وعلى مستوى التركيب تفرض الموضوعية الأبنية الخبرية الوصفية ، والتقريرية المحمولة على الدقة والوضوح العلميين مع السماح باستخدام الرموز والأرقام وكل ما من شأنه تحقيق الموضوعية بدقة ومطابقة لمحتواها ومخرجاتها ونهجها العلمي</p>	
<p>تحل الأدبية والذاتية محل المنطقية في الأسلوب الأدبي، ولا يعني حلولها بالضرورة بل وفقا للجو النفسي للمنشئ ووفقا لسياقه وطبيعة موضوع تناوله وغايته المرجوة منه. وعلى المستوى الأدبي لا يقال هناك تناقض أبدا بل يقال هناك تجربة ذاتية عميقة عاشها الشاعر سواء في سياق النشوة والطري أو في سياقات البؤس والحزن واللوعة فضلا عن سياقات</p>	<p>يجمع الأسلوب العلمي المتأدب ما بين المنطقية العلمية وتلك المنطقية النسبية وما بين الذاتيات الخالصة الناجمة عن تجربة المنشئ وخصوصية تصورات وطبيعة عالمه الشعري. وغالبا -على نحو ما سبق إيراد- يجمع المنشئ ما بين المنطقية والذاتية واللا منطقية والحس الشائع وما بين المنطقية الموضوعية وما بين الذاتية اللا</p>	<p>المنطقية مصدر صناعي من المنطق وهو روح سارية في كل روابط المفردات اللغوية وفي تراكيبها وجملها وأساليبها وعباراتها، فهي الضامن لكشف التناقض وقطع الضلال أو الخداع اللغوي. والمنطق ابتداء وما يتلوه من متعلقات هو صورة الفكر وضابط قواعد الفكر، وصورة الفكر في الأصل هي اللغة ومن ثم يعد المنطق مقوما رئيسا من</p>	<p>المنطقية (الترايط المنطق)</p>

<p>التشاؤم والعزلة والاغتراب . بناء على عدم ضرورة ارتباط المخرجات بمقدماتها في العمل الأدبي فلا يلزم الاحتكام إليها في تقييم تلك المخرجات وإنما الاحتكام يكون للتجربة الأدبية العميقة ولغاية الشاعر من وراء استخدامه للغة في سياقاتها المختلفة .</p>	<p>موضوعية، ويعتمد هذا على مخيال المنشئ وعلى طبيعة الموضوع الذي يبحثه والغاية التي يرومها . وهنا تتراكب اللغة من أجزاء منطقية وأخرى ذاتية برابط شعوري يفرضه الأسلوب الأدبي وسياقه العام أو تتجاوز المنطقية واللا منطقية الأدبية إلا أنها تتعاون في رسم صورة معينة يرومها المنشئ ويطرب لا المتلقي (القارئ أو المستمع)</p>	<p>مقومات اللغة العلمية والفصاحة العلمية وكذلك البلاغة إذا صح أن بعضا من سياقاتها يتعلق بها(؟؟) تلتزم اللغة العلمية بالمنطق في كل أبنيتها المفردة والمركب ويضمن المنطق لها عدم التناقض أو الإخلال بالمقدمات بما يقطع اتصالها بالنتائج ومن ثم يتبوأ مكانته العالية في اللغة العربية العلمية .</p>
<p>تعد المباشرة مع الدقة من الخصائص التي ينأى عنها الأسلوب الأدبي في عمومها، فإذا كان له أن يتفق مع الدقة ولومن منظور ذاتي ومع المنطق من خلال المنطق الاحتمالي والنسبي أو مع الموضوعية المختلطة والتي تجمع بين الواقع والتصور الذاتي فهو لا ينسجم مع الدقة العلمية ولا مع المباشرة على وجه</p>	<p>بينما يمكن الجمع على المستوى التأصيلي بين جميع الخصائص العلمية السابقة وما بين مقتضيات وصلاحيات البلاغة الأدبية لا يمكن الجمع هنا بين الأسلوب الأدبي والعلمي في هذه الصفة، إذ يصعب الجمع بين حقيقتها العلمية وما بين مقتضياتها الأدبية . وعلى رغم ذلك فقد يكون الجمع بينهما متصورا في</p>	<p>يمكن النظر إلى خصيصة المباشرة -والتي تعني القصد في التعبير وعدم التزيد فيه- في الأسلوب العلمي باعتبارها ثمرة مؤكدة ونتيجة عامة للخصائص الأربعة التي تسبقها، إذ تقتضي الدقة المباشرة في التعبير المطابق عن ظواهرها أو مواقفها وأحوالها، كما ويقتضي الوضوح بصورة</p>

المباشرة

<p>الخصوص. إن عملاً أدبياً منبسطة يغطي بضعة مئات من الأوراق يمكن إيجازه في بضعة أسطر مباشرة، وإن قصيدة طويلة أو ملحمة ليمن إيجازها في بضعة عبارات تقريرية موجزة، من هنا تتباعد المباشرة عن الأسلوب العلمي تماماً وتتنافى معها على خلاف الصفات السابقة.</p>	<p>حالة إعراض المنشئ عن تصوير موضوعه في بعض محطاته فيستخدم المباشرة والصرحة ثم يستخدم ما راقه من أساليب أدبية وتقنيات بلاغية في غيره. هذا على المستوى النظري.</p>	<p>أبرز تلك المباشرة والصرحة بل لعله شرط أساسي يسبق الدقة في أهمية توافره لتحقيق تلك المباشرة، وكذلك الموضوعية باعتبارها انعكاساً مباشراً للموضوع في أي جانب أو زاوية يتم تناوله فهي تقتضي التركيز عليه في حياد بعيداً عن الانفعالات وما يتبعها من عبارات إنشائية وأحكام قيمية. وتأتي المنطقية أيضاً باعتباره إحدى الأسس المهمة التي تقتضي تحقيق الصراحة والإيجاز في التعبير العلمي (الكتابي أو الشفاهي) فهو مانع للتزيد والتكرار غير المبرر من خلال الربط الوثيق بين مقدمات ومبادئ القضايا مع رعاية الاتساق بين مكوناته أياً كانت محتوى أو منهجاً.</p>
--	---	---

المطلب الثاني: نماذج تطبيق الفصاحة العلمية في العلوم

والتطبيقات القانونية

الفرع الأول: الاعتبارات النظرية للفصاحة العلمية واللغة القانونية العلمية.

الفرع الثاني: التطبيقات الفصاحية المباشرة على اللغة القانونية

الفرع الأول: الاعتبارات النظرية للفصاحة العلمية واللغة

القانونية العلمية

أولاً: العلاقات العلمية بين نظريات اللغة القانونية واللغة العلمية والفصاحة العلمية: يحضر -في هذا السياق- إلى الذهن مباشرة بعض المفاهيم الأساسية مثل "النظرية العامة للغة العلمية" و"النظرية العامة للفصاحة العلمية" و"النظرية العامة للغة القانونية"، وبناء على أن الأخيرة نظرية قائمة بالفعل وإن كانت حديثة في نشأتها إلا أنها تعبر عن أطروحة علمية معتبرة تم إجازتها^(١) وحملت من التأصيل والتعديد الكثير من الدلائل والبراهين في الدفاع عن طرحها بوجود كيان أو "نظام قانوني لغوي" له إطار نظري متماسك ومتناسق يعبر عنه ويحكم ظواهره القانونية اللغوية ويقوم على تنظيم وحل مشكلات الخطاب القانوني بعامة.

وبما أن القانون علم اجتماعي وهذا محل اتفاق وهو ينتمي أيضا إلى "العلوم المعيارية" إلى حد بعيد كما تذهب بعض المدارس الفلسفية والقيمية والدينية، فهو بالضرورة مشمول بإطار "اللغة العلمية" وبمنظومة مبادئها وقواعدها وهو ما يعني اطراد مبادئ وقواعد "اللغة العلمية" سابقة الذكر جميعا في المجال القانوني وفي كافة فروع القانون، وتفسير ذلك أن "اللغة القانونية" بالضرورة إنما

(١) النظرية العامة للغة القانونية أصولها، احكامها وواقعها القانوني المعاصر - دراسة تأسيسية تأصيلية) وهي رسالتنا للدكتوراه وقد حزننا بمرتبة الشرف، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية بمنيسوتا ٢٠٢١م..

هي لغة علمية ويتعلق بعلمية "القانون"، وهو "علم اجتماعي" متفق على علميته بلا اختلاف، وهو ما يسمح بتقرير المبادئ الآتية والتي تحدد العلاقات العامة بين اللغة العلمية واللغة القانونية :

المبدأ الأول: "اللغة القانونية" هي لغة علمية بالضرورة بناء على علمية "القانون"، وهذا مبدأ أقرب للضروري أو البدهي وكان يلزم البدء به للتأسيس عليه، ولا يحتاج كما يظهر إلى شرح أو تدليل لأن أقرب إلى المسلمات العلمية.

المبدأ الثاني: ترتبط "النظرية العامة للغة القانونية" بـ"النظرية العامة للغة العلمية" ارتباطاً ضرورياً بناء على عمومية اللغة العلمية وخصوصية اللغة القانونية. وهو ارتباط موضوعي ومنطقي في تماسك وتناسق في مراعاة لعموم اللغة العلمية وخصوصية موضع اللغة القانونية، وهو ما يعني استيعاب اللغة القانونية لجميع أطر ومبادئ وقواعد "اللغة العلمية" بناء على عمومها وعلى خصوص الأخيرة.

المبدأ الثالث: تخضع الظواهر اللغوية القانونية كافة لأطر ومبادئ وقواعد اللغة العلمية. وذلك على نحو ما سبق ذكره، وقد تبين هذا جلياً في أحكام اللغة القانونية كما عبرنا عنه في دراستنا "النظرية العامة للغة القانونية" في الفصل الثالث منها بعنوان: "الأحكام العامة للغة القانونيّة والاصطلاح القانوني" وخاصة في المبحث الأول: ماهية أحكام اللغة القانونيّة وأنواعها، وفي مطالبه ومسائله^(١)، وبناء على هذا التمهيد الموجز في الربط بين اللغة العلمية واللغة القانونية.

بناء على المبادئ السابقة يمكن الدخول إلى تحديد أوجهه العلاقة بين "اللغة القانونية" -المرتبطة ضرورياً باللغة العلمية ارتباطاً الخاص بالعام- وبين

(١) السابق نفسه من ص ٣٦٧ وما بعدها.

"الفصاحة العلمية"، أو فننقل الربط بين "النظرية العامة للغة القانونية" و"النظرية العامة للفصاحة العلمية"، وهو ما يمكن تأصيله في المبادئ الآتية:

المبدأ الأول: تعد اللغة مقوما جوهريا وأساسيا بالنسبة للقانون. وهو يعني أنه لا يتصور وجود قانون – قانون اجتماعي أيا كان مصدره – إلا بلغة تعبر عنه ، ولغة يقوم بها في تصورات وأطره وتقنياته وتطبيقاته وكافة الممارسات القانونية، ويمكن على هذا المبدأ تقرير حقائق كثيرة ومقولات عديدة تصب جميعها في حقيقة أن "اللغة بالنسبة للقانون هي وعاءه وشكله وجسده الذي لا يمكن أن يوجد إلا به".

المبدأ الثاني: يلزم أن تكون اللغة القانونية لغة علمية قادرة على استيعاب تصورات القانون وفلسفته وأطره النظرية وتقنياته وخطابه وتطبيقاته ذات المتعلق اللغوي. ويقوم هذا المبدأ بالنظر إلى طبيعة القانون وكونه علما اجتماعيا تتعدد مصادره وأصوله، كما يؤكد ما سبق ذكره من تلازم اللغة للقانون مع تعيين اللغة العلمية القانونية بناء على طبيعة القانون ومقوماته العلمية.

المبدأ الثالث: حاجة القانون شديدة – على وجه الخصوص مع جملة العلوم القيمة والشرعية الأخرى – إلى "اللغة العبارية" التي يتقدم فيها الوضوح ابتداء على باقي خصائص اللغة العلمية . ويجدر الإشارة هنا إلى خصوصية العلوم القانونية بأنها علوم اجتماعية تقوم على تنظيم السلوك في المجتمع وعلى حماية الحقوق والحريات وهي علوم عملية تلابس الناس في كل سلوكياتهم الداخلية والخارجية العامة والخاصة ومن ثم فلغته ترتبط بسياق القانون الاجتماعي ارتباطا وثيقا، وكلما كان اللغة تلابس المجتمع وسياقات الناس ومواقفهم كلما كانت الحاجة إلى الوضوح أشد وذلك ما يغاير تلك اللغة التي تتعلق بالظواهر والوقائع العلمية والتي تحتاج إلى الموضوعية والدقة إلى غير ذلك من خصائص "اللغة العلمية" بصورة

أكثر، ويعني ما سبق أن الوضوح العلمي وبالأحرى "الوضوح القانوني" هو من أبرز مقومات اللغة القانونية بالنظر إلى طبيعة علم القانون وطبيعة تقنياته وممارساته. المبدأ الرابع: تقوم "اللغة القانونية" - ولغات العلوم المعيارية- على المقومات الفصاحية العلمية بأوفر من العلوم الطبيعية والتطبيقية الأخرى. وهذا مفترض معقول جدا لأن اللغة القانونية لغة موضوعها قانوني اجتماعي وسياقها قانوني اجتماعي وغايتها قانونية اجتماعية، فهي لا تكون إلا لغة عبارية، ولا يمكن التعامل معها إلا في ضوء المقومات العلمية اللغوية وبناء على الصلاحيات القانونية اللغوية - وهي تعبر عن الصلاحيات العلمية اللغوية سابقة الذكر في المجال القانوني- ولا يمكن استيعاب أو البناء على هذه اللغة إلا في حال وضوحها ودقتها وبناء على تقدم الوضوح على غيره من الخصائص اللغوية العلمية المعتبرة أيضا. وهو ما يسمح بصياغة قواعد كثيرة أبرزها قاعدة: تمثل الفصاحة العلمية القانونية عصب وجوهر اللغة القانونية. وبناء على ما سبق يمكن النظر إلى تطبيقات "اللغة العلمية" و"الفصاحة العلمية" في المجال القانوني وفي إطار العلوم القانونية من خلال مكون أو كيان أو نظام يجمع بينها باسم "الفصاحة العلمية القانونية"، وهي كما يظهر مركب وصفي يعبر عن تداخل الفصاحة العلمية مع اللغة القانونية ضمن إطار اللغة العلمية، وهو ما يمكن شرحه وتوضيحه في الآتي:

ثانياً: الخطوط العريضة في تطبيقات النماذج الفصاحية على اللغة القانونية في سياقاتها القانونية:

(١) عمومية نظرية الفصاحة العلمية واعتبارها التنظيري، تمثل نظرية الفصاحة العلمية إطارا عاما (نظريا ومفاهيميا وعمليا) يحكم كل ما يمكن أن يدخل تحت طائلة "الفصاحة العلمية"، وما يمكن أن يعبر عنه بـ"اللغة العلمية" وهذا أصل علمي متفق عليه. وبالنظر إلى ماهية "الفصاحة العلمية" وطبيعتها وخصائصها

على نحو ما سبق تأصيله فهي متحققة بالضرورة في "اللغة العلمية" أيا كان محتواها ومنهجها وفلسفتها، إذ إنها داخلة ضمن نطاق "الفصاحة اللغوية العلمية" ومبادئها وأحكامها، وبما أن "العلوم القانونية" فرع من "العلوم الاجتماعية" تقع ضمن حقل وإطار المعارف الإنسانية في التصنيف العام؛ فهي أيضا مشمولة بما سبق ذكره من معايير ومبادئ في الفصاحة العلمية، وبما أن "اللغة العربية القانونية العلمية" أو "اللغة القانونية" -على سبيل الإيجاز- هي وعاء العلوم القانونية ومستوعبة مضامينها ومشمولاتها المنهجية والفلسفية فهي داخلة بالقوة ضمن "نظرية الفصاحة العلمية"، وما سبق يعني اطراد "الفصاحة العلمية" بمقوماتها وأطرها وأحكامها على "اللغة القانونية"، هذا هو الأصل العام الذي يجب التركيز عليه في هذا المقام بناء على ما سبق تفصيله في المحور الأول.

(٢) خضوع الخطاب العلمي العام في كل مجالات العلوم إلى "اللغة العلمية"، ليس يخفى أن العلوم كافة وفقا لتصنيفها الثلاثي (الطبيعية والإنسانية والتطبيقية) أو وفقا لغيره من التصنيفات تخضع لغتها للمقومات العلمية العامة ولمقومات "اللغة العلمية" ومقتضيات الموضوعية والدقة والوضوح والمنطقية والصراحة وغيرها على نحو ما سبق، وكذلك الأمر في "اللغة القانونية"، فهي باعتبارها نظرية عامة لها أصولها وقواعدها يفترض فيها أنها تستجمع مكنات "الفصاحة العلمية" وتتعامل مع مقوماتها وصلاحياتها، وهذا بالفعل ما أثبتناه في دراستنا الكبرى باسم "النظرية لعامة اللغة القانونية- أصولها وأحكامها وواقعها القانوني المعاصر - دراسة تأصيلية تأسيسية) على نحو ما سبق تأصيله.

وعليه يمكن تقرير هذا المبدأ : اللغة القانونية مؤهلة تماما لتطبيقات الفصاحة العلمية، بل هي أكثر تأهيلا من غيرها نظرا لارتباطها بعلم قاعدي معياري من نوع خاص ألا وهو علم القانون وما يمثله من أهمية على مستوى الضبط الاجتماعي وما تتميز به فلسفته وأطره النظرية ومنطقه ثم تشريعاته وتقنياته

وتطبيقاته وتنفيذاته وكافة ممارساته من حاجة ملحة لخطاب علمي قانوني يقوم على "الوضوح العلمي" وليس أي وضوح! بل الوضوح البين الدقيق النقي الذي لا تعثره شائبة، إذ إنه لا يحتمل اللحن ولا اللبس وإلا ترتب على ذلك إضرار مباشر بالحقوق والحريات والمراكز وبكل ما يحميه القانون ، ويمكننا البدء ببعض الاعتبارات العامة للتطبيقات الفصاحية على العلوم القانونية أو لما يمكن أن نسميه "الفصاحة العلمية القانونية" على نحو ما سبق.

الاعتبار الأول: الاعتبار العلمي (العام)، وهو ما يعبر عنه مفهوم "العلمية"، وبما أن القانون علم اجتماعي له أصوله وتنظيراته ومبادئه، فضلا عن فلسفته العلمية القانونية التي تشكل جزءا أصيلا منه فإن "كل ما يعم العلوم الإنسانية خاصة بالضرورة- يعم العلوم القانونية"، هذا بالإضافة إلى الاتجاه الوضعي المنطقي الذي ينطلق عن مبدأ "الواحدية العلمية" أو "العلم الموحد" **UNIFIED SCIENCE** وما يلزمه من "الواحدية المنهجية" **METHODOLOGICAL MONISM** التي تقضي بفرض المنهجية الوضعية على الظواهر والعلوم الإنسانية بعامتها بما فيها العلوم والظواهر القانونية، وهذا محل إشكال قديم وجدال متجدد في "فلسفة العلم"^(١).

الثاني: الاعتبار القانوني الخاص، وهو اعتبار يقوم على أهمية "اللغة العلمية" بالنسبة للقانون في معطياته وتحليلاته وتطبيقاته فهو لا يقوم إلا

(١) انظر عزمي إسلام: مفهوم التفسير في العلم (من زاوية منطقية) ص ٢١ ، حوليات كلية الآداب : جامعة الكويت (٤) سنة ١٩٨٣م.. وراجع د. محمد عبد الكريم الحسيني : "أصول المنهج الوضعي الخاصة وأثرها في تفسير الظواهر والنصوص القانونية [دراسة تحليلية في الأصول التاريخية والفلسفية للمنهجية الوضعية في ضوء علاقتها بالمعيارية اللاهوتية، مجلة العلوم الإنسانية العدد (٤) ٢٠٢٣ م .

من خلال تقنيات لا بلغة الرياضيات ولكن باللغة العبارية الوطنية لكل قطر في إطار وثيق ومشدد من "اللغة العلمية" العامة.

الاعتبار الثالث: تفرد القانون بالجمع بين الأساليب العلمية الخالصة والأساليب العلمية الأدبية، بل والأساليب العلمية البلاغية، وهذا ما يتحقق بالفعل في عالم القانون التطبيقي أو في الممارسات القانونية حيث يستعان باللغة الأدبية البلاغية – ضمن اللغة العلمية القانونية الفنية – في بعض المرافعات وفي عمليات الدفاع والخطب القانونية وغير ذلك، بناء على مبدأ قناعة المحكمة، وما تظمن إليه في بنائها الحكم وذلك في القضايا الجنائية على وجه الخصوص، وفي هذا السبيل نحاول أن نرسي بعض الأصول العامة للفصاحة القانونية بناء على نظريتنا العامة في اللغة القانونية وقد عبرنا عن ذلك في سلسلة تأصيلات متتالية¹ سوف نورد أبرزها فيما سيأتي ذكره.

الفرع الثاني: التطبيقات الفصاحية المباشرة

على اللغة القانونية:

أولاً: أصول ومركبات تطبيق "الفصاحة العلمية"

وبالأحرى "الفصاحة القانونية العلمية":

(١) أصول تطبيقات الفصاحة العلمية في السياقات القانونية: للعلوم القانونية خصوصية لغوية مثل خصوصية العلوم الشرعية بالنسبة للغة، فإذا كانت "النصوص الشرعية" هي مصدر وقوام الأحكام الشرعية فالأمر كذلك بالنسبة للأحكام والمعاني القانونية، إذ إنها تستمد أصولها من هرم يسمى "النظام القانوني الوطني" يأتي الدستور في أعلاه ثم التشريعات العادية ثم التشريعات اللائحية ثم

(١) وقد نشرناها على حسابتنا الاجتماعية الثلاثة " اتحاد لغة القانون"، "حساب محمد

الحسيني، قانونيون منهجيون"

القرارات ذات الصفة الشرعية، وتمثل النصوص القانونية بقواعدها ونهج صياغتها مصدرا رئيسا أساسيا للاستمداد القانوني العام وخاصة لدى مدرسة الشرح على المتون والتي تقارب مدرسة الظاهرية في الشريعة.

وبناء عليه فإن تطبيقات "الفصاحة القانونية" تسري على "اللغة القانونية" في كل أطوارها وفي استخداماتها وفي تداولياتها، ووفقا لتعريف الفصاحة اللغوي والاصطلاحي فهي مطلب أساسي في صياغة التشريعات الدستورية والعادية بل وفي صياغة كل محرر رسمي أو عرفي قانوني، فالتشريعات والأوراق القانونية يجب أن تقوم على الوضوح وفقا لنصوص الدستور التي نصت على اللسان العربي باعتباره اللسان العربي للدولة العربية ونصت القوانين على أن اللغة العربية هي لغة المحاكم وبناء عليه أوجب محكمة النقض ترجمة كل المستندات والأوراق القانونية بعامة إليها وإلا عيب على الحكم وكان طعينا واجبا نقضه^(١).

(٢) مرتكزات تطبيقات الفصاحة العلمية على اللغة القانونية: هناك عدة

أصول تقوم عليها تطبيقات الفصاحة العلمية يمكن إيجازها في الآتي:

- ١- العلمية القانونية، وهذه حقيقة بناء على استقلال القانون باعتباره علما معرفيا منفردا له أصوله ومقوماته ونظريته العامة ومفاهيمه ومصطلحاته وله لغته الخاصة المبنية على تلك العلمية، وقد تحدثنا عن العلمية سابقا بما في الكفاية
- ٢- اللغة القانونية، وهي شكل القانون ووعاؤه وحاملة معارفه وقيمه وخازنة معانية والأمانة على القاعدة القانونية وعلى التفسير القانوني الصحيح للنصوص

(١) [الطعن رقم ١٥٨٦ لسنة ٨٩ قضائية الصادر بجلسة ٠٢/١٢/٢٠٢٠ مكتب فنى (سنة

٧١ - قاعدة ٨٩ - صفحة ٧١٣) (الدوائر المدنية] انظر بحث الإطار الدستوري

لمشروعية اللسان العربي وحماية مركزه القانوني لدى الأنظمة القانونية الوطنية في

الدول العربية، ص ١٩١، ١٩٢ مجلة العلوم والدراسات الشرعية والإنسانية العدد (٤)

٢٠٢٠٢٣م.

والمحررات القانونية، واللغة القانونية نظرية عامة مستوعبة، فيها تفاصيل كثيرة تعبر عن الوضوح القانوني وعن علمية اللغة القانونية، وقد كان لنا حظ في وضع دراستها الأوسع والأولى عربيا " النظرية العامة للغة القانونية" وهي دراسة جامعة تعبر عن الأصول النظرية للغة القانونية وتفصيلها وبعضها من تطبيقاتها.

٣- اللغة العلمية، وهي تلك المرجعية العامة للغة القانونية ولغات العلوم والمعارف العلمية بعامة، وقد سبق ذكر خصائص اللغة العلمية وأنها خمسة (الدقة، الوضوح، الموضوعية، المنطقية، المباشرة (الصراحة) ، وسبق التأكيد على أن الفصاحة القانونية إنما هي فرع عن الوضوح العلمي القانوني ومن ثم ترتبط الفصاحة باللغة العلمية وباللغة القانونية على نحو ما سبق وهو يعزز الارتباط بينها ويدفع بها إلى تعميم التطبيق الصحيح على اللغة القانونية.

ثانيا: أبرز قواعد الفصاحة العلمية وأثرها في "الفصاحة العلمية القانونية"

هذه بعض أهم القواعد المباشرة النابعة عن قواعد "الفصاحة العلمية" وعن خبرات ممارستها العلمية التطبيقية، وهو ما يعني أن بها بعضا مما لم يذكر في التأصيل النظري السابق وذلك نظرا لتوسع "اللغة القانونية" واستقلال نظريتها اللغوية العامة وبالنظر إلى خصوصيتها في استيعابها للأسلوب العلمي البلاغي، بدرجات محدودة ضمن الأسلوب العلمي القانوني الأصلي، ومن ثم فهو يختص بممارسات سلطات الاتهام والدفاع والسلطة القضائية التي تحسم بينهما، وتلك هي أبرز القواعد:

القاعدة الأولى: قاعدة الأغراض القانونية، ويمكن عنونها بالآتي:
"اللغة القانونية الأدبية بين الأغراض الأدبية والأغراض القانونية"، وهي قاعدة تعليمية إرشادية تخاطب القانونيين وتحاول مساعدتهم في ضبط أغراض الاستخدام اللغوي الأدبي في المجال القانوني، ونص القاعدة هو:

أغراض الفصاحة والبلاغة في الأدب متسعة متكاثرة (كالممدح والذم والثناء والفخر والغزل..)، وفي القانون أغراضها ضيقة شبيهة منحصرة. وجل مساقاتها تدور حول: ١- شرح النصوص وتقريبها وبيان وجوه دلالاتها على وقائعها المتصلة بها. ٢- تقرير الوقائع وتكييفها وبيان أركانها وعناصرها وظروفها. ٣- إيقاع الاتهامات بأدلة ثبوتها، وبذل الدفوع بدلائل نفيها.. وتصارع لغتي الاتهام والدفاع. ٤- خطاب شفاهي إقناعي غايته التقرير والتأثير لغاية تحقيق "التغيير" في مسار القضايا لصالح أحد أطرافها. ٥- الخطابة القانونية، القضائية والسياسية، الحزبية، في محافلها ومناسباتها لتحقيق أغراضها.

وعليه نقول (في خطاب تعليمي تقريبي): فصاحة مفرداتك وقوة تراكيبك وروعة جملك يجب أن تتجلى في مواقف القانون وأغراضه القانونية، فبلاغتك القانونية هي فصاحة المقال حسب مقتضى الحال، وأهم مقتضياته ومواقفه هي: ١- حديثك القانوني الشفاهي في مجتمع القانونيين وفي مؤسسات القانون. ٢- إعداد مذكراتك القانونية أيا كان غرضها، وأيا كان مقام تقديمها. ٣- أداء مرافعاتك وتلاوة خطاباتك باسم العدالة في ساحات القانون والقضاء. ٤- شرحك لطلابك وتواصلك مع متعلميك ومريدك، في كل مقام وبأية حال. ٥- كتابة منشوراتك (البوستات) القانونية، وتسجيل وبت التوجيهات والإرشادات والمعارف القانونية على وسائل التواصل الاجتماعي^(١)

القاعدة الثانية: فصاحة الكلمة القانونية، شرعنا في وضع هذه القاعدة بناء على الفقه الفصاحي العربي على منوال قولهم : علامة كون الكلمة

(١) [للتفصيل العلمي انظر "النظرية العامة للغة القانونية"، أصولها وأحكامها وواقعها

القانوني المعاصر ص ٣٤٧، د. محمد عبد الكريم الحسيني، ٢٠٢١م]

فصيحة "أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيراً" وبناء عليه أمكننا صياغة هذه القاعدة في الآتي:

"علامة كون الكلمة فصيحة قانونيا أن تستعملها المؤسسات القانونية العليا، وأن يستعملها القانونيون الموثوقون كثيرا بأوفر من غيرها. وعليه نقرر أن معجم الفصاحة القانونية يمكن التماسه في الإبداع اللغوي القانوني وفي:

١- التقنيات (التشريعات) الدستورية. ٢- التقنيات (التشريعات) الأساسية والعادية.

٣- اللوائح والقرارات ذات الصفة التشريعية. ٤- أفضية المحاكم العليا السامقة (حيث قضاء النقض - التمييز - والإدارية العليا والدستورية العليا). ٥- روائع المرافعات، وذخائر المذكرات، وفائق الكتابات (صوغا ونظما وتركيبا) للقانونيين الراسخين من المقنين والقضاة والفقهاء والمحامين ذوي الدراية والرواية القانونية

ثالثا: من القواعد الشارحة للفصاحة القانونية - من الفقه الفصاحي العربي - وتطبيقاتها القانونية

(١) الفقه البلاغي العربي بشأن شروط الفصاحة: يمكن التوجه مباشرة نحو شروط الفصاحة المتعلقة باللفظ المفرد على نحو ما سبق ذكره في المبحث الأول، ومراجعة معاييرها ومدى صلاحيتها للتطبيق على الخطاب القانوني العام، وفي ضوء ما سبق ذكره فإن أبرز الشروط واجبة الرعاية في استحقاق لفظ ما لوصف الفصاحة - بكل مشمولاتها المعنوية حيث الوضوح والنقاء والصراحة والبيان البارز غير الملبس - شرطان موجبان وشرطان سالبان ، أما الشرطان الموجبان فهما شرطا التناسب والموافقة، بينما الشرطان السالبان فهما شرط الخلو من التنافر والخلو من الغرابة، وتفصيلهما في الآتي :

(أ) **الشروط الموجبة:** وهما شرطان الأول: شرط شكلي لغوي وبالأحرى صرفي يمكن تسميته بشرط "الموافقة" يقتضي موافقة اللفظ للقياس اللغوي الصحيح (قواعد اللغة العربية). من خلال اختيار الألفاظ المتناسبة مع الذوق السليم والحس البلاغي القويم، وهي موافقة قياسية ارتكازا على جواز القياس في اللغة وسمعي وهو ما يعني اتباع المسموع عن العرب حتى ولو لم يقس عليه أو لم يأتي وفقا لقواعد القياس. والثاني: شرط "التناسب"، وهو يقتضي تناسب اللفظ لما سوف يستخدم فيه، فمثلا عندما تقول: (الأستاذ) القاضي، أو تقول (الحكيم - أو الفنان) المحامي، سيفهم منك بالطبع ماذا تقصد، ولكنك استخدمت ألفاظا غير مناسبة، فالفصاحة تعني اختيار الألفاظ المناسبة، ومن مناسبة الألفاظ أن تكون مستعملة في مجرى العرف استعمالا مطّردا ، ولم يجرِ العرف على تلقيب القاضي بالأستاذ" ولا نداء المحامي بـ" بالحكيم - أو الفنان " مثلا - على جلالة كل من السادة القضاة والمحامين فهما شركاء العدالة وعضدها - .

(ب) **الشروط السالبة،** وهي شرطان أيضا الشرط الأول : خلو اللفظ عن التنافر وهو شرط يتعلق ببنيته الصوتية أساسا، أي: يكون لفظا سلسا في نطقه وفي أدائه ومن ثم سائعا في طرقة الآذن رائقا عذبا في الوجدان، وهذا يقتضي تناسب حروف اللفظ بشروط وكيفيات نص عليها البلاغيون. والشرط الثاني: خلوه من الغرابة إذ يجب أن يكون مألوفا أو قابلا لأن يكون مألوفا لدى سامعه. وكما هو ملاحظ هناك تسلسل في الشرطين وهي تسلسل تكاملي بمعنى أن اللفظ إن لم يكن متنافرا وكان سلس النطق سائعا فيجب أن يكون في ذات الوقت خاليا عن الغرابة مألوفا أو قابلا للمعرفة ببسر.

ومن وجوه التمثيل على بعض الشروط السابقة نرى إيرادها لأهميتها "مفهوم التنافر" وهو صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة في النطق بها، ولها أسباب منها: ١- درجة معينة من درجات تقارب الحروف، أو طول الكلمة المفردة (وقد يسبب هذا: صعوبة في النطق بها واستبشاعا عند سامعها)!!.. ٢- مخالفة الذوق السليم والحس البلاغي القويم.^(١) وبناء على ما سبق يمكن ملاحظة الاتي أن كل ما يعده "الذوق الصحيح" ثقيلاً متعسر النطق به فهو متنافر، سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك، لأن هناك حروف متقاربة ومقبولة مثل لفظ "الجيش" مع تقارب مخارج حروفه، ونحوه، "الفم"، و"الشجر"^(٢) والذوق السليم أو الحس البلاغي كلها مصطلحات ذاتية شخصية عامة لا تقبل في اللغة العلمية بناء على الخصائص الموضوعية المحكمة في تلك اللغة وفي المنهجية العلمية بصورة عامة على ما سيأتي تفصيله.

أما عن أنواع التنافر فهي نوعان^(٣) أولهما : التنافر الشديد، وهو مستبشع عند الخاصة والعامة، وهو الكلمة أو اللفظ المتناهي في الثقل، مثل: أ- الصممع. (الصغير الرأس). ب- والطساسيج (وهي جمع طسوج ، بمعنى القرية

(١) ملاحظة : قد يحسن اللفظ ويوصف بالفصاحة رغم تقارب مخارج حروفه ولكنها مقبولة مستساغة.. وليس منشؤه قرب مخارج الحروف كما قيل ألا ترى أنك تجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه، ونحوه، الفم والشجر، وتجد لفظ ملع بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر، ولا طول الكلمات..

(٢) ولكن يمكن وضع ضابط إجمالي أساسه المشاهدة، وهو أن أصول الأبنية لا تحسن إلا في الثلاثي وفي بعض الرباعي نحو: عذب وعسجد. أما الخماسي الأصول نحو: سهصلق وجحمرش، وما جرى مجراهما، فإنه قبيح، ومن ثمة لم يوجد شيء من هذا الضرب في القرآن الكريم إلا ما كان معرباً من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل.

(٣) راجع الإيضاح ٢١/١، المفتاح ص ١٧٦ .

ونحوها) .ج- والظش (الموضع الخشن) . ومثله أيضا ما أورده في "شرح الإيضاح" قائلا التنافر (وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها.) ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل، وعسر النطق بها، كما روى أن أعرابيا سئل عن ناقتة، فقال: تركتها ترعى الهعخع. وروى عن الخليل أنه قال: سمعنا كلمة شنعاء وهي: الهعخع حيث ذكر القزويني أن : الهاء والعين لا يكاد واحد منهما يأتلف مع الآخر من غير فصل، وشذ من ذلك قولهم هع يهع إذا قاء والظاهر أنه الخعخع، الخعخع مثال هدهد ضرب من النبت، ثانيهما: التنافر الخفيف، وقد يقبل في سياقات معينه بشروط أيضا، مثاله: أ- النقتة (صوت الضفادع)، ومثلها " الشقشقة ، والمخرقة" ب- النقاخ (الماء العذب). ج- مستشزرات (مرتفعات). كما في قول امرئ القيس: غدائره مستشزرات إلى العلا ... تضل العقاص في مثني ومرسل.

٢) التطبيقات القانونية على المعطى البلاغي السابق في

ضوء نظرية الفاصحة العلمية

هناك مجموعة من القواعد المتعلقة بقوانين فصاحة الكلمة القانونية يمكننا التعبير عنها من خلال هذا النموذج في الدرس الفصاحي القانوني، وهو درس صيغ مخصوصا للسلادة القانونيين يتضمن مجموعة تعليمات بشأن قوانين الفصاحة وقواعدها القانونية فصاحية إضافة إلى إرشادات عملية، وقد صغناها على النحو التالي:

(١) من التعليمات العامة التي يمكن ذكرها بخصوص الألفاظ القانونية الفصيحة ما يلي: هناك اختلافات غير قليلة بين البلاغيين جُلّها في التنظير والتأطير، وما يهمننا في هذا السياق التطبيقي هو الجانب العملي، ولما كان الجانب العملي يحتاج إلى بعض من التنظير فلا مانع من الاستعانة به في

أضيق الحدود. يمكننا القول بأن " الفصاحة نعت يلحق بالكلمة (اللفظة المفردة) وبالكلام والمتكلم، فيقال : أ- لفظة فصيحة . ب- كلام فصيح. ج- متكلم فصيح. ولهذا النعت ولذلك الوصف شروط وضوابط هي موضوع هذه الإرشادات الفصاحية. ولنبدأ بفصاحة الكلمة المفردة من خلال ذكر قوانين فصاحتها وقواعد نصاعتها وأمثلة تطبيقية على ذلك.

(٢) تفصيل بشأن قوانين فصاحة الكلمة المفردة وقواعدها، هناك قوانين تضبط محددات ومعايير الكلمة القانونية الفصيحة وهي:

القانون الأول: تتعلق فصاحة الكلمة في اللغة العربية بشكلها وصيغتها.

القانون الثاني: كل كلمة في اللغة العربية لها معنى (لغوي أو عرفي أو اصطلاحي) وتتعلق فصاحتها بصحة دلالتها على معناها.

القانون الثالث: كل كلمة في اللغة العربية تتكون من حروف وتسمى حروف البناء أو المبنى (وتناسبُ هذه الحروف وخفتها) يعبر عن فصاحة الكلمة وتمكنها.

القانون الرابع : حركات حروف الكلمة في اللغة العربية تؤثر في فصاحتها عند تناسبها وسلاستها.

القانون الخامس : سياق الكلمة في اللغة العربية يؤثر إلى حدٍ كبير في فصاحتها ونصاعتها.

(ب) شرح القوانين السابقة وملاحم من تطبيقاتها:

١- نص القانون: "تتعلق فصاحة الكلمة في اللغة العربية بشكلها وصيغتها"، وهذا يعني أنّ كل كلمة في اللغة العربية لها صيغة محددة وهيئة معينة:

٢- شرح القانون: أي شكل لغوي معين يمكن تعريفه بـ "الوزن الصرفي للكلمة" (أو "الصيغة الصرفية للكلمة")، وبه تتعلق فصاحة اللفظة المفردة إلى حد كبير، فكلمة "حُكْمٌ" : هي مصدر بوزن "فُعْلٌ" ، وكلمة "أَحْكَامٌ"، جمع للمصدر "حكم" بوزن "أفعال"، وكما ترى فإن كلمة "حكم" مجردة بمعنى أنها تتكون من ثلاثة حروف فقط، وهذا هو الحد الأدنى الذي تتكون منه الأسماء والأفعال، فليس في لغة العرب اسم أو فعل إلا وعدد حروفه ثلاثة أو أكثر. فقط "الحرف" هو الذي يتكون من حرف بناء واحد مثل "و" حرف العطف، و "في" حرف جر، أما الكلمات (أب - أخ - يد - دم) فهي تتكون من ثلاثة حروف على رغم ما يبدو من كونها حرفين فقط، إذ هناك حرف محذوف تقديره الواو، وسيظهر عند وضع ياء النسب فنقول: (أبوي ، أخوي، يدوي، ودموي)

(ج) قواعد فصاحة الكلمة ونصاعتها في ضوء القانون الأول يمكن وضع القواعد الآتي:

القاعدة الأولى: كلما قلَّت عدد حروف الكلمة كانت الكلمة فصيحَةً،

القاعدة الثانية: كلما زادت عدد حروف الكلمة كانت مظنة التعقيد والبعد عن الفصاحة.

القاعدة الثالثة: إذا زادت حروف الكلمة مع باقي العيوب الآتية حتما ستكون أكثر تعقيدا ويبعدا عن الفصاحة.

(د) شرح لبعض أهم هذه القواعد: تأمل الألفاظ الآتية :

المجموعة الأولى: الاستشكال ، المُستشكِل ، والمُستشكَل ضده ،

المُستشكَلات بين المُستشكِلين، المُحافَقة القضائية .

المجموعة الثانية: عدلٌ ، حكمٌ ، قاضٍ ، دعوىٌ ، حقٌ .

ليس يخفى على الناظر العابر فضلا عن المُبصر المتأمل يسرُ وسلاسةُ المجموعة "٢" فهي ألفاظ قانونية، حروفها ثلاثة وتتكون من مقطعين، وهو ما يجعلها سلسلة متمكنة تستحق نعتها بالفصاحة. أما المجموعة "١" فهي كلمات قانونية أكثر من ثلاثة حروف بل ومن أربعة حروف، وهذا ما يتسبب في كثرة مقاطعها وفي ثقلها، ومن ثم نأيها عن السهولة واليسر، وهي تلك الأوصاف التي تتعزز عند قلة حروفها وبالتالي فهي ألفاظ غير فصيحة. ويظهر هذا أيضا في عموم اللغة العربية عند ملاحظة ما يلي: ١- لفظة " الأسد" فهي ثلاثية وسهلة وفصيحة، وهي بلا ريب أفصح من قولنا: "فدوكس"، و"هرماس". ٢- لفظة "ورد" -وهي من أسماء الأسد أيضا- فهي أفصح من "غضنفر". ٣- في أسماء السيف فإن لفظ "السيف" أحسن من لفظ "خنشليل".

ملاحظات مهمة: ليس بالضرورة أن طول الكلمة يعبر عن عدم فصاحتها، فقد تكون أحيانا طويلة وفصيحة، مثل الكلمات الطويلة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة، فإذا تأملتها "وجدتها على نهاية الكمال في مراعاة الألفاظ الرقيقة والخفيفة والمألوفة"، فضلا عن أنها سيقت في نظم فريد لمعان شريفة لا تقوم بها إلا تلك الألفاظ الشريفة. ومثالها: ١- كلمة (فَسَيَكْفِيكَهُمُ) في قوله تعالى " فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۗ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [البقرة: ١٣٧] ٢- وكلمة (أَنْلِزِمَكُمُوهَا) في قوله تعالى: " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ [هود: ٢٨] فهذه الألفاظ على طولها لا يسد غيرها مسدّها، وهي في نظمها وسياقها جيدة^(١) سهلة المخارج رشيقة الحروف سلسلة النطق عذبة.

(١) ويمكن وصفها وفقا للسياق البلاغي بأنها " شريفة منيفة..".

الخاتمة والنتائج والتوصيات

(١) **الخاتمة:** بعد هذه المعالجة التحليلية لمعطيات البحث وفقا لمنهجيته الاستقرائية والاستنباطية فقد خلصنا إلى أن هناك "منطقة مشتركة" تجمع ما بين الوضوحين العلمي واللغوي في كيان أو نظام باسم "الوضوح العلمي اللغوي" أو "الفصاحة العلمية اللغوية" بناء على مقومات العلم وخصائص المعرفة العلمية والتفكير العلمي، ثم بناء على مفهوم الفصاحة اللغوي الوضعي وذلك المفهوم الفصاحي على نحو ما سبق تفصيله، فالمقومات العلمية تعزز الوضوح والدقة والوضوح بدوره يعزز النظام والدقة ويعكس الترابط المنطقي وهكذا، ثم إن الوضوح الفصاحة اللغوية تعني الوضوح مطلقا ، والوضوح النقي للألفاظ والتراكيب والكلام من غير شوب ولا استشكال ولا إغراب وتوحش مع اقتضاء السلامة الصوتية والبنائية (الصرفية) والدلالية المعجمية وهذا مطلوب للوضوح العلمي.

وهكذا تتقارب خصيصة الوضوح في "اللغة العلمية" ذات المقومات العلمية الصارمة والخصائص المعرفية المنضبطة مع فصاحة "اللغة العربية" ذات المكناات اللغوية والوفرة الأسلوبية واللفظية الهائلة، وتجمعهما مها منطقة "الوضوحين العلمي اللغوي" وبناء عليه اقترحنا لها مفهوم "الفصاحة العلمية": وهو مفهوم يعبر عن أطروحة البحث ويختص بالتأصيل لعنصر "الوضوح" في "الخطاب العلمي" من حيث سياقته المتنوعة تفكيراً وتعبيراً وتفسيراً، بدءاً من التأملات الأولى في الظواهر ثم التفكير العلمي في المشكلات وفي أطروحات حلها مروراً بسياقات الممارسة العلمية حيث تناول العلمي للظواهر والتحليل والتصنيف وصولاً إلى الوصف والتفسير باعتبارهما من أهم مراحل استخدام اللغة العلمية، هذا بالإضافة إلى الممارسة العلمية اللغوية في سياقات إعداد البحوث

والدراسات والأوراق والمقالات العلمية والتقارير والمكتوبات العلمية بعامة في أي من مساقاتها العلمية فضلا عن سياقات "الخطاب العلمي" الشفاهي التداولي بين المتخصصين والمعنيين وبين غير المعنيين في عمليات نشر المعرفة والتثقيف بها وما يسمى "شعبنة العلم".

(٢) النتائج على الإجمال جاءت نتائج الدراسة لتبرر أطروحتها وتجب عن أسئلتها وتبين عن القيم التطبيقية لهذه الأطروحة، وعلى التفصيل تمثلت أبرز النتائج في الآتي:

النتيجة الأولى: برهن البحث على ضرورة تأسيس كيان علمي ذي إطار معرفي منظم (نظري ومفاهيمي وعملي) من طبيعة ثنائية (علمية ولغوية) يتعلق بـ"الوضوح العلمي اللغوي"، ليسد فجوة معرفية تتعلق بوضع ضوابط ومعايير "الخطاب العلمي" لتقويمه وحل مشكلاته -في مكتوبه ومنطوقه- وهو ما يمكن أن ينهض به هذا الكيان المركب بما يحمله من مقومات ومكونات (علمية لغوية) مترابطة ومتناسقة، إذ لا يمكن للعلم وحده ولا للغة وحدها التصدي لتلك التقييمات أو لحلول مشكلات الخطاب العلمي وحدها، ويتشارك هذا "الكيان الفصاحي العلمي اللغوي" الخصائص العلمية والخصائص اللغوية الفصاحية في سياق "نظرية الفصاحة العلمية" والتي بها أمكن إنتاج مفاهيم الفصاحة العلمية واستخلاص أبرز مبادئها وقواعدها، ومن خلال المعالجات العلمية كشف البحث عن الأسس العامة لهذا الكيان وعن مبادئه العامة الحاكمة ودل على ترابطها ومعقولياتها وبنى عليها تأصيلات واقتراح لها قواعد وضوابط حاول تطبيقها في السياق القانوني فيما سبق.

النتيجة الثانية: بين البحث أن "الفصاحة العلمية" مفهومها وإطارها نظريا يمثل كيانا معرفيا وفرعا علميا جديدا جديرا بالاستقلال والاهتمام لتعزيز

"الوضوح العلمي" والعمل على تنظيمه وتنهجه في السياقات اللغوية العلمية بناء على أسس علمية ومبادئ محققة وقواعد إجرائية يمكن من خلالها وصف ظواهر "الوضوح العلمي" وتفسيرها والمضي نحو التنبؤ بها والسيطرة عليها، بناء على معاييرها وتقييمها في ضوء نماذجها الفصاحية وفقا لموضوع كل علم ومنهجه وغاياته، ومن هنا يتم الانتقال من الأطر النظرية والمفاهيمية إلى الواقع العملي بهدف التغلب على مشكلات "اللغة العلمية" فيما يختص بوضوحها وملاءمة ألفاظها لمدلولاتها ومعانيها العلمية في كل سياقاتها المعرفية.

النتيجة الثالثة: أصول الفصاحة العلمية^(١)، كشفت الدراسة بعد تعمقها في المقومات العلمية للفصاحة وفي خصائص المعرفة العلمية أن هذا الكيان العلمي الوليد "الفصاحة العلمية" يرتبط بمفاهيم أساسية خمسة تعبر عن إطار "اللغة العلمية" الوضوح، أولها: العلم (نظريته ومقوماته ومتعلقاته). ثانيها: الوضوح العلمي. ثالثها: اللغة العلمية (بناء على كونها المرجعية المباشرة العامة في كل ما يتعلق بالظواهر اللغوية العلمية). رابعها: "الفصاحة

(١) وبصيغة أخرى يمكن القول بأنه: نتيجة المنظور العام للفصاحة "الفصاحة العلمية" وموقعها من العلوم تعتبر "الفصاحة العلمية" موضوعا فرعيا ينتمي إلى موضوع رئيس هو "اللغة العلمية" وهو موضوع "بيني" أي ينتمي إلى "العلوم البينية" حيث يجمع بين "العلوم اللغوية" و"فلسفة العلم ومنهجيته"، ثم إنه يتصل برباط وثيق مع "النظرية العامة لـ"اللغة العلمية"، وهي بدورها تقوم على مقومها الأول وهو "العلم" ومتعلقاته حيث (خصائص المعرفة المنظمة والتفكير العلمي) وهي تعين بدورها خصائص "اللغة العلمية" في خمسة خصائص من أبرزها خصيصة "الوضوح العلمي" وهو ما نعبر عنه وعن مضمولاته ومتعلقاته باسم "الفصاحة العلمية". وهكذا تأتي "الفصاحة العلمية" في تصنيف خماسي يبدأ بالعلم ثم بالمعرفة العلمية ثم باللغة العلمية ثم تأتي الفصاحة العلمية ثم الفصاحة اللغوية العلمية.

العلمية" في عمومها (وهي محل التناول). خامسها: الفصاحة العلمية اللغوية أو (فصاحة اللغة العربية العلمية، أو الفصاحة العلمية للغة العربية) فهي تمثل الأعمدة الأساسية التي يقوم عليها هذا البنيان بالإضافة إلى المقومات الأخرى سابقة الذكر.

النتيجة الرابعة: جدير الإشارة أيضا إلى أن هذا الكيان " الفصاحي" (اللغوي العلمي) يترد في مرجعيته العلمية المباشرة إلى خمسة خصائص أساسية مستمدة من مقومه المباشر حيث "اللغة العلمية" والتي تعدُّ أصلا قريبا يقوم عليها كيان "الفصاحة العلمية" في كل جوانبه -إضافة إلى الأصول الأخرى.. وهذا الخمسة هي (الموضوعية، الدقة والتنظيمية، الوضوحية -وهو ما يمثلها هذا الكيان مطابقة- والمنطقية (الترابط المنطقي) ، والصراحة أو المباشرة العلمية. ومن ثم يمكننا التصريح في وضح بأن "الفصاحة اللغوية العلمية" ما هي إلا نظرية مرتبطة بـ"النظرية العامة للغة العلمية" باعتبار هذه الأخيرة أصلا ومقوما رئيسا مباشرا من مقوماتها، وهو ما يوجه النظر إلى أن "نظرية الفصاحة اللغوية العلمية" إنما هي نظرية تابعة لـ"النظرية العامة للغة العلمية" سابقة الذكر، حتى وإن استقلت في اختصاصها بالتأصيل لظواهر الوضوح العلمي وتعيين ماهيته وأطره ومبادئه، ومعايرته وتقويمه والتغلب على مشكلاته.

(٣) التوصيات:

١- توصي الدراسة ببناء على ما اختطته من منهج في المعالجة وعلى ما استخلصته من نتائج ومعطيات علمية بالاهتمام بهذا الجانب العلمي لـ"اللغة العربية" عموما و"اللغة العربية العلمية" خصوصا على اعتبار أن "اللغة العلمية" وفي الصدارة منها "اللغة العربية العلمية" -بمشمولاتها من نظرية الفصاحة ونظرية البلاغة العلمية- تعدُّ مدخلا لتعزيز البحث العلمي والتطوير العلمي وذلك عن طريق تجويد التفكير والتعبير والتفسير العلمي

وفقا للغة علمية قويمه واضحة لا غموض فيها ولا لبس يحول دون فهم محمولاتها ولا تفسير نصوصها، وهو ما يقتضي أيضا تناقل المعرفة وتجويد الخطاب العلمي الشفاهي والكتابي. ويضاف إلى ما سبق أن العناية بأمثال هذه البحوث يعزز بالضرورة من حضور "اللغة العربية" في السياق العلمي بعامة وفي الخطاب العلمي العربي بخاصة، بل يمكن اعتماد هذا الجانب العلمي للغة العربية مدخلا حضاريا (وطنيا وقوميا) لإحياء اللغة العربية في مساقاتها العلمية وفي إمكاناتها اللفظية وفي ثراء أساليبها وتنوع مواردها اللغوية في السياق العلمي على وجه الخصوص، وقد عينا بهذا الجانب في بحثنا باسم "النظرية العامة للغة العلمية"، بما يمكن الرجوع إليه.

٢- ترى الدراسة أنه من الأهمية بمكان دفع المتخصصين إلى دراسة الجوانب التأصيلية لـ"اللغة العربية العلمية" على نحو دراسة "نظرية الفصاحة العلمية" وتطبيقاتها القانونية، فهناك "نظرية الدقة في اللغة العربية العلمية"، و"نظرية الموضوعية العلمية في اللغة العربية العلمية"، و"نظرية الترابط المنطقي في اللغة العربية العلمية"، و"نظرية المباشرة والقصد اللغوي في اللغة العربية العلمية" .. وهكذا مع تطبيقاتها في مجالات علمية متعددة، فهذا ما يضمن تطوير عمليات التفكير والتعبير والتفسير العلمي وجعلها أداة من أدوات النهضة العلمية الحقيقية، وقد بدأنا بالفعل في هذه التأصيلات على كافة مستوياتها السابقة.

٣- توصي الدراسة بإنشاء مجمع لغوي من نوع جديد يكمل رسالة "مجمع اللغة العربية" العتيد "مجمع الخالدين" باسم "مجمع اللغة العربية العلمية"، لأن "اللغة العربية العلمية" حقيقة وجديرة بالانتشار وحمل مشعل النهضة العربية بل والإسلامية؛ لأنها وبحق مدخل حضاري عربي بل وإسلامي من

خلال نهوضها باستيعاب المعارف والعلوم على تنوعها وتعددتها كما كان شأنها في عصر النهضة الإسلامي والذي حفظ المعرفة العلمية وأثرها ونشرها في العالم أجمع ثم استلمتها أوربا فيما بعد، ومما يعزز فكرة " مجمع اللغة العربية العلمية" أيضا أنه مجمه فريد في موضوعه وفي رسالته وفي مسئولياته الحضارية.. فليس هناك ما يكافئه ولا ما يسد مسده مع تقدير كافة الجهود المجمعية وغيرها.. فما أكثر المؤسسات التي تعنى بـ"اللغة العربية العامة" أو بـ"اللغة العربية الأدبية" وما أقل ما يهتم بـ"اللغة العربية العلمية" على كافة مستوياتها اللفظية والعبارية والأسلوبية والسياقية والتداولية والتعبيرية والتفسيرية وحيثاتها العلمية الحديثة من الحوسبة والترخيص "من الرياضيات" حيث تعد الرياضيات لغة العلم الأساسية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المراجع العربية

- ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) - مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون عجم مقاييس، نشر دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ
- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، المحقق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت عام النشر: ١٤١٩ هـ
- أحمد الشايب: الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية) لأصول الأساليب الأدبية ط٨ مكتبة النهضة المصرية (١٤١١هـ-١٩٩١م)
- بوشنسكي (جوزيف): الفلسفة المعاصرة في أوروبا ، ترجمة عزت قرني، عدد ١٦٥ من سلسلة عالم المعرفة: الكويت ١٩٩٢م
- الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧٠هـ) : أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر ، الناشر ، دار المدني : جدة، السعودية ١٤١٢-١٩٩١م.
- الجرجاني (عبد القاهر) دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمود شاكر، طبعة دار المدني بجدة ، السعودية ١٩٩١م
- جلال الدين القزويني الشافعي، (المتوفى: ٧٣٩هـ) الإيضاح في علوم البلاغة المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل - بيروت
- د. زكريا إبراهيم: مشكلة الفلسفة، ط مكتبة مصر : القاهرة د.ت
- د. زكي نجيب محمود : أسس التفكير العلمي، ط دار المعارف، د.ت
- د. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي ج ١ ، ، ط مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة ١٩٦١م.

- د. زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد ، ط، دار الشروق: القاهرة ١٩٨٧م.
- د. زكي نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ، ط٢ مكتبة الإنجلو المصرية: القاهرة ١٩٨٠م.
- د. شريف كامل: الحق في سرعة الإجراءات الجنائية ، ط٢، دار النهضة المصرية ٢٠١٨م.
- د. عبد الرحمن محمد عبد الظاهر : المعرفة المرتكزة على العلم لطلاب الدراسات العليا،
المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية ص ٣٠ ، بتصريف يسير، عدد (٢٠) مجلد ٣
ديسمبر ٢٠٢٢ ،
- د. عبد الرحمن محمد عبد الظاهر : المعرفة المرتكزة على العلم لطلاب الدراسات العليا ،
المجلة العلمية للخدمة الاجتماعية ، بتصريف يسير، عدد (٢٠) مجلد ٣ ديسمبر ٢٠٢٢ ،
- د. عزمي إسلام: مفهوم التفسير في العلم (من زاوية منطقية)، حوليات كلية الآداب:
جامعة الكويت (٤) سنة ١٩٨٣.
- د. فردريك معتوق: قاموس علم الاجتماع ، تحرير ومراجعة محمد دبس ط الأكاديمية: بيروت.
- د. فؤاد زكريا: التفكير العلمي : التفكير العلمي ، طبعة هنداوي ٢٠١٨ م .
- د. محمد عبد الكريم أحمد الحسيني: النظرية العامة للغة القانونية، الجامعة الإسلامية
بمنيسوتا، كلية الشريعة والقانون ٢٠٢١م
- د. محمد عبد الكريم الحسيني : بحث الإطار الدستوري لمشروعية اللسان العربي
وحماية مركزه القانوني لدى الأنظمة القانونية الوطنية في الدول العربية، ص ١٩١ ،
١٩٢ مجلة العلوم والدراسات الشرعية والإنسانية العدد (٤) ٢٠٢٣م.
- د. محمود محمد علي: التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر، صدر هذا
الكتاب عام ٢٠١٤. وصدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣م.
- د. يمني طريف الخولي: توطين المنهجية العلمية: مقاربات فلسفية.. تاريخية
ومستقبلية، صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٩، وصدرت هذه النسخة الماثلة عن مؤسسة
هنداوي عام ٢٠٢٤م.
- السبكي (أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ) عروس
الأفراح في شرح تلخيص المفتاح المحقق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة
العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

- السكاكي (يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) المفتاح، تحقيق: نعيم زرزور، ط ٢ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) : كتابه المزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد جاد المولى ، وأبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، ط ٢ دار التراث د.ت.
- عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ، ط ١٧، مكتبة الآداب ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلوي الطالب الملقب بالمؤيد بالله ت ٧٤٥هـ) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (الناشر: المكتبة العنصرية) - ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ.
- م. روزنتال، ب. يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ، ط ٧ دار الطليعة- بيروت ١٩٩٧م.
- محكمة النقض: [الطعن رقم ١٥٨٦ لسنة ٨٩ قضائية الصادر بجلسة ٢٠٢٠/١٢/٠٢، مكتب فنى (سنة ٧١ - قاعدة ٨٩ - صفحة ٧١٣ (الدوائر المدنية).
- الهاشمي : جواهر البلاغة (في المعاني والبيان والبديع) ، ط مؤسسة هنداوي ٢٠١٩، المملكة المتحدة.

ثالثا: المراجع الأجنبية

- Anthony Quinton: Logic Positivism, in Encyclopedia of Philosophy – Vol. (3) -Macmillan Company Press –New York, p. 394.
- P. L. H: western phlosoph p. 182.
- R Carnap , Art . Science Of Science In Dictionary Of Philosophy , Edited By D. Runes . وفارن د. صلاح قنصوة : فلسفة العلم .
- See John Passmore: Logical Positivism, in Encyclopedia of Philosophy – Vol. (5)-Macmillan Company Press –New York.

شبه الجملة في مقامات الحريري

إعداد

د. خلف محمد كمال

أستاذ مادة اللغة العربية
بالمعهد العالي للأمة والخطباء
الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

يعدّ الدرس النحويّ العربيّ مجالاً معرفياً موسعاً يصعب على القارئ في عجلة أن يحيط بكل مسائله، وما كتبه علماؤنا العرب في هذا الشأن يمثل رؤية نحويّة متكاملة، ومن هذا المنطلق أراد الباحث أن يستلهم رؤى النّحاة في طرح مسألة تركيبية من خلال موروث تراثي وهو مقامات الحريري، هذه المقامات التي تحظى باهتمام الباحثين والدارسين في جوانب شتى بلاغيا ونحويا وأسلوبيا، مما دفعني للغوص بين دفتيها والاستمتاع بقراءتها فاخترت الحديث عن تركيب شبه الجملة من خلالها.

الدراسات السابقة:

- التراكيب وخصائصها في مقامات الحريري، عذاب كمال، جامعة عنابة، ١٩٩١م
- أبنية الفعل في مقامات الحريري، أسعد رزاق يوسف، جامعة البصرة، ٢٠١١م
- الأبعاد التداوليّة في مقامات الحريري، النذير الضبعي، جامعة بسكرة، ٢٠١٥م
- تركيب الجملة في مقامات الحريري، خلف محمد كمال، جامعة المنيا، ٢٠٢٠م

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي القائم على التحليل، وليست الدراسة إحصائية وإنما هي اختيار لبعض الشواهد، ثم وصف للظاهرة اللغوية في الشاهد وتحليلها.

محتويات الدراسة:

تقسم دراسة تركيب شبه الجملة إلى مقدمة ومبحثين:

- المقدمة وبها تعريف شبه الجملة.
- المبحث الأول: الظرف.
- المبحث الثاني: الجار والمجرور.

المقدمة:

شبه الجملة هي الظرف بنوعيه الزماني والمكاني والجارّ الأصلي مع المجرور، وإنما سُميت بذلك لأنها مركبة كالجمل، فهي تتألف من كلمتين أو أكثر لفظاً أو تقديراً، وهي غالباً ما تدل على الزمان أو المكان، وإن تعلقت بكون محذوف دلّت على ضمير مستتر أيضاً فكانت كالجمل في تركيبها، ولهذا فهي تغني أحياناً عن ذكر الجملة وتقوم مقامها نحو قول قيس بن الخطيم:

ملكتم بها كفي فأنهت فتقها *** يرى قائم من دونها ما وراءها^(١).

والتقدير: ما استقرّ وراءها فالظرف " وراءها " دلّ على جملة المحذوف، ولمّا كان كل من الظرف والجارّ مع المجرور يدلّ على هذه الجملة المحذوفة، ويقوم مقامها في اللفظ كان شبيهاً بها ولذلك سمّوه شبه الجملة^(٢).

وبيّن برجشتراسر أنّ أشباه الجمل قد تقرب في بعض الأحيان إلى الجمل الكاملة؛ لأنها تعمل عمل الأفعال، أو تعطف اثنين منهما بعضهما على بعض، فالأول: دونك أخاك أي: أعن أخاك، فأعمل دونك عمل الفعل المتعدي فصار

١- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق د. ناصر الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م، ص ٦، ورد البيت في شرح الشواهد الكبرى، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني ت ٨٥٥هـ، تحقيق د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ج ٣، ص ١٧٧، كتاب الأفعال، سعيد بن محمد المعافري المعروف بابن الحداد ت ٤٠٠هـ، تحقيق حسين محمد شرف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، ج ٣، ص ١٤١

٢- إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، ط ٥، دار القلم العربي، حلب، سورية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٢٧٢

التركيبُ أشبهَ ما يكون بجملتهِ كاملةٍ والثَّاني إِيَّاكَ والأسد، فضرب أمثلة لاسم الفعل وأسلوب الإغراء والتحذير... (١)

وقيل إنَّما سُمِّيَتْ بذلك لأنَّها مترددة بين المفردات والجمل، فليس من هذه ولا من هذه فهي تتعلّق بالفعل تارة فتدل على جملة، وتتعلّق بالاسم تارة فتدل على مفرد فلم تلزم طريقة واحدة بل سلك بها طريق الجمل؛ لكثرة تعلُّقها بالفعل ودلالاتها على الجملة فكانت أشبه بالجمل، ولمَّا كانت العلاقة بين كلماتها غير إسنادية ولا شرطية خرجت من الجمل ودرستها النُّحاة مع المفردات (٢)

وشبه الجملة عند برجشتراسر سمّاها بالجملة الناقصة وكأنَّه جعل أشباه الجمل والجمل الناقصة مرادفين إلا أنَّ شبه الجملة إن كان ينقصها الإسناد أو تمام الفائدة فهي ليست بناقصة بل شبه جملة؛ لأنَّ الجملة الناقصة ما غاب عنها أحد ركني الإسناد أي - الجملة من طرف واحد - غيابا يؤدي إلى تقديره في سياق التركيب أمَّا المثال الذي ذكره وهو قوله: "أمس" جوابا على سؤال متى جئت؟ الذي تقديره جئت أمس فركنا الإسناد فيها حاضرا فهو بهذا كان من المفترض أن يلحقها بشبه الجملة على وفق رؤيته، أو يعدّها قسما من أقسامها ولا تكون قسما قائما برأسه (٣).

١ - التطور النحوي، برجشتراسر، صححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي،

القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م ص ١٣٢.

٢ - إعراب الجمل وأشباه الجمل، ص ٢٧٣

٣ - المصطلح النحوي التركيبي عند برجشتراسر في كتابه التطور النحوي، عبد الله محمد زين

شهاب، جامعة حضرموت، مجلة الدراسات اللغوية، مجلد ١٨ عدد ٢، ٢٠١٦، ص ١٧

هذا وسيتناول هذا المبحث تركيب شبه الجملة على النحو التالي:

أولاً: التركيب الظرفي

المركَّبُ الظرفيُّ هو الهيئة التركيبية المبدوءة بما يدل على زمان أو مكان إنجاز الحدث، ويكون على معنى " في " و صدر هذا المركب يسميه النحويون ظرفاً أو مفعول فيه^(١).

فالظرف لغة: الوعاء، واصطلاحاً : هو ما نصب من اسم زمان أو مكان مقارن لمعنى "في" دون لفظها^٢

وسمَّاه الفراء محلّ، والكسائي وأصحابه يسمون الظروف صفات^(٣).

وذكر مقارنة المعنى أجود من ذكر تقدير "في"؛ لأنَّ تقدير "في" يوهم جواز استعمال لفظ " في " مع كل ظرف وليس الأمر كذلك؛ لأنَّ من الظروف ما لا يدل يدخل عليه " في " ك " عند " و " مع " وكلها مقارن لمعناها ما دام ظرفاً^(٤).

١ - الجملة العربية مكوناتها ، أنواعها تحليها ، د. محمد إبراهيم عبادة ، ط ٢ ، مكتبة الآداب، القاهرة (د.ت) ص ١١٨

٢ - لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين (د.ت) ، مجلد ٤، ص ٢٧٤٧ - حاشية الصبان ١٨٤/٢

٣ - التصريح بمضمون التوضيح، ج ١ ص ٥٣١، اللوحة في شرح الملحّة، محمد بن حسن بن سباع الجزامي شمس الدين المعروف بابن الصائغ ت ٧٢٠، تحقيق إبراهيم بن سالم الساعدي، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م ، ٤٣٤/١ - التصريح بمضمون التوضيح ٥٣١/١

٤ - شرح الكافية الشافية ، جمال الدين بن مالك، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي ، ط ١ ، دار المأمون للتراث ، مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، ج ٢ ص ٦٧٥.

والمركب الظرفي إضافي وهو نوعان :

النوع الأول: مركب ظرفي إضافي إضافته غير لازمة، وصدر هذا المركب له ألفاظ معينة منها : لحظة، ساعة، يوم، أسبوع، شهر، سنة، عام، حول، مدة، وقت، فجر، صباح، عصر، مساء، غدوة، سحر، وهذه الظروف تستعمل مضافة إلى مفرد وبعضها تجوز إضافته إلى مركب اسمي إضافي، أو مركب اسمي إسنادي، أو مركب فعلي أو مركب الموصول الحرفي، وإذا قطعت هذه الألفاظ عن الإضافة لفظاً فقط أو لفظاً ومعنى لا تعدُّ من قبيل المركب اللفظي^(١)

ومن أسماء ظروف الزمان ما يعبر به عن جميعه، الدهر، قط، عوض، أمد، إذ، إذا، وقط اسم لما مضى من الزمان والأبد لجميع الآتي منه تقول: ما فعلته قط أي ما انقطع من عمري^(٢).

وأسماء الزمان كلها صالحة للظرفية لا فرق في ذلك بين المبهم والمختص، وتختص أسماء الزمان بصلاحية المبهم منها والمختص عن أسماء المكان؛ لأن أصل العوامل الفعل ودلالة الفعل على الزمان أقوى من دلالاته على المكان^(٣).

ومن المركب الظرفي الإضافي ما صدره اسم من أسماء الجهات قبل، بعد، يمين، شمال، فوق، تحت، أمام، خلف، قدام، وراء.

١ - الجملة العربية، عبادة، ص ١١٨

٢ - اللحة في شرح الملحّة، محمد بن حسن بن سباع الجزامي شمس الدين المعروف بابن الصانع ت ٧٢٠هـ، تحقيق إبراهيم بن سالم الساعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ١ / ٤٤٩

٣ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، ٢ / ١٣٠ - الصبان ١٨٤/٢

النوع الثاني: وهو مركب ظرفي إضافي إضافته لازمة أي أن صدره لا يستقل بنفسه ولا يستعمل إلا مضافاً ومن ذلك ، حيث ، إذ ، إذا ، عند ، لدى ، لدن ، مع ، منذ ، منذ^(١).

والمفعول فيه ينقسم إلى قسمين: زمان ومكان أما الزمان فإن جميع الأفعال تتعدى إلى كل ضرب منه معرفة كان أو نكرة، وذلك أن الأفعال صيغت من المصادر بأقسام الأزمنة^(٢)

وأكثر الظروف مذكر لأنها تحقّر أي تصغر وكذلك ثمّ وهنا هما بمنزلة أين وكذلك حيث وجواب أين ك " خلف " أو نحوها وأما " أمام " فكل العرب تذكره وأما " إذا " و " لدن " ك " عند " ومثلهن عن فيمن قال : من عن يمينه وكذلك منذ في لغة من رفع لأنها ك " حيث " ^٢

التعليق في شبه الجملة: هو الارتباط المعنوي لشبه الجملة بالحدث وتمسكها به كأنها جزء منه لا يظهر معناها إلا به ولا يكتمل معناها إلا بها^(٤). فهو ينصب بعامل مضمّر كقولك في جواب من يقول: متى سرت؟ يوم الجمعة وفي المثل السائر: أسائر اليوم وقد زال الظهر؟

ومنه قولهم لمن ذكر أمرا وقد تقادم زمانه: حينئذ الآن أي كان ذلك حينئذ واسمع الآن، ويضمّر عامله على شريطة التفسير كما صنع في المفعول به: تقول اليوم سرت فيه^(١).

١ - الجملة العربية، عبادة، ص ١٢٥

٢ - الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج ت ٣١٦هـ، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ١/١٩٠

٣ - الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج ٣/٢٦٧

٤ - إعراب الجمل وأشباه الجمل ص ٢٧٣

ولابد من تعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل أو ما يشبهه وهو الاسم المشتق نحو: الطائرة محلقة في الجو أو ما أول بما يشبهه كالاسم الجامد المؤول بالمشتق مثل أنت مصري في لغتك أوري في عاداتك أو ما يشير إلى معنى الفعل مثل حاتم لما فيه من معنى الجود تقول: أنت حاتم في قومه فإن لم يكن شيء من هذه الأربعة موجودا فُدِّر^(٢).

قال ابن هشام في المغني ما يجب تعلقهما أي (الظرف والجار والمجرور) بمحذوف ثمانية:

- ١- أن يقع صفة نحو : أو كصيب من السماء^(٣).
- ٢- أن يقعا حالاً نحو: فخرج على قومه في زينته^(٤).
- ٣- أن يقعا صلة نحو: وله من في السموات والأرض وما عنده لا يستكبرون^(٥).
- ٤- أن يقعا خبراً نحو : زيد عندك أو في الدار.
- ٥- أن يرفعا الاسم الظاهر نحو: أعندك زيد؟ لكن الجار والمجرور لا يرفعان الاسم الظاهر ولكن يرفعه متعلقهما^(١).

١- المفصل للزمخشري ت ٥٣٨ هـ ، تحقيق د. علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣، ٨٣/١- مغني اللبيب، ٣٣١/٥.

٢- الجملة العربية، عبادة ص ١٢٧، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠م، ٢٦٥/٥

٣- سورة البقرة الآية ٩.

٤- سورة القصص، الآية ٧٩.

٥- سورة الأنبياء الآية ١٩.

شبه الجملة في مقامات الحريري

٦- يستعمل المتعلق محذوفاً في مثل أو شبهه كقولهم للمعرّس: بالرفاء

والبنين

٧- أن يكون المتعلق محذوفاً على شريطة التفسير نحو: يزيد مررت به

٨- القسم بغير الباء نحو: وتالله لأكيدنّ أصنامكم^(٢) ونحو: واللّيل إذا

يغشى^(٣) واستثنى الباء لأنّه لو كان الاسم مجروراً به لجاز ذكر الفعل

معه أو حذفه^(٤).

وقولهم: لله لا يؤخر الأجل وهو مثال للجرّ بلام القسم وهما متعلقان بفعل

محذوف وجوبا

يقول ابنُ جنّي ليس في كلام العرب حرف جرّ غير زائد وأعني بالزائد ما

دخله كخروجه نحو: لست يزيد وما في الدار من أحد إلا متعلق بالفعل في اللفظ

والمعنى أما في اللفظ فقولك: انصرفت عن زيد، وذهبت إلى بكر، وأما في

المعنى فقولك: المال لزيد تقديره: المال حاصل أو كائن لزيد^(٥)

١ - مغني اللبيب، ٣٢٩/٥ - دلالة التعليق والحذف والتقدير بالحروف د. حسام عبد علي

الجمال، جامعة بابل، مجلة كلية التربية الأساسية العدد ٥٤، ٢٠١٢.

٢ - سورة الأنبياء الآية ٥٧.

٣ - سورة الليل الآية ١.

٤ - مغني اللبيب ج ٥ / ٣٣٣.

٥ - سر صناعة الإعراب، أو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ت ٣٩٢ هـ - دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ج ١/١٣٦ - شرح ابن عقيل

١/٥٢٨ - النحو وتطبيقاته، محمود مترجي - دار النهضة - ط ١ - ٢٠٠٠ م

ص ٣٦٠، شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد

الجرجاي الأزهرى، دار الكتب العلمية، لبنان ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م ١/٥٢٨.

ويحذف العامل وجوبا في عدة حالات:

- أن يكون كونا عاما ويكون ذلك في " حاصل - مستقر " أو فعلا " استقر - حصل " نحو : السفر مساء- زيد عندك .
- أن يكون المتعلق المقدر صفة مثل ابتعت قصة من دكان وراء البيت والتقدير ابتعت من دكان كائنة وراء البيت .
- أن يكون حالا : رأيت الهلال بين السحاب .
- أن يكون المتعلق صلة ويقدر ب فعل نحو : رأيت الذي عندك ويتعين في الصلة تقديره الفعل لأن الصلة لا تكون إلا جملة والفعل مع فاعله جملة ويتعين في الصلة فعل استقر^(١).

واعلم أن الخبر إذا وقع ظرفا أو جارا ومجرورا نحو: زيد في الدار، وعمر عندك وليس الظرف بالخبر على الحقيقة؛ لأن الدار ليست من زيد في شيء وإنما الظرف معمول للخبر ونائب عنه والتقدير: زيد استقر عندك وهذه بلا خلاف بين البصريين وإنما حذفها وأقامت الظرف مكانها إجازا لما في الظرف من الدلالة عليها^(٢).

وقد كان سيبويه من أوائل النحاة الذين تكلموا عن الحذف وبيان أثره البلاغي كالتخفيف حيث قال: ومن العرب من يقول: الله لأفعلن وذلك أنه أراد حرف الجر وإياه نوى فحذفه تخفيفا وهم ينوونه، ويرى أن الحذف لا يكون إلا إذا كان المخاطب عالما به فيعتمد المتكلم على بديهة السامع في فهم المحذوف.

^١ - شرح التصريح على التوضيح للأزهري، ج ١ ص ٥٢١

^٢ - شرح المفصل لابن يعيش موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش، قدم له د.أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٢٣١/١.

شبه الجملة في مقامات الحريري

وتعلق الجار والمجرور يعني ارتباطهما بعاملهما واتمام معناهما به
فحرف الجر لا يدل على معنى في نفسه فلا بد له من عامل يرد في الجملة ليؤدى
معنى لا يكتمل إلا بالمجرور الذي هو الجزء المتمم والمكمل له فكل من العامل
والجار والمجرور يتم أحدهما معنى الآخر ويكتمل به^(١).

من المركب الظرفي الإضافي إضافته غير لازمة
ما صدره اسم من أسماء الجهات الموضوعه لأمكنة مبهمه

قبل + مركب اسمي إضافي

نماذج من المقامات

الصفحة	الرقم	المقامة	الجزء
١٧٢	٤	الدُمياطية	١ غدوت قبل استقلال الركاب
٢٦٨	٦	المراغية	١ عرفت عود شجرته قبل إيناع ثمرته
١٦٨	١٥	الفرضية	٢ قبل + مركب موصول حرفي أذرتك قبل أن ينهتك الستر

قبيل تصغير قبل

وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل إتيانكم الكوفية

٢٠٢ ٥ ١

قبل الممنوع من الظروف المقطوعة عن الإضافة لفظا لا معنى وبنيت
هذه الظروف عند قطعها عن المضاف إليه لمشابتها الحرف واحتياجها إلى
معنى ذلك المحذوف^(٢).

^١ - دلالة التعليق والحذف والتقدير بالحروف، حسام عبد علي الجمل، جامعة بايل، العدد ٧٤، لسنة ٢٠١٢، ص ٢.

^٢ - شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ٣ / ص ١٦٣.

الشاهد من المقامات:

٣٥٥	٩	الإسكندرية	١	كنت من قبل أم تري نشبا بعد + مركب مفرد
٢٢٤	٦	المراغية	١	ولا خلف بعد السلف بعد + ضمير
٣٣٠	٨	المعريّة	١	فلا تماكر بعدها الحاكمين بعد + مركب اسمي إضافي
٣٣	١٢	الدمشقيّة	٢	بلغتها بعد شق الأنفس بعد مقطوع عن الإضافة
٣٢٨	٨	المعريّة	١	الموت من بعد لنا بالمرصد بعد + مركب موصولي حرفي
٣١٦	٨	المعريّة	١	هات إبرة تماثلها بعد أن تجودها
٢٠١	٥	الكوفية	١	تابوا إلى نشر الفكاهة بعد ما طووها فوق + اسم مفرد
٤١٩	٣٠	الصوريّة	٣	هناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة
٤٨	٣٢	الطبيبة	٤	ولو صلى فوق المروة فوق + مركب اسمي إضافي
٣٢٠	٤٠	التبريزية	٥	فكلفتني فوق طوقي تحت + اسم ظاهر
٥٥	٣٢	الطبيبة	٤	أيام العاقل تحت الرقيع؟ تحت + ضمير
٣٠٤	٢٧	الوبرية	٣	عجت إلى سرحة لأغور تحتها تحت + مركب اسمي إضافي

شبه الجملة في مقامات الحريري

٣٥٠	٩	الإسكندرية	١	حصلني تحت أثره أمام + مركب اسمي إضافي
٢٣٦	٦	المراغية	١	تنشئ لي أمام ارتحالك رسالة خلف + اسم مفرد
١٤	١١	الساوية	٢	تبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز
١٦٨	٣٥	الشيرازية	٤	وراء + اسم مفرد لو علمتم أن وراء الفدام صفو المدام يمين

يمين ألحق العرب أيضا باليمن من التصرف في التزام النصب على الظرفية: ذا، ذات ، مضافين إلى زمان نحو: لقيته ذات يوم، وذات ليلة؛ والسبب في عدم التصرف في لغة الجمهور أنهما في الأصل بمعنى صاحب وصاحبة صفتان لظرف محذوف والتقدير فيه: لقيته ذا صباح ومساء : وقتنا صاحب هذا الاسم وذات يوم : قطعة ذات يوم فحذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه فلم يتصرفوا في الصفة لئلا يكثر التوسع (١)

٣٠	١١	الساوية	٢	انطلق ذات اليمين وانطلقت ذات الشمال حين + مركب فعلي
١١٤	٢	الحلوانية	١	سألته حين زارت حين + مركب موصولي
١٠٣	١٢	الدمشقية	٢	عرفت حينئذ أنه ولدي

١ - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سيد مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ٣ / ١٤٤

حينئذ استثنى القوم قيمته ١ الحلوانية ٢ ١٢١

بين

بين ظرف يمتنع تصرفه أصلاً إذا اتصلت بها الألف أو ما فصارت بينا
أو بينما وهي واجبة الصدارة والإضافة إلى الجملة إذا كانت مختومة بالألف
الزائدة

بين + مركب اسمي

بيننا نحن نتجاذب أطراف الحديث إذ وقف بنا شخص

١ الدينارية ٣ ١٣١

بينما أنا عند حاكم الإسكندرية إذ حلَّ شخص ١ الإسكندرية ٩ ٣٤٥

بين + مركب اسمي إضافي

١ السأوية ١٠ ١٠ تخلي بين ودوده و دوده ثم يخلو بمزمارة وعوده

بين + الضمير

١ المعرية ٨ ٢٢ قد عدل الدهر بيننا

١ الرحيبة ١٠ ٣٨٣ الخصام بينهما متطاير الشرر

المركب الظرفي الإضافي وإضافته غير لازمة خاصة بالزمان

ساعة + اسم مفرد

١ الرحيبة ١٠ ٤٣٢ سلم علي ساعة الفراق

ساعة + مركب فعلي إسنادي

١ الإسكندرية ٩ ٣٦٣ وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة غربت شمسه

ساعة + مركب موصولي

٣ الرقطاء ٢٦ ٢٦١ وحفت إلي فرحتان ساعتني

ساعة غير مركبة

٢ القهقرية ١٧ ٢٣٨ فأطرق ساعة ثم قال سمعاً لكم وطاعة

شبه الجملة في مقامات الحريري

				يوم + مفرد
٥٨	١٢	٢	الدَّمشقيَّة	أنسيت يوم جيرون
				يوم + مركب إضافي
١٥٨	٤	١	الدِّمياطية	وأنا يومئذ مرموق الإخاء
				يوم + مركب اسمي إضافي
				ولا تبختركم يوم قبض الجوائز
١٤	١١	٢	السَّوائية	يوم + مركب فعلي إسنادي
٥٧	١	١	الصَّنَعانية	أو يعطف عليك معشرك يوم يضمك محشرك
				ومن الظروف المبنية "الآن"، والدليل على اسميته دخول حرف الجرّ
				عليه، وهو اسم للوقت الحاضر جميعه كوقت فعل الإنسان حال النطق به أو
				الحاضر بعضه نحو: فمن يستمع الآن " قال ابن مالك: وظرفيته غالبه لازمة (١)
٣٥٢	٩	١	الإسكندرية	برهن الآن عن نفسك
				سنة وجاءت غير مركبة
٢٣٧	٦	١	المراغية	نبهت فكري سنة
				عام + اسم مضاف مفرد
٢١٣	٥	١	الكوفية	نكحت عام الغارة بماوان
				عام غير مركب
١٢٥	٣٤	٤	الزُّبيديَّة	بقيت عاما لا أسيغ طعاما
				حول زمانية غير مركبة
٢٣٧	٦	١	المراغية	استأنيت بياني حولا

١ - همع الهوامع ٣ / ١٨٤

وحول من الظروف الملازمة للإضافة إذا كانت ظرف مكان
 حول.. لم تخرج من الظرفية أصلا ومنها حول - حوالي - حولي - أحوالي -
 حوال - أحوال^(١)

قال الله تعالى : فلما أضاعت ما حوله^(٢)

الشاهد

فإذا الشيخ حوله سقاة تبهر ٢ الدمشقية ١٢ ٥٨

فلما رأى تأتفهم حوله ٤ الرملية ٣١ ١٥

وقت + اسم مفرد

رحلنا العيس وقت التعلّيس ٢ الدمشقية ١٢ ١٠٣

مدة + تركيب اسم إضافي

أكابد شدة الرقطاء مدة مقامي بمصر ٣ الصورية ٣٠ ٤٤٦

لم أزل عن مسامرته مدة مسابره ٤ الطيبية ٣٢ ٩٧

دهرا

إنّي من أناسٍ غنوا دهرا ٢ البغدادية ١٣ ١٢٠

صباح

ألحق باليمنون التصرف في التزام النصب على الظرفية ما لم يضاف من

مركب الأحيان: ك فلان يزورنا صباح مساء ويوم يوم أي كل صباح ومساء وكل

يوم وهو مبني حينئذ لتضمنه معنى حرف العطف خمسة عشر^(٣)

كنت أتعهدهم صباح مساء ٥ النجرانية ٤٢ ٥٤

١ - همع الهوامع ٣ / ١٥٩

٢ - البقرة الآية : ١٧

٣ - همع الهوامع ٣ / ١٤١

صباح غير مركبة

عموا صباحا ١ الدَّيْنَارِيَّة ٣ ١٣٢

أمس

من الظروف التي لا تتمكن أي لا تقبل الحركات الثلاثة (١)

أمس اسمٌ لليوم الذي قبل يومك وهو معرفة مبنية على الكسر نحو: جئت

أمس فأمس ظرف زمان مبنيٌّ على الكسر في حالات الرِّفْع والنَّصْب والجرِّ

نحو: ذهب أمس بما فيه و أحببت أمس وما رأيتك مذ أمس (٢)

وسبب بنائه أنه تضمَّن معنى الحرف وهو لام التَّعْرِيف (٣)

فإذا اقترن أمس ب (ال الدالة على العهد فهو اليوم الماضي المعهود

بينك وبين المخاطب ولية يومك أم لا، قال تعالى: " فجعلناها حصيدا كأن لم

تغن بالأمس (٤)

نموذج

وردت هذه المدرة أمس ١ الكوفيَّة ٥ ٢٠٨

غدا يقال لليوم الذي بعد يومك نحو: أزورك غدا وهو ظرف زمان

منصوب على الظرفيَّة الزَّمانِيَّة (١)

١ - المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ج ٤ / ٣٣٤، ج ٣ / ١٧٣، الكتاب، ٤٣ / ٢.

٢ - ارتشاف الضرب، لآبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ٣ / ١٤٢٨.

٣ - شرح المفصل ٣ / ١٣٧.

٤ - يونس الآية ٢٤.

دار إذا ما أضحكت يوماً أبكت غداً بعداً			
٢٠٨	٥	١ الكوفية	لها من دار
ثمّ - هنا			
٢١	١١	٢ السّاوية	وتنسى ظلمة الرمس ولا تذكر ما ثمّ
٢٣٧	١٧	٢ القهقرية	ثمّ ها هنا مجمع الشمل
٤١٩	٣٠	٣ الصورية	هناك شخص على قطيفة

ظروف دالة على الزمان اتساعا فهي ليست بأزمة

١- العدد المميز بالزمان نحو : عشرين يوماً وثلاثين ساعة

٣٥٧	٩	١ الاسكندرية	طويت الحشا على سغب خمس
٨٨	٤٣	٥	مكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا
٦٣	٤٢	٥ القطيعة	فإن أتممت عشرا فمن عندك

اللفظ الدال على كلية الزمان أو جزئيته

كلّ الوقت - نصف الساعة - طول الليل وظرف المكان مثل كلّ اليوم -
كلّ الفرسخ - فجميع وكلّ مفعول فيهما منصوبان نصب ظرف الزمان وظرف
المكان لأنّهما لما أضيفا إلى الزمان والمكان عرضت لهما اسمية الزمان والمكان
وصارا دالين على كليتهما؛ لأنّهما من الألفاظ الدالة على العموم والإحاطة (٢)

٢٥٣	٢٥	٣ الكرجية	حصلت على الرعدة طول شتوتي
٨١	٢	١ الحلوانية	ينشئ لي كل يوم نزهة

١ - فتح رب البرية في شرح الأجرومية ، تأليف أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي ، مكتبة
الأسدي ، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م ، ج ١ / ٥١٩ .

٢ - شرح التصريح على التوضيح ج ١ / ٥٣١ - الجمل في النحو ، أبو عبد الرحمن الخليل
بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ تحقيق فخر الدين قباوة الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ -
١٩٩٥ م ج ١ / ٧٠ .

شبه الجملة في مقامات الحريري

أرخت لكم طول المدة ٢ القهقرية ١٧ ٢٣٧
النوع الآخر: مركب ظرفي إضافي إضافته لازمة أي أن صدره لا يستقل بنفسه ولا يستعمل إلا مضافا

إذ لفظ مشترك يكون اسما وحرفا ويكون ظرفا لما مضى من الزمان نحو:
قمت إذ قام زيد ولا خلاف في اسمية هذا القسم لمباشرتها الفعل وتنوينها نحو:
يومئذ والإضافة إليها نحو: بعد إذ هديتنا، ورابعها إبدالها من الاسم نحو: رأيتك
أمس إذ جئت وهي مبنية لافتقارها لما بعدها من الجمل أو لما عوض عنها وهو
التنوين في يومئذ وحينئذ ونحوهما وهي تضاف إلى الجملتين الاسمية والفعلية
وإذ المذكورة لازمة للظرفية إلا أن يضاف إليها زمن نحو: يومئذ، حينئذ،^(١)

وحكم باسميتها لأنها في معنى "حين" وجعلها سيبويه حرفا كإن المتفق
على حرفيتها فجعلها في باب الشرط والجزاء بشرط اقتران "ما" بهما وكأن ما
الملازمة لها عوض عن إضافتها إلى أصلها^(٢)

وزعم الجمهور أن إذ لا تقع إلا ظرفا أو مضاف إليه^(٣)

إذ + مركب فعلي اسنادي

أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي ١ الإسكندرية ٩ ٣٥٩
أنجز حر ما وعد وسح خال إذ رعد ١ الدينارية ٣ ١٤٣

١ - الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي ت ٧٩٤هـ، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل،

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م، ص ١٨٥

٢ - الكتاب ١ / ٥٠٥

٣ - رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤هـ، ص ١٥٩

إذا لفظ مشترك يكون اسما وحرفا إذا كانت اسما فلها أقسام منها: أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط ولذلك تجاب بما يجاب به أدوات الشرط نحو: إذا جاء زيد فقم إليه وكثر مجي الماضي بعدها مراد به الاستقبال ومذهب سيبويه أن إذا لا يليها إلا فعل ظاهر أو مقدر فالظاهر نحو: إذا جاء نصر الله والفتح ^(١) والمقدر نحو: إذا السَّمَاء انشقت ^(٢)

الثاني: أن تكون ظرفا لما يستقبل من الزمان مجردة من معنى الشرط نحو قوله تعالى: والنجم إذا هوى ^(٣) والماضي بعدها في معنى المستقبل كما كان بعد متضمنة معنى الشرط قال الفراء: لا يكون بعدها الماضي إلا إذا كان فيها معنى الشرط والإبهام

الثالث: أن تكون ظرفا لما مضى من الزمان واقعة موقع "إذا" كقوله تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ^(٤) وبه قال ابن مالك في التسهيل ^(٥) وهي ظرف مكان عند المبرد وظرف زمان عند الزجاج واختار الأول ابن مالك ^(٦)

إذا + مركب فعلي إسنادي

١٨٥	٤	الدمياطية	١	لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر
٢٢٨	٦	المراعية	١	هل القدماء إذا أمعن النظر من حضر

إذا + ما زائدة + مركب فعلي إسنادي

١ - سورة النصر الآية ١

٢ - سورة الانشقاق الآية ١

٣ - سورة النجم الآية ١

٤ - سورة الجمعة الآية

٥ - الجنى الداني ص ٣٧٠

٦ - مغنى اللبيب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى

شبه الجملة في مقامات الحريري

ولا تأت أمراً إذا ما اشتبه
 ٢٢٨ ٦ المراعية ١
 حيث من الظروف المضافة إلى الجمل وهي واجبة الإضافة وهي ثلاثة لا
 غير حيث في المكان وإذ وإذا في الزمان على خلاف هل هي مضافة إلى الجملة
 التي تليها أو لا؟^(١)

عدّ النحويون حيث ظرفاً مبنياً في محل نصب والمركب الفعلي أو الاسمي
 الإسنادي في محل جر حيث + مركب فعلي إسنادي

نموذج

انطلقت حيث انطلق ٤ السعدية ٣٧ ٢٥٢
 حيث + مركب اسمي إسنادي

تستفرخ حيث لا إفراخ ٤ التبريزية ٤٠ ٣٢١
 من + حيث + مركب فعلي إسنادي

انصرفت من حيث أتيت ١ الصنعانية ١ ٧٤
 إلى + حيث + مركب فعلي إسنادي

ارحل إلى حيث يعوي الذيب ٥ الحجرية ٤٧ ٢٦٤
 عند لا تستعمل إلا منصوبة على الظرفية أو مجرورة بمن وإنما لم

تتصرف لشدة توغلها في الإبهام؛ لأنها تصدق على الجهات الست والأشهر، و
 كسر عينها ومن العرب من يفتحها ومن العرب من يضمها^(٢)

عند + اسم مفرد

عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ١ الحلوانية ٢ ١٠١
 عند + ضمير

١ - الجملة العربية ، عبادة ص ١٢٥ .

٢ - مقامات الحريري ج ٣ المقامة القطيعية ٢٤ ص ٢٣٠ .

١٨١	١٥	الفرضية	٢	ما لك عندي مبيت عند + مركب اسمي إضافي
١٤٩	٣	الدينارية	١	حبه عند ذوي الحقائق
٣١٤	٨	المعريّة	١	يسمو عند جوده لدى

وهي بمعنى عند وتفارقها في أنها لا تجر أصلا وعند تجر بمن قال ابن

هشام لا فرق بين لدى وعند^(١)

لدى + اسم مفرد

٣٩٤ ٢٠ الفارقة ٢ وهو لدى الكلّ المفدى الحبيب

لدى + ضمير

٢١٩ ١٦ المغربية ٢ حاورتهم فوجدت سبحان لديهم باقلا

٣١٦ ٨ المعريّة ١ واعتاق ميلي رهنا لديه

٢٧٢ ٧ البرقعيدية ١ من أنست برق يديه ألقت ورقة منهن لديه

مع

ظرف غير متصرفّ ومعربّ منصوب بالفتحة وهو ظرف لمكان الاجتماع

أو لزمانه فيكون مكانيا وزمانيا^(٢)

وإذا سكنت العين فهي إذ ذاك حرف جر معناها المصاحبة، والعامل فيها

فعل وما جرى مجراه كسائر حروف الجر ولا يحكم فيها بحذف ولا وزن ولا يسأل

عن بنائها لثبوت الحرفيّة فيها^(٣)

١ - همع الهوامع ج ٣ / ١٦٥.

٢ - شرح ابن عقيل ج ٣ / ٧٠.

٣ - الجنى الداني ص ٣٢٩.

وتكون ظرفاً بمعنى عند ومرادفة لها^(١).

مع + مركب اسمي إضافي

كيف حكم سيرتك مع جيرتك؟ ١ الدميائية ٤ ١٦٢

مع + اسم مفرد

أثقلب مع الرّيحين: ززع ورخاء ١ الدينارية ٣ ١٥٦

مذ ومنذ

لها ثلاثة أحوال:

الحال الأول:

١- إذا وليها اسم مرفوع نحو : ما رأيتَه مذ يوم الجمعة أو منذ يومان فهما

مبتدآن والزّمان المرفوع بعدهما خبرهما وهذا قول المبرّد وابن السّراج

والفارسيّ ونقله ابن مالك من البصريين

ما ذاق مذ يومان طعم المأكّل ١ الكوفية ٥ ٢٠٥

٢- ظرفان منصويان على الظرفية وهما في موضع الخبر بعدهما مبتدأ :

بيني وبين القائد يومان وهو مذهب الأخفش والزّجاج وطائفة من

البصريين.

٣- أنّ المرفوع بعدهما فاعل بفعل مقدر أي مذ كان يومان وهما ظرفان

مضافان إلى جملة حذف صدرها وهذا مذهب الكوفيين واختاره السّهيليّ

وابن مالك.

الحال الثاني: أن يليها اسم مجرور : ما رأيتَه مذ يومين وفي ذلك

مذهبان أحدهما: أن مذ ومنذ حرفا جر وهو الصحيح وإليه ذهب الجمهور

١ - النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ج ٣ / ١٢٦.

والثاني : أنَّهما ظرفان مضافان وهما في موضع النَّصب بالفعل الذي قبلهما وعلى هذا فهما اسمان في كل موضع

الحال الثالث: أن يليها جملة كثيرا ما تكون فعلية وقد تكون اسمية وفي ذلك مذهبان أحدهما: أن منذ ومنذ إذا وليهما مرفوع أو جملة فهما ظرفان مضافان إلى الجملة وإن وليهما مجرور فهما حرفان وهذا اختيار ابن مالك في التسهيل^(١).

مذ

مذ + مركب فعلي اسنادي

والمقاضي ما يخبو ضجره مذ بضَّ حجره ١ المعريَّة ٨ ٣٢٤

مذ + اسم مجرور

آليت مذ أعوام ألا يضمني ونموما مقام ١ السَّجَّارِيَّة ٨ ٢٧٧

عاهدت الله مذ ذلك العهد ألا أحاضر ناما ١ السَّجَّارِيَّة ٨ ٣٣٠

منذ + اسم مفرد مجرور

إنَّه يا قوم لنجيكم منذ اليوم ١ الحلوانيَّة ٢ ١٠١

لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيده ١ الإسكندريَّة ٩ ٣٦٥

جعلت هجيراي مذ أقيت بها عصاي ٤ الملطية ٣٦ ١٩٣

قيل إنه مذ دخل عانة ما زایل الحانة ٢ الدمشقيَّة ١٢ ٤٢٢

"قطّ" ما لزم النَّصب محلا على الظرفية ولم يفارقها أصلا في استغراق

الماضي "قطّ" وفي استغراق المستقبل لفظ "عوض" ولا يستعملان إلا بعد نفي^(٢)

وهي من الظروف الغير متصرفة وتختص قط وعوض بالنفي يقال ما فعلت قط ،

١ - معنى اللبيب ج ٤ / ٢٤٨ - الجنى الداني ص ٥٠٤

٢ - ارتشاف الضرب ٣ / ١٤٢٥

شبه الجملة في مقامات الحريري

ولا أفعله عوض^(١)، قَطَّ اسم مبني وأصله التشديد نقل من القط وهو القطع إلى الظرف ويبني على حركة وهي الضمة ويدل على ما تقدم من الزمان.^(٢)
حروف إحدى كلمتيها يعهما النقط وحروف لم يعجمن قَطُّ ١ المراعية ٦ ٢٣٧
ولا تكثرن على صاحب فما مَلَّ قَطُّ سوى الواصل ٢ المغربية ١٦ ٢٢٧
إنَّه ما دعا قط إلا أمنت ولا ادَّعى إلا آمنت ٤ الصعدية ٣٧ ٢٣٢
أمَّا الظُّروف التي تكون اسما فذكر سيبويه أنَّها: خلفك ، قدامك، أمامك ، تحتك ، قبالتك وما أشبه ذلك^(٣) وأمَّا المكان فلا يكون من أسمائه ظرفا صناعيا إلا ما كان مبهما أو مشتقا من اسم الحدث الذي اشتق منه عامله فالمبهم ما لا يتميز مسماه بدون إضافة أو ما يقوم مقامها كأسماء الجهات والمقادير تقول: قعدت يمين زيد ويسار عمرو وسرت ميلا وفرسخا والمشتق من اسم الحدث الذي اشتق منه العامل كمقعد ، ومعقد نحو: أقعد مقعد المناجي وأقعد نكاح زيد معقد نكاح عمرو^(٤)

قبالة + اسم إضافي

دهليز البلد الحرام قبالة الباب والمقام ٥ البصرية ٥٠ ص ٣٤٤

قبالة + ضمير

قبالتهما خابية نبين ١ الصناعانية ١ ٧٠

١ - المصدر نفسه، ٣ / ١٤٢٥ - الملحّة في شرح الملحّة ١ / ٤٤٣

٢ - التراكيب الإسنادية، دكتور علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٢٨

٣ - الأصول ١ / ١٩٩

٤ - شرح الكافية الشافية ، جمال الدين أبي عبد الله بن مالك، حققه د. عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ٢ / ٦٧٦

تلقاء : وهو ظرف مكان تقول: المصلى والزرع تلقاء الحيا المنهل^(١)

تلقاء + اسم ظاهر

قلبه تلقاء البيت ٢ السَّائِيَّة ١١ ١٠

تلقاء + ضمير

ثم واجهت تلقاءه ٣ السَّمَرَقَنْدِيَّة ٢٨ ٣٥٣

وسنط

تقول وسط رأسه دهن لأنك تخبر عن شيء فيه وليس به هذا إذا أسكنت

السين كان ظرفا^(٢) قال ابن مالك تجرّده عن الظرفية قليل لا يكاد يُعرف^(٣)

جالس وسنط أهله ٣ الرَّازِيَّة ٢١ ٨

قيد

جعلت شخصه قيد عياني ٢ البرقعيَّة ٧ ٢٨٤

شبه الظرف

يتحول الظرف بنوعيه إلى جار ومجرور إذا جر حتى ولو كان الجار

(في) الدالة على الظرفية

ومن أنواع الظرف غير المتصرف ما يجر بـ "من" غالبا نحو: عند، لدن،

قبل، بعد، حول ، وتسمى هذه الحالة شبه الظرفية مثال ذلك.

قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا"^(٤) وقوله تعالى: "ثم

بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون"^(٥)

١ - ملحة الإعراب ص ٤٢ .

٢ - المقتضب ٤ / ٣٤١ - الكتاب ١ / ٤١١ .

٣ - همع الهوامع ٣ / ١٥٧ .

٤ - سورة الحج الآية ٧٣ .

٥ - سورة البقرة الآية ٥٦ .

شبه الجملة في مقامات الحريري

وسبب تحوله من الظرفية إلى الجار والمجرور أنه ترك النصب على الظرفية وصار اسما محضا مجرورا ولا يصح حينئذ تسميته ظرفا^(١).

انصرفت من حيث أتيت	١	الصَّنَعَانِيَّة	١	٧٤
ثم بسط يده من بعد ما أنشده	١	الدينارية	٣	١٤٣

خلاصة المبحث الأول:

جاء تركيب شبه الجملة المكون من ظرفي الزمان والمكان كالتالي:

١- جاء تركيب الظرف التي ليست إضافته لازمة منه:

المضاف والمنقطع عن الإضافة مثل: قبل و بعد وحين و عام و ساعة و يوم الآن حول سنة دهر أمس غدا ثم هنا قط.

وجاء مضافا مثل: فوق و تحت أمام خلف وراء بين حول من ظروف

المكان، وجاء: وقت مدة صباح مساء بكرة.

٢- جاء تركيب المضاف إضافة لازمة إذ، إذا، حيث، عند، لدى، مع،

وجاءت "مذ" التي تأتي مبتدأ و ظرفا وحرف جرّ، وجاءت "منذ" التي تأتي

ظرفا أو حرف جر.

ورد: قبالة، تلقاء، قيد، وجاء "وسط" شبيها بالظرف

٣- ورد التركيب الظرفي مع الاسم الظاهر والضمير والمركب الاسمي

الإضافي والمركب الاسمي الإسنادي والمركب الفعلي الإسنادي والمركب

الموصولي.

١ - شبه الجملة دراسة تركيبية تحليلية ، د. سوزان محمد فهمي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ٦١، العدد ١، يناير ٢٠٠١ ص ٣٧.

ورد التوسع الظرفي:

- ١- استخدام اللفظ الدال على كلية الزمان أو جزئياته نحو: كل الوقت، طول الليل.
- ٢- استخدام صفة الظرف مقام الظرف.
- ٣- استخدام العدد المميز بالزمان.
- ٤- استخدام اسم الزمان أو المكان المشتق من الحدث.

المبحث الثاني: تركيب الجار والمجرور

يراد به الهيئة التركيبية المبدوءة مما يعرف بحروف الجر وهي: من -				
إلى - عن - علي - في - اللام - الباء وهذه الحروف السبعة الأولى يليها اسم				
أو ضمير أو مركب إضافي أو موصولي				
من + اسم مفرد				
٧١	١	الصَّنَاعِيَّة	١	كاد يتميِّز من الغيظ
٢٠٥	٥	الكوفيَّة	١	ليس له في أرضكم من مؤئل
				من + ضمير
٦٨	١	الصَّنَاعِيَّة	١	فقبله منهم
				من + مركب اسمي إضافي
٦٨	١	الصَّنَاعِيَّة	١	بعثت إليه لأقتبس من فوائده
				من + مركب اسمي إسنادي
٢٦٢	٢٦	الرَّقْطَاء	٣	من أين إياك؟
				من + مركب موصولي
١٦٥	٤	الدمياطِيَّة	١	ولا ترج الود ممن يرى أنك محتاج إلى فلسه
٢٧٤	٣٨	المروِيَّة	٤	فالدهر أنك من أن تستمر به حال
٢٨٣	١٨	السَّنْجَارِيَّة	٢	وأنا مع ذلك أريح من أن تسري بريها ريح
				إلى + اسم مفرد
٥٢	١	الصَّنَاعِيَّة	١	ذهبت إلى ناد رحيب
				إلى + ضمير
٥٣	١	الصنَاعِيَّة	١	دلفت إليه لاقتبس من فوائده
				إلى + مركب اسمي إسنادي

٢٦٢	٢٦	الرَّقْطَاء	٣	إلى أين انسيابك؟ إلى + مركب فعلي إسنادي
٧٧	٤٣	البَكْرِيَّة	٥	إلى أن كادت الشمس تجب إلى + مركب موصولي
١٣٢	٣	الدِّينَارِيَّة	١	انظروا إلى من كان ذا ندى
٥٦	٤٢	النَّجْرَانِيَّة	٥	ثم هلم إلى أن نلغز
٢٣٣	٢٥	الكَرْجِيَّة	٣	اضطرتت إلى أن برزت من كناني عن + اسم مفرد
٤٨	١	الصَّنْعَانِيَّة	١	أناأنتي المتربة عن الأتراب عن + ضمير
٥٨	٣٨	المَرْوِيَّة	٤	متى فصلتها عنك انفصلت
٦٨	١	الصَّنْعَانِيَّة	١	أو يعني عنك ندمك إذا زلت قدمك عن + مركب اسمي إضافي
٢٠٢	٥	الكَوْفِيَّة	١	استخبرنا عن طرفه مرآه عن + مركب موصولي
١٥٥	٢٣	الشَّعْرِيَّة	٣	هذا الغني يستغني بوجده عمّن سواه علي + اسم مفرد
٨٤	٢	الْحَلْوَانِيَّة	١	فسلّمت على الجُلّاس على + ضمير
١٣١	٣	الدِّينَارِيَّة	١	وقف بنا شخص عليه سمل على + مركب اسمي إضافي
٢٠١	٥	الكَوْفِيَّة	١	أبو زيد مكب على أعمال يديه
٥٧	١	الصَّنْعَانِيَّة	١	لا تخفى خافية على مليكك

شبه الجملة في مقامات الحريري

				على + مركب موصولي
١٦٥	٤	الدمياطية	١	لا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي
٧٢	١	الصنعانية	١	على أنني لم أهب صرفه
٦٨	١٥	الفرضية	٢	على أن تلحق بمن مان
				في + اسم مفرد
٢١٤	٥	الكوفية	١	فما سير مثلها في الآفاق
٢١٥	٥	الكوفية	١	استنفذ الوسع في الثناء
				في + ضمير
٨٩	٢	الحلوانية	١	ما الكتاب الذي تنظر فيه
				في + مركب اسمي اضافي
٥٢	١	الصنعانية	١	أروض في مسارحي لمحاتي كريما
٣٠٧	٧	البرقعيدية	١	عاد في أقرب من رجع النفس
				في + مركب موصولي
١٨٠	١٥	الفرضية	٢	لا تطمع في أن تبيت
				اللام + اسم مفرد
٩٩	٢	الحلوانية	١	نفسى الفداء لثغر راق مبسمه
١٠١	٢	الحلوانية	١	لمن هذا البيت؟
				اللام + ضمير
١٣١	٣	الدينارية	١	نظمني وإخوانا لي ناد
				اللام + مركب اسمي اضافي
				هل للقدمات إذا أمعن النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد
				لتقادم الموالد؟
٢٢٨	٦	المراعية	١	

٣٥٠	٩	الإسكندرية	١	قيض القدر لنصبي ووصبي اللام + مركب موصولي
٨٩	٢	الهلوانية	١	فقال لمن يليه .. ما الكتاب الذي تنظر فيه
١٤٩	٣	الدينارية	١	واها لمن يقذفه الباء + اسم ظاهر
٢٦٢	٢٦	الرقطاء	٣	بم امتلأت عيابك؟: أوعية متاعك
٥٩	١	الصناعية	١	بالمشيب إنذارك الباء + ضمير
٤٨	١	الصناعية	١	طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن الباء + مركب اسمي إضافي
٨١	٢	الهلوانية	١	أغراه عدمه العراق بتطبيق العراق
١٥٧	٣٤	الزبيدية	٤	ما بالك شمخت بأنفك
٥٢	١	الصناعية	١	يطبع الأسجاع بجواهر لفظه الباء + مركب موصولي
٧٤	١	الصناعية	١	عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى
١٥٦	٣	الدينارية	١	ناجاني قلبي بأنه أبو زيد
٩٦	٢٣	الشعرية	٣	واعلم بأن خطوبها تفجا وإن طال المدى التاء والواو

لا يليهما إلا اسم أو مركب إضافي مقسم به ويجوز أن يلي الواو مركب موصولي وهنا يجب حذف المتعلق بحرف الجر بمحذوف قال ابن هشام في المغني القسم بغير الباء^(١).

١ - مغني اللبيب، ٥ / ٣٣٣.

شبه الجملة في مقامات الحريري

٢٧٤	٣٨	المروية	٤	تالله لقد أحسنت
٩٧	٣٢	الطبيبة	٤	تالله لقد أوجبت ذمما
				الواو + اسم
١٦٧	٤	الدمياطية	١	لا والله بل نتوازن في المقال
				بل هو ومن طوق الحمامة لأكذب من أبي ثمامة حين مخرق باليمامة
٣٢١	٤٠	التبريزية	٤	
				الواو + مركب موصولي
١٦٧	٥	الكوفية	١	والذي أحلني داركم لا تلمظت بقراكم
٣٥٩	٩	الإسكندرية	١	والذي سارت الرفاق إلى كعبته
				الكاف يليها اسم أو مركب اسمي إضافي أو مركب موصولي
				الكاف + اسم
٣٨٥	١٠	الرحبية	١	فأسرع إلى ندوته كالسليك في عدوته
				الكاف + مركب اسمي إضافي
١١٤	١	الحلوانية	١	فلم يكن إلا كلمح البصر حتى أنشد
١٢١	١	الحلوانية	١	أطرق كطرفة العين
				الكاف + مركب موصولي
٣٠٧	٧	البرقعيدية	١	فكان كمن قسم في الماء
٢١١	٣٦	الملطية	٤	لست كمن يستأثر على نديمه
				كي التعليلية أو المصدرية
				لا يليها إلا مركب موصولي حرفي مكون من أن والفعل والمضارع مع حذف أن ^(١) .

١ - الجملة العربية ، عبادة ص ١٣٥ .

ولابد أن يسبقها لفظا أو تقديرا لام الجر التي تفيد التعليل^(١).

ولد (كي) ثلاثة مذاهب:

- ١- حرف جر دائما وهو مذهب الأخفش
- ٢- ناصبة للفعل دائما وهو مذهب الكوفيين
- ٣- حرف جر تارة وناصبة للفعل تارة وهو الصحيح^(٢) جئت كي أكرم زيدا ف (أكرم) فعل مضارع منصوب بأن بعد كي وأن والفعل مقدران لمصدر مجرور بـ (كي) والتقدير : جئت كي إكرام زيد أي : لإكرام زيد^(٣).

٦٨	١	الصَّنَعَانِيَّة	١	ويسرب من يتبع لكي يجهل مريعه
٢١٧	٥	الكوفيَّة	١	جئت لأشاهد ولدك النجيب وأنافته لكي يجيب

التوسع في استعمال الظرف:

أقامت العرب أسماء ليست بأزمنة اتساعا واختصارا وتوسعت أيضا في

ظروف المكان على سبيل التشبيه أو التقريب^(٤)

- ١- استخدم اللفظ الدال على كلفة الزمان أو جزئياته نحو: كلّ الوقت - مشيت طول الليل^(٥)

٢٦٠	٢٦	الرقطاء	٣	بعدت سرى ليلتين
٨١	٢	الحلوانية	١	ينشئ لي كل يوم نزهة
١٥١	٣٤	الزبيدية	٤	ريثما يقطع مدى ميل

١ - النحو الوافي ٢ / ١٦٤ .

٢ - الجنى الداني في حروف المعاني ، ص ٣٦٤ .

٣ - شرح ابن عقيل ٣ / ٤ .

٤ - الأصول لابن السراج ١ / ١٩٣ .

٥ - التصريح لشرح التوضيح ١ / ٥٣٢ .

شبه الجملة في مقامات الحريري

٢- تقام صفة الظرف مقامه مثل : سامرته كثيرا من الليل ^(١) .			
٢٥٣	٢٥	٣	الكرجِيَّة
حصلت على الرعدة طول شتوتي			
٢٣٧	١٧	٢	القَهْقِرِيَّة
أرخيت لكم طول المدة			
٣- استخدام العدد المميز بالزمان نحو: عشرين يوما ثلاثين ساعة ^(٢)			
٦٣	٤٢	٥	
فإن أتممت عشرا فمن عندك			
٨٨	٤٣	٥	
مكثت ثلاثا لا أستطيع انبعاثا			
٤- استخدام اسم الزمان أو المكان المشتق من الحدث			
٣٠	١١	٢	الساوِيَّة
ناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال			
١٦٢	٤	١	الدمياطِيَّة
تخيرناها مناخا للعيس			
١٥٧	١٥	٢	الفرضِيَّة
فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي بدلوي			
٣٦	٣٢	٤	الطبيبيَّة
أزمعنا أن نقضي ظل اليوم في حلة القوم			
١٥٦	٣٤	٤	الرُبَيْدِيَّة
نويت مصارمته يد الدهر أي: أبدا			

خلاصة البحث الثاني:

- وردت حروف الجر من إلى عن على في الباء اللام التاء الواو الكاف كي بتراكيبها المختلفة المركبة مع الاسم الظاهر أو المركبة مع الضمير أو مع المركب الاسمي الإضافي أو مع المركب الموصولي الحرفي.

١ - الملحّة ص ٤٥٥ - شرح الكافية الشافية ٢ / ٦٧٦.

٢ - شرح التصريح ١ / ٥٣٢.

خلاصة الدراسة

سمّيت شبه الجملة بذلك لأنها مركّبة كالجمل، والمقصود بها الظرف بنوعيه الزماني والمكاني، والجار الأصلي مع المجرور. المركّب الظرفي: هو الهيئة التركيبية المبدوءة بما يدل على زمان، أو مكان إنجاز الحدث، وهو نوعان: مركب ظرفي إضافي إضافته غير لازمة، ومركب ظرفي إضافي إضافته لازمة أي لا يستقل بنفسه ولا يستعمل إلا مضافاً. لابدّ من تعلق الظرف والجار والمجرور بالفعل أو ما يشبهه، وهو الاسم المشتق، أو ما أوّل بما يشبهه كالاسم الجامد المؤول بالمشتق. يتحول الظرف بنوعيه إلى جار ومجرور إذا جرّ فيصير اسماً محضاً مجروراً، ويسمى في هذه الحالة شبه الظرف. يتكون الجار والمجرور من حرف الجرّ وما يأتي بعده الاسم الظاهر أو الضمير أو المركب الاسمي الإضافي أو المركب الموصولي الحرفي. أقامت العرب أسماء ليست بأزمنة اتساعاً، وتوسعت أيضاً في ظروف المكان على سبيل التقريب.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر.

- القرآن الكريم.
- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

ثانياً: المراجع.

- ١- ارتشاف الضرب، لأبي حيان الأندلسي ت ٧٤٥هـ، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مراجعة د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، مصر ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ٢- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج ت ٣١٦هـ، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- ٣- إعراب الجمل وأشباه الجمل، د. فخر الدين قباوة، طه، دار القلم العربي، حلب، سورية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٤- التراكيب الإسنادية، دكتور علي أبو المكارم، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- ٥- التصريح بمضمون التوضيح، عبد الله الأزهرى، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- ٦- التطور النحوي، برجستراسر، صححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

- ٧- الجمل في النحو ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠ هـ تحقيق فخر الدين قباوة ، الطبعة الخامسة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .
- ٨- الجملة العربية مكوناتها ، أنواعها تحليلها ، د. محمد إبراهيم عبادة ، ط ٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة (د.ت)
- ٩- حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت)
- ١٠- سر صناعة الإعراب، أو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ت ٣٩٢ هـ - دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
- ١١- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي ت ٧٩٤ هـ، تحقيق فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.
- ١٢- دلالة التعليق والحذف والتقدير بالحروف، حسام عبد علي الجمل، جامعة بابل ، العدد ٧٤ ، لسنة ٢٠١٢
- ١٣- ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الأسد، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٧ م .
- ١٤- رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٤ هـ.
- ١٥- شبه الجملة دراسة تركيبية تحليلية ، د. سوزان محمد فهمي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة، المجلد ٦١، العدد ١، يناير ٢٠٠١
- ١٦- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، ١٣٧٥ هـ، ١٩٥٥ م، ٢ / ١٣٠ - الصبان ١٨٤ / ٢

- ١٧- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، دار الكتب العلميّة، لبنان ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م، ٥٢٨/١
- ١٨- شرح الرّضى على الكافية، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م
- ١٩- شرح الشواهد الكبرى، بدر الدّين محمود بن أحمد بن موسى العيني ت ٨٥٥ هـ، تحقيق د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام للنشر والتّوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م
- ٢٠- شرح الكافية الشافية، جمال الدين بن مالك، تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، ط ١، دار المأمون للتراث، مكة المكرمة، ١٤٠٢ هـ -
- ٢١- شرح المفصل لابن يعيش موفق الدين أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش، قدم له د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- ٢٢- فتح رب البرية في شرح الأجرومية، تأليف أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، مكتبة الأسدى، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢٣- الكتاب، كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
- ٢٤- كتاب الأفعال، سعيد بن محمد المعافري المعروف بابن الحداد ت ٤٠٠ هـ، تحقيق حسين محمد شرف، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٣٩٥ هـ، ١٩٧٥ م.

- ٢٥- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين (د.ت) .
- ٢٦- اللحة في شرح الملح، محمد بن حسن بن سباع الجزامي شمس الدين المعروف بابن الصائغ ت ٧٢٠هـ، تحقيق إبراهيم بن سالم الساعدي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م.
- ٢٧- المصطلح النحوي التركيبي عند برجستراسر في كتابه التطور النحوي، عبد الله محمد زين شهاب، جامعة حضرموت، مجلة الدراسات اللغوية، مجلد ١٨ عدد ٢، ٢٠١٦م.
- ٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبد اللطيف محمد الخطيب، الطبعة الأولى، الكويت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .
- ٢٩- المفصل للزمخشري ت ٥٣٨ هـ ، تحقيق د. علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣.
- ٣٠- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، لجنة إحياء التراث، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.
- ٣١- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة.
- ٣٢- النحو وتطبيقاته ، محمود مترجي - دار النهضة - ط ١ - ٢٠٠٠م .
- ٣٣- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق عبد العال سيد مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

كتاب الحجر من

التطريز في شرح التعجيز

**للإمام تاج الدين عبد الرحيم بن محمد
بن يونس الموصلبي رحمه الله (ت ٦٧١هـ)
(دراسة وتحقيق)**

إعداد

د. محمد أحمد عبد القادر

الباحثة/ سهر علي أحمد عبد "رب" الرسول

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المخلص

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أما بعد.. فهذا البحث في تحقيق كتاب الحجر من مخطوط التطريز في شرح التعجيز لابن يونس: عبد الرحيم بن رضى الدين محمد بن يونس بن محمد بن منعة تاج الدين أبو القاسم الموصلي الفقيه الشافعي (ت ٦٧١هـ)، وذلك من خلال الخطة الآتية:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وعرض لخطة البحث.

القسم الأول: قسم الدراسة ويشتمل على ثلاثة فصول: الفصل الأول: في ترجمة الغزالي وكتابه الوجيز، الفصل الثاني: التعريف بالإمام بن يونس وعصره.

الفصل الثالث: دراسة الكتاب، القسم الثاني: تحقيق كتاب الحجر من {التطريز في شرح التعجيز}. الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث، ثم الفهارس العلمية..

الكلمات المفتاحية: الحجر - الفقه الشافعي - التطريز - التعجيز - ابن يونس.

Abstract

Praise by whose grace good deeds are accomplished. As for what follows... This research is in the investigation of the book Al-Hijr from the embroidery manuscripts in Sharh Al-Ta'jiz by Ibn Yunus: To God belongs Abdul Rahim bin Radi al-Din Muhammad bin Yunus bin Muhammad bin Man'ah Taj al-Din Abu al-Qasim al-Mawsili, the Shafi'i jurist (d. 671 AH), and that Through the following construction:

Topic: Choosing the topic and its importance for the research plan.

The first section: the study section

It includes three chapters:

Chapter One: On the translation of Al-Ghazali and his brief book.

Chapter Two: Introduction to Imam Bin Yunus and his era.

Chapter Three: Study the book.

The second section: Completing the book Al-Hijr from (Embroidery fi Sharh al-Ta'adhud).

The conclusion contains the most important results of the research.

Then the scientific indexes.

Keywords: Stone - Shafi'i jurisprudence - embroidery - complexity - Ibn Yunus .

قال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ). (التوبة ١٢٢).

قال عليه السلام: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" أخرجه الترمذي^(١).

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٨/٢) عن ابن عباس مرفوعاً، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩١/٣): وهو على شرط الشيخين.

الإهداء

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات
إلى طلبية العلم الذين أوصى
بهم رسول الله ﷺ خيراً.

نهدي هذا البحث

كلمة الشكر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

فقد ثبت قوله ﷺ (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) (١).

ولذا فنشكر الله تعالى على ما أولانا من عظيم نعمه،
وكبير آلائه، ثم نتوجه بالشكر إلى كل من مَدَّ يَدَ العون
والمساعدة في نشر هذا الكتاب المبارك.

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٠٣٩/٤) عن أبي هريرة ؓ، وقال حديث صحيح، وصححه الألباني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد،،،

فإن مختصر المزني هو العمدة في المذهب الشافعي، وعليه التعويل في معرفة المذهب، وقد جاء إمام الحرمين فشرحه في كتاب "نهاية المطلب في دراية المذهب" ثم جاء الغزالي فاختصره في بسيطه ثم وسيطه، ثم وجيزه، ثم جاء ابن يونس وأراد اختصاره اختصاراً لا يستطيع أحد اختصاره بعده فقام باختصار الوجيز في كتابه التعجيز ثم شرحه في التطريز^(١).

(١) وضع الإمام المزني (ت ٢٦٤) علم الشافعي في كتابه: (المختصر)، وقد اشتغل به الشافعية، وشرحه الماوردي في الحاوي، لكن من أوسع شروحه كتاب: نهاية المطلب في دراية المذهب: لإمام الحرمين الجويني الشافعي الذي مدحه ابن خلكان وقال ما صنف في الإسلام مثله اه، واختصره الغزالي في البسيط، ثم الوسيط، ثم الوجيز. كشف الظنون (١/٢٤٥)، (٢/٢٠٠٢). وقد طبع نهاية المطلب بتحقيق الدكتور عبد العظيم الديب في ٢١ مجلداً، وانظر: الوافي بالوفيات (٢١٢/١).

أسباب اختيار الموضوع:

إن لتحقيق المخطوط فوائد جمة مما يبعث علي البحث والتنقيب في جميع الكتب سواء الخاصة بالتفسير أو الحديث وعلم الرجال والبحث في أسانيد الأحاديث ونسب الرجال ومعرفة الأقوال الصحيحة وغير الصحيحة ونسبة العلم لأهله والبحث في المذاهب الفقهية للوصول إلي الفائدة العلمية.

كما إن كتاب الحجر، وما يترتب عليه من مسائل إنما من الموضوعات المهمة التي تجمع بين الفقه والقانون.

أهمية الكتاب في المكتبة الإسلامية:

إن للتحقيق أهمية علمية وتاريخية بالغة في حفظ تراث الأمة من خلال ما يلي:

(١) إن كثيرا من كتب التراث لا نعلمها إلا من خلال كتب الرجال والطبقات والفهارس وغيرها، أو تصل لنا أخبار وجودها مخطوطة في بعض الخزائن العلمية دون أن يصل الخبر بخروجها إلى عالم النور، وكثير مما أخرج ونشر لم يحظ بتحقيق علمي.

(٢) لا يمكن أن تتم البحوث الموضوعية الأخرى إلا مبنية في جزء كبير منها على النصوص التراثية، وهذه النصوص إن لم تخدم وتحقق؛ كثر التحريف.

(٣) ما طبع من التراث العربي منذ ظهور الطباعة قدر بما لا يزيد على واحد في المائة. وإن من أبرز تلك المخطوطات وأولها بالتحقيق ما يتعلق بالدراسات الفقهية والأصولية.

(٤) تعرضت المكتبات الإسلامية على مر العصور للنهب والسلب، أو الإتلاف والحرق، وإضافة لأحداث العسكرية التي أحدثت الدمار بجزء كبير من

تراثنا الإسلامي، فإن عوامل التعرية كان لها نصيب كبير أيضاً في إتلاف المخطوطات وطمس معالمها^(١).

الدراسات السابقة:

لم نجد دراسة سابقة للجزء الذي قمنا بتحقيقه [كتاب الحجر].

وبالنسبة لباقي المخطوط:

أ] قام الباحث د. عبد الرحمن أحمد صابر بتحقيق المخطوط من أوله وحتى باب النوافل لنيل درجة العالمية "الماجستير" بجامعة العلا عام ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.

ب] ثم قامت الباحثة أبرار ماهر بتحقيق جزئية من المخطوط أيضاً لنيل درجة العالمية "الماجستير" من أول باب محظورات الإحرام وحتى بداية باب تصرف العبد بجامعة العلا أيضاً لعام ١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م. وقد استفدنا من دراستيهما [باختصار] فيما يتعلق بالمقدمات ونحوها، فجزأهما الله خيراً.

ج] قام الباحث الحسين الطنطاوي بتحقيق جزء المخطوط أيضاً لنيل درجة العالمية "الماجستير" من أول باب تعجيل الزكاة وحتى بداية باب محظورات الإحرام بجامعة العلا أيضاً لعام ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م.

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية (ص ١٤٢)؛ المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية للدكتور فاروق السامرائي طبعة دار الفرقان الأردن ت ١ ط - ١٩٩٦م (ص ١١٧)؛ منهاج البحث وتحقيق المخطوطات للدكتور/أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٩٩٥م (ص ١٢٣)؛ الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، للدكتور مصطفى السباعي مكتبة دار البيان، الكويت ١٩٦٨م (ص ٣٠-٣٩)، التراث والمعاصرة للدكتور أكرم ضياء العمري، كتاب الأمة (١٠) ط ١، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر ١٤٠٥هـ (ص ٣٨-٤٠)، من موقع المركز العلمي لدراسة وتحقيق المخطوطات <https://scsim1438.wixsite.com>. تاريخ الدخول إبريل ٢٠٢٤م.

- د] سجل جزء من الكتاب من باب تصرف العبد حتى نهاية كتاب الرهن. في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة مينيسوتا.
- هـ] وهناك جزئية أخرى أخذت من المخطوط، بجامعة العلا، ولم تناقش بعد، وبقيت من المخطوط لوحات قليلة تم أخذها كأبحاث محكمة.

منهج التحقيق:

نتبع في التحقيق المنهج التالي:

- ١- نسخ النص وفقاً لقواعد الرسم الإملائي، وتمشيًا مع الطرق الحديثة في الكتابة.
- ٢- ربط النص بالنسخة بالمخطوط بذكر ترقيم اللوحات.
- ٣- عزو الآيات القرآنية إلى سورها بالمصحف؛ في المتن.
- ٤- ضبط النص بوضع ما يحتاج إليه من علامات الترقيم.
- ٥- ضبط ما يحتاج إلى ضبط بالشكل.
- ٦- تخريج الأحاديث والآثار التي بالمخطوط، بعزو الحديث أو الأثر إلى المصادر التي ذكرها المصنف، فإن كان في «الصحيحين» اكتفينا بالعزو إليهما، وإن لم يكن فيهما فنخرجه من مصادره، مع نقل كلام أهل العلم في بيان درجته بحسب ما تيسر.
- ٧- شرح الغريب، فما شرحه المصنف نحيله إلى مصادره من كتب اللغة، وما احتاج إلى شرح ولم يتناوله؛ فإننا نشرحه معزواً إلى مصادره أيضاً.
- ٨- الترجمة للأعلام غير المشهورين بإيجاز.
- ٩- توثيق النصوص التي أوردتها المصنف من المصادر التي استقى منها المؤلف، على حسب ما يتوفر منها، وربما نرجع إلى غير مصادره.
- ١٠- التعليق على ما يحتاج إليه فقهاً أو خلافه.

صعوبات البحث:

- لكل بحث صعوباته، ولعل صعوبات التحقيق هنا تكمن في الآتي:
- ١- على الباحث أن يخرج النص كما أراده صاحبه، وهذا يعتمد على تصحيح اللفظ مما قد يكون تحرف في النسخ أو مع عوامل التعرية، فإذا علمنا أن النسخة نادرة وفريدة، فهنا نعلم ما يكون من جهد لمحاولة ضبط النص على ما أراده صاحبه.
 - ٢- في خدمة النص، نجد أن المصنف كثيراً ما يذكر الأحاديث والآثار بالمعنى، وهذا يحتاج جهداً في ضبطها.
 - ٣- نقل المصنف عن العديد من المراجع التي تعد مفقودة، وهو وإن كان من مزايا الكتاب من وجه، إلا أنه أيضاً يحتاج جهداً في التوثيق مضاعفاً.
 - ٤- عبارات (التعجيز) مستغلة في كثير من المواطن، ولم يتم التطرير محلها كلها، فاحتاج الأمر إلى مزيد العناية في فهم العبارات من خلال ما استقر عليه المذهب الشافعي.

خطة البحث:

قمنا بالتحقيق من خلال الخطة التالية:
المقدمة: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهم الصعوبات التي واجهت البحث. وعرض لخطته.

القسم الأول: قسم الدراسة.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في ترجمة الغزالي وكتابه الوجيز.

وفيه بحثان:

المبحث الأول: ترجمة الإمام الغزالي.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الخامس: تلاميذه.

المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

المبحث الثاني: أهمية كتاب الوجيز.

الفصل الثاني: الإمام ابن يونس وعصره.

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: العصران الأيوبي والمملوكي (عصر المؤلف ابن يونس).**

وفيه مطالب:

• المطلب الأول: الحياة السياسية.

• المطلب الثاني: الحياة الدينية.

• المطلب الثالث: الحياة الاقتصادية.

• المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية.

• المطلب الخامس: الحياة العلمية.

- **المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن يونس.**

• المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه، وصفاته.

• المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.

• المطلب الثالث: رحلاته وشيوخه.

- المطلب الرابع: مكانته العلمية.
- المطلب الخامس: تلاميذه.
- المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

الفصل الثالث: دراسة كتاب (التطريز في شرح التعجيب)

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.
- المبحث الثاني: قيمة الكتاب العلمية.
- المبحث الثالث: مصادر المؤلف.
- المبحث الرابع: مصطلحات المؤلف.
- المبحث الخامس: منهج المؤلف.
- المبحث السادس: النسخ المعتمدة.
- المبحث السابع: منهج التحقيق.

القسم الثاني: التحقيق

ويشتمل على: (كتاب الحجر).

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات

ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمامه.

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحققان

القسم الأول: قسم الدراسة

الفصل الأول: في ترجمة الغزالي وكتابه الوجيز.

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ترجمة الغزالي.
- المبحث الثاني: أهمية كتاب الوجيز.

المبحث الأول: ترجمة الغزالي^(١)

وذلك من خلال المطالب التالية:

- المطب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه.
- المطب الثاني: نشأته وطلبه للعلم ورحلاته.
- المطب الثالث: شيوخه.
- المطب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
- المطب الخامس: تلاميذه.
- المطب السادس: مؤلفاته، ووفاته^(٢).

(١) انظر في ترجمته: وفيات الأعيان: (٢١٦/٤)، سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٢٣/١٩)، طبقات ابن السبكي (١٩١/٦). وانظر في كتابات المعاصرين: مقدمة الوجيز في فقه الإمام الشافعي (٨/١) دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، مقدمة شرح مشكل الوسيط، الغزالي الفقيه وكتابه الوجيز، محمد مصطفى الزحيلي، التراث العربي: اتحاد الكتاب العرب مج ٦، ع ٢٢٤، (١٩٨٦م) - (ص ٧٩-١٠٨). وينظر: https://www.islamspirit.com/islamspirit_ency وغيرها كثير، مع الدراسة التي قام بها الباحث عبد الرحمن أحمد صابر محقق الجزء الأول من المخطوط، والدراسة التي أجرتها كذلك: د أبرار ماهر.

(٢) لم يُتعرض في الترجمة إلى بيان عقيدته، والمآخذ التي انتقد بها فكره الصوفي، لأن المراد هنا إبراز قيمة الغزالي الفقهية، وليس ما يتعلق بغير ذلك.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه

الإمام الجليل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، ولد بطوس سنة (٤٥٠هـ). ونسبته (الغزالي) لأن والده كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وقيل نسبة إلى قرية يقال لها: غزالة. وقد قال عن نفسه الناس يقولون لي الغزالي ولست الغزالي وإنما أنا الغزالي نسبة إلى بلدة الغزالة بطوس^(١).

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم ورحلاته^(٢)

نشأ الغزالي في رعاية والده وكان فقيراً يأكل من كسب يديه في عمل غزل الصوف، وكان مع ذلك يطوف على الفقهاء ويجالسهم، ويغشى مجالس الوعظ، وكان يدعو الله أن يرزقه ابناً فقيهاً وآخر واعظاً، فاستجاب الله دعوته فرزق بالفقيه محمد، وبالواعظ أحمد^(٣).
رحل الغزالي كثيراً في طلب العلم، ودخل في شيء من الفلسفة والتصوف، ثم كان خاتمة أمره إقباله على الحديث، ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين وغيرهما، حتى وفاته^(٤).

المطلب الثالث: شيوخه

تتلمذ الغزالي على جملة من الشيوخ، فمنهم الذي بدأ الطلب عليه، وهو أحمد بن محمد الطوسي أبو حامد الراذكاني^(٥)، لكن لا شك أن أعظم مشايخه - والذي تخرج الغزالي به - كان أبا المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩).

(٢) هذا المبحث على هذا النسق استفيد مما وضعه الباحث عبد الرحمن صابر.

(٣) انظر: طبقات الشافعية الكبرى، لابن السبكي، (١٩١/٦-١٩٤).

(٤) سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، طبقات الإسنوي (١١١/٢). طبقات ابن السبكي (٢١٠/٦).

(٥) ينظر: طبقات ابن السبكي (٩١/٤)، طبقات الإسنوي (٢٨٧/٢).

الجويني إمام الحرمين، (ت ٤٧٨هـ)^(١)، وأخذ أيضاً عن أبي الفتح نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي ثم الدمشقي، (ت ٤٩٠هـ)^(٢)، وغيرهم كثير^(٣).

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

- قد وصفه شيخه أبو المعالي الجويني بأنه "بحر مغدق" وكان الجويني يظهر اعتزازه بالغزالي حتى جعله مساعداً له في التدريس وعندما ألف الغزالي كتابه "المنحول في علم الأصول" فقال له الجويني: "دفتني وأنا حي هلا صبرت حتى أموت"^(٤).

- قال الذهبي عن الغزالي: الشيخ الإمام البحر حجة الإسلام، أعجوبة الزمان وقال أيضاً عنه: "صاحب التصانيف والذكاء المفرط"^(٥).

(١) ينظر: وفيات الأعيان (٣/١٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٨/٤٦٨)، طبقات ابن السبكي (٥/١٦٥)، وانظر دراسة د. عبد العظيم الديب رحمه الله عن الجويني في مقدمة نهاية المطلب، وفي دراسته للبرهان والغيثي. والجويني هو: أبو المعالي الجويني: هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه الجويني، نسبة لجوين من قرى نيسابور فقيه شافعي وأحد علماء الدين السنة عامة والأشاعرة خاصة؛ انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٧٣)؛ طبقات الشافعية للإسنوي (١/٤٠٩).

(٢) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٢٥)، سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦)، طبقات ابن السبكي (٥/٣٥١).

(٣) انظر في هذا المبحث: الغزالي الفقيه وكتابه الوجيز، محمد مصطفى الزحيلي، التراث العربي: اتحاد الكتاب العرب: (٧٩-١٠٨)، شرح مشكل الوسيط (المقدمة ص ٢١-٢٢)، مقدمة الوجيز (١/٢١).

(٤) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، (٩/١٦٩).

(٥) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/١٣٦).

- وقال عنه أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: "حجة الإسلام والمسلمين إمام أئمة الدين من لم تر العيون مثله لسانا وبيانا ونطقا وخاطرا وذكاء وطبعاً"^(١).

- وقال ابن خلكان: "لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله"^(٢).

المطلب الخامس: تلاميذه.

تصدر الغزالي شاباً، ودرس في كُبريات المدارس العلمية في وقته بحواضر العلم الكبار كبغداد ونيسابور ودمشق وغيرها؛ فكثر الآخذ عنه، حتى ذكروا أنهم بالمئات.

فمنهم الإمام أبو بكر بن العربي المالكي العالم الفذ المشهور، واسمه محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي الإشبيلي، (ت ٥٤٣هـ)^(٣)، وكذلك: عبد القادر الجيلاني التقى بالغزالي وتأثر به حتى أنه ألف كتابه "الغنية لطالبي طريق الحق" على نمط كتاب "إحياء علوم الدين"^(٤).

المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

رزق الغزالي البركة في وقته، مما جعل قلمه سيالاً بالكثير من المصنفات^(٥)، فمنها ما يتعلق بالفقه وعلومه، ومنها ما هو في سائر العلوم الأخرى.

(١) تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعري (ص: ٢٩١).

(٢) وفيات الأعيان (٤/٢١٦).

(٣) ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٩٦)، السير (٢٠/١٩٧).

(٤) انظر: طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي (٦/٢٠٣، ٢٠٢).

(٥) هناك دراسات كثيرة عن تراث الغزالي، من أشهرها: "مؤلفات الغزالي" لعبد الرحمن بدوي ط.

ط. وكالة المطبوعات- الكويت (١٩٧٧م)، الغزالي الفقيه وكتابه الوجيز، محمد مصطفى

الزحيلي (ص: ٨٣-٨٦).

فما يتعلق بالفقه وعلومه: كتبه المشهورة «السيط»، و«الوسيط»، و«الوجيز»، و«الخلاصة» في الفقه^(١)، وهي التي اختصر فيها نهاية المطالب لشيخه إمام الحرمين.

وله كتاب «الإحياء»^(٢)، وهو من أفضل ما كتب في تهذيب النفوس، لكنه لما اشتمل على الكثير من الفقه، عدوه في كتبه الفقهية.

وفاته:

بعد حياة حافلة بالعلم والتدريس، مفعمة بالاشتغال والتصنيف، يتخللها أزمنة طويلة للعبادة، أسلمت الروح إلى بارئها، فتوفي في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (٥٠٥هـ)، ودفن ببلاد طوس^(٣).

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ت تدمري (١٢٥/٣٥)، طبقات ابن السبكي (٢٢٤/٦)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢١/٦).

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (١٣٧/٣)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٢١/٦).

(٣) ينظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (٢٧/١)، وفيات الأعيان (٢١٨/٤)، تاريخ الإسلام ت تدمري (١٢٦/٣٥)، طبقات ابن السبكي (٢٠١/٦)، المقفى الكبير (٤٦/٧).

المبحث الثاني: أهمية كتاب الوجيز^(١)

حيث كان كتاب (التطريز) لابن يونس، هو شرح للتعجيز الذي هو مختصر الوجيز، لذا اقتضى الحال أن يتم التعريف بكتاب الوجيز، وهو من الكتب المهمة في الفقه الشافعي.

ولمعرفة مزاياه يمكن قراءة كلام الرافعي عنه بداية شرحه له، حيث قال: "وأقول: إن المبتدئين لحفظ المذهب من أبناء الزمان، قد تولّعوا بكتاب الوجيز للإمام العلامة حجة الإسلام، أبي حامد الغزالي، قدس الله تعالى روحه العزيزة وهو كتاب غزير الفوائد، جمّ العوائد، وله القدح المعلنى، والحظ الأوفى، من استيفاء أقسام الحسن والكمال، واستحقاق صرف الهمة إليه والاعتناء بالإكباب عليه، والإقبال والاختصاص بصعوبة اللفظ، ودقة المعنى؟ لما فيه من حسن النظم، وصغر الحجم"^(٢).

(١) تناول الوجيز بالدراسة عدد من الباحثين، ومنه تلخيصه هنا، ومن ذلك: "الغزالي الفقيه وكتابه الوجيز"، محمد مصطفى الزحيلي، التراث العربي: اتحاد الكتاب العرب مج ٦، ٢٢٤، (١٩٨٦م): (ص ٧٩-١٠٨)، مقدمة تحقيق الوجيز ط. دار الأرقم، (١/٦٩، وما يليها).

(٢) فتح العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير ط العلمية (٣/١).

الفصل الثاني: التعريف بالإمام ابن يونس وعصره

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العصران الأيوبي والمملوكي (عصر المؤلف ابن يونس).

- المطلب الأول: الحياة السياسية.
- المطلب الثاني: الحياة الدينية.
- المطلب الثالث: الحياة الاقتصادية.
- المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية.
- المطلب الخامس: الحياة العلمية.

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن يونس.

- المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه وصفاته.
- المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.
- المطلب الثالث: رحلاته وشيوخه.
- المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
- المطلب الخامس: تلاميذه.
- المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

المبحث الأول: العصران الأيوبي والمملوكي (عصر المؤلف ابن يونس)

- المطلب الأول: الحياة السياسية.
- المطلب الثاني: الحياة الدينية.
- المطلب الثالث: الحياة الاقتصادية.
- المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية.
- المطلب الخامس: الحياة العلمية.

المطلب الأول: الحياة السياسية في عصر ابن يونس .

عاش ابن يونس بين عامي (٥٩٨هـ-٦٧١هـ) فيكون قد عاصر عشرين، الأول: الدولة الأتابكية التي كانت في الموصل^(١) بين عامي (٥٢١هـ-٦٦٠هـ)^(٢)، والثاني: بعد أن سقطت الموصل في أيدي التتار عام (٦٦٠هـ)، وعندها انتقل ابن يونس إلى بغداد، وولي القضاء هناك للجانب الغربي منها^(٣).

أولاً: دولة الأتابكة (٤):

أسس الدولة الأتابكية: عماد الدين زنكي بن اق سنقر. وتعاقب عليها أولاده وأحفاده، وذلك بعد سقوط دولة السلاجقة، بين عامي (٥٢١هـ - ٦٦٠هـ) / (١٢٧م - ١٢٦١م)،

وقد عاصر ابن يونس ستة من ولاة هذه الدولة:

- نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود (٥٨٩هـ - ٦٠٧هـ).
- عز الدين مسعود الثاني بن نور الدين أرسلان شاه (٦٠٧هـ - ٦١٥هـ).
- نور الدين أرسلان شاه الثاني بن عز الدين مسعود الثاني (٦١٥هـ).
- ناصر الدين محمود (٦١٥هـ - ٦٣٠هـ).

(١) الموصِلُ: بلدة حضارية كبرى، وقيل سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وهي مدينة قديمة الأسس ولم تتغير مدينة الموصل في وصفها القديم عن موقعها الحالي، ينظر: معجم ما استعجم (٤/١٢٧٨)، معجم البلدان (٥/٢٢٣).

(٢) ينظر: الموصل في عهد الإدارة الأتابكية - د. عبد المنعم رشاد، موسوعة الموصل الحضارية (٢/١٥٥).

(٣) ينظر: طبقات ابن السبكي (٨/١٩٢)، طبقات ابن قاضي شهبه (٢/١٣٦).

(٤) الأتابك: من الفارسي الدخيل، ويعني: أمير أو أكبر الأمراء، وهو من ألقاب أمير الجيوش، والأتابك معناه الوالد أو الأمير باللغة التركية. والمراد به أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد النائب. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي (ص: ١١).

- بدر الدين لؤلؤ (٦٣٠هـ-٦٥٧هـ).
- الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ (٦٥٧هـ-٦٦٠هـ).

المطلب الثاني: الحياة الدينية.

كانت الحياة الدينية بالموصل في الجملة تضاهي الحياة الدينية عمومًا في المدن الكبرى باعتبار أنها من أهم محاضر العراق بعد بغداد والبصرة والكوفة.

مظاهر التدين:

وجد في الموصل مظاهر من التدين العام بين الناس، وشابهه وجود التصوف الذي ألقى بظلاله على المدينة بشدة، ومن الاحتفالات الدينية التي راجت في هذه الحقبة؛ الاحتفال بالأعياد، وقدم رمضان، وخروج موكب الحج. ومن أشهر صوفية هذا العصر: الشيخ عدي بن مسافر الهكاري الأموي^(١): (٤٦٥هـ-٥٥٧هـ)، وهو فقيه صوفي معروف، وله أتباع^(٢).

منصب القضاء:

تولى القضاء بالموصل تلك الفترة الكثير من العلماء، ولاسيما الشهرزوريون: ومنهم: أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري الملقب بضياء الدين (٥٣٤هـ - ٥٩٩هـ)، ومنهم: علي بن الحسين بن القاسم الشهرزوري (ت ٦٠١هـ)، ومنهم: عبد اللطيف بن أحمد بن عبد الله القاسم الشهرزوري (٦١٤هـ)، ومنهم: أبو منصور المظفر بن القاسم بن الحسن بن علي بن آل قاسم الشهرزوري الملقب بحجة الدين (ت ٦٠٦هـ)^(٣). كما ظهر في العصر العباسي الثاني استحداث منصب (قاضي القضاة)، وفي العهد الأتابكي

(١) ينظر: تاريخ إربل (١/١١٦)، وفيات الأعيان (٣/٢٥٤)، سير أعلام النبلاء (٢٠/٣٤٢).

(٢) تاريخ الموصل للديوية (١/٤٥٢-٤٥٤).

(٣) استفيد هذا المطلب مما كتبه الباحث عبد الرحمن صابر في تحقيق أول التطريز.

تقلد هذا المنصب بهاء الدين أبو الحسن علي بن الشهرزوري. فقد جعله عماد الدين زكي قاضي قضاة بلاده جميعاً وما يتبعه من البلاد^(١).

المطلب الثالث: الحياة الاقتصادية^(٢).

ظهر في الموصل الأنشطة الاقتصادية، فحيث كانت من أكبر حواضر العراق، فقد ظهر فيها الأنشطة الحرفية المتنوعة، وعمليات الصيرفة؛ إضافة إلى الأنشطة الاقتصادية التقليدية من الزراعة والتجارة والصناعة، وفيما يلي بيان أهم مظاهر ذلك:

- الزراعة والثروة الحيوانية:

تعد فترة حكم عماد الدين زكي من أزهى عصور الزراعة في الموصل، حيث نشر الأمن في البلاد، ومنع المصادرات، وضرب على أيدي الظالمين، وأبقى الأرض بأيدي الفلاحين، ومنع الإقطاع؛ فعاد الفلاحون إلى قراهم، دون خوف من الظلم أو السلب.

- التجارة:

حيث كانت الموصل على ممر التجارة بالعراق، فكان هذا من أهم عوامل انتشار التجارة بها إضافة إلى السياسات التي اتبعتها الدولة في تأمين وحماية طرق التجارة، وكذا إقامة المنشآت الاقتصادية كالفنادق، مع وجود الاحتساب والرقابة على الأسواق، وانتشار العمليات المصرفية التجارية.

(١) انظر في هذا المبحث: نبذة عن تراجم قضاة الموصل وأطرافها في العصر العباسي، الجبوري: (ص: ٩٨-٩٩).

(٢) تم أخذ جل معلومات هذا المطلب من موسوعة الموصل الحضارية (٣٠٥/٢) أ.د. توفيق سلطان النيوزيكي، ومن تاريخ الموصل للديوة (١/٤٢١-٤٢٧).

عمليات الصيرفة والأتمان:

ازدهرت عمليات الصيرفة بالموصل مع ازدهار التجارة الداخلية والخارجية، كما ظهرت بيوت حفظ ودائع التجار، وكبار رجال الدولة، وظهرت معاملات إقراض التجار؛ وظهرت معاملات الصكوك بالسفتجة^(١) بقوة لأمن الطريق.

الصناعة:

تنوعت الصناعات بالموصل تبعاً لتنوع الأنشطة الزراعية والتجارية، فظهرت صناعة الأدوات المنزلية كالأسطال والسكاكين، والصناعات النحاسية والمعدنية كصباغة الذهب والفضة والصناعات الحديدية كصناعة الأسلحة والأبواب وأدوات الحراثة، وصناعة أرحاء طحن الحبوب، وصناعة الألبان (الجبن) والصابون، كما اشتهرت الموصل بصناعة المنسوجات القطنية والصوفية والكتانية، والمنسوجات الرقيقة والصناعات الجلدية.

كما تم تنظيم الحرف والأصناف فيما يشبه النقابات المعاصرة.

المطلب الرابع: الحياة الاجتماعية^(٢).

تكونت الحياة الاجتماعية في الموصل من طبقات القبائل العربية التي قطنت الموصل، وتباينت الطبقات الاجتماعية، فمنهم الولاة: وكانوا يمتلكون القرى والضياع، وكانت هناك فئات الفقهاء وعلماء الحديث والحفاظ، والشعراء والأدباء ورجال القلم، وكذا فئة الموظفين من كتاب وأصحاب بريد وشرطة

(١) السفتجة: قيل بضم السين وقيل بفتحها، وأما التاء فمفتوحة فيهما، فارسي معرب وفسرها بعضهم فقال هي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قرضاً يأمن به من خطر الطريق والجمع السفاتج. انظر: المصباح المنير (٤/٢٤٨).

(٢) أخذ جل معلومات هذا المطلب من موسوعة الموصل الحضارية (٢/٣٣٥)، الحياة الاجتماعية، د. نجمان ياسين، تاريخ الموصل للديوية (١/٤٤٢).

وغيرهم، وفئة التجار والحرفيين في المدينة والتي كانت تشكل قلب أسواق الموصل.

كما ظهر بالموصل فئة الأعراب ممن كانوا يقصدون المدينة للتكسب بالشعر. كما وجد بين هؤلاء وأولئك من الفئات الاجتماعية مجموعة من الصعاليك الذين يعيشون على السلب والغارة.

وفي المجال الصحي عرفت الموصل بتوفر بيئة طبيعية صحية وكان بها ثلاث مستشفيات.

وأما الأبنية الموصلية، فكان مدينة أبنيتها بالجص والحجارة، كبيرة غناء.

المطلب الخامس: الحياة العلمية.

على الرغم من الاضطرابات السياسية التي كانت تظهر أحياناً في الموصل، إلا أن الحالة العلمية لم تتأثر كثيراً، بل شهدت الموصل نهضة علمية عظيمة؛ فقد كان بها خيار من أهل العلم، وكان من علمائها من ذهب إلى بغداد فتعلم، ثم عاد يُفقه أهل بلده، وقد انتشرت بها المدارس العلمية، وتواصلت الرحلات العلمية بين الموصل وبغداد، كما نبغ فيها الكثير من العلماء.

فأما المدارس؛ فوصفها ابن جبير (ت ٦١٤هـ)، بقوله: "وفي المدينة مدارس للعلم نحو الستّ أو أزيد على دجلة، فتلوح كأنها القصور المشرفة^(١).

والرحلات العلمية لم تنقطع بين بغداد والموصل^(٢)، ولاسيما مع وجود المدرسة النظامية ببغداد، والتي كان من مدرسيها الكبار أئمة الشافعية:

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال (ص: ١٨٩).

(٢) أثر المدرسة النظامية ببغداد على بعض علماء الموصل في عهد الدولة الاتابكية (٥٢١ - ٦٦٠ هـ / ١١٢٧-١٢٦٢م). لميسون ذنون عبدالرزاق العباي، (ص ٦٥ - ٨٦).

الشيرازي؛ والمتولي؛ والغزالي؛ رحمهم الله، فرحل جملة من العلماء إلى بغداد ثم درّسوا بالموصل^(١).

(١) انظر: أثر المدرسة النظامية ببغداد على بعض علماء الموصل في عهد الدولة الأتابكية (ص: ٦٥ - ٨٦).

المبحث الثاني: ترجمة الإمام ابن يونس

- المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه وصفاته.
- المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم.
- المطلب الثالث: رحلاته وشيوخه.
- المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.
- المطلب الخامس: تلاميذه.
- المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه وكنيته ولقبه ونسبه وصفاته^(١)

هو: عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن ربيعة الموصلية. ولقبه: تاج الدين بن رضي الدين بن عماد الدين^(٢). ويكنى بأبي القاسم^(٣)، ولد بالموصل سنة (٥٩٨هـ)^(٤)، وقيل (٦٠٤هـ)^(٥)، وقضى فيها عامة عمره إلى أن دخلها التتار فانتقل إلى بغداد، وولي قضاء الجانب الغربي بها، وكان ذلك في (٦٦٠هـ)^(٦).

المطلب الثاني: نشأته وطلبه للعلم

نشأ ابن يونس في بيت علم موصوف بالفقه والتدريس؛ من لدن جده^(٧)، قال ابن خلكان: "وهم أهل بيت خرج منهم جماعة من الأفاضل"^(٨). والظاهر أنه درس في بعض مدارس الموصل، ومنها المدرسة المولوية البدرية؛ قال أبو البركات الموصلية (٦٥٤هـ): تفقه على عمّ والده الشيخ العلامة

(١) اقتبست هذه الترجمة من جملة مصادر، ومن أهمها ذيل مرآة الزمان (١٤/٣)، الوافي بالوفيات (٢٣٨/١٨)، تاريخ ابن الوردي (٢١٤/٢)، والدراسة التي عملها الباحث د. عبد الرحمن صابر في تحقيقه لأول التطريز.

(٢) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، طبقات ابن قاضي شهبه (١٣٦/٢)، معجم المؤلفين (٢١٣/٥).

(٣) فلاند الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، لكمال الدين أبو البركات ابن الشعار الموصلية (ت: ٦٥٤هـ) (٣٦٠/٢).

(٤) طبقات ابن السبكي (١٩٢/٨)، طبقات ابن قاضي شهبه (١٣٦/٢)، معجم المؤلفين (٢١٣/٥).

(٥) انفرد بذلك في: فلاند الجمان (٣٦٠/٢).

(٦) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، طبقات ابن قاضي شهبه (١٣٦/٢).

(٧) البداية والنهاية (٣٠٩/١٣).

(٨) وفيات الأعيان (٢٥٤/٤).

أبي المعالي موسى بن يونس بن محمد بن منعة، وتميز على أبناء زمانه، وصار معيداً درسيه بالمدرسة المولوية البدرية^(١) - خلد الله ملك منشئها^(٢).

المطلب الثالث: رحلاته وشيوخه

رحلاته: لعل الرحلة الوحيدة التي ذكرت في ترجمته، هو الانتقال القسري من الموصل إلى بغداد بعد أن دخلها التتار، وولي قضاء الجانب الغربي بها^(٣).
شيوخه: على شهرة ابن يونس؛ إلا أن المصادر لم تترجم بإسهاب لشيوخه، إلا شيئاً نادراً ذكره ابن الشعار الموصلية، وحيث نعلم أنه تتلمذ بمدارس الموصل، فيكون قد قرأ على علمائها.

واشتهر بالعلم في هذه الفترة:

- (١) جده: عماد الدين: محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك العلامة عماد الدين أبو حامد بن يونس الإربلي الموصلية (٥٣٩هـ - ٦٠٨هـ).
- (٢) شرف الدين، أبو الفضل، أحمد بن موسى بن يونس الإمام بن الشيخ كمال الدين بن الشيخ رضي الدين ولد بالموصل (٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ).
- (٣) محمد بن علي الملقب بالإمام ابن بنت الشيخ رضي الدين يونس والد البيت المشهور (ت ٦٢٢هـ).
- (٤) العلامة كمال الدين أبو الفتح: موسى بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن الشيخ رضي الدين الموصلية (٥٥١هـ - ٦٣٩هـ).

(١) المعيد: هو رتبة ثانية بعد المدرس، وأصل موضوعه أنه إذا انتهى المدرس من الدرس وانصرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه". اهـ. معجم الألفاظ

التاريخية في العصر المملوكي (ص: ١٤٢)

(٢) قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان (٣٦١/٢).

(٣) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩٢/٨)، طبقات ابن قاضي شهبه (١٣٦/٢).

المطلب الرابع: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

لا يخفى على مطالع سيرة ابن يونس أنه كانت له مكانة علمية مرضية عند العلماء؛ قال ابن كثير: "وسمع واشتغل وحصل وصنف، واختصر "الوجيز" في كتابه "التعجيز"، واختصر "المحصول"، وله طريقة في الخلاف أخذها عن ركن الدين الطاوسي"^(١).

وقال ابن قاضي شهبة: "الفقيه المحقق العلامة تاج الدين أبو القاسم بن الإمام رضي الدين بن الإمام عماد الدين بن الإمام رضي الدين الموصلية كان من بيت الفقه والعلم بالموصل"^(٢). وقال: "تولى تدريس البشيرية"^(٣).

قال ابن الشعار الموصلية (٦٥٤هـ): من أبناء الفقهاء المدرسين، ومن بيت العلم والفقه... وتميز على أبناء زمانه، وصار معيداً لدرسه بالمدرسة المولوية البدرية - خلد الله ملك منشئها - وهو شاب جميل، مناظر، فاضل، ذو كياسة ولطافة، وله أشعار رقيقة غزلة"^(٤).

وقال المقرئ: "تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضي الدين أبي عبد الله محمد بن عماد الدين أبي حامد محمد بن يونس الموصل الشافعية عن اثنتين وسبعين سنة ببغداد"^(٥). وقال الإسنوي: كان فقيهاً أصولياً فاضلاً^(٦).

(١) ينظر: البداية والنهاية (٣١٠/١٣-٣١١)، و الطاوسي، أبو الفضل العراقي بن محمد العراقي القزويني، الملقب ركن الدين، المعروف بالطاوسي؛ كان إماماً فاضلاً مناظراً محجاجاً، فيما بعلم الخلاف ماهاً فيه، (ت ٦٠٠هـ)، انظر: وفيات الأعيان (٢٥٨/٣-٢٥٩).

(٢) طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٦/٢).

(٣) طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٦/٢).

(٤) قلاند الجمال في فراند شعراء هذا الزمان (٣٦١/٢).

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك (٧٩/٢).

(٦) ينظر: طبقات الشافعية للإسنوي (٣٢٦/٢).

المطلب الخامس : تلاميذه

حيث كان ابن يونس معيداً لدرس شيخه في المدرسة البدرية المولوية، فلا بد أن يكون تفقه به جملة كبيرة من الطلاب، فممن نقل لنا منهم:

(١) برهان الدين الجعبري الشافعي إبراهيم بن عمر بن إبراهيم، الشيخ الإمام

العلامة ذو الفنون شيخ القراء، ابن مؤذن جعبر؛ قرأ التعجيز حفظاً على

مؤلفه تاج الدين ابن يونس، وسمع من جماعة، توفي: (٧٣٢هـ)^(١).

(٢) أحمد بن داود بن مندك الدنيسري الأصل الموصلية:

أحمد بن داود بن مندك الدنيسري^(٢) الأصل الموصلية، تفقه على الشيخ

تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس (ت ٧٤٣هـ)، وله تسعون

سنة^(٣).

(٣) ابن بهرام، شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام:

قاضي قضاة الشافعية بحلب، كان فقيهاً فاضلاً، قرأ التعجيز على ابن

يونس، وقرأه عليه تلميذه ابن قاضي جبرين^(٤)، (ت ٧٠٥هـ)^(٥).

المطلب السادس: مؤلفاته، ووفاته.

رزق ابن يونس التحقيق في مصنفاته الفقهية، وقد نصوا على كثرة

تصانيفه، قال الإسوي: "وصف تصانيف كثيرة"^(١). إلا أنه لم يكمل جملة من

كتبه؛ قال الصفي: "وَأَلَّفَ تصانيف عدّة لم يكملها"^(٢). ومن مصنفاته:

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ت بشار (١٥/٢٢٧)، معرفة القراء الكبار (ص: ٣٩٧).

(٢) دُنيسر: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة قرب ماردين انظر: معجم البلدان (٢/٤٧٨).

(٣) ينظر: الدرر الكامنة (١/١٥٠).

(٤) المنهل الصافي (٧/٤٢٠)، طبقات ابن قاضي شهبة (٢/٢٦٨)، الشذرات (٨/١٦٣).

(٥) ينظر: العبر (٤/١٢)، النجوم الزاهرة (٨/٢٢٠)، شذرات الذهب (٨/٢٤).

- ١- التعجيز في اختصار الوجيز^(٣). وسنخصه بدراسة في الفصل الثالث.
- ٢- قال الإسنوي: "وكتاب "شرح التعجيز" في مجلدين ضخمين ومات ولم يتمه بل بقي منه نحو الربع^(٤)، وقال وصل فيه إلى أثناء الجنايات"^(٥).
- ٣- التطريز لشرح التعجيز، وهو شرح للكتاب السابق، ولم يتمه، بل بقي نحو الربع، وقد أكمله الجعبري^(٦)، وسنخصه بدراسة في الفصل الثالث.
- ٤- شرح الوجيز، ولم يتمه^(٧). كذا ذكر السبكي، والأكثر لا يذكرونه، قال ابن السبكي: "وشرح التعجيز لم يكمل وشرح الوجيز ولم يكمل أيضا فيما أظن"^(٨).
- ٥- النبيه في اختصار التنبيه^(٩). قال الإسنوي: وكتاب "النبيه في اختصار التنبيه" وقد غير فيه ألفاظا وزاد فيه مسائل غريبة^(١٠). وتوجد منه نسخة

(١) ينظر: طبقات الشافعية للإسنوي (١٨٦/١)، فوات الوفيات (٣٩/١)، كشف الظنون (٤١٧/١)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٤٢/١).

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٨/١٨).

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٨/١٨)، طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٧/٢)، معجم المؤلفين (٢١٣/٥).

(٤) ينظر: المهمات في شرح الروضة والرافعي (١١٣-١٣١).

(٥) طبقات الشافعية للإسنوي (١٨٦/١).

(٦) ينظر: الوافي (٢٣٨/١٨)، طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، المهمات (١٣١/١).

(٧) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩١/٨).

(٨) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩١/٨).

(٩) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٨/١٨)، طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٧/٢)، معجم المؤلفين (٢١٣/٥).

(١٠) ينظر: المهمات في شرح الروضة والرافعي (١٣١/١)، كشف الظنون (٤٨٩/١).

مخطوطة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة (رقم الحفظ: ٥٣ مجاميع -
١٢٥٩)^(١).

٦- مختصر القدوري من كتب الحنفية، وإنما فعل ذلك بسؤال من الحنفية؛
لما رأوه آية في الاختصار^(٢). وهو: جوامع الكلم الشريفة في مذهب أبي
حنيفة^(٣).

وفاته: توفي ابن يونس سنة إحدى وسبعين وستمئة (٦٧١هـ)^(٤). في
جمادى الأولى تقديرا^(٥).

(١) خزانة التراث - فهرس مخطوطات (٢٨٦/١٠٣، بترقيم الشاملة آليا) - برقم ١٠٣٧٢٢.
(٢) ينظر: طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٧/٢).
(٣) ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٨/١٨)، وفي هدية العارفين (٥٦١/١)، فإنه قال: في تعداد
مؤلفاته: (جوامع الكلم الشريفة على مذهب الامام ابى حنيفة في اختصار مختصر
القدوري).
(٤) ينظر: الوافي (٢٣٨/١٨)، طبقات ابن السبكي (١٩١/٨)، المهمات (١٣١/١)، طبقات
ابن قاضي شهبة (١٣٧/٢)، معجم المؤلفين (٢١٣/٥).
(٥) ينظر: وفيات الأعيان (٢٥٥/٤).

الفصل الثالث: دراسة الكتاب

[التطريز في شرح التعجيز]

وفيه سبعة مباحث.

- المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف.
 - المطلب الأول: اسم الكتاب.
 - المطلب الثاني: نسبة الكتاب للمؤلف.
- المبحث الثاني: قيمة الكتاب العلمية.
- المبحث الثالث: مصادر المؤلف.
- المبحث الرابع: مصطلحات المؤلف.
 - المطلب الأول: المصطلحات التي نص عليها وعلى المراد بها.
 - المطلب الثاني: المصطلحات التي استعملها، ولم ينص على المراد منها.
- المبحث الخامس: منهج المؤلف.
- المبحث السادس: وصف النسخ المعتمدة.
- المبحث السابع: منهج التحقيق.

المبحث الأول: اسم الكتاب ونسبته للمؤلف

المطلب الأول: اسم الكتاب

لم يُختلف على أن اسم الكتاب: التطريز في شرح كتاب التعجيز، ويدل عليه: نص ابن يونس أول الكتاب أن اسمه: (التطريز في شرح كتاب التعجيز)، حيث قال: "وبعد،،، فإنه لما سار كتابي المسمى بـ(التعجيز) شرقاً وغرباً، وبعداً وقرباً،... وقد سميته بما يطابقه، ويحصل له التمييز؛ فليشتهر بـ(التطريز في شرح كتاب التعجيز)"^(١).

وقد وقع الاسم أيضاً في اللوحة الأولى من لوحات المخطوط: "كتاب التطريز في شرح التعجيز"^(٢). كما وقع في النسخة قبل كتاب البيع، قول الناسخ: (تم ربح العبادات من كتاب التطريز في شرح التعجيز)^(٣). وكذا أسماه بعض من ترجمه كالذهبي^(٤).

وعامة الشافعية يذكرون (شرح التعجيز)، وندر من يقول له (التطريز)^(٥).

أما المتن، وهو (التعجيز) فلم يختلف أن اسمه هكذا، وكذا وقع له في مطلع شرحه؛ كما تقدم^(١).

(١) انظر مخطوط التطريز، لوحة: [٢/أ]، وإنما أحيل في الدراسة على اللوحات وليس على الصفحات لأنها لا تتغير بخلاف الصفحات.

(٢) انظر مخطوط التطريز، لوحة: [١/ب].

(٣) انظر مخطوط التطريز، لوحة: [٢٠٩/أ].

(٤) تاريخ الإسلام ت بشار (٢٢٧/١٥)؛ الأعلام للزركلي (٣/٨/٣٤).

(٥) كما فعل الزركشي في خبايا الزوايا (ص: ١٨٤)، وانظر كذلك: النجم الوهاج في شرح المنهاج (٣٩٩/٥)، حاشية الرملي الكبير المطبوعة مع أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١٢٣/٣)، وغيرهم.

لكن ربما أضيف له بعض الكلمات عندما يعرفون به نحو:

- ١ - الاسم الذي وقع على غلاف المخطوط: "التعجيز في اختصار الوجيز"^(٢).
- ٢ - التعجيز في مختصر الوجيز^(٣).
- ٣ - التعجيز مختصر الوجيز^(٤).

ويحتمل أنه اسماه "التعجيز"، والزيادات وصف له أنه مختصر الوجيز، ونحو ذلك.

المطلب الثاني: نسبة الكتاب للمؤلف

تعلم نسبة الكتاب إلى مؤلف بأمور، وكلها مجتمعة في كتاب التطريز، على النحو التالي:

أولاً: وجود اسم الكتاب والمؤلف على غلاف المخطوط من الخارج، والعادة أن المصنفين والنساخين لا يغفلون ذلك.
ثانياً: نسبة العلماء الكتاب إلى ابن يونس^(١).

(١) انظر مخطوط التطريز، لوحة: [٢/أ].

(٢) وانظر في التسمية بذلك: ذيل مرآة الزمان (١٤/٣)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان (١٣٠/٤)، المعجم المفهرس = تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة (ص:

٤٠٥)، صلة الخلف بموصول السلف (ص: ١٦٧)، الأعلام للزركلي (٣/٣٤٨).

(٣) وهو المعروف في كتب الببلوجرافيا [فهارس الكتب]، انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (١/٤١٧)، هدية العارفين (١/٥٦١)، معجم المؤلفين (٥/٢١٣).

(٤) طبقات ابن السبكي (٨/١٩١)، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر (٥/٣٨٧)، معجم المؤلفين (٥/٢١٣). ووقعت في أسماء بعض شروحه: ينظر: اسم كتاب ابن الفركاح؛

فهو: شرح التعجيز مختصر الوجيز. ينظر: هدية العارفين (١/٥٢٥). وفي كتاب الدميري

شرح التعجيز مختصر الوجيز لابن منعة في الفروع. ينظر: هدية العارفين (١/٥٨١).

وشرح لابن دقيق العيد. ينظر: هدية العارفين (١/٧١٦). وكذلك شرح الإسوي. ينظر:

هدية العارفين (١/٧٢٥). كلها بنفس الاسم: شرح مختصر الوجيز.

ثالثاً: ومع نسبتهم فإنهم ينقلون عنه مع العزو إليه^(١)، مع التطابق مع المخطوط.

رابعاً: ما ذكره المصنف في تضاعيف الشرح ما يشير إلى أنه صاحب المتن؛ وقد ذكر من سبقنا في تحقيق المخطوط جملة من ذلك.

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ت يشار (٢٢٧/١٥)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٩١/٨)، العقد المذهب في طبقات حملة المذهب (ص: ١٦٨)، الأعلام للزركلي (٣/٣٤٨)، معجم المؤلفين (٥/٢١٣)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٢/٢٧٤).

(٢) انظر على سبيل المثال: الأشباه والنظائر للسبكي (١/٣٩٧)، خبايا الزوايا (ص: ١٨٤)، النجم الوهاج في شرح المنهاج (٥/٣٩٩)، وغيرها.

المبحث الثاني: قيمة الكتاب العلمية.

إذا نظرنا إلى هذا الكتاب، فنعرف قيمته العلمية من أمور، منها صاحبه، وموضوعه، وصياغته، واشتغال العلماء به وغير ذلك.

فمن خلال شأن المؤلف، فهو إمام في الفقه، وسبق بيان ثناء العلماء عليه، ومن خلال الكتاب، فهو مختصر للوجيز من أهم الكتب في المذهب الشافعي، وكان منهم من يحفظه، كما تقدم، وكذا فالكتاب في علم الفقه، الذي هو الحكمة في بعض التفاسير.

فإذا عرفنا أن الشافعية كانوا يحفظون الوجيز لأهميته، فكيف بمختصر

في ربع حجمه؟!

قال ابن يونس رحمه الله مبيئاً ذلك: "ولما كان كتاب "الوجيز" الذي ألفه حجة الإسلام محمد الغزالي رحمة الله عليه مما اتفق المبرزون على تفضيله، وشمر المبتدؤون في تحصيله؛ لاعتقادهم أنه لم يضاهه مصنف في إجازته، ولا مختصر في إيجازه، وكنت ممن ملكه خبيراً، وأدمنه بحثاً وحفظاً وذكرًا، انتهضت إلى اختصاره، واجتناء ثماره، فكان مختصري بحمد الله كَرُبِعِهِ^(١) أو مع زيادة يسيرة، مع أني لم أغادر من مسائله صغيرة ولا كبيرة، هذا مع ذكري قيِّداً أهمله، وتفصيلاً أجمله، ومسائل تبرعت بذكرها، ووجوها استأثرت بنقلها؛ فإني اصطفتيته لنفسي في فُتَيَايَ ودرسي، تذكرة أرجع إليها، وُعْدَةٌ أُعَوَّلُ عليها، وكنيتُ بالتردد عن الوجهين، وبالخلاف عن القول والوجه، ولعمري لقد ارتكب حجة الإسلام في "وجيزه" تكريراً، وأعاد من مسائله كثيراً، فمنه: ما كرره مراراً، ومنه: ما كرره في

(١) أي: في حجم ربع الكتاب.

رُبْعَيْن، بل في رُبْع واحد^(١)، بل في كتاب واحد، بل في سطور معدودة..^(٢). ثم شرع في سردها.

وتكمن قيمة الكتاب العلمية أيضاً في اشتغال العلماء به؛ وهذا الشرح قد تناوله العلماء بالتقيد والشرح والتصحيح وغير ذلك.

(١) كأن مراده عرف الفقهاء في تقسيم الفقه إلى: عبادات ومعاملات وأحكام الأسرة وجنایات، ووقع في نهاية لوحة [٢٠٩/أ] (تم ربع العبادات من كتاب التطريز في شرح التعجيز، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين).

(٢) مخطوط المتن: "التعجيز" لوحة [٤/أ].

المبحث الثالث: مصادر المؤلف

حتى تتبين قيمة الكتاب وفضله على الوجيز وشروحه، فلا بد التعرف على مصادر ابن يونس، فإنه قد تعددت مصادر، فعلى الرغم أنه مختصر لكتاب (الوجيز) للغزالي، فقد يتصور أن هذا هو مصدره الوحيد، لكننا وجدناه زاد جملة مسائل، وأوجهًا؛ وأخذها من مجموعة كتب كثيرة، وهو لم ينص على ذلك، وإنما ظهرت في شرحه، ومنها بعض كتب الشافعية وقد ظهر لنا في الجزء الذي قمنا بتحقيقه أن منها:

(كتب الإصطخري، والحاوي للماوردي، والجرجاني، ونهاية المطلب للجويني، وإن لم يذكره نصاً، لكن لقبه بلقب (الإمام) في نحو أربعة موضعاً في الجزء الذي نحققه، ونقل كذلك عن البسيط للغزالي، والتتمة (تتمة الإبانة) للمتولي، وإن لم يسمه باسم التتمة، لكنه يقول: وقال المتولي، وذكر البغوي، سوى ما نقله عن جده، وابن الصباغ، وأبي محمد الجويني، وشرح الوجيز للرافعي، وابن سريج، وغيرها).

وأما مصادر في المذاهب الفقهية الأخرى، فالأظهر أنه تبع فيها الوجيز، والشارح الرافعي.

المبحث الرابع: مصطلحات المؤلف

مخطوط التطريز مليء بالمصطلحات، وفي الأصل أنها مصطلحات الشافعية.

والاصطلاح في استعمال العلماء، هو: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر، لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين^(١).

ومن مصطلحات ابن يونس في التطريز(٢):

نص في مقدمته على مصطلحين، ولكنه استخدم الكثير من مصطلحات الشافعية داخل الكتاب، قال في المقدمة: "وكثيْتُ بالتردد عن الوجهين، وبالخلاف عن القول والوجه"^(٣).

التردد: هو تردد بين الأصح، وقد يكون التردد في تفسير قول الإمام، وقد نص ابن يونس في المقدمة أن مراده بالتردد: الكناية عن الوجهين، وقد أكثر من هذا الاصطلاح جداً، فتكرر ما يقرب من عشرين مرة في الجزء الذي قمنا بتحقيقه.

ومن أمثله: ما قاله فيما لو رجع المحجور عليه إلى الفسق والتبذير، قال في لوحة [٢٩٦/ب]:

(١) انظر: التعريفات (ص ٨)؛ معجم لغة الفقهاء (ص ٢٢).

(٢) وقد مثلنا لذلك بما وجد في (كتاب الحجر) في الجملة، وما لم نمثل له، فهو موجود في باقي المخطوط.

(٣) انظر: مخطوط التعجيز [ق ٣/ب].

- ١ - معناه أو اختل جموع الصلاح والإنكاح بأن فسق أو بذر؛ يعود الحجر كما لو عاد الجنون. قال: (تردد).
- ٢ - وقال أيضاً فيما لو توكل في تصرف فلزم. أو عين الولي، هذا التصرف؛ (فتردد). قيل: يصح لأن المحذور استقلاله، وقيل: لا لأن عبارته مسلوية فيما يلزم المال. وقيل: يصح النكاح فقط.
- الخلاف: وقد نص ابن يونس أنه يريد به الخلاف بين قول الشافعي، ووجه أحد أصحاب الوجوه، وهو مكرر كثيراً في المخطوط.
- التنبيهات: يراد بها -والله أعلم- تحرير منه لكلام الفقهاء. وهو مكرر كثيراً في المخطوط.
- إشارة: الغالب أنه إذا عبر بلفظ: "إشارة" أن المراد التنبيه على بعض القيود، أو ما قد يخفى، فكأنها قواعد، أو للتنبيه على فرق، أو محترز، أو دقة نظر أو تحرير.
- ومن أمثلته: ما جاء في لوحة [أ/٢٩٥]:
- إشارة: من ادعى الاحتلام في وقته صدق، لأنه لا يعلم إلا منه ووقته استكمال تسع سنين، وقيل: في الغلام عشرة.
- ومن أمثلته: ما جاء في لوحة [ب/٢٩٧]:
- إشارة: للولي أن يخلط ماله بمال المولى عليه في النفقة لقوله تعالى: {وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ} [البقرة: ٢٢٠].
- الأظهر: هو القول الراجح من القولين أو الأقوال للإمام الشافعي، ويعبر به حينما يكون الخلاف في المسألة قوياً وهو مشعر بظهور (مقابله)، وقوة دليله أيضاً.

* **الظاهر: قولهم: الظاهر كذا، فهو من بحث القائل لا ناقل له، وهو أقوى من الأظهر وكذا المشهور أقوى من الأشهر.**

* **المشهور: هو الرأي الراجح من القولين أو الأقوال للإمام الشافعي، إذا كان مقابله ضعيفاً؛ لضعف مدركه ودليله.**

* **الأصح: والمراد به الراجح من الوجهين أو الوجوه، ويعبر به حينما يكون الخلاف قوياً.**

- **ومن أمثلته: ما جاء في لوحة [٢٩٧/أ]:**

قال: (وفي إقراره بإتلاف مال تردد).

قيل: قولان؛ الأصح: المنع، لأنه يتعلق بالمال ولأنه متهم فيه. والثاني: يصح لقدرته على إنشاء الإتلاف، وينتقض بالصبي، والفقهاء فيه: أن المعتبر القدرة على إنشاء سائغ.

* **الصحيح: الوجه الراجح من الوجهين أو الوجوه، ويعبر به إذا كان الوجه المقابل في غاية الضعف، ولم يعبر بذلك في الأقوال؛ تأدياً مع الإمام الشافعي؛ فإن الصحيح مشعر بفساد مقابله.**

ومن أمثلته: ما جاء في لوحة [٢٩٥/ب]:

الثالثة: أن الإنبات بالإبط كاف كالعانة، قاله القاضي، وقال المتولي: الصحيح أنه لا يكفي، والا لرجعوا إليه في بني قريظة ولم يكشفوا العورة.

المذهب: هو القول الراجح من الطرق أو الوجوه، عند اختلاف الأصحاب في حكاية المذهب، فعند الترجيح يقال: المذهب كذا، أو هذا هو المذهب. والظاهر أن استخدام ابن يونس له يريد به معتمد أهل زمانه من مذهب الشافعي.

* في قول: تستعمل عندما يكون في المسألة أكثر من قول ولكن
الراجح خلاف المنقول.

* اتفقوا: ومثله: مجزوم به، وهذا لا خلاف فيه.

ويقال فيما يتعلق بأهل المذهب لا غير، أما قولهم: هذا مجمع عليه،
فإنما يقال فيما اجتمعت عليه الأئمة.

كما قال: في لوحة [٢٩٦/ب]:

قال: (وكذا لو جن).

يريد أنه على الخلاف المذكور في أن وليه القاضي أو وليه وأولى فإنه
وليه لأن الحجر بالجنون إجماع لا يحتاج إلى اجتهاد بخلاف التبذير.

الاختيار، ومثله المختار (اسم مفعول): وهو الذي استنبطه المختار
(اسم فاعل) عن الأدلة الأصولية بالاجتهاد أي على القول بأنه يتحرى، وهو
الأصح، من غير نقل له من صاحب المذهب، فحينئذ يكون خارجاً عن المذهب،
ولا يعول عليه.

أصحابنا - الأصحاب: المراد بهم: المتقدمون من الشافعية، وهم
أصحاب الأوجه غالباً وضبطوا بالزمن، وهم من الأربعمئة، ومن عداهم لا يسمى
بالمقدمين، ولا بالتأخرين.

* على ما شمله كلامهم: وقريب منه كذا قالوه... أو كذا قاله فلان.

فهذه كلها إشارة إلى التبرؤ من القول أو أنه مشكل، ومحلّه حيث لم ينبه
على تضعيفه أو ترجيحه وإلا خرج عن كونه مشكلاً إلى ما حكم به عليه.

* النص والمنصوص: المراد بالنص عند الشافعية هو كلام الشافعي،
ويعبرون عنه أيضاً بمنصوص الشافعي، وغالباً يستخدم في مقابل وجه ضعيف
أو قول مخرج، والمنصوص أعم استعمالاً من النص؛ فقد يعبر به عن نص

الشافعي نفسه، أو قوله أو عن الوجه، ويكون المراد بالمنصوص حينئذ الراجح أو المعتمد^(١).

القديم والجديد: والمراد بالقول القديم: هو ما قاله الشافعي بالعراق، قبل نزوله مصر فيما صنفه وأفتى به، نحو ما في كتابه الحجة، وأشهر رواته: أحمد بن حنبل، والزعفراني، والكرابيسي، وأبو ثور.

والجديد؛ ما بعد دخوله مصر افتاءً أو تصنيفاً أو إملاءً، وأشهر رواته هم: البويطي، والمزني، والربيع المرادي، وحرملة، ويونس بن عبد الأعلى، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن الحكم، وعليه تصنيف: الأم، والإملاء، ومختصر المزني، ومختصر البويطي^(٢).

القولان: من كلام الإمام الشافعي، وهما ما نقل عنه فيما ظاهره التعارض، فيقوم العلماء بتوضيح ذلك، بأن يذكروا أن أحدهما من القديم والآخر من الجديد، أو كلاهما من القديم أو الجديد، لكن يرجح أحدهما، وقد يكونا مما تغير اجتهاده فيه.

قال في لوحة [٢٩٥/ب] في دلالة الإنبات على البلوغ:

فرع: هل هو نفس البلوغ لأنها أشبه الاحتلام، أو أمارته لعسر الوقوف على أعمار الكفار؟ فيه قولان.

الطرق: المراد بها اختلاف الشافعية في حكاية المذهب في مسألة معينة، فيقول بعضهم: في المسألة قولان، أو وجهان، ويقول الآخر: فيهما قول واحد أو وجه واحد.

(١) حاشية القليوبي (١٣/١).

(٢) المجموع (١١١/١).

الوجوه: المراد بمصطلح الوجوه هي أقوال كبار علماء الشافعية المنسوبة إليهم بشرط أن يكونوا استنبطوها من أصول الشافعي أو من قواعده وضوابطه، فإن كانت اجتهاداً محضاً لهم ولم يأخذوها من أصول الشافعي ونصوصه فتنسب حينئذ لهؤلاء المجتهدين ولا تعد وجوهاً في المذهب.

النقل والتخريج: هذه من اجتهادات كبار العلماء من الشافعية في نصوص الإمام الشافعي رحمه الله والجمع بين متعارضها، فيعمدون إلى نقل حكم نص عليه في مسألة ما، وينزلونه على مسألة مشابهة لم ينص الشافعي على حكمها، فينقلون هذا الحكم المنصوص إلى المسألة غير المنصوص عليها، وهو يشبه القياس بالنسبة إلى نصوص الشارع.

العراقيون والخراسانيون:

طريقة العراقيين وطريقة الخراسانيين: هما طريقتان للمذهب الشافعي انتشرت في القرن الرابع الهجري والخامس الهجري ثم جمع بينهما وانقرضتا^(١).
فالعراقيون: هم أئمة الشافعية الذين سكنوا العراق وما والاها، فطريقتهم كانت بزعامة الشيخ أبي حامد الإسفرائيني (ت ٤٠٦هـ)، فهو شيخ العراقيين، وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي في بغداد، وتبعه جماعة، منهم المحاملي (ت ٤١٥هـ)، وأبو علي البندنجي (ت ٤٢٥هـ)، وسليم الرازي (ت ٤٤٦هـ)، والماوردي (ت ٤٥٠هـ)، والقاضي أبو الطيب الطبري (ت ٤٥٠هـ)، وسلخوا في تدوين الفروع طريقة عرفت بطريقة العراقيين.

والخراسانيون: ويطلق عليهم أيضاً المرأوزة، وهم أئمة الشافعية الذين سكنوا خراسان وما حولها. وأما طريقتهم فيتصدرها الشيخ القفال الصغير المروزي: عبد الله بن أحمد، إمام الخراسانيين وشيخهم (ت ٤١٧هـ)، وتبعه خلق

(١) انظر: مقدمة تحقيق المذهب (١/٣٣).

لا يحصون، منهم الشيخ أبو محمد الجويني، والد إمام الحرمين (٤١٧هـ)،
والمسعودي محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ).

هذا ولكل واحدة من الطريقتين ميزة تميزت بها عن الأخرى، قال الإمام
النووي: (واعلم أن نقل أصحابنا العراقيين لنصوص الشافعي وقواعد مذهبه
ووجوه متقدمي أصحابنا أتقن وأثبت من نقل الخراسانيين غالباً، والخراسانيون
أحسن تصرفاً وبحثاً وتفريعاً وترتيباً غالباً).

طريقة الجمع: هي طريقة لبعض أئمة الشافعية المعاصرين لهؤلاء،
وبعض المتأخرين الذين جاءوا من بعدهم، قاموا بالجمع بين الطريقتين العراقية
والخراسانية في التأليف، منهم: الروياني (ت ٤٥٢هـ)، وابن الصباغ (ت ٤٧٧هـ)،
وأبو بكر الشاشي صاحب حلية العلماء (ت ٥٠٧هـ)، والمتولي (ت ٤٧٨هـ)، وإمام
الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، والغزالي (ت ٥٠٥هـ).

ثم جاء من بعد هؤلاء محققا المذهب: الإمام الرافعي (ت ٦٢٣هـ)، والإمام
النووي (ت ٦٧٦هـ) فجما بين الطريقتين في الترجيح والاختيار^(١).

* **النبقة:**

والمراد نبقة المذهب وأشار أيضاً إلى سائر النبقة، أو جمهور النبقة.

ومن أمثلته: قال في لوحة [٢٩٦/أ] في إعادة الحجر على المبذر:
قال: (ثم إن اختل أحدهما) بأن فسق أو بدّر (لم يعد).
واعلم أن هذا شيء انفرد الغزالي بذكره في الوجيز والوسيط دون البسيط،
وخالف به شيخه وسائر النبقة، فانهم أطلقوا علي أنه يوجب الحجر^(٢).

(١) تحفة المحتاج (١/٨٦)، الإمام الشيرازي، محمد حسن هيتو: (ص ٧١).

(٢) وهذا أيضاً مما يبين لك قوة ابن يونس واستيعابه للمذهب ولما كتبه الغزالي.

مصطلحات ألقاب الأئمة:

حيث قال ابن يونس: (الإمام): فهو أبو المعالي الجويني^(١)، وأطلق ذلك في مئات المواضع، وحيث أطلق: (إبراهيم): فهو أبو إسحاق الشيرازي^(٢)، ونقل عنه في عشرات المواضع وحيث قال: (جدي): فهو عماد الدين ابن يونس، ونقل عنه في عشرات المواضع.

ومثاله فيما حققناه: قال في لوحة [٢٩٥/أ] في تعريف الحجر:

قال جدي رحمه الله: وهو حقيقة في المفلس؛ لأنه منع مع وجود المقتضى، ومجاز في الصبي والمجنون، لأنه منع لعدم المقتضى، ويتردد بين الحقيقة والمجاز في الرق والتدبير.

(١) وهو مصطلح لعموم الشافعية فهو غير مختص به. نهاية المطلب (المقدمة، ص ٣٨).

(٢) وهو ما لحظه الشيخ د. عبد الرحمن صابر.

المبحث الخامس : منهج المؤلف

ابن يونس نص على جوامع منهجه، في اختصاره بالنسبة للتكرار فحسب:

منها أنه لم يكرر المسائل التي كررها الغزالي:

كما في أول متن التعجيز إذ قال: (ولعمري لقد ارتكب حجة الإسلام في "وجيزه" تكريراً، وأعاد من مسائله كثيراً، فمنه: ما كرره مراراً، ومنه: ما كرره في رُبُعين، بل في رُبُع واحد، بل في كتاب واحد، بل في سطور معدودة)، ثم عدَّ ما كرره بدقة.

ومنها: أنه قد لا يلتزم بموضع المسألة من الوجيز.

قال في أول التعجيز أيضاً: "فشرطك أيها الناظر إذا لم تجد المسألة في الموضع الذي أثبتتها فيه حجة الإسلام أن تطلبها من موضع آخر يلائمها؛ فإني ربما أسقطتها هناك؛ لتكررها، أو لأقرنها بما هو أليق بها، أو للمبالغة في الاختصار، والله على ما حاولته المستعان والمستجار).

وأما منهجه العام:

فهو يورد نص التعجيز، ثم يقوم بشرح مفرداته اللغوية، ويبين مشتملاتها ومحترزاتها، ويعقبه ببيان معانيه الفقهية، ويورد فيه الخلاف العالي، فذكر خلاف أبي حنيفة، وخلاف مالك وخلاف أحمد في في مئات المواضع.

- كما ينقل خلافاً المذهب الشافعي عن كبار أصحابه، كما سبق ذكر

طائفة منهم في مصادره.

- وله اهتمام بذكر الأدلة من الكتاب والسنة، فذكر عشرات الآيات،

ومئات الأحاديث، وجلها صحيح، لكنه لا يلتزم بنص الحديث أحياناً، بل يورده بالمعنى، وفي المقابل؛ فلم يكن يهتم بالصحة والضعف إجمالاً، ويأتي التنبيه عليه.

- وفي الترجيح عند الخلاف: يقول (لنا): ثم يورد الحديث أو الآية أو القياس.
- كما له دقة في انتقاء الألفاظ، واهتمام بتوجيه الأقوال أو بيان وجوه التردد، وذكر المحترزات، والتفريعات التي بلغت مئات المواضع.
- وربما غير في لفظ التعجيز قليلاً مراعاة للسياق، وهو نادر.
- وإذا انتهى من شرح مسألة، فربما أضاف إضافة فقهية من عنده، تحت عنوان إشارة، وغالباً ما يكون المشار إليه ضابطاً فقهياً، أو فرقاً بين مسألة وأخرى، أو بين هذا الموضع وموضع آخر.
- ونص على فائدة الخلاف >
- وربما بين (وجه الجواز) و(وجه المنع).
- ونص على الفروقات الفقهية.
- وابن يونس يشير أحياناً إلى المذاهب الفقهية الأخرى، وهو في الجملة دقيق في ذلك، لكنه ربما أحال على غير المشهور المعتمد في المذهب. فهذا بعض ما تيسر استقراؤه من منهج الإمام ابن يونس رحمه الله^(١).

(١) وجله مما ذكر د. عبد الرحمن صابر، ود. أبرار في تحقيقيهما.

المبحث السادس: وصف النسخ المعتمدة.

نسخ التطريز:

للكتاب نسخة خطية واحدة فيما ظهر لنا، ومنها نسخ مصورة:

- ١ - فالأصل هي نسخة مكتبة الإسكندرية: وهي نسخة قديمة كتبت بعد وفاة المؤلف بقليل، (سنة ٧٢٠هـ). يرقم ١٢٩٦ ب فقه شافعي.
- ٢ - نسخة معهد المخطوطات العربية بمصر، وقد وُجد في بياناتها أنها مصورة عن مكتبة البلدية؛ رقم الحفظ: ٩٧ عن البلدية ١٢٩٦ ب. (فهي نفس النسخة السابقة).
- ٣ - نسخة خزانة التراث باليمن، وهي ذات رقم تسلسلي... ٨٧٢٦٦، ولم نقف عليها، ويحتمل أنها مصورة من نسخة الإسكندرية^(١).

وأما نسخ التعجيز:

فقد وقفنا على أماكن عدة نسخ:

- ١ - نسخة مكتبة الإسكندرية رقم الحفظ... ١٢ فقه شافعي.
- ٢ - خزانة التراث باليمن برقم تسلسلي... ٣٢٣١٨.
- ٣ - نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة، برقم حفظ ٤ فقه شافعي.
- ٤ - نسخة مكتبة أيا صوفيا بتركيا. استانبول برقم الحفظ ١٠٦٤.
- ٥ - نسخة مكتبة الاوقاف بالعراق بالسليمانية برقم حفظ ٨/١٤.

(١) نبه الباحث الشيخ عبد الرحمن صابر على سبب كون التطريز - على قيمته - مفقوداً؛ إلا هذه النسخة، وذلك بسبب أن الكتاب قد كُتب غالباً في آخر عمره، بدليل أنه لم يكمله، وهذه الفترة هي فترة دخول التتار الموصل (٦٦٠هـ)، وقرب دخولهم بغداد؛ فلعلها مما فُقد في ضمن ما فُقد من تراث أمتنا.

ولم نعتن بالبحث عن مخطوطاته، ومعرفة الفروقات بينها، لأن القدر المشروح في التطريز يبين غوامض ما قد يُشكل من المتن، ثم قد حصلنا على نسخة منها مطبوعة ببرنامج الورد مقابلة على نسخ خطية، ولم تختلف في الجملة عما بالتطريز.

وصف النسخة المخطوطة:

وصف بعضها الزركلي بقوله في ترجمته: (صنف كتاب "التعجيز في اختصار الوجيز - خ" بمعهد المخطوطات، في فروع الشافعية، بأوله سماع على المؤلف، بخطه، وشرحه بكتاب "التطريز في شرح التعجيز - خ" في البلدية "ن ١٢٩٦ - ب" نسخة جيدة)^(١).

فالنسخة جيدة؛ ومما يدل على جودة المخطوط أنه مُقابل؛ ففي عدة مواضع دائرة بداخلها نقطة إشارة إلى أن المخطوط مقابل^(٢).

ورسم على مواضع منه (اللَّحَق)^(٣)، الذي يذيل بـ(صح) ليبين المقابلة^(٤)، وبه مواضع التضبيب والضرب [الشطب] والحواشي^(١).

(١) الأعلام للزركلي (٣/٤٨٣).

(٢) ينظر: الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث (ص: ١٣٥)، تحقيق النصوص ونشرها (ص: ٨٠)، منهج النقد في علوم الحديث (ص: ٢٣٥).

(٣) اللَّحَق: وهو ما يلحق بالنسخة مما تبين سقطه وقت النسخ، ويظهر في المقابلة، ولذا فهو يلحق في طرة النسخة اليمين أو اليسار، ويكتب أسفله صح، تنبيهاً أنه من السقط، وعادة توضع إشارة اللحق بين الكلمتين محل السقط، وتكون إشارة منحنية، قالوا: كقلامة الظفر انظر في اللحق: تدريب الراوي (٢/٧٩ وما بعدها)، لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين) (٣/١٦٧).

(٤) وعادة يُدرج اللحق المصحح في المتن، دون الإشارة له في الهامش، وقد أشرنا في بعض المواضع للتببيه على وجود اللحق المصحح هذا، مما يؤكد مقابلة النسخة.

عدد لوحاته:

يقع مخطوط البلدية في (٢٩٧) لوحًا، بعدها لوح عليه خاتم مكتبة البلدية، وثلاثة ألواح فارغة، ونحقق منها كتاب الحجر، الذي يقع بين لوحة (٢٩٤) إلى (٢٩٧). والوجه الواحد من اللوحة فيه نحو (٢٥) سطرًا، في كل سطر (١٢) كلمة. وكتب بخط: النسخ العادي

وهو يكتب التصليية على النبي ﷺ كاملة، وفي مواضع كتبها (صلعم)، أو (صلى الله عليه) ويربط بها التسليم. وعلى كل فالكتابة كلها اصطلاح^(٢).

- والناسخ عادة يسهل الهمزات الوسطية، والمتطرفة، فيكتب: (ساير)، وليس (سائر)، و(الايمة)، وليس (الأئمة)، و(الشري)، وليس (الشراء)، ويكتب (مسئلة)، وليس (مسألة)، وربما كتب (ثلثة) بإسقاط الألف، ونحو (الصلوة) –

وأما دائرة المقابلة: فعند النسخ توضع الدوائر بين الأحاديث أو الكتب أو الأبواب، فإذا تمت المقابلة وضع نقطة داخلها، لتشير إلى المقابلة، والتطريز مملوء بذلك.

(١) الحواشي، من غير الأصل كشرح وبيان غلط أو اختلاف رواية أو نسخة ونحوه، لا يخرج لها الخط، أو يكون داخل الكلمة.

ومن العناية بضبط الكتاب: التصحيح والتضبيب والتمريض.

فالتصحيح كتابة صح على كلام صح رواية ومعنى وهو عرضة للشك فيه أو الخلاف فيكتب ذلك الوجه ليعرف أنه لم يغفل عنه وأنه قد ضبط وصح على ذلك الوجه.

والتضبيب ويسمى التمريض: يوضع غي الكلمة خط كالصا ليفرق بين الصحيح والسقيم.

وإذا وقع في الكتاب ما ليس منه نفي بالضرب أو الحك أو المحو أو غيره وأولها الضرب.

والضرب: يخط فوق المضروب عليه خطا بينا دالا على إبطاله مختلطا به ولا يطمسه بل يكون ممكن القراءة لئلا يظن غيره، ويسمى هذا الشق. انظر: تدريب الراوي (٢/٨٢ وما بعدها)،

لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين) (٣/١٦٧).

(٢) كثير من المصنفين ينكرون كتابة التصليية مختصرة، وبعضهم يجيز إذا كانت صادًا بين

قوسين، هكذا (ص)، وهم عند نطقها لا تظهر التصليية كاملة، فأنتك تسمع (صسسلم)،

وإنما المشروع النطق بالتصليية كاملة، ولو كتبت مختصرة اصطلاحًا.

الزكوة)، وليس (الصلاة - الزكاة). ويقول كذلك: عفي في (عفا)، ويقول: وكذى في (وكذا)، ويقول: جزو في (جزء).

- وفي آخر المخطوط جاء التوقيع: "تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ليلة الجمعة، ثالث وعشرين رجب الفرد سنة عشرين وسبعمئة، أحسن الله تفقهاً بمحمد وآله وصحبه الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين. كتب في خزانة الهمام^(١) القاضي للإمام العالم الكامل زين الدين عبدالرحمن القاضي للإمام العلامة أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم فسحَّ الله في مدتها وأمتع كل من يقرأ الأجر وجعلهما من العلماء الفائزين وغفر لهما ولكاتب هذه النسخة وقارئها ولجميع المسلمين. اهـ^(٢).

حجم المخطوط الإجمالي:

وصف لنا الإسنوي - رحمه الله - الكتاب فقال: "ومنها: "التعجيز" لابن يونس وهو تاج الدين عبد الرحيم ولد ابن العماد السابق، وكتاب "شرح التعجيز" في مجلدين ضخمين ومات ولم يتمه بل بقي منه نحو الربع^(٣). والذي وصل إلينا منه إلى كتاب الحجر في (٢٩٧) لوحًا كما أسلفنا.

- ووقع في نهاية لوحة [٢٠٩/أ] (تم ربع العبادات من كتاب التطريز في شرح التعجيز، والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خير خلقه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين)، وبعدها صفحة فارغة أعلاها (ثاني وعشرون)، فلعلها رقم الكراسة، ثم بعدها (بسم الله الرحمن الرحيم؛ رب يسر وأعن؛ كتاب البيع).

ولذا فنحسب المفقود من الكتاب هو المجلد الثاني، فكل مجلد فيه (ربع ونصف الربع)، [أي ثلاثة أثمان]، من تقسيم الشافعية كما سبق الإشارة إليه.

(١) غير واضح بالمخطوط، ولعل ما كتبانه هو الأقرب.

(٢) فأما زين الدين عبد الرحمن؛ فلم أهد إلى ترجمته، وأما أبو إسحاق؛ فهو الجعبري، وقدمناه في تلامذة ابن يونس، وفي شرح التعجيز.

(٣) المهمات في شرح الروضة والرافعي (١/١٣١).

المبحث السابع: منهج التحقيق.

إن منهج التحقيق في الجملة لا بد أن يشتمل على أمور أربعة:

الأول: ضبط النص.

ولما كانت النسخة فريدة؛ لذا اعتمدت في الضبط على مقابله على مآانه في كتب الشافعية، لتصحيح أي خلل في الإملاء أو النسخ من الناسخ، ونحو ذلك.

الثاني: توثيق النص.

وذلك بالإحالة إلى المصادر التي نقل عنها المصنف.

الثالث: التعليق العلمي على النص.

بنحو شرح غريبه ومصطلحاته، واستكمال المعنى وتوضيح المراد، وبيان عود الضمائر التي يشكل معرفة عودها.

الرابع: خدمة النص.

بالتخريج الحديثي، والإحالات الفقهية ونحو ذلك.

وقد اجتهدنا في عمل ذلك في الجملة، ومن أهم ما قمنا به:

- نسخ النص وفقاً لقواعد الرسم الإملائي الحديث.
- التحقق من صحة النص، وضبط ما يحتاج الضبط بالشكل (ضبط القلم).
- إثبات الآية برسم المصحف، وعزو الآيات القرآنية وترقيمها في داخل النص.
- تخريج الأحاديث والآثار بعزو الحديث أو الأثر إلى المصادر التي ذكرها المصنف، وغيرها وما كان في الصحيحين اكتفينا بالعزو إليهما، وإن لم يكن فيهما فنخرجه من مصادره، مع نقل كلام أهل العلم في بيان درجته بحسب ما تيسر.

- شرح الغريب، معزواً إلى مصادره أيضاً.
- الترجمة للأعلام غير المشهورين بإيجاز.
- توثيق النصوص الفقهية حسب المستطاع.
- التعليق على ما يحتاج التعليق عليه من توضيح أو نقد أو ما أشبهه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وهذا آخر قسم الدراسة ويتلوه قسم التحقيق.

القسم الثاني: التحقيق

ويشتمل على: (كتاب الحجر وحتى نهاية المخطوط).

مخطوط شرح التعجيز

كتاب الحجر

وهو لغة: المنع، ومنه قيل للعقل: حجر بالكسر لمنعه ما لا ينبغي، وللحرم: حجر بالكسر والفتح والضم، ومنه: الحاجر وهو من يمسك الماء في فم الوادي^(١).

أما شرعاً: فمنع التصرف لحق المحجور كحجر الصبي والمجنون والمبذر، وهو المقصود بالكتاب، أو لحق غيره كحجر المفلس والمريض أو لهما^(٢) كحجر المكاتب.

قال جدي رحمه الله: وهو حقيقة في المفلس؛ لأنه منع مع وجود المقتضي، ومجاز في الصبي والمجنون، لأنه منع لعدم المقتضي، ويتردد بين الحقيقة والمجاز في الرق والتدبير^(٣).
قال: (من بلغ رشيداً تصرف).

وقال مالك: لا ينفك حجر الجارية حتى تتزوج؛ ثم لا تنصرف إلا بإذن الزوج، لقوله ﷺ: (لا يحق لامرأة أن تتصرف في مالها إلا بإذن زوجها)^(٤)؛ وقوله

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٢/٦٢٤)، وكأنه أخذه منه.

(٢) نهاية لوحة [٢٩٤/ب].

(٣) انظر: التعريفات (١/١١١ - ت ٥٣٤)؛ القاموس الفقهي (١/٧٧)؛ معجم لغة الفقهاء (١/١٧٥).

(٤) أخرجه ابو داود في الإجارة باب عطية المرأة بغير إذن زوجها (٢/٣١٦ - ح ٣٥٤٧).

ولفظه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال (لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها)؛ والنسائي في العمري، عطية المرأة بغير إذن زوجها، (٦/٢٧٨ - ح ٣٧٥٧)، وابن ماجة في الهبات باب عطية المرأة بغير إذن زوجها (٢/٧٩٨ - ح ٢٣٨٨)، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله قال في خطبة خطبها: (لا يجوز لامرأة

تعالى {وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} [النساء: ٦].

ومعنى {ابْتَلُوا}: اختبروا، و{آنَسْتُمْ}: علمتم.

وفيه وجه: أنه لا ينفك حجره إلا بفك الحاكم، لأنه يحتاج إلي اختبار ولو صح؛ لكان أكثر الناس محجوراً عليهم.

وفيه وجه: أنه إن كان وليه أباً أو جداً لم يفتقر إلى فك الحاكم أو غيرهما افتقر، لأن ولايته ثبتت بغيره فلا تزول إلا بغيره.

قال: (والبلوغ بخمس عشرة سنة).

وقال أبو حنيفة بلوغ الغلام بثمانى عشرة سنة، وبلوغ الجارية بسبع

عشرة، وقال: مالك البلوغ يخيل لي بالعمر.

لنا: ما روي الدارقطني^(١) بإسناده أن النبي ﷺ قال: (إذا استكمل المولود

خمسة عشرة سنة؛ كتب ما عليه وما له، وأقيمت عليه الحدود)^(٢).

وما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: (عرضت على النبي ﷺ يوم الخندق وأنا

ابن خمس عشرة سنة)^(١).

في مالها إلا بإذن زوجها إذا هو ملك عصمتها). وصححه الألباني، وإنما أورده المصنف بالمعنى.

(١) الدارقطني: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني الشافعي محدث وفقه ومقرئ ولغوي ولد سنة (٣٠٦هـ)، وتوفي ببغداد (ت٣٨٦هـ) من مصنفاته "السنن"، والعلل، وغيرها. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٢٥٩-٢٦٢).

(٢) كذا في المعنى ورواه البيهقي في الخلافيات من طريق عبد العزيز بن صهيب عنه بسند ضعيف ويلفظ: (وأقيمت عليه الحدود). ورواه الدارقطني بإسناده قلعه في الأفراد أو غيرها فإنه ليس في السنن مذكورا، وذكره البيهقي في السنن الكبرى عن قتادة عن أنس بلا إسناد. وقال: إنه ضعيف. انظر: تلخيص الحبير لابن حجر (٣/٤٢).

وفيه وجه مشهور أنه بالخوض في الخامسة عشرة لوقوع عبارة ابن عمر عليه.

قال: (أو احتلام)

لقوله تعالى {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا} [النور: ٥٩]؛ فإنه تكليف يستدعي البلوغ وقوله ﷺ (رفع القلم عن ثلاث)^(١).

وفيه وجه حكاه الإمام أنه ليس بلوغاً في الجارية لأنه يأذن فيها ولا يكاد يظهر لها.

إشارة: من ادعى الاحتلام في وقته صدق، لأنه لا يعلم إلا منه ووقته استكمال تسع سنين، وقيل: في الغلام عشرة.

قال: (أو حيض).

لقوله ﷺ (لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار)^(١)؛ إذ جعلها ممن تلزمها الصلاة، والمراد من بلغت الحيض، وفي الحمل وجه حكاه الجمهور أنه بلوغ،

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات (٩٤٨/٢ - ح ٢٥٢١)، ولفظه: عن ابن عمر ﷺ ما: (أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يجزه. ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني. قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته هذا الحديث. فقال إن هذا لحد بين الصغير والكبير وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمس عشرة) وأخرجه مسلم في الإمارة باب بيان سن البلوغ (٣/١٤٩٠ - ح ١٨٦٨). ومعنى: (فلم يجزه) لم يأذن له بالخروج للمعركة لصغره أو لم يقدر له عطاء كغيره لأنه لم يعتبره من المقاتلين. (يفرضوا) يقدروا لهم عطاء في ديوان الجند إذا حضروا المعارك.

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الطلاق، من لا يقع طلاقه من الأزواج (٦/١٥٦ - ح ٣٤٣٢) عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يُفِيقَ)، وصححه الألباني.

وليس بشيء لأنه لا يكون إلا بعد/^(١) البلوغ بحيض أو احتلام فإنه يخلق من مائها.

قال: (أو بإنبات لا بشفة بل بعانة أو إبط أو خد في كافر).

وقد أدرجت في هذا مسائل.

الأولي: أن إنبات الشعر الخشن بعانة كافر غلاما كان أو جارية كانت

خلفا لأبي حنيفة.

لنا: أن النبي ﷺ اكتفى حكم سعدا^(٢) في بني قريظة فأمر أن يكشف عن

مؤنزرهم^(٤) من أنبت فهو من المقاتلة^(١)؛ فيقتل لأنه أحد الخارجين^(٢) بذلك

العضو عند البلوغ عرفاً فثبت به البلوغ شرعاً كالاحتلام.

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب المرأة تصلي بغير خمار (٢٢٩/١ - ح ٦٤١)،

والترمذي في الطهارة، باب لا تقبل صلاة المرأة إلا بخمار، وقال: وقوله: الحائض يعني

المرأة البالغ يعني إذا حاضت، قال أبو عيسى حديث عائشة حديث حسن، وأخرجه ابن

ماجة في الطهارة باب إذا حاضت الجارية (٢١٥/١ - ح ٦٥٥)، من حديث عائشة رضيها،

وصححه الالباني. قال الترمذي: "والعمل عليه عند أهل العم أن المرأة إذا أدركت فصلت

وشيء من شعرها مكشوف لا تجوز صلاتها، وهو قول الشافعي قال لا تجوز صلاة المرأة

وشيء من جسدها مكشوف قال الشافعي وقد قيل إن كان نهر قدميها فصلاتها جائزة" اهـ.

(٢) نهاية لوحة [٢٩٥/أ].

(٣) سعد بن معاذ: سعد بن معاذ بن النعمان، الأنصاري الأشهلي، أبو عمرو، سيد الأوس،

شهد بدرًا، واستشهد من سهم أصابه بالخنق، وأهتز عرش الرحمن لموته ومناقبه كثيرة.

الإصابة (رقم ٣١٩٧).

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب السير، باب النزول على الحكم (١٤٥/٤ - ح ١٥٨٤) ولفظه

عن عطية القرظي قال: (عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة فكان من أنبت قتل ومن لم

ينتب خلي سبيله فكننت ممن لم ينبت فخلي سبيلي)، قال ابو عيسى هذا حديث حسن

صحيح، وأخرجه ابن ماجه في الحدرود، باب من لا يجب عليه الحد (٨٤٩/٢) -

فرع: هل هو نفس البلوغ لأنها أشبه الاحتلام، أو أمارته لعسر الوقوف على أعمار الكفار؟ فيه قولان.

الثانية: أن الإنبات بالشفة لا يكفي، قاله البغوي لأنه كثيرا ما يسبق البلوغ وفيه وجه للقاضي.

الثالثة: أن الإنبات بالإبط كاف كالعانة، قاله القاضي، وقال المتولي: الصحيح أنه لا يكفي، والا لرجعوا إليه في بني قريظة ولم يكشفوا العورة.

الرابعة: أن الإنبات بالخد كاف كالعانة، قاله القاضي. وقال: الجرجاني وابن الصباغ: لا يكفي لأن الخارج في الوجه لا يكفي؛ فكذا النابت عليه^(٣). وقال الإمام: إنبات الإبط والخد أقوى دلالة من إنبات العانة؛ لأن ذلك يترأخى عن البلوغ غالباً، وهذه تنبت في مفسح^(١) تحرك الشهوة^(٢).

ح ٢٥٤١)، قال الشيخ الألباني: صحيح، وقال الترمذي: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم أنهم يرون الإنبات بلوغاً إن لم يعرف احتلامه ولا سنة وهو قول أحمد وإسحق". وفي مسند الإمام أحمد (٤/٣١٠ - ح ١٨٧٩٨)، وقال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه فلم يرو له سوى أصحاب السنن.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٨/٢٥ - ح ٨٥٦٧)، النسائي في سننه الكبرى ج ٣/ص ٤٦٦ حديث رقم: ٥٩٣٩ بلفظ من جرت عليه المواسي، الطبراني في معجمه الأوسط ج ٨/ص ١٧٠ حديث رقم: ٨٣٠٢.

(١) في السنن الكبرى للنسائي (٧/٣٣٨ - ح ٨١٦٦) ولفظه عن عامر بن سعد، عن أبيه، أن سعداً، حكم على بني قريظة: أن يقتل منهم كل من جرت عليه المواسي، وأن تسبى ذراريهم، وأن تقسم أموالهم فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: لقد حكم فيهم حكم الله الذي حكم به فوق سبع سمواته.

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط، وما وضعناه هو الأشبه بها.

(٣) الحاوي الكبير (٦/٧٥٥).

فرع: لا عبرة بانفراق الأرنبة، وبتو الحلقوم، وثقل الصوت، ونهود الثدي خلافا لمالك^(٣).

قال: (قيل: ومسلم).

وبه قال: مالك وأحمد لأنه روي عن عمر. والقياس على الكافر. ووجه الأول: اتهامه باستعجاله ليتأهل للشهادة والولاية.

واعلم أن الخلاف إذا قلنا: الإنبات أمانة البلوغ، أما إذا قلنا: إنه بلوغ، فيكفي في المسلم وجهاً واحداً لأن الحقائق لا تختلف بإسلام ولا كفر.

فرع: لو أنبت مسلم؛ فثبت أنه دون خمس عشرة سنة، فإن قلنا: الإنبات بلوغ فحكم ببلوغه، أو أمانة فلا.

قال: (والرشد كونه صالحاً^(٤)).

أي لا يرتكب محرماً.

وقال: الجرجاني محرماً يضيع المال كالزنا والغصب، لا كالكذب والغيبة^(٥).

قال: (مصلحاً^(٦)).

(١) مفسح كذا بالأصل، ولها معنى صحيح، فهي من (فسح)، وفي مختار الصحاح (٥١٧/١): "وانْفَسَحَ صدره انشراح".

(٢) نهاية المطلب في دراية المذهب (٣٠٥/٦).

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (٤٣٥/٦).

(٤) في مخطوط التعجيز: حاشية: أي لدينه.

(٥) قال الشيرازي في المهذب (١٣٢/٢): "والفاسق لم يؤنس منه الرشد ولأن حفظه للمال لا

يوثق به مع الفسق لأنه لا يؤمن أن يدعو الفسق إلى التبذير فلم يفك الحجر عنه ولهذا

لم تقبل شهادته وإن كان معروفاً بالصدق لأننا لا نأمن أن يدعو الفسق إلى الكذب".

(٦) في مخطوط التعجيز: حاشية: أي لديناه.

أي: لدنيا بالتوصل^(١) إلى الكسب وبالقصد إلى الإنفاق، ولما سمّي المقتصد مصلاً؛ سمّي صاحب التلخيص المبذر مفسداً.

ويعرف الصلاح والإصلاح بالاختبار بالآية. قال الماوردي: فيراعي من يصاحبه ويماشيه ويختبر بعد البلوغ في وجه، لأنه قبله لا ينفذ تصرفه، وقبله في وجه بالآية^(٢).

فاذا كان كبر وعقل^(٣) وليه، وقيل: هو للضرورة والمختبر له وليه.

وقيل: لا؛ قلنا: يختبر بعد البلوغ، واختبره الحاكم لزوال تبعيه الولي بالبلوغ.

قال: (فإن اختل أحدهما دام الحجر).

وقال: مالك وأبو حنيفة: يزول بإصلاح، ومجاهد: بالعقل والشراء والدين،

لأن الرشد مكروه^(٤) في الإثبات، قلنا: ولي^(٥) رشداً واحداً.

لنا: قول ابن عباس: (الرشد: التصرف بدين والمال^(٦)) ولأن الفاسق

يصرف ماله في الفسق، ويخالف البالغ كافر فإنه عدل في دينه، ولهذا يلي مال

ولده، ولهذا يفهم من دوام إطلاق الحجر دوامه وإن صار شيخاً.

(١) نهاية لوحة [٢٩٥/ب].

(٢) الحاوي الكبير ط دار الفكر (٧٦٩/٦).

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٥) قلنا: ولي غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٦) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب. والأثر ذكره بالمعنى، فقد قال في

الدر المنثور للسيوطي (٢٣٤/٤): أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي

في سننه عن ابن عباس: {وابتلوا اليتامى} يعني اختبروا اليتامى عند الحلم {فإن آنستم}

عرفتم {منهم رشداً} في حالهم والإصلاح في أموالهم {فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها

إسرافاً وبداراً} يعني تأكل مال اليتيم مبادرة قبل أن يبلغ فتحول بينه وبين ماله".

وقال أبو حنيفة: يفك إذا بلغ خمساً وعشرين لأنه الأشد الذي عنى الله به الحجر، فإنه صلح بذلك أن يكون جداً.
والجواب: أن هذا لم يذكره أحد من أئمة الدين^(١) وأنه يتصور جداً بدون ذلك.
قال: (وإن حصلاً زال).

وقيل: يحتاج إلي فك الحاكم، وهذا قد سبق بتفاريعه.
قال: (ثم إن اختلف أحدهما) بأن فسق أو بذر (لم يعد^(٢)).
أي: الحجر؛ أما ذا فسق فلأمور: لأن الأولين لم يحجروا به، ولأن غرض الحجر حفظ المال، وهو حاصل، ولأنه لو حجر به لكان أكثر محجورين.
وفيه وجه اختاره البغوي: لأنه يوجب التبذير.
وأما إذا بذر، وبه قال: أبو حنيفة وزفر: فلأن الإطلاق لا يزول إلا بسفه^(٣) كامل.

واعلم أن هذا شيء انفرد الغزالي بذكره في الوجيز والوسيط دون البسيط، وخالف به شيخه وسائر النقلة، فانهم أطلقوا علي أنه يوجب الحجر وبه قال مالك وأحمد لقوله ﷺ (خذوا علي يد سفهائكم)^(٤).
ولما روي^(١) أن عبد الله بن جابر^(٢). ابتاع من غيره سماحة^(٣) أرضا سبخة بستين ألف درهم، فشاركه الزبير^(٤) فقال علي/ لعثمان احجر علي ابن جعفر فقال: كيف احجر علي من شريكه الزبير، وكان معروفا بالاستصلاح.

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٢) في التعجيز: حاشية: أي الحجر.

(٣) في التعجيز: حاشية: أي الحجر.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر شعب الإيمان (١٠/٦٥ - ح ٧١٧٠)، من حديث النعمان بن بشير ﷺ، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير (١٤/٣٦٣ - ح ٦٥٦٦).

قال الشافعي رضي الله عنه لبعض من خالفه^(١): وجدت صاحبكم يروي الحجر عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ فخالفتهم ومعهم القرآن^(١)، إذ لو أنكر الحجر علي؛ لما طلبه، أو الزبير أو عثمان لقالا كيف يحجر علي عليه!؟

(١) الحديث أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٦١ - ح ١١٦٧٠)، وفي معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢٧٢/٨)، وأورده الماوردي في الحاوي الكبير للماوردي (٧٨١/٦) لكن من حديث عروة بن الزبير. قال في النجم الوهاج في شرح المنهاج (٤/٤١١): بإسناد حسن.

(٢) عبد الله بن جابر: نظنه: عبدالله ابن عبدالله ابن جابر وقيل جبر ابن عتيك الأنصاري المدني ثقة من الرابعة، تقريب التهذيب (٢/٣٠٩ - ج ٣٤١٣)، لكن لم يرو هذا الحديث، وحتى في العزيز شرح الوجيز للرافعي (١٠/٢٧٦) قال: وقد روى (أن عبد الله بن جعفر اشترى أرضاً سبخة ..)، وكذا في بحر المذهب للرويانى (٥/٣٩٣) قال: (ولو حجر عليه الحاكم لم ينفذ حتى يقضى قاض آخر به، وبه قال النخعي وابن سيرين رحمهما الله، وهذا غلط لما روى الشافعي من الأثر، وبيانه ما روى أن عبد الله بن جعفر اشترى أرضاً بستين ألف درهم)، وفي الحاوي الكبير للماوردي (٦/٧٨٠): (وهو ما روى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه مر بأرض سبخة ..)، وفي كفاية النبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة (١٠/٤٧) قال: (حجر عليه الحاكم؛ لما روى أن عبد الله بن جعفر ابتاع أرضاً سبخة ..)، فلم يذكرها أي كتاب من كتب الشافعية التي بين أيدينا، وليس في كتب التخريج والزوائد كذلك من المكتبة الشاملة، فالله أعلم.

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب، بمعنى أنه اغتر بها.

(٤) الزبير بن العوام: هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن عبد الله القرشي الأسدي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، قتل سنة ٣٦ هـ بعد منصرفه من وقعة الجمل أحد الستة أصحاب الشورى، ت سنة ٣٦ هـ. انظر في ترجمته: الاستيعاب لابن عبد البر ١/٥٨٠، الإصابة لابن حجر ١/٥٤٦.

(٥) نهاية لوحة [٢٩٦/أ].

(٦) كلمة غير واضحة بالأصل، وما كتبناه هو الوارد في معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢٧٢/٨) عن الشافعي، وكلام الشافعي أيضاً في الأم (٣/٢٢٠).

فرع: يحجر بالشح على وجه للاصطخري^(٢) وابن سريج كالتبذير لأن الله تعالى قال عنهما؛ لقوله {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} [الإسراء: ٢٩].
قال: (أو هما).

معناه أو اختل جموع الصلاح والإتكاح بأن فسق أو بذر؛ يعود الحجر كما لو عاد الجنون.
قال: (فيعود^(٣) أو يعاد).

أي: يعيده الحاكم وهو الآخر كما تقدم عن^(٤) عبد الله بن جعفر^(٥) ولأنه يختلف فيه فيحتاج إلي اجتهاد قوي^(١) إلي أن يحجر عليه ويلحق به في وجه حكاه أبو علي: من بلغ سفيها يعطى^(٢) لا ولي به ولا حاكم.

(١) (فخالفتهم ومعهم القرآن) غير واضحة بالأصل، والمكتوب هو الوارد في معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢٧٢/٨) عن الشافعي.

(٢) الإصطخري: هو الحسن بن أحمد بن يزيد، أبوسعيد: فقيه شافعي، كان من نظراء ابن سريج. ولي قضاة قم (بين أصبهان وساعة) ثم حسبة بغداد. واستقضاه المقتدر على سجستان. قال ابن الجوزي: له كتاب في (القضاء) لم يصنف مثله. وقال الإسنوي: صنف كتبا كثيرة، منها (أدب القضاء) استحسنته الأئمة. وكانت في أخلاقه حدة وقال ابن النديم: له من الكتب (الفرائض) الكبير، وكتاب (الشروط والوثائق والمحاضر والسجلات) توفي ٣٣٨ هـ انظر: الأعلام للزركلي (٢/ ١٧٩).

(٣) (فيعود) زيادة من متن التعجيز.

(٤) (الآخر كما تقدم عن) غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب، بمعنى أنه القول الآخر.

(٥) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب: هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم. السيد، العالم، أبو جعفر القرشي، الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد ابن الجواد ذي الجناحين له صحبة، ورواية، عداده في صغار الصحابة؛ استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ﷺ، ونشأ في حجره؛ وروى أيضا عن عمه علي، وعن أمه؛ أسماء بنت عميس. حدث عنه: أولاده؛ إسماعيل، وإسحاق، ومعاوية، وأبو

قال: (تردد).

وجهه ما ذكرته.

ويجري وجهه عود الحجر بنفسه فيما إذا اعتاد مجرد التبذير، لا مجرد

الفسق قاله الإمام.

قال: (ووليّه القاضي).

لزوال تبعية الولي باستقلاله.

قال: (أو وليه).

كما لو دام التبذير.

قال: (تردد).

وجهه ما ذكرناه، واعلم أنه مفرع على قولنا: الحجر يعود أما إذا قلنا:

يعود فوليه الحاكم وجهاً واحداً، وهذا مطرد لكل من حجر عليه الحاكم فوليه الحاكم.

قال: (وكذا لو جن).

يريد أنه على الخلاف المذكور في أن وليه القاضي أو وليه وأولى فإنه

وليه لأن الحجر بالجنون إجماع لا يحتاج إلي اجتهاد بخلاف التبذير.

قال: (والانفاق في خير).

كالصدقة والضيافة وبناء المدارس.

جعفر الباقر، وسعد بن إبراهيم، والقاسم بن محمد، وابن أبي مليكة، والشعبي، وعروة،

وعباس بن سهل بن سعد، وعبد الله بن محمد بن عقيل، وآخرون. وهو آخر من رأى النبي

ﷺ وصحبه من بني هاشم. وله وفادة على معاوية، وعلى عبد الملك، وكان كبير الشأن،

كريما جوادا، يصلح للإمامة مات سنة ثمانين انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٢).

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب، بمعنى أنه يفك عنه.

قال: (خير).

أي: ليس بتبذير إذ كيف يحجر بما يندب إليه ويؤجر عليه؟ فلا سرف في الخير، كما لا فتر في السرف، وفيه وجه لأبي محمد ارتضاه الإمام أنه يوجب دوام الحجر لا ابتداءه.

قال: (وفي أطعمة لا تليق به).

كانت بأن كانت دون^(١) قدره وفي معناه المناكح والملابس والمراكب والأبنية التي تصلح^(٢) عنه.

قال: (تبذير).

لأنه إنفاق في غير حق وفيه^(٣) وجه قطع به البغوي والجرجاني لأن المال لهذه الوجوه يُعدّ.

قال: (وإذا حجر لا يتصرف في المال).

أو فيما يلزمه المال كالبيع والشراء.

وقال أبو حنيفة: يصحان منه ولا يسلم المال إليه.

لنا: أنه غير رشيد كالمجنون، ولأن تصحيح تصرفه يبطل فائدة منع المال عنه، في الأظهر^(٤)، أو أتلف ما غصبه ضمن؛ أو اشتراه فلا، واستعارة أو أخذه في ملكه^(٥) فتردد.

قال: (فلو توكل).

أي: في تصرف فلزم.

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٢) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٣) نهاية لوحة [٢٩٦/ب].

(٤) (في الأظهر) غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٥) (أو أخذه في ملكه) غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

قال: (أو عين الولي)، أي: هذا التصرف؛ (فتردد).
قيل: يصح لأن المحظور استقلاله، وقيل: لا لأن عبارته مسلوية فيما يلزم المال.

وقيل: يصح النكاح فقط لفروق لا حق ثابت له^(١) ولأن المال تابع فيه، ولأنه يملك أن إذا التزم بالمال فوليه فلان^(٢)، واختاره جمهور النقلة، وقطع به الماوردي^(٣).

قال: (يبني عليه قبوله التبرع).
كهبته ووصيته فيصح إن قلنا: له عبادة، والا فلا، والأصح: الصحة. نعم؛ لا يسلم المال إليه فلو تسلم وأتلفه ضمن بتسليم الوصية دون الهبة لأنه لم يملكها بعد.

فرع: يصح نذره في الذمة دون ضمانه
قال: (وله ما لا يدخل تحت حجر الولي^(٤))
وهو ليس بمال، فإن الحجر إنما يقع على المال وذلك كالطلاق لأنه تصرف في النسب والدم. والإفراط بالعقوبة لأن ذلك ليس تصرفاً في مال لنخاف تبيخبه فيه.

قال: (وفي إقراره بإتلاف مال تردد).

(١) (لا حق ثابت له) غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب، يعني أنه يصح النكاح فقط لما بينه وبين غيره من فروق، والله أعلم.

(٢) (إن التزم بالمال فوليه فلان) غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٣) الحاوي الكبير ط دار الفكر (٣٠٠/٩).

(٤) في هامش متن التعجيز: وهو التصرف في المال لأن الحجر إنما يقع على المال وهذا أجود من قول من يقول وله مالاً يتولاه الولي لأنه ينتقض بالتبرع بالمال.

قيل: قولان؛ الأصح: المنع، لأنه يتعلق بالمال ولأنه متهم فيه. والثاني: يصح لقدرته على إنشاء الإتلاف، وينتقض بالصبي، والفقهاء فيه: أن المعتبر القدرة على إنشاء سائغ.

فرع: لو قامت بينة بيعه، لم يلزم؛ أو إتلافه؛ ضمن.

قال: (ويُحرم).

كما سيأتي بسائر العبادات، إلا في تفريق الزكاة.

قال: (ثم يمنع المؤن) كالزاد والراحلة (في النفل).

لأنه تبرع كالصدقة، وهو فيما زاد علي نفقة الحضر، أما في الفرض

فيسلم المؤن إلي من يخرجها؛ لأن حج الفرض كالدين.

قال: (وفي تحلله قبل البيت تردد).

الأصح: الجواز لعجزه عن وليه^(١) في الحضر

والثاني: لا، لعجزه بإعواز النفقة كالمفلس.

قال^(٢): (وولي الصبي).

وفي حكمه: المجنون.

قال: (أبوه ثم جده).

لأن الحجر مثبت بنفسه كولاية النكاح، وكما يثبت حجر المفلس بالحاكم،

كانت الولاية له، فإن قلت: لما لا يثبت بعدها لباقي العصابة كالنكاح قلت لقصور

الولاية^(٣) في المال عنها^(٤) في النكاح^(٥).

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٢) نهاية لوحة [٢٩٧/أ].

(٣) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٤) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٥) الحاوي الكبير ط دار الفكر (٣٠٠/٩).

قال: (ثم الوصي).

لأنه نائبهما.

قال: (ثم القاضي).

لتعذر الولاية بالفراق^(١) كما في النكاح فإن لم يوجد حاكم، فوليه المسلمون^(٢).

قال: (وليتصرف بالغبطة).

لقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [الأنعام:

١٥٢]، [الإسراء: ٣٤].

والأحسن: أن يبدأ بعمارة العقار، ثم ما ابتاعه، ثم بالاتجار بالناض. ولا يسافر بماله ولا يبيع عقاره إلا بغبطة، أو عمارة أو نقد، ويقبل في ذلك قول الأب والجد دون الوصي والقيم.

فرع: له أن يوكل في البيع والشراء. قال الماوردي: فيوكل عن نفسه إن شاء.

قال: (لا بقود وعفو وطلاق وكتابة).

لأن جميع ذلك قرب لماله فالرهن أقبح، ولأنه إضرار به.

قال: (وليأخذ بالشفعة لمصلحة).

فإن كانت في الترك ترك؛ لأنه عين التصرف في حق اليتيم بالتي هي

أحسن فلو كانت مصلحته في الترك فأخذ أو في الأخذ فترك لم يصح؛ وعفا.

قال: (فإن عفا).

وكانت المصلحة في العفو.

(١) كلمة غير واضحة بالأصل، ولعل ما كتبناه هو الأقرب.

(٢) وهذا مما يبين قوة الفقه في الشريعة، فإن النكاح من أساسيات الإنسان، وإذا منع منه فقد يقع فيما لا يحل.

[قال] ^(١): (هل يأخذ [الصبي] ^(٢)) الثمن (إذ بلغ؛ تردد، والله أعلم ^(٣)).

الأصح: المنع، كما لا ينقض سائر تصرفاته بشرط الغبطة.

والثاني: يأخذ، لأن الأخذ بغير مصلحة لا يدخل تحت حجر الولي.

إشارة: للولي أن يخلط ماله بمال المولى عليه في النفقة لقوله تعالى:

{وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ} [البقرة: ٢٢٠].

ولو هم صبي أو مجنون بوطيء أمته لم يمنع منه، ونفذ استيلاده لكمال

ملكه والله سبحانه وتعالى أعلم ^(٤).

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ليلة الجمعة ثالث وعشرين من

رجب الفرد سنة عشرين وسبعمئة أحسن الله تفقها بمحمد وآله وصحبه

الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

كتبه من خزانة الهمام ^(٥) الإمام العالم الكامل زين الدين عبد الرحمن

القاضي ^(٦) للإمام العلامة أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم فسح الله في مدتهما،

وأمتع كل من يقرأ الأجر، وجعلهما من العلماء الفائزين وغفر لهما ولكاتب هذه

النسخة وقارئها ولجميع المسلمين ^(٧).

(١) كلمة [قال] ليست بالتعجيز.

(٢) كلمة [الصبي] ليست بالتعجيز.

(٣) جملة [الله أعلم] ليست بالتعجيز.

(٤) قال في نهاية المطلب في دراية المذهب (٦/١١٤): "وأما استيلاده، فنافذ في الحال؛ فإنه

يجري على مذهب الاستهلاك، وهذا واضح".

(٥) غير واضح بالمخطوط، وما وضعناه هو الأشبه.

(٦) فأما زين الدين عبد الرحمن؛ فلم نهتد إلى ترجمته، وأما أبو إسحاق؛ فهو الجعبري،

وقدمناه في تلامذة ابن يونس، وفي شراح التعجيز.

(٧) نهاية لوحة [٢٩٧/ب]، وبه تم الموجود من نسخة الكتاب.

الخاتمة

وتشتمل على:

أهم النتائج والتوصيات

الخاتمة

نسأل الله حسنها

قمنا بتحقيق كتاب الحجر من التطريز شرح التعجيز، وبهذا الجزء تم ختم

الجزء الموجود من الكتاب، وحصلنا على كثير من النتائج، ولعل من أهمها:

- كتاب وجيز الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، كتاب متميز حيث مؤلفه هو حجة الإسلام، وهو له القدم الراسخ في الفقه الشافعي، وعليه تتلمذ المتأخرون، والمختصر في التعجيز هو ابن يونس، وقد عاصر ابن يونس ستة من ولاية الأتابكة، وأنه على الرغم من الاضطرابات السياسية التي كانت تظهر أحياناً في الموصل، إلا أن الحالة العلمية لم تتأثر كثيراً، بل شهدت الموصل نهضة علمية عظيمة؛ فقد كان بها خيار من أهل العلم، وقد انتشرت بها المدارس العلمية، ونبغ فيها الكثير من العلماء. ومنهم ابن يونس الذي قد رزق التحقيق في مصنفاته الفقهية في حياة علمية حافلة توفي بعدها سنة (٦٧١هـ).

- تبين من البحث بعض الفوائد التي تميز الفقه الإسلامي عن القوانين والأنظمة الوضعية، فقه اهتم الفقه بكرامة المسلم، وإن وقع عليه الحجر، بأهمية صون المسلم الذي عن الفواحش، بالتأكيد على حقه في الزواج، وأن منعه منه ضرر عظيم.

- وتم التنبيه على أهمية نطق الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كاملة وبوضوح، وأن هذا أهم من البحث عن صحة اختصارها كتابة.

التوصيات والمقترحات:

- نضم أصواتنا لمن تقدم في العمل على هذا الكتاب بالتأكيد على أهمية إخراج المخطوطات إلى النور، مع التحقيق العلمي الصحيح، ولاسيما كتب الفقه، ولاسيما في المختصرات الفقهية التي يبدأ بها طالب العلم قبل المطولات.

- وكذلك العمل على تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية قبل الجزم بالرأي الراجح، لئلا يكون المترجح مخالفاً لإجماعات ونحوها، وهذا يكون بالاطلاع على سبب الخلاف، وطريقة الترجيح، وهو ما ذكر به كتاب التطريز.

فهرس أهم المصادر والمراجع

أثر المدرسة النظامية ببغداد على بعض علماء الموصل في عهد الدولة الأتابكية (٥٢١ - ٦٦٠ هـ / ١١٢٧-١٢٦٢م). ميسون ذنون عبدالرزاق العباجي، مجلة دراسات موصلية: جامعة الموصل - مركز دراسات الموصل ٤٩٤ (٢٠١٨): ٦٥ - ٨٦.

اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية.

الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، للدكتور مصطفى السباعي مكتبة دار البيان، الكويت ١٩٦٨م

الأشباه والنظائر، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

تاريخ ابن الوردي، المؤلف: عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

تاريخ إربل، المؤلف: المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: سامي بن سيد

خماس الصقار، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، عام

النشر: ١٩٨٠ م

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد

الله محمد بن أحمد بن عثمان بن أيماز الذهبي (المتوفى: ٥٤٨هـ)، المحقق:

عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية،

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

تاريخ الموصل، سعيد الديوة جي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،

(١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م).

تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف:

ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر

(المتوفى: ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة،

١٤٠٤.

تحقيق النصوص ونشرها، المؤلف: عبد السلام محمد هارون (المتوفى:

١٤٠٨هـ)، الناشر: مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي

بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد

الفاريابي، الناشر: دار طيبة.

التراث والمعاصرة للدكتور أكرم ضياء العمري، كتاب الأمة (١٠) ط١،

رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، قطر ١٤٠٥ هـ

التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)

هـ)، تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار النشر: الكتاب العربي - بيروت، الطبعة:

الأولى، ١٤٠٥ هـ.

تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

حاشية الرملي الكبير المطبوعة مع أسنى المطالب في شرح روض الطالب، المؤلف: أبي العباس أحمد الرملي الأنصاري بترتيب الشاملة.

حاشيتا قليوبي وعميرة، المؤلف: أحمد سلامة القليوبي وأحمد البرلسي عميرة، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٤، الطبعة: بدون طبعة، ١٤١٥-١٩٩٥م.

الحاوي الكبير، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

خبايا الزوايا، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، المحقق: عبد القادر عبد الله العاني، الناشر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢.

خزانة التراث - فهرس مخطوطات (٢٨٦/١٠٣)، بترقيم الشاملة آليا) - برقم ١٠٣٧٢٢.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

ذيل مرآة الزمان، المؤلف: قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد
اليونيني (المتوفى: ٧٢٦ هـ)، بعناية: وزارة التحقيقات الحكيمة والأمور الثقافية
للحكومة الهندية، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة: الثانية،
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

رحلة ابن جبير، المؤلف: ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني
الأندلسي، أبو الحسين (المتوفى: ٦١٤ هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت.
سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني: مكتبة المعارف - الرياض.
سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني
العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)،
المحقق: محمود عبد القادر الأرنؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان
أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور،
الناشر: مكتبة إرسیکا، إستانبول - تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو
العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥ هـ)، المحقق:
محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة:
الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة
اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء
الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

سنن أبي داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن
شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥ هـ) المحقق: محمد محيي الدين
عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاکر (ج ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

السنن الكبرى للبيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْمَاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

الشرح الكبير = فتح العزيز بشرح الوجيز، تأليف: عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، وهو شرح لكتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، طبعة دار الفكر.

صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، للإمام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، نشر دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط. ٣، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري
النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي –
بيروت.

صلة الخلف بموصول السلف، المؤلف: شمس الدين، أبو عبد الله محمد
بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن ظاهر الروداني السوسي المكي المالكي
(المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: محمد حجي، دار النشر: دار الغرب الإسلامي –
بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين
السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح
محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.

طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي
الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ
عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

طبقات الشافعية، المؤلف: عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي
الشافعي، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٧٧٢هـ)، تحقيق: كمال يوسف
الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ٢٠٠٢م.

العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين
أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)،
المحقق: أيمن نصر الأزهرى – سيد مهني، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت –
لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الغزالي الفقيه وكتابه الوجيز، محمد مصطفى الزحيلي، التراث العربي:
اتحاد الكتاب العرب مج ٦، ع ٢٢ (١٩٨٦).

فوات الوفيات، محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: ١ - ١٩٧٣، الجزء: ٢، ٣، ٤ - ١٩٧٤.

قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، المؤلف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ)، غني به: بو جمعة مكري / خالد زواري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

قلائد الجمال في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمال في شعراء هذا الزمان»، المؤلف: كمال الدين أبو البركات المبارك بن الشاعر الموصلبي (المتوفى: ٦٥٤ هـ)، المحقق: كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى - ٢٠٠٥ م.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧ هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: ١٩٤١ م.

لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين) (معجم يُعنى بشرح مصطلحات المحدثين القديمة والحديثة ورموزهم وإشاراتهم وشرح جملة من مشكل

عباراتهم وغريب تراكيبيهم ونادر أساليبيهم)، المؤلف : محمد خلف سلامة، بترتيب المكتبة الشاملة.

مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي).

مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، المؤلف: أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، تأليف: لحافظ ابن النجار البغدادي، انتقاء: الحافظ أبي الحسين أحمد بن أبيك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي المتوفى سنة ٧٤٩هـ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون

إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، المؤلف: محمد أحمد دهمان، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت - لبنان، دار الفكر - دمشق - سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

معجم البلدان، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون رقم طبعة، ولا تاريخ نشر.

معجم لغة الفقهاء، المؤلف: محمد رواس قلنجي - حامد صادق قنبيي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، المؤلف: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣ هـ.

المقفي الكبير، المؤلف: تقي الدين المقرئ (المتوفى: ٨٤٥ هـ) = ١٤٤٠ م)، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

منهاج البحث وتحقيق المخطوطات للدكتور/أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة ١٩٩٥م

المنهج الحديث للبحث في العلوم الإنسانية للدكتور فاروق السامرائي طبعة دار الفرقان الأردن ت ١ - ١٩٩٦م

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: دكتور محمد محمد أمين، تقديم: دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المهذب في فقه الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.

المهمات في شرح الروضة والرافعي، المؤلف: جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (المتوفى: ٧٧٢هـ)، اعتنى به: أبو الفضل الدمياطي، أحمد بن علي، الناشر: (مركز التراث الثقافي المغربي - الدار البيضاء - المملكة المغربية)، (دار ابن حزم - بيروت - لبنان)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

الموصل في عهد الإدارة الأتابكية - د. عبد المنعم رشاد، موسوعة الموصل الحضارية.

مؤلفات الغزالي لعبد الرحمن بدوي ط. وكالة المطبوعات-الكويت (١٩٧٧م)

نبذة عن تراجم قضاة الموصل وأطرافها في العصر العباسي، أحمد اسماعيل عبدالله الجبوري: ١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ - ١٢٥٨م "مجلة دراسات موصلية: جامعة الموصل - مركز دراسات الموصل، ٢٠٠٦م.

النجم الوهاج في شرح المنهاج، كمال الدين، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدّميري أبو البقاء الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، الناشر: دار المنهاج (جدة)، تحقيق: لجنة علمية بالدار، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهرسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الديب، الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، طبعة ١٩٩٤م.

مواقع إلكترونية.

- موقع المركز العلمي لدراسة وتحقيق المخطوطات، تاريخ الدخول إبريل ٢٠٢٤م.

<https://scsim1438.wixsite.com> .

- موقع: https://www.islamspirit.com/islamspirit_ency_

المكتبات الإلكترونية: المكتبة الشاملة، الإصدار ٣.٢٨، والإصدار ٣.٦٤

تم بحمد الله

**الرد على ما أثاره بعضهم
حول تفسير رشيد رضا**

إعداد

أ.د. خالد فوزي عبد الحميد حمزة
الأستاذ بجامعة العلاء ومينيسوتا حاليا
وبجامعة أم القرى وكلية الحرم المكي
ودار الحديث الخيرية سابقا

١٤٤٥هـ.. ٢٠٢٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله،،

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢] {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١] (١).

أما بعد..

فقد كتبت رسالتي للماجستير قديماً في معهد الأئمة والدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي في السيد محمد رشيد رضا القلموني، وكان ذلك في عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وقد أشرف علي في هذه الرسالة الأستاذ الدكتور عبد العزيز الحميدي وكان عميداً لكلية أصول الدين بجامعة أم القرى آنذاك، وقد جمعت المادة العلمية من المؤلفات عن رشيد رضا، والكثير من المؤلفات التي أرخت لهذه الفترة، ولم أكتف بذلك بل اتصلت بكبار المشايخ والعلماء كالشيخ عبد الرزاق عفيفي، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين وغيرهما، وسألت الجميع عنه، وعن منهجه، ودونت ذلك في كتابي، ثم علمت بوجود رسالة في الجامعة الإسلامية بعنوان "منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة" للباحث: تامر

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه وللشيخ الألباني رسالة مفردة في تخريجها، وهي مشهورة.

محمد محمود متولي" فكنت شغوفاً للاطلاع عليها، لعلها تضيف شيئاً ذا بال، أو تجيب عن التساؤلات التي أثيرتها في رسالتي، إلا أنني وجدت رسالة متواضعة جداً، لم تضيف كبير شيء، ووجدت الطالب الباحث أشار إلى رسالتي بنوع من الكذب والازدراء في (ص ١٠٠ - ص ١٠٣)، فكتبت وقتها رداً موثقاً عليه، وأردت نشره آنذاك، وعرضت الرد على فضيلة الشيخ ياسر برهامي، وأوقفته على كذباته علي كاملة، وقد أقر بأن الرجل كذب عليّ وافترى افتراءً واضحاً، لكنه طلب مني عدم النشر لعله يتراجع أو نحو ذلك.

ثم أهداني بعض الإخوة كتاب هذا التامر وإذا بنفس الافتراءات كما هي، وأنا لا أعفي مشرفه أن تركه يكتب ذلك دون أن يتدخل بالإنصاف.

وقد رأيت أن أنشر ردي هذا، حتى لا ينخدع أحد بكذباته وافتراءاته. فبعد أن ذكر جملة من الدراسات السابقة، قال: وأيضاً - في العقيدة - أو بالأحرى "علم الكلام" قدم خليفة عبد الرؤوف بحثاً للماجستير في قسم "الفلسفة الإسلامية"!! بعنوان: "موقف الشيخ رشيد رضا من القضايا الكلامية"^(١). ولم أستطع الاطلاع على هذا البحث لأحكم عليه، إلا أنني لا أكاد أشك في وجهته من خلال القسم الذي قدم فيه "الفلسفة الإسلامية" والموضوع الذي دار حوله "القضايا الكلامية" اهـ.

فهل يقبل مشرف التامر هذا التعليق منه؟

كيف يحكم على البحث بكونه في قسم "الفلسفة الإسلامية"، وألا يعلم أن فضيلة الدكتور مصطفى حلمي؛ أطل الله عمره في حسن العمل؛ وهو صاحب المؤلفات الكثيرة في السلفية، كان رئيس هذا القسم في دار العلوم!!

(١) كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٩ م

ثم قال بعدها هذا التامر:

ويبقى هنا كتاب واحد لا يصنف مع البحوث العلمية - باعتراف كاتبه - ولم أكن أنوي ذكره هنا - إلا أن رغبة بعض من حولي مالت بي إلى هذا. هذا الكتاب وباعتراف صاحبه^(١) ليس بحثاً علمياً رغم أنه كتب على طرته أنه بحث للماجستير حول رشيد رضا: "طود إصلاح دعوة وداعية، جهاده في خدمة العقيدة، وأثره في الاتجاهات المعاصرة". وأقول إنه ليس بحثاً علمياً لأنه لم يخضع للإشراف العلمي في أي جامعة علمية في العالم^(٢). وأيضاً لأنه باعتراف صاحبه - افتقر إلى أهم عنصرين في البحوث العلمية وهما: الوقت والتفرغ والرجوع إلى المصادر الأصلية في موضوع البحث. فإدخال هذا الكتاب ضمن البحوث العلمية ينطوي على التدليس.

فهذا العنوان الطويل، الذي لا يتناسب مع البحوث العلمية الجادة، ولا يمكن لباحث أن يتناول كل موضوعاته هذه إلا إذا قصر فيها جميعاً تقصيراً

(١) يذكرنا صنيع هذا التامر بقول بعض الرافضة والزنادقة: إن أبا بكر الصديق ليس أفضل هذه الأمة باعترافه عندما قال: (إني وليت عليكم ولست بخيركم). وهو في مصنف عبد الرزاق (٣٣٦/١١ - ٢٠٧٠٢). وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٢/٣) - ٣٤١٨). والحديث في البداية والنهاية لابن كثير، (٢٤٨/٥)، عن ابن إسحاق، وقال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح.

(٢) حصل هذا الكتاب وهو المهندس خالد فوزي على بكالوريوس الهندسة ثم التحق بمعهد إعداد الدعاة التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة، ومدة الدراسة فيه سنتان دراسيتان، والذي أفهمه أن هذا الطالب حصل على بكالوريوس العلوم الدينية والماجستير في هذين العامين، وهو ما لا يسمح به نظام التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، كما أن هذا المعهد ليس تابعاً لوزارة التعليم العالي، بل هو معهد خاص له هدف خاص. ومن الأدلة على الخطأ في هذا العنوان واضطرابه أن هذا الكتاب طبع من قبل باسم آخر، وقال مؤلفه إن ذلك كان بناءً على طلب الناشر. انظر: (ص: ٣).

شديداً، لم يجب فيه صاحب هذا الكتاب عن أي تساؤل ولم يكتشف أي حقيقة، كما قال هو بنفسه^(١). والذي منعه عن الإجابة هو "ضيق الوقت وافتقار هذا البحث إلى التحليل العلمي المتخصص الذي يوجد في البحوث التي كثرت مراجعها ومطائنها، فقلقة المعرفة وندره المراجع، والتعتميم الإعلامي الواضح الذي أصفي على شخصية هذا الرجل..."^(٢)، وفيما يتعلق بنتائج البحث يقول: "ولم أصل في هذا البحث إلى غاية منشودة أو أمنية مفقودة، ولكن هذه السطور تضع علامات استفهام كبيرة، وتطرح أسئلة كثيرة نبحت عن إجابتها..."^(٣).

وحتى لا يظن إن الكاتب قال ما قال من باب التواضع فإنني أذكر

أمثلة تدل على صدقه:

الأول: بسبب ضيق الوقت وعدم الاعتماد على المصادر الأصلية وهي

هنا مؤلفات رشيد رضا - فقد وقع الكاتب في أوهام عجيبة منها:

أ] أنه رغم هذا العدد من البحوث العلمية التي كتبت عن رشيد رضا - ورغم أنني اقترحت في بحثي هذا أيضاً عدة بحوث حول رشيد رضا - ورغم عدد المقالات التي كتبها طيلة خمس وثلاثين سنة في مجلة المنار، ورغم ما كتب عنه حياً وميتاً من هذه المقالات قديماً وحديثاً^(٤)، وما عقد حوله من مؤتمرات

(١) انظر (ص: ٨) من كتابه ط. دار علماء السلف، الإسكندرية، الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) من المقالات القديمة: انظر مثلاً: فريد وجدي: مجلة نور الإسلام (الأزهر) عدد: رجب،

١٣٥٤ هـ، ومحمد مصطفى المراغي: (شيخ الأزهر): مجلة المنار (١٨٦/٣٥)،

ومصطفى عبد الرزاق (شيخ الأزهر): مجلة الرسالة، العدد ٩، (ص: ٦٢٧) سنة ١٩٤٥

هـ، عدد يوليو. من المقالات الحديثة: انظر: محمد رجائي: رشيد رضا ومجلة المنار:

مجلة المؤرخ العربي، العددان ٤١، ٤٢، السنة السادسة عشرة ١٤١٠ هـ (ص: ٦١ -

شارك فيها حياً أو عقدت عنه بعد وفاته^(١). إلا أن المؤلف صاحب الطود يتساءل متعجباً "عن التعظيم على حياة ومؤلفات رشيد رضا وعدم الاهتمام بها نصف أو ربع بل عشر ما لاقاه من هو دونه"^(٢). وعلى كل حال هو لم يجب أيضاً عن هذا السؤال الخطير.

ب[دعي رشيد رضا إلى حضور "المؤتمر السوري" في "جنيف" لمناقشة مستقبل سورية واستقلاله، عقد هذا المؤتمر في هذه المدينة الأوروبية. وقد اهتم رشيد رضا - كعادته في رحلاته كلها - بكتابة كل شيء حول هذا المؤتمر - بدءاً من أسبابه وجلساته إلى نتائجه، وكل ذلك في مجلة المنار^(٣)، إلا أن صاحب "الطود" لم يوافق على أن المؤتمر عقد في جنيف

٧٨) ومحمد أبو بكر حميد: الإمام محمد رشيد رضا: منار الإسلام في عصره، مجلة أهلاً وسهلاً السعودية: سنة ١٩، العدد ١٨، ربيع الأول: ١٤١٦ هـ (ص: ٣٨ - ٤١) وأحمد درنيقة: موقف رشيد رضا من الاستعمار الإيطالي والإنجليزي: مجلة التقوى، لبنان، العدد ٦٦، ربيع الثاني: ١٤٨ هـ (ص: ٣٠ - ٣١)، وكاتب هذه المقالة له مقالات أخرى حول رشيد رضا في المجلة نفسها / كما أن له مؤلفاً حول الشيخ رشيد رضا.

(١) عقد حول رشيد رضا مؤتمر أو "حلقة دراسية" في جامعة الزرقاء الأردنية بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الولايات المتحدة بعنوان: "محمد رشيد رضا وجهود الإصلاحية" اختتم أعماله يوم الأربعاء ١٩٩٩/٧/٢٨ م ١٥ ربيع الآخر ١٤٢٠ هـ. انظر: جريدة الشرق الأوسط، السعودية، عدد الأحد ١٩٩٩/٨/١ م (ص: ١٦).

(١) (ص: ٩).

(٢) انظر: مجلة المنار (١١٤/٢٣ - ١٢٠ - ٣٨٣ - ٣٩٠ و ٤٤١ - ٤٥٩ و ٥٥٣ - ٥٦٠ و ٦٩٦ - ٨٠٢)، وانظر: صورة شمسية للمؤتمرين عند: يوسف أيبش: رحلات رشيد رضا (ص: ٣٢١) ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، الثانية: ١٩٧٩ م.

بسويسرا، وربما لأنه "مؤتمر سوري" فلا بد أن يعقد في دمشق^(١)، والسبب في ذلك الوهم اعتماده على الوسائط في بحثه.

ج] منذ الأعداد الأولى لمجلة المنار نشب صراع صحفي بين مجلة المنار وعدد من الصحف التبشيرية، وحمي وطيس المعركة وأثارت النقع حتى وصل إلى أنف الحاكم البريطاني في مصر الذي أوعز لرئيس وزرائها بإغلاق مجلة المنار، وكادت أن تغلق المجلة واستدعي رشيد رضا لمقابلة رئيس الوزراء، ولكنه رفض التنازل والتخلي عن رده على المبشرين ولو أغلقت مجلته وعاد إلى بلاده^(٢)، ومع ذلك - وبسبب الاعتماد على المصادر الوسيطة، ادعى المؤلف أن رشيد رضا كان بينه وبين النصارى مولاة وملاينة^(٣).

الثاني: وفيما يتعلق بالعقيدة، فقد تناول المؤلف كل جهود رشيد رضا في العقيدة في تسع وتسعين ومائة صفحة فلم يكن لتوحيد الربوبية أي نصيب، وحظي توحيد الألوهية بخمس صفحات، وكان أسعد المباحث حظاً مبحث الصفات، فقد فاز بسبع وأربعين صفحة تتبع فيها آيات الصفات في التفسير؛ كما فعل المغراوي^(٤)، وتوصل إلى نتائج عجيبة منها أنه ادعى أن رشيد رضا أثبت الوجه لله تعالى معتمداً على آية يرى رشيد رضا أنها ليست من آيات الصفات أصلاً^(٥).

(١) انظر: كتابه (ص: ٣٢ - ٣٣).

(٢) انظر: مجلة المنار (٤٧٨/١٧).

(٣) انظر: كتابه (ص: ٥٥).

(٤) انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات (٢٦٢/١) وما بعدها ط. دار طيبة الرياض الأولى

١٤٠٥ هـ.

(٥) انظر: كتابه (ص: ١٠٩ - ١١٠).

وبناءً على ذلك لا أعتبر هذا المؤلف من البحوث العلمية التي دارت حول رشيد رضا، وأعتقد أن إدخاله فيها ينطوي على التدليس. هذا ما كتبه هذا التامر، في رسالته وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهذا كان ردي آنذاك...

بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيهات على ما كتبه تامر متولي

في كتابه (منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.. أما بعد، فقد أطلعني بعض إخواننا على كتاب (منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة) لتامر متولي، وما كتبه في (ص ١٠٠ - ص ١٠٣) من تعليقات على كتابي (محمد رشيد رضا طود وإصلاح ودعوة وداعية - جهاده في خدمة العقيدة وأثره في الاتجاهات الفكرية المعاصرة) فأحبيت أن أبين ههنا بعض الأخطاء التي وقع فيها حسب الترتيب الذي ذكره في تلك الصفحات.

أولاً: ترجمته لي في حاشية ص (١٠٠) تدل على عدم معرفته بي، فقد ذكر أنني حصلت على بكالوريوس الهندسة ثم التحقت بمعهد الأئمة، وغفل أنني التحقت سنة واحدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قبل التحاقى بكلية الهندسة وكان ترتيبى الأول على الكلية أو لعله لم يبلغه ذلك ولم يكلف نفسه عناء السؤال حتى يظهر له الأمر، ثم كلامه في تلك الحاشية يفهم منه الإغضاء من شأني، ولعمر الله لشأني في نفسي أقل مما يظنون، لكن

ليس من المناسب أن يتهم هذا (التامر) الآخرين حتى يعلو على أكتافهم، فتلك خصلة ذميمة، وخلق قبيح، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

أما ما ذكره عن (معهد الأئمة) فقد كان من زملائنا في المعهد من حصل على البكالوريوس الذي يشير إليه (تامر متولي) وكثير منهم كانوا من الأوائل على جامعات المملكة كأم القرى والجامعة الإسلامية التي ينتسب إليها هذا التامر، وكان ترتيبه في الدراسة الأول كذلك طيلة مدة الدراسة.

أما مسألة طباعة الكتاب بعنوان آخر فما الذي يضير في ذلك، وكثير من كتب العلماء لها أكثر من اسم، فالعقل والنقل، وموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول اسمان لمؤلف واحد، ومنهاج السنة ومنهاج الاعتدال كذلك.. إلخ، وما الذي يضير أن الناشر ينشر الكتاب باسم يرى أنه الأنسب مع وجود الاسم الآخر، ما الطعن في ذلك إلا لهوى في النفس.

ثانياً: زعمه افتقار هذا البحث للإشراف العلمي، وهذا كذب بين، وقد كتب على الصفحة المقابلة للغلاف في الداخل، (أشرف عليها الدكتور/ عبد العزيز الحميدي عميد كلية أصول الدين بجامعة أم القرى سابقاً وناقشها كل من د. مصطفى حلمي رئيس قسم الفلسفة بدار العلوم بمصر، ود. علي جريشة الأستاذ بالمعهد)، وكل من هؤلاء حي يرزق لمن أراد أن يتثبت من كذب هذا التامر^(١).

كما أن البحث فيه إشارات كثيرة لذلك منها في (ص ٥٨) إيرادي إشكال العلاقة بين رشيد بشكيب على المشرف وإثبات رأيه في ذلك وكذلك في (ص ٣٤٤) وغيرها.

(١) غفر الله للدكتور علي جريشة توفي في ٢٧ إبريل ٢٠١١م.

ثالثاً: ومن تدليساته أيضاً: ما ذكره أن البحوث العلمية تستند إلى عنصرين هامين وهما الوقت والرجوع إلى المصادر الأصلية، وأن بحثي يفتقر إليهما باعترافي، وهذا يدل على تدليس هذا التمري، أو سوء فهمه لما يكتب، لأن ما ذكرته في (ص ٨) من وما منعتني من الإجابة على كثير من هذه التساؤلات ضيق الوقت وافتقار هذا البحث إلى التحليل العلمي المتخصص الذي يوجد في البحوث التي كثرت مراجعها ومطائنها، فقللة المعرفة وندرة المراجع والتعظيم الواضح الذي أضفي على شخصية هذا الرجل".

فالعبرة واضحة أن المراد الإجابة عن كثير من التساؤلات، وقد ذكرتها بعد أسطر من هذه العبارة، فالمراد أن هذه التساؤلات يضيق الوقت عن الإجابة عليها، بل وأقول الآن: ولم يجب حتى هذا التامر على كثير منها رغم تخصصه واستناده إلى الوقت والرجوع إلى المصادر الأصلية بزعمه.

أين جواب ما ذكرته من علاقة رشيد رضا بشكيب أرسلان؟، وما صحة المنسوب إليه من جمعية تسعى لإسقاط الدولة العثمانية؟، ولماذا لم تنتشر آراؤه؟ وما مدرسته؟ .. إلخ القائمة المذكورة ثم.

وهذا كله مطروح للبحث إذ لم يستطع (التامر) أن يشير إليه حتى لا ينفضح في عدم إجاباته عنها مع أنه يعيب على الآخرين ذلك.

رابعاً: من التناقض البين أنه عاب عليّ أنني ذكرت (ندرة المراجع) ثم سرد أسماء مراجع وبحاث ومؤتمرات في (رشيد رضا) وغفل أو تغافل عن أمرين:

الأول: أن قولي (ندرة المراجع) كان في المراجع التي تجيب عن التساؤلات؟ لا أصل ما كتب عن رشيد رضا وإلا فقائمة المراجع لبحثي ضمت العديد مما كتب عن رشيد رضا؛ كرحلات رشيد رضا (جمع وتحقيق يوسف أبيض) وترجمة رشيد رضا في كتابين هما رشيد رضا لأحمد الشرباصي ورشيد رضا

لأحمد العدوي؛ وفتاوى رشيد رضا للمنجد والخوري، والسيد رشيد رضا أو إخاء أربعين عاماً لشكيب أرسلان؛ كما ضمت قائمة البحث كتباً لرشيد رضا نفسه، وما كتبه بقلمه في المنار، واختلاف الأئمة، وتاريخ الأستاذ الإمام، وتفسير المنار، والسنة والشريعة، والمنار والأزهر، والوهابيون والحجاز، والوحي المحمدي، والمسلمون والقبط، والخلافة والإمامة وغيرها.

وأيضاً ضمت قائمة البحث العديد من الكتب التي ترجمت لرشيد رضا أو تحدثت عنه وما يتصل به من الارتسامات اللطاف، والأعلام وحاضر العالم الإسلامي وعلماء ومفكرون عرفتهم، والمجددون في الإسلام والمدرسة العقلية، والمفسرون، والنكير على منكري النعمة وواقعنا المعاصر وغيرها.

الثاني: فقول "التامر" (ورغم عدد المقالات التي كتبت عنه طيلة خمس وثلاثين سنة في مجلة المنار ورغم ما كتب عنه حياً وميتاً، من هذه المقالات قديماً وحديثاً وما عقد حوله من مؤتمرات شارك فيها حياً أو عقدت عنه بعد وفاته؛ إلا أن المؤلف صاحب الطود (ويقصدني) يتساءل متعجباً عن التعتيم على حياة ومؤلفات رشيد رضا، وعدم الاهتمام بها: نصف أو ربع بل عشر ما لاقاه من هو دونه".

والعجب هنا أن هذا التامر يستدرك في الهامش بثلاث مقالات قديمة لمحمد فريد وجدي والمراغي ومصطفى عبد الرازق، ثم يستدرك من المقالات الحديثة مقال لمحمد رجائي (١٤١٠هـ) ومقال لمحمد أبو بكر حميد (١٤١٦هـ) وأحمد درنيقة (١٤١٨هـ) ثم مؤتمر في جامعة الزرقاء (١٤٢٠هـ)، وينسى أو ربما يغفل هذا التامر أن كل ما ذكر، من المقالات والمؤتمرات الحديثة كانت بعد رسالتي بعدة أعوام بل بعد طبعة الكتاب الأولى (١٤٠٩هـ)، وغالبها بعد طبعة الكتاب الثانية (١٤١٥هـ)، ولذا فعلى منهجه كان ينبغي أن يستدرك علي برسالته العظيمة الفذة التي طبعت (١٤٢٥هـ) لِمَ لَمْ أذكرها !!.

وهذا كله لم يرد على سؤالي والذي لا يزال جذعاً، لم لم يُهتم بمؤلفاته كالاهتمام بغيرها؟ وكل ما كتب عنه ليس جواباً عن السؤال يا تامر، فهل كان الاهتمام بمؤلفاته كان كالاهتمام بشخصية حسن البناء وسيد قطب ومحمد عبده وغيرهم، فلم كان التفاضل موجوداً، سؤال لم تجب عليه وربما لا تستطيع.

ثم ما أدري لماذا كتب (التامر): "رغم عدد المقالات التي كتبها طيلة خمسة وثلاثين سنة في مجلة المنار". فهذا لا يرد مطلقاً على ما ذكرته لأنني أتكلم عن الاهتمام بمؤلفاته من الآخرين، لا اهتمامه هو بكتابتها، لعك فهمت.

خامساً: مما ذكره هذا التامر (عن أوهامي) للاعتماد على الوسائط ما ذكرته عن المؤتمر السوري وتهكم بأنه (وربما لأنه مؤتمر سوري فلا بد أن يعقد في دمشق)، وهذا أيضاً تلبيس من تامرنا فقد ذكرت عن الرومي أن المؤتمر السوري كان في جنيف عام (١٩٢١م)، وأنه كان نائباً له، ثم ذكرت عن صاحب الأعلام أن السيد رشيد قصد سورية وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري ثم غادرها عام (١٩٢٠م)، فهنا اختلاف في تحديد المكان والرئاسة والنيابة والزمان، ثم ذكرت على سبيل الاحتمال (ولعل) أنه كان في دمشق من كلام رشيد رضا نفسه لا من الوسائط، فقد قال في رده على العاملي: "كزعمه أن فيصلاً هو الذي عين صاحب المنار رئيساً للمؤتمر السوري العام في دمشق اه).

وأنت أيها التامر لا بد أنك اطلعت على ذلك لأنك عدت ذلك من أوهامي، فهل كان ذلك من أوهام (رشيد رضا) نفسه، وإن تعجب فعجب لك يا تامر لم تذكر في رحلات رشيد رضا التي جمعها في (ص ٦٦) من كتابك: رحلته إلى المؤتمر السوري في جنيف وذكرت أنه في عام (١٩٢٠م) زار دمشق، فلم أغفلت في هذا المكان رحلته إلى جنيف؟

ويحتمل عندي الآن أن المؤتمر السوري كان بدمشق وكان بجنيف إحدى جلساته، أو تعدد الاسم لمؤتمرين أما أنه لم يكن بدمشق مؤتمر سوري فرشيد رضا والزركلي (السوري) يثبتان خلافه.

سادساً: علاقة رشيد رضا بالنصارى؛ ذكر التامر فيها أنه نشب صراع صحفي [كذا عنده وإلا فهي صحافي نسبة للصحافة، أما الصحف فهو الذي يأخذ الحديث من الصحف في اصطلاح المحدثين] بين مجلة المنار وعدد من الصحف التبشيرية... إلخ قال، ومع ذلك: وبسبب الاعتماد على المصادر الوسيطة ادعى كذلك أن رشيد رضا كان بينه وبين النصارى موالة وملاينة.

وهذا الكذب الصريح من تامر يحتاج على إلى وقفة:

(١) لم أذكر قط ألبتة أن رشيد رضا كان بينه وبين النصارى (موالة) فهذا كذب عليّ والصفحة التي أحال إليها هذا التامر (ص ٥٥) ليس فيها ذلك، وبقية الكلام كله ليس فيه ذلك، بل وقد أحال هذا الموضوع على صفحة أخرى في البحث (ص ٥٦ هامش ٥) وفيه: (وسياتي إن شاء الله في ص ٣٢٤ زيادة إيضاح) ولو كلف هذا التامر نفسه بمراجعة الصفحة المشار إليها لوجد هناك نفي أن يكون رشيد رضا موالياً للنصارى صريحاً واضحاً وفيها: "ويطرح سؤال لنفسه الآن، إذا كان السيد رشيد رضا بهذا المعتقد وهذه الروح الإسلامية، فلماذا، كان لينا مع بعض هؤلاء النصارى كما سبق نقل ما يؤكد ذلك؟ والجواب: أن السيد رشيد رضا لم يكن يرى أن ذلك يخالف عقيدة المسلمين في الولاء والبراء، وذلك لأن الولاء أمر قلبي يظهر على الجوارح أثره، وما كان من السيد رشيد رضا هو أشبه ما يكون مجاملة ومداراة، وقد ظفرت بقصة أوردها السيد رشيد رضا في المنار توضح ذلك .. ثم سردت القصة وعلقت عليها وبينت الفرق بين

المداراة والمواولة ثم قلت: (ص ٣٢٨): "مما سبق من أدلة وأقوال أهل العلم يتضح الفرق بين مواولة الكافرين وحسن العشرة من غير المحاربين منهم، فالمواولة أمر قلبي هو المحبة والنصرة، أما بذل الدنيا لصالح الدين فلا يدخل في هذا، ولعل هذا كان فعل السيد رشيد رضا مع من صحبة أو ترافق في إصلاح أمر من أمور الدنيا، وكان لبعض السلف يشغل مثل هذا، ثم ذكرت أثر سلام ابن مسعود رضي الله عنه على دهقان لأجل حق الصحبة وعلقت عليها.

(٢) ما أوهمه كلام التامر أني أغفلت الصراع بين رشيد رضا والصحف التبشيرية يدل على أنه لم يقرأ أو تغافل عما ذكرته في (خصومته مع النصارى) (ص ٣٢١ - ٢٣٩) والذين صدرته بقولي: "رغم أن السيد كان لين الجانب مع النصارى، إلا أن هذا اللين كان في المعاملة، أما إذا اقترب الأمر من الدين والعقيدة، فهو لا يبالي أكان كلامه مقبولاً عندهم أو لا، وقد وضع كتابه [شبهات النصارى وحجج الإسلام] ويتضمن ست عشرة مقالة نشرت في المجلد الرابع والخامس من المنار في الرد على كتاب: أبحاث المجتهدين، ومجلة بشارة الإسلام؛ ومجلة الجامعة .. إلى أن قلت: "وقد أصدر السيد رشيد رضا إنجيل برنابا وطبعه .. وألف أيضاً كتاب [المسلمون والقبط] فيه كما يقول الشرباصي: فيه من الشواهد على غيرته الدينية، وعدم التساهل مع غير المسلمين فيما هو من حقوق الإسلام .. إلى آخر ما سطرته ونقلته وفي كل هذا أنقل من كلام رشيد رضا ومجلة المنار وغير ذلك لا المصادر الوسيطة كما ادعى التامر.

(٣) وأما (الملاينة) فقد نقلت جملة من أدلتها في الصفحة المذكورة في البحث (ص ٥٥) وفيها قول رشيد رضا: (وأرى الوالد رحمه الله تعالى

يجاملهم (أي: القساوس والرهبان) ، . وقد كان هذا من أسباب دعوتي إلى التساهل والوفاق، ثم ذكرت رثائه لجورجي زيدان وإشارته بمجلة الباحث المسيحية ووصفه البابا لاون الثالث عشر بأنه كان أعقل رجال أوربة وأعلامه كعباً في السياسة، ويرد على من ينتقده بأنه: "هل من الحكمة أن نتجاهل ما يفعله القوم من خدمة دينهم ونشره وأن نكتم ما يتفق لنا علمه لأنه مما يمدخون عليه، وكذلك يرثي د. شميل في (٨) صفحات من المنار ويشترك بخطبة في رثائه، ثم ذكرت أن الدكتور الشرباصي يذكر أن لكثيرين الحق حين يتحجرون فلا يستسيغون هذا التصرف من رشيد لما هناك من وشائج بين الاعتقاد والدين والإصلاح الاجتماعي" اهـ.

وهلا أتحدثنا أيها التامر بوجه (الوهم) في الملاينة، على أن في نهاية هذا المطلب إحالة إلى (ص ٣٢٤)، التي فيها أن هذا ليس من الولاء كما سبق، فهلا ذكرت ذلك إن كنت رأيته، أو هلا أمسكت إذ جهلت.

سابعاً: ما ذكره عن تناول العقيدة في الكتاب كان عجبياً جداً وقد ذكر مثال: توحيد الربوبية وصفة الوجه.

فأما توحيد الربوبية، فقد ذكر أن المؤلف (يقصدني) تناول كل جهود رشيد رضا في العقيدة في (١٩٩ صفحة) لم يكن لتوحيد الربوبية أي نصيب.

وهذا أيضاً من تامر تلبيس شديد:

أ] ليست هناك دقة فيما ذكره تامر لأن عدد الصفحات التي تكلمت عن جهوده في خدمة العقيدة أكثر من ذلك بكثير، ولا أدري من أين أتى بهذا الرقم (١٩٩) فإن الكلام على (عقيدته) كان في (ص ٨١) وأعقبه ذلك الكلام على دار الحرب، والحكم بغير ما أنزل الله (ص ١٨٨) ومسألة الخروج على الحكام

(ص ٢٠٧)، ثم الكلام على الشيعة ثم الخصوم والأعداء (ص ٢٧١) ثم الاتجاهات الفكرية المتأثرة برشيد رضا (٣٢٩) إلى الخاتمة (٣٧٨) وكلها جهود لرشيد رضا في خدمة العقيدة.

ب] ذكرت في خاتمة البحث (ص ٣٧٨) عن رشيد (جنوحه الشديد لمذهبه السلف سواء كان في توحيد العبادة (الألوهية) أو التوحيد العلمي الخبيري (الربوبية والأسماء والصفات) وإن كان مقصود التامر أنه لم يجد في (ص ٨٢) العنونة بتوحيد الربوبية، وأن هذا يعني خلوه منه، فهذا (طامة) لأن هذا التامر كما يفترض يبحث كتابه في (العقيدة) فهل يخفى عليه أن توحيد الإلهية متضمن للربوبية، وماذا يكون عنده مبحث القدر وأفعال العباد هل يدخل في الربوبية أو الإلهية، وكذلك مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله).

بل هو نفسه لما كتب (فصلا) عن توحيد الربوبية (٢٤٩ - ٣٢٩) في كتابه فإذا بحثت عن كلام رشيد رضا في (معنى اسم الرب والمعنى الشرعي للربوبية وتلازم الربوبية الإلهية وعلاقة الربوبية بسائر الصفات والإجماع عليها والفطرة والميثاق والنظر ومعجزات الرسل وحدث العالم وبدء الخلق) كما هي مطالب ومباحث هذا الفصل، إذا جمعت ما كتبه عن رشيد رضا تجده في غاية القلة، وإنما كثير من هذا حشو مما تحشى به الرسائل الجامعية عادة لتضخيمها.

ج] أذكر التامر ببعض التعديلات التي ذكرتها في كتابي عن رشيد رضا، ففي (ص ٨٣) في كلام رشيد رضا (وقد ذكر شرك العرب واليهود والعامّة قال: "لما كانوا كذلك [أي: مع شركهم] احتج على دعوتهم إلى توحيد الله تعالى بالتعبير بلفظ (رب) مضافاً إليهم فقال {اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} [البقرة: ٢١]، ووصفه بما يدل على انفراده بالربوبية من الصفات المسلمة عندهم وهي: الخلق والتكوين والرزق فقال: {الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ٢١] إلى آخر الآيات

التالية، أي: إذا كان ربكم هو الذي خلقكم وخلق من قبلكم وهو الذي سخر لكم السماء والأرض لرزقكم ومنافعكم فيجب أن تعبدوه وحده ولا تشركوا بعبادته أحداً من خلقه فتجعلونه مساوياً له، وتفضلونه على أنفسكم تفضيلاً من نوع تفضيل الخالق على المخلوق والرب على المربوب".

وهذا النقل يستفاد منه: أن الربوبية هي من الصفات المسلمة عندهم وهي الخلق والتكوين والرزق، ويستفاد منه العلاقة بين الربوبية والإلهية وأن الأول مستلزم للثاني، وأن الربوبية هذه أمر فطري من الصفات (المسلمة). فهذه الجملة فيها (جل) مطالب الفصل التامري الذي كتب في كتابه.

في (ص ١٠٢): نقلت قول رشيد رضا في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [يونس: ٣]، من أنها (كأمثالها تقرر وحدانية الربوبية على أنها حجة لوحداية الألوهية وإبطال عبادة غيره تعالى معه بمعنى ما كانوا يدعون من الشفاعة".

وفي (ص ٢٥٥) نقلت: قول رشيد رضا (وجملة القول أن الله تعالى خالق كل شيء وأنه يخلق بقدر ونظام حكمة وسنة لا أنفا ولا جزانا ولا عبثاً وأنه حكيم في خلقه وأمره.. إلخ".

أما مسألة إثبات رشيد رضا لصفة (الوجه) لله سبحانه

فقد راجعت ما كتبه هذا التامر في هذه الصفة حيث قد ذكر مما انتقده عليّ إدعاء أن رشيد رضا أثبت الوجه معتمداً على آية يرى رشيد رضا أنها ليست من آيات الصفات أصلاً!! وتوصلت في النهاية إلى ما يلي:

أولاً: الظاهر أن (تامرنا) اختلط بأوليه؛ لأن هذا المطلب في كتابي (ص ١٠٨ - ١١١) ليس فيه هذا الذي ذكره، فقد ذكرت إثبات رشيد رضا الوجه من خلال تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَةٌ} [الأنعام: ٥٢]، فقد ذكر تأويل الصفة للوجه بالذات ثم ناقشه ثم ذكر أن الفصل لرضوان الله وكمال العرفان، والعلم به المعبر عنه في الأحاديث الشريفة برؤية وجهه الكريم بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل" (ص ١٠٩).

وأخونا في الله في كتابه يذكر النصوص التي تدل على إثباته لصفة الوجه، فيذكر منها هذا النص أيضاً بحرفه (ص ١٧٤) من الرسالة التامرية.

ثانياً: أما النص الذي لمزني بأني زعمت أنه يدل على أن رشيد رضا يقول بإثبات الوجه منه وليس كذلك، فهو تفسير رشيد رضا ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، فسبحان الله أين السمندل ليجلب وأين العنقاء لنطلب^(١)، لقد أوردت النص، وتعليق المغراوي عليه ثم ذكرت أن هذه الآية مما تنازع الناس فيها هل هي من آيات الصفات أولاً، ثم ذكرت كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أنها ليست من آيات الصفات، فلم أذكر قط البتة مطلقاً أن رشيد رضا يستدل بها على صفة الوجه، بل ذكرت الرد على استدلال المغراوي على رشيد فحسب بل حتى (تامرنا) ذكر النزاع في كونها من آيات الصفات مختصراً مخلاً (ص ١٧٤)، لأنه لم يذكر سبب النزاع كما أوضحه كلام شيخ الإسلام الذي نقلته وغفل عنه التامر.

ثالثاً: شخصية التامر هذا من خلال (كتابه) أو (الرسالة العلمية) أو (البحث العلمي) كما يحلو أن يسميه، شخصية فيها الكثير من الاعتداد بالانفس إن لم يكن الغرور، فمثلاً في الخاتمة يقول (ص ٨٩٤) "في فصل القدر لم يستطع رشيد رضا أن يحدد بدقة الفرق بين تعريف السلف للقدر وبين تعريف

(١) هذا يقال للممتنع، فيزعمون أن العنقاء طائر برأسين، والسمندل طائر يضع بيضه في النار ولا تضره.

القدرية، وهذا بالمخالفة، أما في الموقفة فهو يقول: "لقد اتخذ رشيد رضا موقفاً صحيحاً... (ونجده (ص ٤٠٩): وكأنه هو الحاكم على رشيد رضا وغيره. وكان يمكن التعبير عن (الخطأ والصواب) بغير هذه العبارات التي تدل على الغرور بالنفس.

وفي الموضوع الذي انتقدي فيه (ص ١٠٠) يذكر أحد البحوث فيقول: "ولم أستطع الإطلاع على هذا البحث لأحكم عليه"، وفي خلال انتقاده يقول: (ص ١٠١): "ورغم هذا العدد من البحوث العلمية التي كتبت عن رشيد رضا، ورغم أن اقترحت في بحثي هذا أيضا عدة بحوث حول رشيد رضا". وغفل أو تغافل تامرنا أني سبقته بذلك.

وقد راجعت البحوث (العدة) التي أتحننا بتوجيهاته فضيلة التامر في توصياته فذكر: (جهوده الفقهية وآراءه الأصولية) وباب (الأديان والفرق) و (الرواية بالمعنى) فجزاه الله خيراً.

وقد وضعت في كتابي الذي لم يعجب التامر توصيات أخرى (ص ٢٨٠ - ٢٨١) منها:

- جمع للأحاديث التي تناولها السيد رشيد بالتحقيق أو التعليق أو النقد أو الشرح على غرار مجموع فتاويه الذي قام به المنجد والخوري، وهذا المجموع للفتاوى لم يلخ لي ضمن قائمة مصادر ومراجع التامر، ولعله أغفله لأنه من الكتب (الوسائط) التي يرغب عنها رغم حشى قائمة مصادره ومراجعته بنحو ٦٥٠ مرجعاً كثير منها حشو لم يستفد منه إلا قليلاً، وعلى كل فهذا منهج قائم فهلا راجع كتاب المنجد والخوري ليضيفه لما كان من اشتغال بتراث رشيد رضا !! واحتمل عندي أيضاً أنه لم يره أصلاً وإلا كان هذا وارداً على مقترحه وتوصياته بالجهود الفقهية.

- كما أوصيت بإعادة طبع مبحثي (التشابه)، و(الصوفية).
- وأوصيت بعقد مقارنة بين رشيد ومحمد عبده، وأوصيت بدراسة الفترة التاريخية المعاصرة للسيد رشيد وإبداء آرائه الإصلاحية في السياسة وهو بحث تاريخي أيضاً.
- كما أوصيت بانتخاب مجموعة من فتاوى رشيد رضا المناسبة للعصر وإعادة طبعها.
- كما أوصيت بتكثيف المنار وعمل فهرس تفصيلي لفوائد رشيد رضا المنثورة في كتبه.
- كما أوصيت بإعادة طباعة ما ينتقون من بحوث جيدة من المنار مع التعليق عليها وتطعيمها بأوجه الاستفادة منها مع متطلبات العصر المتغيرة.

تاسعاً: كتاب التامر يصعب الاستفادة المركزة منه، وطوله غير المفيد لكثرة تشتت أفكاره يصعب معه نقده في مطالعة أولية، ولكن أحببت أن أنبه على بعض ما فيه:

- ترجمة رشيد رضا ودراسة حياته (ص ٥٩ - ١٠٤) ترجمة ضعيفة من ناحية التحقيق العلمي، ولم يوضح نقطة التحول بقراءته (العروة الوثقى)، وأما مبحث (مذهبه وآراؤه الفقهية) فهو هزيل جداً ولم نجد فيه ما يكون ذا قيمة إلا مسألة (ربا الفضل) وهي مبحوثة في بحثي بالتفصيل.
- وأما أثر رشيد رضا في العالم الإسلامي فقد أغفل أثره على الشيخ الألباني ومدرسته رغم أن الألباني يذكر أن سبب تحوله إلى المنهجي العلمي السلفي هو مطالعته لمجلة المنار ويقول: 'فإنني بفضل الله عز وجل بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أولاً، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً؛

يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلة المنار التي وقفت عليها أول اشتغالي بطلب العلم) (ص ٣٣٦ من بحثي).
وأما مؤلفاته، فقد ذكر، منها ٢٥ مؤلفاً لم أهد إلى كيفية ترتيبها، فلم يرتبها على موضوعات ولا على سنوات الطباعة، ولا على الأهمية رغم أنه كتب (بحثاً علمياً) المستند إلى عنصري الوقت والرجوع إلى المصادر الأصلية.
- وفي مسألة (الحكم بغير ما أنزل الله) أخذت من تامرنا ما يقل عن صفتين (ص ٢٤٥، ٢٤٦) رغم خطورتها وما يعثرها من كلام وشد وجذب، ورغم إفاضة رشيد رضا فيها جداً لكن لم يبحثها التامر في خلال (نحو ٩٠٠) صفحة إلا هكذا، جملة مبتورة قدم لها بمقدمة أضاعت عدة أسطر، وهوامش أزلت شيئاً آخر، ولم يرج عن كلام الشيخ محمد قطب على فتوى رشيد، وذلك وربما لم يعرف ذلك لأن كتاب محمد قطب ليس ضمن قائمة مصادره.

والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم

أ.د. خالد بن فوزي حمزة

Islamic University of Minnesota USA



Journal of Islamic, Arab and Human Studies

Academic supervision
Prof: Khaled Fawzy Abdelhameed Hamza

حقوق الطبع والنشر محفوظة